جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية أصول الدين

الجواب الصحيح

لابن تيمية

دراسة وتحقيق

حمدان بن محمد الحمدان

١

١٤٠٥/١٤٠٦هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

لشيخ الاسلام ابن تيمية - ٧٢٨هـ

(القسم الثالث والأخير)

دراسة وتحقيق

بحث أعده لنيل درجة الدكتوراه :

الدارس : حمدان بن محمد الحمدان

بإشراف فضيلة الدكتور : عبد السلام محمد عبده
الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة

المجلد الأول

العام الجامعي ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

لشيخ الاسلام ابن تيميّة - ٧٢٨ هـ

(القسم الثالث والأخير)

دراسة وتحقيق
بحث أعده لنيل درجة الدكتوراه

الدارس : حمدان بن محمد الحمدان

بإشراف

فضيلة د. عبدالسلام محمد عبده
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية البنات
بجامعة الأزهر بالقاهرة

المجلد الأول

العام الجامعي : ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ

سورة فاتحة الكتاب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ اَلرَّحْمٰنِ
الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝
اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝
اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝
صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّٓالِّينَ ۝

وهي سبع آيات

المقـــــــدمـة

خـطـة الـدراســـة والتحقيـــــق

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

* ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولاتموتن الا وأنتم مسلمون * (1) * ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا * * ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما * (2) .

أما بعد :

فهذه قصة اختياري لهذا الموضوع :

لقد كانت دراستي الجامعية بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلميه - آنذاك) كانت دراستي تلك مابين عامي ١٣٩٢ هـ - ١٣٩٦ هـ ولم تكن مشاهداتنا اليومية تفرض علينا أي تفكير بشأن المذاهب ، فمابالك بالملل والنحل ، كما لم تكن المقررات الدراسية تحمل أي التفات لقضية العقائد والملل سوى الفرق الاسلامية القديمة (الجهمية ، المعتزلة ، الأشاعرة ... الخ) الا أنه بالرغم من ذلك كانت بعض الكتب والمجلات تحمل الينا الأخبار والدراسات والتقارير التي تؤكد عزم النصارى على اقتحام جزيرة المسلمين ومعقلهم الأول (الجزيرة العربية) اضافة الى الجهود التنصيرية المكثفة في أنحاء العالم الأسلامي وبالأخص في اندونيسيا وافريقيا . فكنا نحس بالمرارة والألم ، ونتوجس خيفة من

(*) سورة النساء : ١ .

(1) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(2) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

هذا الخطر الزاحف ، الا أننا كنا سريعا مانغمض أعيننا عن ذلك وننساه ، لأنه أمر غائب ليس بمشاهد و (ليس الخبر كالمعاينة) ، الا أنه بعد التخرج بدأت القفزة الحضارية القوية في بلادنا فصاحبتها بعض الأمور الجانبية والتي كان من أبرز مايستحوذ على الاهتمام هو كثرة الاخوة الوافدين ، الذين جاؤوا للمشاركة في بناء هذه الحضارة لكي يستفيدوا ويفيدوا ، وكان جانب كبير من هؤلاء من النصارى[(١)] ، وقسم منهم من عرب لبنان ومصر وسوريا ، وقد حلوا بيننا ضيوفا محترمين مكرمين ، فصاروا لنا جيرانا وزملاء وأصدقاء وعاملين ومدراء أعمال • فاستيقظت لدى الغيورين من ابناء هذه البلاد الغيرة على دينهم ، وعلى اخوانهم في الانسانية من جهتين رئيسيتين :

أولاهما : حماية عقيدة المسلمين في هذا البلد من أي خدش ، وتأثر •

وثانيهما : الرغبة في هداية هؤلاء الى دين الله الخاتم الناسخ الكامل • وانقاذهم من الموت على النصرانية ، وتحقق الوعيد بدخول النار ــ أعاذنا الله منها ــ •

وكان من أشد المؤسسات غيرة على هذا الدين وأمته ، وأمة دعوته هي هذه الجامعة العتيدة ، معقل العلم والعلماء ، فقامت بافتتاح كلية أصول الدين سنة ١٣٩٦ هـ وصار قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة أحد أقسامها الثلاثة ، ولما تقدمتُ الى الجامعة سنة ١٤٠٤ هـ ملتمسا قبولي في الدراسات العليا ــ مرحلة الدكتوراه ــ وجدت موضوعا ينتظر من يظفر به ، وهو القسم الثالث والأخير ، من الجواب الصحيح ، لشيخ الاسلام ، فحمدت الله ــ سبحانه ــ على تيسير هذا الأمر واغتبطت به ، نظرا للسبب الذي أسلفت[(٢)] وغيره •

---

(١) يذكر الزميل د• علي بن ناصر بأن له صديقا كاثوليكيا لبنانيا كان يتردد عليه وبعد فترة من هذه الصداقة هداه الله ــ تعالى ــ وانقذه ، ثم تعرض لامتحان شديد في دينه وقد خرج منه فائزا ناجحا ــ والحمد لله ــ وهذا الرجل هو الأخ :سمير بولس •

(٢) انظر ماذكره الزميل د• علي بن ناصر ، في أسباب اختياره هذا الموضوع ، الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ ، م ١ ص : ٥ ــ ٦ •

هذا وانني أحمد الله – تعالى – وأشكره على ماتفضل وأنعم وهدى .

ثم أزجى الشكر والعرفان لشيخنا الفاضل د. عبد السلام محمد عبده ، المشرف على هذا البحث ، على رعايته واهتمامه ، وعلى دماثة خلقه ، وسعة حلمه ، وجميل صبره ، وعلى توجيهاته القيمة ، وآرائه الصائبة .

كما أشكر كلية أصول الدين ، ممثلة في عميدها فضيلة الشيخ عبد العزيز الرومي ، وفضيلة رئيس قسم العقيدة السابق الشيخ سالم الدخيل ورئيسه الحالي د. ناصر العقل .

أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه . ثم لما فيه خير أمتنا ومجتمعنا . آمين . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

خطة الدراسة والتحقيق

القسم الأول – (الدراســـة) :

الفصل الأول : ترجمة موجزة للشيخ المؤلف :

- اسمه ونسبه .
- مولده ونشأته .
- شيوخه وتلامذته .
- آثارة العلمية .
- جهاده ومناقبه .
- وفاته ، وشيء من ثناء الناس عليه .

الفصل الثاني : (عصر الشـــيخ) :

- الحـال السياسية .
- الحـال الاجتماعية .
- الحـال العقلية والعلمية .

الفصل الثالث : (دراسة القسم الثالث من الكتاب) :

- نهج الشيخ في كتابة هذا القسم .
- عرض موجز لمحتويات الكتاب كله .
- عرض مفصل لمواد القسم الثالث .
- مصادره في هذا القسم .
- مآخذ ومقترحات .
- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق ، والملحقة بها .
- لوحات مصورة لها .
- رموز مستخدمة في التحقيق .

القسم الثاني - (التحقيق) :

الهدف من التحقيق هو خدمة النص الذي بقي بعد كاتبه ، وأهم شيء في هذه الخدمة هي سلامته من أي تشويه أو تحريف أو زيادة - ولو بحرف - أو نقصان ، لكي يكون أقرب مايمكن الى الصورة التي وضعه عليها مؤلفه . ثم تأتي بقية الأمور الحاجية و التحسينية ، ولذلك أتخذت الخطوات التالية :

١. أخذت أقدم النسخ وأجودها وأقْرَبَها الى زمن المؤلف ، واعتبرتها النسخة الأم ، فما اتفق معها من النسخ الأخرى فهو المطلوب ، واذا اختلفت عنها أثبتُّ مافي النسخة الأم ، وأشرتُ الى الفروق في الهامش ، الا اذا وجد مبرر قوى يرجح خلاف مافيها ، فانني أعكس هذه الطريقة ، وغالبا ما أذكر ذلك المبرر .واذا اتفقت النسخ على أمر بدا لي أنه خطأ ، لم أقع أسيرا لها وانما أصححه وأشير الى ذلك .

٢. اذا وجد سَقْطٌ من النسخة الأم وهو غير ضروري فانني لا أُضِيْفُه الى النص ولكني أُثْبِتُه في الهامش . أما اذا كان ضروريا - في نظري - أثْبِتُه في الصلب مع الاشارة ، وهكذا اذا حصل تقديم أو تأخير فانني أفعل به ماذكرت في الفقرة الأولى .

٣. قمت بترقيم الآيات الكريمة ، وذكر سورها ، والتأكد من صحتها بالرجوع الى المصحف الشريف ، فاذا وجدت خطأ في نص الآية صححته دون اشارة الى ذلك - كما جرى عرف المحققين على ذلك - دون زيادة أو نقص في النص المذكور .

٤. وأما الأحاديث فانني أخرجها من كتب السنة المعتمدة ، فان كان الحديث في الصحيحين خرجته منهما ، وان كان في أحدهما اكتفيت به - غالبا - وان لم يكن الحديث فيهما ولا في أحدهما حاولت تخريجه من أكثر من

مصدر ، والتمست حكما عليه من أحد الكتب المعتبرة في ذلك ، فان لم أجد رجعت الى اسناده وراجعت تراجم رجاله ، وذكرت نتيجة هذه المراجعة بقولي : رجاله ثقات ، أو اسناده جيد ، أو فيه فلان وهو كذا وبقية رجاله ثقات ... الخ .

وأما الآثار فقد حاولت عزوها الى مصادرها فان تيسر لي حكم عليه ذكرته ، والا سكت عنه .

٥. وقد رجعت الى كتب العهدين القديم والجديد لعزو مالدي من نصوصهما ، وقد كان هذا عسيرا في بعض الأحيان ، بسبب اختلاف الترجمة التي نقل منها شيخ الاسلام – آنذاك – عن الترجمة الحالية ، ولم أجد شيئا بلفظه ، فاذا كان النص قصيرا ذكرت المقابل له من الترجمة الحالية ، واذا كان طويلا أو فيه اختلاف كبير في المعنى اكتفيت بالاحالة على موضعه باسم السفر أو الأنجيل أو المزمور ثم بالاصحاح والفقرة (والتي يسمونها الآية) ثم برقم الصفحة في أي من العهدين ، من واقع الطبعة التي استعملتها .

٦. ثم قمت بالتأكد من أسماء الاعلام الوارد ذكرهم حيث وجدت تحريفات كثيرة في أسمائهم – ثم ترجمت لهم من المصادر الأصلية ، من مصدرين أو ثلاثة الا ماكان شهيرا أو صعب على تعديدها فاني اكتفى بمصدر واحد – وهو شيء نادر – .

٧. يرد في كلام الشيخ كثيرا الاحالة في موضع الى موضع آخر من الكتاب – نفسه – أو في كتاب آخر وقد حاولت أن أحدد هذه الاحالات .

٨. يمر في كلام الشيخ أو نقوله كلمات أو تراكيب فيها غرابة ، وقد تتبعتها بالتفسير والشرح من المصادر المتخصصة .

٠٩ ينقل الشيخ أقوالا لآخرين ، وقد اجتهدت في عزو هذه النقول الى مواضعها في كتب أهلها ، الا ماعسر ، كما أنني قد أشرت ـ كلما أمكن ـ الى مواطن الأحكام النحوية أو القراءات أو التفسيرات اللغوية التي يوردها الشيخ . وكذلك آراء أهل الملل والمذاهب والنحل .

٠١٠ هناك بعض المواضع التي رأيت أنه يحسن التعليق الموجز عليها ، ففعلت ، ولم أجنح الى الاكثار أو الاطالة خوفا من اثقال الهوامش .

٠١١ قمت بوضع عناوين جانبية ، في بداية كل فصل ، أو عندما يتطرق الشيخ الى موضوع مستقل ، ولو لم يكن في بداية فصل ، وذلك من اجل مساعدة القاريء وتيسير مطالعة الكتاب . وقد وضعت هذه العناوين الجانبية بين قوسين ، إشارة إلى أنها من وضع الباحث وليس من كلام الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى ـ .

القسم الثالث ــ (الفهـــارس) :

من أهم مايفيد العمل العلمي هو وجود الفهارس والكشافات المتنوعـــة ، التي تأخذ بيد المطالع والقارئ للكتاب الى مايريد من المعلومات بأدنى جهـد وأقل وقت ، ولقد صنعت لهذا القسم الفهارس التالية :

١. فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
٢. فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
٣. فهرس النقول عن العهد القديم والجديد .
٤. فهرس الأعلام ، ولقد راعيت وضع قوسين على رقم صفحة العلم المترجم .
٥. فهرس الفرق .
٦. فهرس الأماكن والأمم والقبائل .
٧. فهرس الأشعار .
٨. فهرس الكلمات والجمل الغريبة .
٩. فهرس الكتب الواردة في صلب الكتاب .
١٠. فهرس المصادر والمراجع .
١١. فهرس الموضوعات .

القسم الأول

(الدراسة)

الفصل الأول : (ترجمة موجزة للشيخ المؤلف) :

- اسمه ونسبه .
- مولده ونشأته .
- شيوخه وتلامذته .
- جهاده ومناقبه .
- آثاره العلمية .
- وفاته ، وشيء من ثناء الناس عليه .

اسمه ونسبه :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم ابن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، الامام الفقيه ، المجتهد المحدث ، الحافظ المفسر ، الأصولي الزاهد الناقد ، نادرة العصر ، ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة ، تقي الدين ، أبو العباس ، شيخ الاسلام وعلم الأعلام ٠

والده :هو العالم المفتى شهاب الدين عبد الحليم ٠

وجده : هو الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبو البركات مؤلف كتاب (الأحكام) ٠

وتيمية : لقب جده الأعلى ٠ أما سبب هذا اللقب فقد نقل ابن عبد الهادي عن ابن النجار قال : " ذكر لنا أن جده محمدا كانت أمه تسمى(تيمية) وكانت واعظة ، فنسب اليها ، وعرف بها " (١) قلت : وهذا أمر مألوف جدا ، وخاصة عندما تدعو الحاجة الى ذلك ٠ من تشابه الأسماء وتشابك الأعلام ، فان الناس يكونون في أمس الحاجة الى مايُقَرِّب الشخص الى أذهانهم فتتصوره بسرعة ، وتأمن من اختلاطه بغيره ، وأبرز شاهد على ذلك محمد ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، حيث يسمى : محمد بن الحنفية (٢) ٠

---

(١) العقود الدّرية ، في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص : ٢ للشيخ محمد ابن أحمد بن عبد الهادي ـ ٧٤٤ هـ.ت : محمد حامد الفقي ، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م ٠

(٢) استمر الناس في بلادنا فترة طويلة على تداول أسماء معينة ، جعلت من الضروري وضع لقب ـ جيد أو رديء ـ للشخص ، حتى يمكن معرفته ، حيث يحصل كثيرا أن يتفق اثنان أو أكثر من عائلة واحدة في الاسم واسم الأب والجد وربما الثاني والثالث ، وقد أخذوا يتنبهون لهذا أخيرا ٠

أما أرومة الشيخ فهي عربية نُمَيرية ، كما نقل ذلك الشيخ زهير الشاويش عن شيخه محمد بن مانع ، قوله : .. انه عربي نميري ، وذلك مذكور في مصورة (شرح بديعة البيان) لابن ناصر الدين ، وبخطه عند ترجمة جده في الصفحة (٤١٠) وعند ترجمته في الصفحة (٤٢٤) .(١)

مولده ونشأته :

ولد - رحمه الله - بحران ، يوم الاثنين ، العاشر ، وقيل : الثاني عشر ، من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ وبعد ست سنين اضطرت عائلته الى الرحيل عن حران، بسبب جور التتار، وكاد العدو ان يدركهم، لولا لطف الله بهم واستغاثتهم به - سبحانه - وقد كانوا يحملون كتبهم على عجلة لعدم وجود الدواب(٢) ، ثم قدموا دمشق سنة ٦٦٧ هـ .

وقد نشأ في جو من الصفاء والطهارة والعفاف والتنسك ، وفي اقتصاد في الملبس والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحم الكبار ويأتى بما يتحير معه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله ١٩ سنة أو أقل ، وبدأ في الكتابة والتأليف من ذلك الحين ، ثم مات والده ، وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ، فدرَّس بعده بوظائفه وله ٢١ سنة ، واشتهر أمره وذاع صيته في العالم . ثم انتهت اليه الامامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والانابة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والعفة

---

(١) شرح حديث النزول ، ترجمة المؤلف لزهير الشاويش ص : ٦ هامش ١ ، ط ٣ ، المكتب الاسلامي ، دمشق ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

(٢) لم يثنهم جو الرعب والخوف عن حمل الكتب على عربة تدفع باليد !

والصيانة ، وحسن القصد والاخلاص ، والابتهال الى الله وكثرة الخوف منه والمراقبة له ، وشدة التمسك بالأثر ، والدعاء الى الله وحسن الاخلاق ، ونفع الناس والاحسان اليهم ، والصبر على من آذاه ، والصفح عنه ، والدعاء له ، واجتمع له سائر أنواع الخير .

شيوخه وتلامذته :

سمع من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي .
وسمع من ابن أبي اليسر .
والكمال بن عبد .
والشيخ شمس الدين الحنبلي .
والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي .
والشيخ جمال الدين بن الصيرفي .
ومجد الدين بن عساكر .
والنجيب بن المقداد .
وابن أبي الخير .
وابن علان .
وأبي بكر الهروى .
والكمال عبد الرحيم .
وفخر الدين بن البخاري .
وابن شيبان .
والشرف بن القواس .
وزينب بنت مكي .
وغيرهم كثير ، ينوفون على مائتي شيخ ، منهم ابن عبد القوي .

أما تلاميذه فمنهم :

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية .

و محمد بن شاكر الكتبي .

و محمد بن أحمد الذهبي .

و محمد بن أحمد بن عبد الهادى .

و اسماعيل بن عمر بن كثير .

و عمر بن على البزار .

و أحمد بن الحسين بن عبد الله بن قدامة .

و سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري البغدادي .

و عمر بن مظفر الوردي المصري الحلبي .

وعمر بن سعد الله الحراني .

ومحمد بن مفلح المقدسي .

و محمد بن المنجا التنوخي الدمشقي . وغيرهم .

جهاده ومناقبه :

العلم وراثة النبوة ، والنبوة وحي وعمل لانفاذ هذا الوحي وتطبيقه ، ولكن العلماء - أحيانا - يحس مَنْ حولهم بأنهم ملكوا العلم ، فمتى شاؤا سمحوا له بالتأثير في سلوكهم وسلوك غيرهم ، أو حجبوه وحبسوه داخل صدورهم وقراطيسهم ، فهؤلاء يزيد حظهم من ارث النبوة ويقل بمقدار استفادتهم وافادتهم من علمهم أو عدمها . وهناك قلة من العلماء الربانيين هم الذين ملكهم العلم فلم يُبقِ لهم من أهوائهم ورغباتهم شيئا ،فكانوا - بحق - وارثي نبوة ، وحملة رسالة ، وهذا ماينطبق على الشيخ المترجَم ،

حيث لم يترك طريقا ينفع أمة الاسلام الا سلكه ، ولم يدع ضررا واقعا تعاني منه ، أو محتملا يهددها ، الا وبذل قصارى جهده ، ونهاية قوته في مقاومته ودفعه ، فلقد نفع أمته بالعلم ، وفي مقدمته علوم الوحي حيث تفقه وتعلم واتقن ، ثم نفعها بالتعليم ونشر الفقه بمعناه الشامل بين المسلمين بل وغيرهم كما قال ابن الزملكاني : كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع انه لايعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لايعرف مثله ... "(١) .

ثم تصدى لأهل الضلال والانحراف من المسلمين وغيرهم ، فأخذ يكشف زيفهم ، ويرد باطلهم ويهتك استارهم ، ولايخاف في الله لومة لائم . بل انه لم يكتف بالقول والكتابة والمناظرة فحسب وانما حمل السلاح - بنفسه - لقتالهم ، ومقارعتهم بالسيف ، كما فعل مع الكسروانيين (النصيرية) وذلك في شمالى الشام .

وكان متواضعا للناس ، باذلا نفسه لهم ، لايزيده علمه الا تواضعا واستصغارا لنفسه ووقوفا الى جانب الضعفاء والمساكين ، من طلبة العلم ومن عامة المسليمن ، وكان قدوة لهم في علمه وعمله وجهاده .

يقول الذهبي : " وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا ، وجسر - هو - عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لامزيد عليه ، وبدعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لايداهن ولايحابي ،بل يقول الحق المر الذي أداه اليه اجتهاده ، وحدة ذهنه ، وسعة دائرته في السنن والأقوال ، مع ما اشتهر عنه من الورع ، وكمال الفكرة ، وسرعة الادراك ، والخوف من الله ، والتعظيم لحرمات الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ،

---

(١) العقود الدرية : ٠٧

ووقائع شامية ومصرية ، وكم من نوبة رموه عن قوس واحدة فينجيه اللـه ".

ويعلل الذهبي سر قوته وسبب صموده وثباته بقوله : " فانه دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة ، قوي التوكل ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يُدْمِنُها بكيفية وَجَعِيَّة (١) " .

ثم يذكر أن مقابل هؤلاء الذين ناصبوه وآذوه جمهور عريض من أنصاره ومحبيه فيقول : " وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء ، وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا ،بلسانه وقلمه " (٢) .

ثم ذكر جهاده بنفسه وعلمه ولسانه ، عندما واجه الملك (غازان) المغولي ، واجتمع به مرتين ، وكذلك مافعله مع (قطلوشاه) و (ببولاي) ، وأن (قبجق) كان يتعجب من جرأته على المغول .

ثم ذكر مافعله سنة ٧٠٠ هـ لما أراد التتار غزو دمشق،حيث انطلق من دمشق الى مصر في سبعة أيام على البريد،حيث اجتمع بالملك الناصر وأركان الدولة فاستصرخ بهم ، وحضهم على الجهاد ، وتلا عليهم الآيات والأحاديث ، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب ، فاستفاقوا وقويت هممهم . فكان ذلك من أهم الأسباب في حماية دمشق من افساد المغول ودمارهم ، حيث انتصر عليهم المسلمون وقهروهم في معركة (شقحب) سنة ٧٠٢ هـ (٣) .

---

(١) أي أنه يكون في حالة حزن وتضرع وتذلل.

(٢) العقود الدرية : ١١٧- ١١٨ .

(٣) انظر رسالة الشيخ-يرحمه الله-في هذا الشأن والتي أوردها بطولها ابن عبد الهادي من ص : ١٢٠ - ١٧٥ ، من العقود الدرية .

آثاره العلميـــــة :

لقد كان شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ غزير الانتاج وافر العطاء في شتى صنوف المعرفة ، المتعلقة مباشرة أوغيرمباشرة بعلوم الوحي ، والتي كانت اما مؤلفات مستقلة ، أو دفاعا وحماية لعقيدة الاسلام وملته ، أو اجوبة على مسائل تورد اليه .

وقد قُدرت أعماله الكاملة في التأليف من ثلاثمائة مجلد الى خمسمائة مجلد ، وقد ذكر ابن شاكر كثيرا من هذه الكتب مرتبة حسب موضوعها ، من كتب التفسير الى كتب الأصول ، الى كتب اصول الفقه ثم الكتب الشتى في أنواع شتى ، ومن المناسب هنا ان نورد ماذكره من كتب الأصول (أي العقيدة) حيث ذكر ابن شاكر :

١. الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية · اربع مجلدات ·
٢. ما املاه في الجُبّ ، ردا على تأسيس التقديس ·
٣. شرح أول المُحَصَّل · مجلد ·
٤. شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للفخرالرازي ·
٥. درء تعارض العقل والنقل · اربع مجلدات ·
٦. جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريبيني·مجلد ·
٧. الجواب الصحيح ، رد على النصارى ، ثلاث مجلدات (١) ·
٨. منهاج الاستقامة ·
٩. شرح عقيدة الاصفهاني · مجلد ·
١٠. شرح اول كتاب الغزنوي في اصول الدين · مجلد ·
١١. الرد على المنطق · مجلد ·

---

(١) هكذا (ثلاث مجلدات) وهذا يؤيد ماذهبتُ اليه في وصف النسخ من ان تقسيم الكتاب الى أربعة أجزاء كما في المطبوعة ليس له أصل ثابت · وهو يؤيد ايضا ـ مافعله قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية اصول الدين حيث اسند مهمة تحقيقه الينا نحن الثلاثة : علي بن ناصر،وعبدالعزيزبن عسكر، وحمدان الحمدان ·

١٢٠ رد آخر لطيف ٠

١٣٠ الرد على الفلاسفة ٠ اربع مجلدات ٠

١٤٠ قاعدة في القضايا الوهمية ٠

١٥٠ قاعدة في تناهى مالا يتناهى ٠

١٦٠ جواب الرسالة الصفديـــة ٠

١٧٠ جواب في نقض قول الفلاسفة : ان معجزات الانبياء ـ عليهم الســـــلام ـ قوى نفسانية ٠ مجلد كبير ٠

١٨٠ اثبات المعاد والرد على ابن سينا ٠

١٩٠ شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الامام أحمد في الاصول ٠

٢٠٠ ثبوت النبوات عقلا ونقلا والمعجزات والكرامات ٠ مجلدان ٠

٢١٠ قاعدة في الكليات ٠ مجلد لطيف ٠

٢٢٠ الرسالة القبرصية ٠

٢٣٠ رسالة الى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور ٠

٢٤٠ الرسالة البعلبكية ٠

٢٥٠ الرسالة الأزهرية ٠

٢٦٠ القادرية ٠

٢٧٠ البغداديـة ٠

٢٨٠ أجوبة الشكل والنقط ٠

٢٩٠ ابطال الكلام النفساني (ابطله من نحو ثمانين وجها) ٠

٣٠٠ جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت ٠

٣١٠ اثبات الصفات والعلو والاستواء ٠ مجلدان ٠

٣٢٠ المراكشـية ٠

٠٣٣ صفات الكمال والضابط فيها .

٠٣٤ جواب في الاستواء ، وابطال تأويله بالاستيلاء .

٠٣٥ جواب من قال : لايمكن الجمع بين اثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه .

٠٣٦ أجوبة كون العرش والسمٰوات كُرِّيَّة ، وسبب قصد القلوب جهة العلو .

٠٣٧ جواب كون الشيء في جهة العلو ، مع انه ليس بجوهر أو عرض معقول أو مستحيل .

٠٣٨ جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ؟ وهل لازم المذهب ، مذهب سماه الاربلية .

٠٣٩ مسألة النزول ، واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع . مجلد لطيف .

٠٤٠ شرح حديث النزول . مجلد كبير .

٠٤١ بيان حل اشكال ابن حزم الوارد على الحديث .

٠٤٢ قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه . مجلد .

٠٤٣ الكلام على نقض المرشدة .

٠٤٤ المسائل الاسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية .

٠٤٥ ماتضمنه فصوص الحكم .

٠٤٦ جواب في لقاء الله .

٠٤٧ جواب رؤية النساء ربهم في الجنة .

٠٤٨ الرسالة المدنية في اثبات الصفات النقلية .

٠٤٩ الهلاوونية .

٠٥٠ جواب ورد على لسان ملك التتار . مجلد .

٠٥١ قواعد في اثبات القدر ، والرد على القدرية والجبرية . مجلد .

٠٥٢ رد على الروافض في الامامة : على (ابن مطهر) .

٠٥٣ جواب في حسن ارادة الله – تعالى – لخلق الخلق ، وانشاء الأنـــام لعلة أم لغير علة ؟ .

٠٥٤ شرح حديث : "... فحج آدم موسى " .

٠٥٥ تنبيه الرجل الفاضل على تمويه المجادل . مجلد .

٠٥٦ تناسى الشدائد ، في اختلاف العقائد . مجلد .

٠٥٧ كتاب الايمان . مجلد .

٠٥٨ شرح حديث جبريل في حديث الايمان والاسلام . مجلد .

٠٥٩ عصمة الانبياء – عليهم السلام – فيما يبلغونه .

٠٦٠ مسألة في العقل والروح .

٠٦١ مسألة في المقربين : هل يسألهم منكر ونكير .

٠٦٢ مسألة : هل يعذب الجسد على الروح في القبر .

٠٦٣ الرد على أهل الكسروان ، مجلدان .

٠٦٤ في فضل أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – على غيرهما .

٠٦٥ قاعدة في فضل معاوية ، وفي فضل ابنه يزيد : لايسب .

٠٦٦ في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس .

٠٦٧ مختصر في كفر النصيرية .

٠٦٨ في جواز قتال الرافضة (كراسة) .

٠٦٩ في بقاء الجنة والنار وفي فنائهما ، رد على السبكي (١) .

---

(١) فوات الوفيات ١ : ٧٦ – ٧٧ .

(١) ذكر زهير الشاويش ان في رسالة ابن القيم مايقرب من ثلاثمائة وخمسين كتابا ورسالة وقاعدة ، ثم ظهر أن لشيخ الاسلام كتبا ورسائل لم يرد لها ذكر في رسالة ابن القيم (مؤلفات شيخ الاسلام) انظر ترجمة شيخ الاسلام : ٢٨ هامش ١ ، لمحمد كرد علي ، تعليق : زهير الشاويش .

(١) نقل المنجد عن الصفدي في كتابه المخطوط (أعيان العصر) قوله :"وضَيَّع الزمان في رده على النصارى والرافضة ، ومن عاند الدين أو ناقضه ،ولو تصدى لشرح البخاري أو لتفسير القرآن العظيم لقلد أعناق أهل العلم بدر كلامه النظيم " . ويمكن أن يقال للصفدي : لعل عذر الشيخ في ذلك و اكرم به من عذر ، أنه كان رجل علم ودعوة وهداية ، ولم تكن الناحية العلمية (الأكاديمية) هي الغالبة ،اذا لفعل هذا وأكثر . انظر شيخ الاسلام للمنجد ، ص : ٤٩ .

وأخيرا هذا نموذج من رواية شيخ الاسلام للحديث :

قال الذهبي : " آخبرنا أحمد بن عبد الحليم الحافظ غير مرة ، ومحمد ابن أحمد بن عثمان ، وابن فرح ، وابن أبي الفتح وخلق .

قالوا : أنا [١] أحمد بن عبد الدائم .

أنا عبد المنعم بن كليب

(ح) [٢] وأنبأنا أحمد بن سلامة

عن ابن كليب

أنا على بن بيان

أنا محمد بن محمد

أنا اسماعيل بن الصفار

ثنا [٣] ال[redacted] عرفة

ثنا خلف بن خليفة

عن حميد الأعرج

عن عبد الله بن الحارث

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " انك لتنظر الى الطير في الجنة فتنتهبه [٤] ، فيخر بين يديك مشويا [٥] " .

---

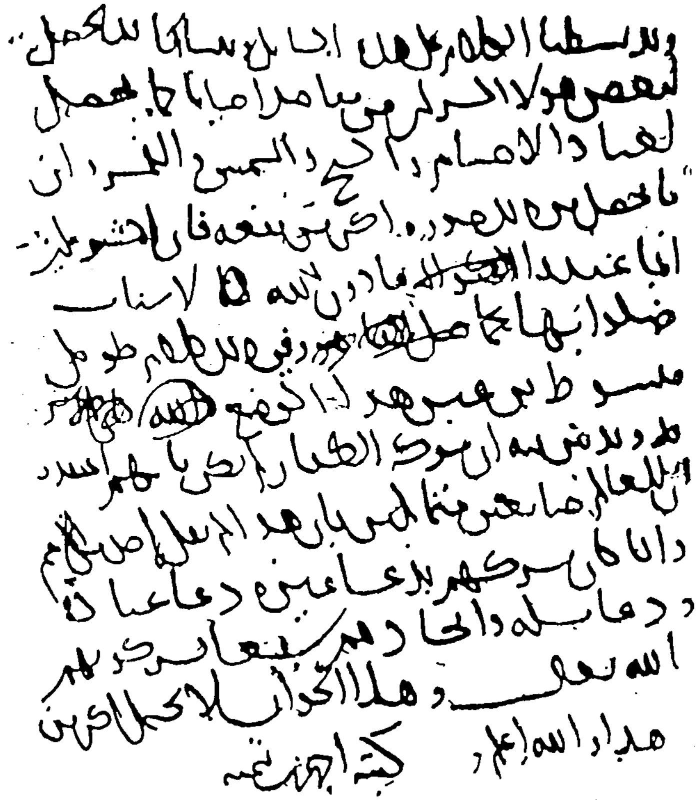
(١) أنا : تعني عند المحدثين أخبرنا. تدريب الراوي ٢ : ٨٧.

(٢) هذا الرمز (ح) يستعمل في تحويل الاسناد . المصدر السابق ٢ : ٨٨ .

(٣) ثنا : رمز لكلمة حدثنا . المصدر السابق ٢ : ٨٧.

(٤) هكذا (تنتهبه) من النهب وهو الغنيمة ، أو من الانتهاب : وهو أن يأخذها من شاء . مختار : ٦٨١ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٤ : ١٤٩٧ (١١٧٥) .



الصفحة الأخيرة من رسالة كلها بخط « ابن تيمية » محفوظة في مخلفات الشيخ عبد القادر المغربي ، في دمشق .

(نموذج من خط الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ نقلا عن الأعلام للزركلي ١٤٣:١)

وفاته وشيء من ثناء الناس عليه :

نقل ابن كثير عن علم الدين البرزالي قوله في تاريخه : " وفي ليلة الاثنين ، العشرين من ذي القعدة (اي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية) توفي الشيخ ... أحمد ... ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق ، بالقاعة التي كان محبوسا بها ، وحضر جمع كثير الى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، ... فلما فرغ من غسله أخرج ، ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق الى الجامع ، وأمتلأالجامع - أيضا - وصحنه والكلاسة ، وباب البريد وباب الساعات الى باب اللبادين والغوارة ، وحضرت الجنازة الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ، ووضعت في الجامع ، والجند قداحتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه اولا بالقلعة ، تقدم في الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلى عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس ، على ماتقدم ذكره ، ثم تزايد الجمع الى أن ضاقت الرحاب والأزقة والاسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرؤس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام ، وعلت الاصوات بالبكاء والنحيب ، والترحم عليه والثناء ، والدعاء له ، والقى الناس على نعشه ، مناديلهم وعمائهم وثيابهم (١) . وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ، ومناديل وعمائم لايلتفتون اليها لشغلهم بالنظر الى الجنازة ، وصار النعش على الرؤس ، تارة يتقدم ، وتارة يتأخر ،

---

(١) الظاهر أن هذا العمل لأجل التبرك بملامسة المنديل أو العمامة أو الثوب للنعش ،وهذا أمر خاص برسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعني التبرك بآثاره الطاهره ، أما غيره - عليه السلام - فلا ينبغي التبرك بشيء من ذلك منهم ، حيث انه مخالف لهدى الصحابة - رض الله عنهم - حيث لم يؤثر عنهم انهم تبركوا بأحد غيره - عليه السلام - فلم يتبركوا بأبي بكر ولا بعمر ولاعثمان ولا علي ولا العباس ولاغيرهم ، ولو كان مشروعا لما أهملوه . راجع التوصل الى حقيقة التوسل المشروع والممنوع : ١٩٨ - ٣٤٢ لمحمد نسيب الرفاعي ، ط ٣ ، دار لبنان ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها ، وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ... وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف وكثر الناس ، ووضعت الجنازة هناك ، وتقدم للصلاة عليه أخوه (زين الدين ،عبد الرحمن) فلما قضيت الصلاة حمل الى مقبرة الصوفية ، فدفن الى جانب أخيه (شرف الدين ، عبد الله) - رحمهما الله - تعالى - وكان دفنه قبل العصر بيسير ... " (١) .

وقد قدر الذين حضروا جنازته بأنهم أكثر من خمسمائة الف (نصف مليون) وقيل : لم يسمع في جنازة بمثل هذا الجمع الا في جنازة الامام أحمد بن حنبل (٢) .

أما ثناء الناس عليه فأنني هنا اكتفي بأربعة من الأبيات الستة التي قالها فيه أبو حيان - صاحب تفسير البحر المحيط ، رحمه الله - تعالى - عندما التقى به ، والتي قالها على البديهة ، وذكر ابن رجب قولهم : ان أبا حيان لم يقل أبياتا خيرا منها ولا أفحل (٣) :

---

(١) البداية والنهاية ٤ : ١٣٥ - ١٣٦ . وقد ذكر ابن كثير هنا نقلا عن البرزالي أنه لم يتخلف عن جنازة شيخ الاسلام سوى ثلاثة هم : ابن جملة ، والصدر ، والقفجاري ، وذلك خوفا على أنفسهم من الهلاك لمعرفة الناس بمعاداتهم له - رحمهم الله جميعا - .

(٢) الشهادة الزكية : ٦٦.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٩٢ لعبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي ٧٩٥ هـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢ هـ .

لما أتانا تقي الدين لاح لنـــا داع الى اللـه فرد مالـه وَزَر
علي محياه من سيما الأُلى صحبوا خير البرية نور دونه القمـر
حَبْرٌ تسربل منه دهره حِبَـرا بَحْر تقاذف من أمواجه الـدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنـا مقام سيد تَيْمٍ (١) اذ عصت مضـر (٢)

هذا وان قبره معروف المكان ، الى يومنا هذا ، وبجواره صاحبه الحافظ المِزّي ، صاحب (تهذيب الكمال) وذلك في ساحة كلية الطب ، بجامعة دمشق داخل سياج من حديد يحيط بالقبرين ، وقد كتب اسم كل واحد منهما على شاخص قبره (٣) .

---

(١) سيد تيم : هو أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ .

(٢) الأبيات من بحر البسيط ، من شعر أبي حيان : ٤٤٧ . ت : د. أحمد مطلوب وزميلته ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م .

(٢) وقد ذكر محقق كتاب الشهادة الزكية ص : ٦٤ ، هامش ١ ، أن الشيخ مرعى أورد فصلا كبيرا في كتابه الكواكب الدرية (المخطوط) من : ٣٥ ـ ٤٩ أ وفيه أحد عشر قصيدة من القصائد الطوال ، وانظر ما أورده الشيخ ابن عبد الهادي من الأشعار والقصائد في رثاء الشيخ ، في كتابه العقود الدرية : ٣٧٣ ، ومابعدها .

(٣) انظر الكتاب الطريف : العلماء العزاب ص : ١٠٠ هامش ١ ، للشيخ عبدالفتاح أبي غدة ، ط ٢ ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ، ولعل هذا من اكرام الله لهذين الرجلين ببقاء قبريهما محترمين معلومين بعد مايقارب الثمانية قرون ، مثلما أن قبر شيخ الاسلام مجدد القرن الثاني عشر أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي ـ ١٢٠٦ هـ موجود معروف مُزَار بمقبرة الدرعية . رحمه الله ـ ويستطيع من أراد زيارته أن يتعرف عليه عن طريق رئيس بلدية الدرعية الأخ : صالح بن حمد الناصر .

وقد ذكر ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه (الرد الوافر) سبعة وثمانين عالما أثنوا على شيخ الاسلام ، وأضفوا عليه الألقاب الفخمة ، ونعتوه بالأوصاف الجميلة ، والخلال الكريمة ، أولهم ابن سيد الناس (١) ،وآخرهم الرحبي (٢) ، وذلك مما سمعه من كلامهم ، أو نقل اليه ، أو وجده بخطوطهم .

كما أورد الشيخ مرعي الكرمي في كتابه (الشهادة الزكية ، في ثناء الأئمة على ابن تيمية) سبعة عشر عالما أثنوا على شيخ الاسلام ، وقدروه قدره ، آخرهم الشيخ قاسم بن قلطو بغا بن عبد الله . المصري الحنفي (٣) .

---

(١) ابن سيد الناس : هو محمد بن محمد بن محمد ، الشيخ الامام العالم الحافظ المحدث . فتح الدين اليعمري ، له كتاب : (عيون الأثر ، في فنون المغازي والشمائل والسير) توفى سنة ٧٣٤ هـ فوات الوفيات ٣ : ٢٨٧ – ٢٩٢ ، دار صادر ، بيروت .

(٢) هو ابو بكر بن قاسم بن أبي بكر الكناني ، الشيخ العالم المحدث ، زين الدين توفى سنة ٧٤٩ هـ ذيل تذكرة الحفاظ : ١٢٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) الشيخ قاسم : هو الزين ، وربما لقب الشرف ، أبو العدل السودوني ، ولد سنة ٨٠٢ هـ بالقاهرة ، وأخذ الكثير من العلوم عن كثيرين واقبل على التأليف وأكثر منه ، له كتاب (شرح منظومة ابن الجزري) و (اتحاف الاحياء بمافات من تخريج الاحياء) ، مات سنة ٨٧٩ هـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦ : ١٨٤ – ١٩٠ لمحمد السخاوي – ٩٠٢ هـ دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٣) يراجع في ترجمة شيخ الاسلام المصادر التالية :

١. العقود الدرية ، من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ، لمحمد بن عبد الهادي – ٧٤٤ هـ .

....

= ٠٢ البداية والنهاية لابن كثير ١٤ : ١٣٥ ومابعدها ٠

٠٣ الكواكب الدرية ، في مناقب المجتهد ابن تيمية ، لمرعي بن يوسف الحنبلي – ١٠٣٣ هـ طبع مع الرد الوافر في مصر سنة ١٣٢٩ هـ ، ومنه نسخة خطية في لاندبيرج برقم (٢٤٣) ٠ (١)

٠٤ ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٨٧ – ٤٠٨ لعبد الرحمن بن أحمد الحنبلي – ٧٩٥ هـ ت : حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢هـ

٠٥ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ : ١٥٤ – ١٧٠ لأحمد بن حجر العسقلاني – ٨٥٢ هـ ت : محمد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ٠

٠٦ تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في أخبار البشر) ٢ : ٤٠٦ – ٤١٣ المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦٩م ٠

٠٧ الوافي بالوفيات ٧ : ١٥ – ٣٣ للصفدي ٠ نشر هلموت ريتر ، ط ٢ ، ١٣٨١ هـ ٠

٠٨ دول الاسلام للذهبي ٢ : ١٨٠ دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٦٥ هـ ٠

٠٩ بيان زَغَل العلم والطلب للذهبي : ١٧ – ١٨ نشر القدسي ، دمشق ١٣٤٧ هـ ٠

٠١٠ النصيحة الذهبية ، بذيل بيان زغل العلم والطلب ٠

٠١١ ذيل العبر : ١٥٧ – ١٥٨ سلسلة التراث العربي ، الكويت

٠١٢ تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ : ١٤٩٦ ٠

٠١٣ معجم الشيوخ للذهبي ٠

٠١٤ فوات الوفيات لابن شاكر ٧ : ١٥ – ٣٣ ٠

---

(١) ذكر ذلك الاستاذ نجم عبد الرحمن خلف ، في فهرس مراجع تحقيقه لكتاب الشهادة الزكية : ١٠٢ ٠

....

= ١٥• نهاية الأدب للنويري •

١٦• مسالك الأبصار في ممالك الامصار ، لأحمد بن فضل الله العمري •

١٧• القول الجلي في ترجمة الشيخ ابن تيمية الحنبلي ، لصفي الدين الحنفي البخاري •

١٨• السلوك للمقريزي ٢ : ٢٧٣ و ٣٠٤ •

١٩• مرآة الجنان لليافعي ٤ : ٢٧٧ – ٢٧٨ •

٢٠• أعيان العصر للصفدي(مخطوط) وهو موجود في (أمانة خزينة برقم ١٢١٤) بتركيا • (١)

٢١• النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٩ : ٢٧١ لابن تغري بردي – ٨٧٤ هـ مصورة عن طبعة دار الكتب ،المؤسسة المصرية ، القاهرة

٢٢• محنة شيخ الاسلام : ٣ – ٣٣ ضمن مجموعة علمية لشيخ الاسلام نفسه – ت : حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ =١٩٥٣م•

٢٣• الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، لعمر بن علي البزار – ٧٤٩هـ ت : زهير الشاويش ، ط ٢ المكتب الاسلامي ، بيروت – دمشق ١٣٩٦ هـ •

٢٤• الأعلام العلية (طبعة أخرى) ت : الشيخ اسماعيل الأنصاري ،مطابع القصيم ١٣٩٠ هـ •

٢٥• الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي (مؤلف الكواكب الدرية) – ١٠٣٣ هـ ت : نجم عبد الرحمن خلف ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م •

٢٦• الرد الوافر ، على من زعم بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الاسلام) كافر ، لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي – ٨٤٢ هـ ت : زهير الشاويش ، ط ١ ، المكتب الاسلامي – بيروت – دمشق ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م •

---

(١) ذكر ذلك المنجد في كتابه (شيخ الاسلام ...) ص : ٥١ ، ط١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت •

= ٢٧. درة الاسلاك في دولة الاتراك (مخطوط)(١) .

٢٨. طبقات المفسرين : ٤٥ للداودي ـ ٩٤٥ هـ مكتبة وهبة ، القاهرة .

٢٩. شذرات الذهب ٦ : ٨٠ ـ ٨٢ .

٣٠. المنهل الصافي : ٣٣٦ لابن تغري بردي .

٣١. الدارس ١ : ٧٥ ـ ٧٧ للنعيمي .

٣٢. أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم .

٣٣. الزيارات للعدوي .

٣٤. البدر الطالع ١ : ٦٣ للشوكاني .

٣٥. طبقات الحفاظ : ٥٢٠ ـ ٥٢١ (١١٤٢) للسيوطي ـ ٩١١ هـ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

٣٦. المعين في طبقات المحدثين : ٢٣٧ للذهبي ـ ٧٤٨ هـ ت : د . همام سعيد ، دار الفرقان ، ط ١ ، الاردن ، عمان ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

٣٧. محنة شيخ الاسلام للذهبي .

٣٨. المنهج الأحمد للعليمي .

٣٩. كشف الظنون ، عن اسامي الكتب والفنون ١ : ١٣٥ .

٤٠. ايضاح المكنون ١ : ٢٣ ـ ٢٥ و ٢ : ٥٨ و ١٥٨٧ .

٤١. الدمية الاسلامية في مذهب ابن تيمية ، للشيخ يوسف بن محمد السرمري .

٤٢. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الالوسي البغدادي ـ ١٣١٧ هـ (ابن الألوسي المفسر صاحب روح المعاني) دار الكتب العلمية ، بيروت .

---

(١) وهو موجود بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٠٣١١ وهو بخط مؤلفه : ابن حبيب . ذكره المنجد في كتابه (شيخ الاسلام ...) .

= ٤٣٠ البدر الطالع ١ : ٦٣ - ٧٣ للشوكاني .

٤٤٠ الاعلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ : ٤٧٨ - ٤٧٩ . عبد الرحمن السخاوي - ٩٠٢ هـ مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ .

أما الكتب والرسائل المتأخرة التي ترجمت لشيخ الاسلام أو ضمت شيئا منها فأورد منها مايلي :

٠١ ابن تيمية : حياته وعصره ، آراؤه وفقهه لمحمد أبي زهرة - ١٤٠٠ هـ تقريبا ، ط ١ دار الفكر العربي .

٠٢ شيخ الاسلام ابن تيمية : سيرته وأخباره عند المؤرخين . د. صلاح الدين المنجد ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت .

٠٣ حياة شيخ الاسلام ابن تيمية للشيخ محمد بهجت البيطار ، ط٢ ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، بيروت .

٠٤ الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، لمحمد السيد الجليند ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٠٥ شيخ الاسلام ابن تيمية امام السيف والقلم ، لسعد صادق محمد ،دار اللواء بالرياض ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

٠٦ اشارات لطيفة لابن تيمية ، لمحمد العبدة ، ط ١ ، دار الثقافة للجميع ، دمشق ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

٠٧ الأعلام للزركلي ١ : ١٤٤ ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

٠٨ العلماء العزاب : ٩٩ - ١١٢ . لعبد الفتاح أبي غدة ، ط ٢ ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

٠٩ معجم المؤلفين ١ : ٢٦١ دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٠١٠ نوابغ الفكر الاسلامي ، لأنور الجندي : ٣٠٩ - ٣٥٦ ، ط ١ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٠١١ المجددون في الاسلام : ٢٦٢ - ٢٦٦ لعبد المتعال الصعيدي .

٠١٢ ابن تيمية ، د. محمد يوسف موسى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م .

٠١٣ منادمة الماضي ، لأحمد رمزي .

....

١٤- بيني وبين الشيخ حامد الفقي ، لأحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥م .

١٥- ابن تيمية بطل الاصلاح الديني ، لمحمود مهدي الاستانبولي ، دار الخياط للطباعة والنشر ، دمشق .

١٦- مقدمة د. محمد رشاد سالم لمنهاج السنة النبوية . طبع سنة ١٣٨٢ هـ .

١٧- الامام ابن تيمية ، لعبد السلام هاشم حافظ ، ط ١ ، شركة مصطفى الحلبي بمصر ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م . (١)

١٨- ترجمة شيخ الاسلام لمحمد كرد علي ، ط ٢ ، المكتب الاسلامي دمشق ١٣٩١ هـ وهي مُسْتَلّة من كتابه : كنوز الأجداد .

١٩- ابن تيمية وفكره السياسي لقمر الدين خان ، ترجمة وتعليق د . أحمد البغدادي ، ط ١ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

٢٠- ابن تيمية والتصوف د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الاسكندرية .

٢١- نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع ، للمستشرق الفرنسي هنري لاووست ، ترجمة محمدعبد العظيم علي ، تقديم وتعليق د. مصطفى حلمي ، دار الانصار ، القاهرة .

٢٢- ابن القيم من آثاره العلمية ، لأحمد البقري : ١١٥ - ١٥٨ مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .

٢٣- ابن تيمية ، لعبد العزيز المراغي ، دار احياء الكتب العربية .

---

(١) ذكر حافظ في كتابه هذا ص: ١٧٠ ، أن ابن خلكان ممن ترجم لابن تيمية وهو وَهْم من الكاتب ، حيث أن ابن خلكان قد توفي سنة ٦٨١ هـ أي أن ابن تيمية كان سِنّه آنذاك ٢٠ سنة فقط ، وليس عند ابن خلكان الا ترجمة محمد بن الخضر ، جد شيخ الاسلام الأعلى ، انظر وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٦ - ٣٨٨ .

....

---

٢٤٠ ابن تيمية السلفي ، لمحمد خليل هراس ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م ٠

٢٥٠ ابن تيمية وجهوده في التفسير ، لابراهيم بركة ، ط ١ ، المكتب الاسلامي ، دمشق - بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤م ٠

٢٦٠ ابن تيمية المفترى عليه ، لسليم الهلالي ، ط ١ ، المكتبة الاسلامية ، عمان ، ١٤٠٥ هـ ٠

٢٧٠ العقل ومجاله عند ابن تيمية ، لمحمد دكروري ٠

٢٨٠ الدولة عند ابن تيمية ، لمحمد المبارك ٠

٢٩٠ ابن تيمية : المصلح الاجتماعي ، لأحمد الغسيري ٠

٣٠٠ منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري لمحمد حسني الزين ٠

٣١٠ النشأة العلمية عند ابن تيمية لهنري لاووست ٠

٣٢٠ معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٠٠٠ : ٥٣ و ٢١٢ ٠ لعبد العزيزالسيروان ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م ٠

٣٣٠ عقود الجوهر : ١٦٦ - ١٨٠ للعظم ٠

٣٤٠ ناحية من حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ، لابراهيم الغياني ٠

٣٥٠ صلح الاخوان ، من أهل الايمان ، لداود النقشبندي ٠ (١)

---

(١) لاأدعي أني قد اطلعت على كل ماذكرت ، من الكتب القديمة والمحدثة المذكورة هنا ، وما لم أطلع عليه التقطت اسمه من كتاب المنجد : ابن تيمية : سيرته وأخباره عند المؤرخين ، أو من قائمة مراجع ترجمة كحالة في معجم المؤلفين لشيخ الاسلام ، أو من كتاب عبد السلام حافظ : ابن تيمية ٠ أو من نوابغ الفكر الاسلامي ، لأنور الجندي ، وهى محاولة احصائية ٠

(١) هذا وقد انتج أخيرا مسلسل تلفزيوني عربي باسم (ابن تيمية) وهو موجود في مكتبة التلفزيون السعودي بالرياض ، ولم تُتَحْ لي مشاهدته ٠ وقد عرضت عمادة شؤون الطلاب بجامعة الامام مسرحية عن شيخ الاسلام بعنوان (البطل) وذلك خلال العام الجامعي ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ ٠

الفصل الثاني – (عصر الشيخ) :

- الحال السياسية
- الحال الاجتماعية
- الحال العقلية والعلمية

تمهيد (١) :

ان التعريف بعصر انسان (ما) ليهيـــــــيء الفرصة لدى القاريء لتكوين صورة متكاملة في ذهنه عن هذا الانسان ، ويفسر له كثيرا من مواقفـــــه وتفصيلات حياته ، والتي قد لاتصل أخبار منصوصة عنها ، هذا مع أن الانســـان في الغالب هو جزء من المجتمع وعضو فيه ، فاما أن يكون متأثرا تابعـــا ، واما أن يكون سلبيا حائرا ، واما أن يكون مؤثرا فاعلا وربما كان متنقلا بين هذه الأحوال أو بعضها • ومن أهم مايؤثر في سلوك الناس واتجاهاتهـم الوضع السياسي القائم ولهذا سنتناول أولا :

الحال السياسية في عصر الشيخ :

- كما هو معلوم - فان شيخ الاسلام قَدِم الى هذه الحياة سنة ٦٦١ هـ ، ورحل عنها سنة ٧٢٨ هـ ، ومعنى ذلك : أنه ولد بعد سقوط بغداد بخمـــــس سنين فقط ، حيث كانت الأمة الاسلامية في أسوأ وضع سياسي يمر بها ، حيـــث قضى الغزاة المغول على الرمز الباقي لوحدة المسلمين ، والنواة التي هي أصـــل شجرتهم السياسية ولو أن هذا الرمز وهذه النواة قد كانت في أوقات كثيـــرة وخاصة في أيامها الأخيرة - لاوزن لها - في واقع الأمر - ولاقيمة ، ومـــن هول هذا الأمر - وهو خروج التتار على المسلمين - وشناعته تردد المـــؤرخ الجليل محمد بن الأثير - ٦٣٠ هـ (٢) في تدوينه حيث يقول : " ثم دخلت سنـــة سبع عشرة وستمائة : ذكر خروج التتـر الى بلاد الاسلام : لقد بقيت عدة سنين

---

(١) التزمت الاختصار الشديد هنا ، نظرا للدراسات الكثيرة التي ظهرت ولاتـزال تظهر حول شيخ الاسلام ، ولانه قد سبقني أخوان زميلان الى الحديث عـــن الموضوع ذاته •

(٢) ابن الاثير لم يشهد سقوط بغداد ، ونهاية الخلافة ، ولم يقع ذلـــك الا بعد موته بست وعشرين سنة • وانها - والله - لعبرة ، حيث أن التتر مع جبروتهم وهمجيتهم التي اشار اليها ابن الاثير لم يستطيعوا الوصول الى قلب الخلافة ويستأصلوه الا بعد ٣٩ سنة : ٦١٧ - ٦٥٦ هـ وبمعونة ابـن العلقمي •

معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ... فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين .. فياليت آمي لم تلدني ، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ...)(١).

وفي سنة ٦٥٨ هـ ملك هولاكو أكثر بلاد الشرق ، وصار يهدد الشام ومصر ، ثم آخذ دمشق ، ووصل الى غزة ، ثم خرج اليهم المسلمون بقيادة المظفر قطز في عين جالوت في شهر رمضان سنة ٦٥٨ هـ فاقتتلوا قتالا عظيما ، فنصر الله ـ تعالى ـ المسلمين ، وقتل امير المغول (كتبغانوين) وجماعة من بيته (٢). وقد بقي منصب الخلافة شاغرا مدة ثلاث سنين ونصفا ، من قتل المستعصم سنة ٦٥٦ هـ الى مبايعة المستنصر سنة ٦٥٩ هـ ، وانتقلت الخلافة بذلك من العراق الى مصر ، بالاضافة الى كونها خلافة اسمية شكلية فقط ، حيث كانت بلاد المسلمين مبعثرة بأيدي حكام كثيرين ، ففي مكة أبو نمي بن أبي سعيد الحسن ، وعمه آدريس بن علي شريكه ، وفي المدينة جماز الحسيني ، وفي مصر والشام الظاهر بيبرس البندقداري وشريكه سنجر ، وشريكهما في حلب لاشين الجو نكداري ، وفي الكرك والشوبك عمر بن أيوب ... الخ (٣).

هذا شيء من حال المسلمين مع التتار ومع شؤنهم السياسية ، وهنا امر آخر له تأثيره في حياتهم ، فقد كان للفرنج دور آخر ـ كذلك ـ وقد كانوا بدأوا غاراتهم على بلاد المسلمين منذ سنة ٤٩٠ هـ ، الا أنه بعد أحداث التتار ازداد طمع الفرنج بالمسلمين ، بالاضافة الى خيانة الفاطميين في مصر ، ودعوتهم للفرنج بتملك الشام كما يذكر ذلك ابن الأثير ـ رحمه الله ـ (٤). وقد استمر عدوان الفرنج على بلاد المسلمين حتى غلبهم المسلمون وآخرجوهم من آخر مابأيديهم وهو(عكا) وماجاورها من السواحل (٥).

---

(١) الكامل في التاريخ ٩ : ٣٢٩ .
(٢) البداية والنهاية ١٣ : ٢١٨ ومابعدها .
(٣) المصدر السابق ١٣ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
(٤) الكامل في التاريخ ٨ : ١٨٦ .
(٥) البداية والنهاية ١٣ : ٣١٩ .

ومما تقدم من اشارات يتضح لنا الحال السياسي للمسلمين في هذا العصر الذي يموج بالأحداث والحروب والتقلبات الكثيرة التي - بلا ريب - تؤثر ابلغ الأثر في نفوس الناس وعقولهم وشتى أمور حياتهم .

الحال الاجتماعية :

ان تلك الفترة من عمر الأمة الاسلامية كانت تعقب فترة قبلها تميزت بالجهاد والدعوة ، وكثرة النشاط والحركة ، والدأب على الفتوح ، واخضاع الشعوب لسلطان المسلمين ، مع ماكانت تصاحب ذلك من أمور سلبية ، كالصراع على السلطة بين بعض الجماعات ، وكالانشقاقات التي بدأت ثم تزايدت حتى تفتت الكيان الكبير الى مجموعات متناحرة فصار هناك تحول في الأهداف ، وتبدل في الاتجاهات وتغير في النفوس والميول .

اضف الى ذلك ما ابتليت به الأمة المسلمة من هجمات خارجية رهيبة ، كانت كفيلة بسحق هذه الأمة نهائيا ، لولا لطف - سبحانه - ثم قوة هذا الدين الذاتية ، التي فوقها قوة الله - سبحانه - .

وأهم الملامح الاجتماعية - آنذاك - مايلي :

١. تعدد العنصريات والاجناس البشرية في الامة الاسلامية من العرب - وأهل الجزيرة - ومن انْضَمّ اليهم من السَّبي ، ابّان عصر الفتوح وهم من أمم شتى . ومن الوان متعددة ، ومن المماليك الارقاء منذ العصور الجاهلية ، بجانب أهل البلاد المفتوحة وهم في الأصل خليط من قوميات كثيرة من أنباط وترك وديلم وفرس وهند ، حتى من المغول الذين جاؤا غزاة ثم استوطنوا ودخل كثير منهم في الاسلام .

وهذا التنوع في الأجناس لابأس به مادامت راية العقيدة والعدالة والقيادة الربانية هى التي تخفق على رؤس الجميع ، بل ان هذا يكون مدعاة لانصهار

الجميع في بوتقة واحدة (١) ، من التوجه الصادق نحو رضا الله - عز وجل - والدار الآخرة ورفعة الاسلام وأهله ، والسعي لانقاذ كل انسان في هذه الأرض من الضلال في الدنيا والنار في الآخرة : ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (٢) • أما حين تضعف هذه الرابطة ، وتُعتم هذه الرؤية الخالصة للكون والحياة ، فان هذا التنوع ينقلب الى بركان مدمر ، لايهدأ حتى يثور ويحرق الاخضر واليابس ، وما أكثر مايروى التاريخ من تلك الحوادث والفتن (٣) •

٢• ونظرا لأن وحدة الأمة تحت قيادة واحدة ، وخاصة اذا كانت هذه القيادة نموذجا في حب الخير والصلاح ،والبعد عن الشر والفساد ، فان هذا يوجد لدى أفراد الأمة عامة قوة معنوية كبيرة ، وتجاوبا وجدانيا مع هذه الوحدة وهذه القيادة ، يتمثل ذلك في التعلق بمعالي الأمور ، من محبة الله ورسوله ، وطاعتهما ، والسعي لعمارة هذا الكون من أجل تعزيز هذه المحبة وهذه الطاعة ••واذا كان الأمر كذلك ، فان العكس صحيح - أيضا - فاذا حصل : فحينذاك تهبط الروح المعنوية لدى عامة الناس ، وتتعلق نفوسهم بسفاسف الامور وتوافه الأشياء كما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها " فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ،

---

(١) يمكن الاستشهاد بحال الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا في هذه الأيام•
(٢) سورة الحجرات : ١٣ •
(٣) وهنا يستشهد بحال لبنان •

ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يارسول الله ، وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت "(١) .

قال ابن الأثير : " وبلغني ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها ، وهم يظونها رجلا ، فوضعت السلاح ، واذا هي امرأة ، فقتلها رجل آخذته أسيرا "(٢) . هذا مثل من أمثلة كثيرة تصور ضعف همم الناس ، وانحطاط عزائمهم نتيجة للضياع والتفلت والاحباط المعنوي ، الذي أورثته الأوضاع السياسية .

ولهذا كثر في الناس التهالك على المتاع الزائل ، الذي أدناه الخوف والهَلَع من نهاية الحياة لدى الفرد ، وغايته طلب السلطة والزعامة بأي ثمن وبأية وسيلة ، وبين هذا وذاك الوان من التعلق بشهوات النفس والخضوع لأهوائها ، مما يتمثل في فساد مالي أو اداري أو أخلاقي أو حتى اعتقادي .

٣. وكان أسوأ ماحل بالمجتمع الاسلامي ـ آنذاك ـ اختلاف الأهواء ، وتعدد الطوائف ، والتي كانت كلها أو أغلبها تدعى الاسلام ، وكان الفقهاء يطلقون على الجميع (أهل القبلة) ويمكن أن يلحق بأهل الأهواء والاعتقادات الضالة ، أهل التعصب للمذاهب الفقهية ، والذين كانوا يشتطون ـ أحيانا ـ في نصرة مسائل فرعية ، ويرتكبون في ذلك أمور محرمة ، وربما مجمع على تحريمها ، وماذلك الا للهوى والجهل وسكوت الكبار . أما أهل الملل ـ من يهود ونصارى وغيرهم ـ وكذلك أصحاب

---

(١) الحديث عن ثوبان ، كما في سلسلة الاحاديث الصحيحة ، المجلد الثاني ، ص ٦٨٣ (٩٥٨) .

(٢) الكامل في التاريخ ٩ : ٣٣٧ سنة ٦١٧ هـ .

الفرق والأهواء فكانوا نقمة على مجتمع المسلمين ، وقد كانت تقع بينهم من جهة ، أو بينهم وبين أهل السنة من جهة أخرى الكثير من الفتن والقلاقل ، وحسبنا في ذلك مافعله الوزير محمد بن العلقمي الرافضي من خيانة للمسلمين وللخليفة المستعصم بالله ، آخر خلفاء بني العباس بالعراق – رحمه الله – .

٠٤ ولم تكن حال المجتمع المسلم – آنذاك – مطبقة بالانحلال والفساد ، بل لقد بقيت البيوت الكثيرة من أهل الفضل والعلم ، وغالب أهل القرى والأرياف على حال جيدة من الصلاح والتمسك بالدين والخلق .

الحال العقلية والعلمية :

لقد كانت حركة التدوين والترجمة قد آتت ثمارها ، سواء منها الحلوة أو المرة فانتشرت العلوم والمدارس والكتب وأعمال التأليف ،وبلغت أوجها ، وذلك قبل الهجوم التتري والصليبي ، وقد اهتم الناس في بلاد الاسلام – سواء أكانوا بالمشرق أوبالمغرب – اهتموا بالعلم والتعليم ، والقراءة وجمع الكتب ، والتنافس في اقتنائها ، واثناء الحوادث الكبيرة – سواء من تفتت كيان الدولة ، أو غزو الأعداء الخارجيين – لها هبطت هذه الحركة العلمية ، وضعفت تلك الحياة العقلية ، وفقد الكثير من الانتاج العلمي اما بهلاك أهله وحملته ، أو فقدانهم لكتبهم واحتراق مكتباتهم ، أو تشردهم وهجرتهم ، أو انشغالهم بالفتن والصراعات .

وبعد أن هدأت حدة هذه الأمور عاد الناس ثانية الى الانشغال بالعلم ، والانكباب على التحصيل ،وصاحب ذلك مساندة من أكثر الولاة والأمراء ،بالاضافة الى ماكان يدفع الى ذلك من اسباب كثيرة في مقدمتها الشعور بأن العلم

– وعلى رأسه علوم الوحي – هو السبيل الى الخروج من المحن والمآزق التي تنزل عليهم ، وتأتيهم من كل صوب .

وقد اثمرت تلك الرجعة الحميدة الى العلوم والمعارف أعلاما كثيرين ، ومؤلفات موسوعية ضخمة ، ومصنفات في كثير من العلوم ، أمتلأت بها المكتبة الاسلامية ، وبقى الكثير منها – ان لم يكن أغلبها – الى أيامنا هذه ، نظرا لتأخر عهدها ، وكثرة طلاب العلم الذين تداولوها .

على أن الغالب على هذه المؤلفات هو الجمع والترتيب والانتقاء والاختيار، ولم يكن الابداع والابتكار سمة لها ، وماذاك الا لأسباب متعددة من أهمها : كثرة الموروث عن السابقين لهم من مواد علمية ، هي بحاجة الى الجمع والتنقيح أكثر من حاجة القوم الى تكلف الجديد (١) ، وأيضا – فلأن أكثر هذه العلوم التي جمعت ورتبت مما لايمكن الاستغناء عنه بل الحاجة اليه مقدمة على كل الحاجات ، كعلوم القرآن والحديث .ولأن أستيعاب هذه العلوم والتمكن منها هو أساس الانطلاق والتجديد ، فلابد من حفظها واحكامها ، قبل الانشغال بأي علوم أخرى . وهذا مافعله شيخ الاسلام – رحمه الله – حيث استوعب علوم عصره ، ثم دلف الى ساحة الاجتهاد والتجديد ، بكل ثقة وعزيمة وحرية ، همه الوحيد مصلحة أمته وعزها ورفعه شأنها وسلامتها ، وقبل ذلك رضى الله – تعالى – وجنته .

---

(١) وهذا ماينطبق حاليا على قضية التحقيق والتأليف ،وكما قيل : تحقيق كتاب جيد واحد ، خير من تأليف عشرة كتب رديئة . فعلى طلبة العلم أن يحققوا كتب التراث جميعا ،ثم بعد ذلك يكون التأليف ، الا فيما لابُدّ منه.

الفصل الثالث : (دراسة القسم الثالث من الكتاب)

- نهج الشيخ في كتابته لهذا القسم .
- عرض موجز لمحتويات الكتاب كله .
- عرض مفصل لمواد القسم الثالث .
- مصادره في هذا القسم .
- مآخذ ومقترحات .
- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق ، والملحقة بها .
- لوحات لهذه النسخ .
- رموز مستخدمة في التحقيق .

تمهيـــد :

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :" اختصت كتب ابن تيمية بصفات تجدها بارزة فيها ، حتى انك ان مارست قراءتها ، ثم قرأت كتابا له ، من غير أن تعرف نسبته اليه : تنسبه اليه ولاتكاد تخطيء ... "(١) . ثم ذكر - رحمه الله - أربعا من تلك الخصائص ، هى باختصار : الوضوح في الفكرة ، وكثرة الأدلة والشواهد من الآيات والأحاديث والاثار ، واشراق الأسلوب والتفكير العميق .

وهذا الذي ذكره أبو زهرة ينطبق تمام الأنطباق على هذا القسم الأخير من الكتاب ، فهذا وغيره من القرائن الكثيرة مايحملنا على عدم الشك في كون هذا القسم جزءا لايتجزأ من الكتاب(٢) .

نهج الشيخ في كتابة هذا القسم :

سار الشيخ المؤلف منذ بداية الكتاب - كما هو الشان في جميع مصنفاته - رحمه الله - على نهج واضح المعالم ، والتي من أبرزها في القسم الذي نحن بصدده مايلي :

١. ايراد أقوال الطرف الآخر على وجهها ، دون أي تصرف ، ووضعها بحروفها أمام المطالع للكتاب ، حتى تكتمل الصورة في ذهنه ، ولكي يكون حكما - حسب عقله وعلمه - بين الطرفين . وهذا مايربي الجميع على التجرد للحقيقة ، والحياد التام في قبول الآراء وردها ، دون أي مخاتلة

---

(١) ابن تيمية ، حياته وعصره : ٥٢١ - ٥٢٢ لأبي زهرة .

(٢) راجع ماكتبه الزميل : على بن ناصر في هذا الشأن في رسالته (الجواب الصحيح) ج ١ ، م ١ ، ص : ٤٣ - ٤٥ وماكتبه الزميل : عبد العزيز العسكر في رسالته - (الجواب الصحيح) - أيضا - وانظر احالة الشيخ في الجواب الصحيح (ط المدني) ١ : ٣٨ .

أو مراوغة ، أو تملص من المجابهة المكشوفة بين الأفكار • كما أنه يعود على تحرى الدقة المتناهية في نقل أقوال الآخرين وأفكارهم وعدم المساس بها ، لابزيادة ولانقص ، بغض النظر عن موافقتهم أو مخالفتهم للناقل •

٢• أعتماد الأدلة العقلية والنقلية والمزاوجة بينها بطريقة لبقة فذة، فلا اغراق في الحجج العقلية وأساليبها الفلسفية المعقدة الغامضة ، والتي لايصل اليها الا القلة من أهل هذا الفن ، وأصحاب ذلك الاختصاص ، وليس هذا راجعا لعدم قدرة الشيخ على تلك الأساليب ،بل هى رغبة عنها ، لقلة فائدتها لمن يوجه اليهم الحديث ، ولو كانوا من أهلها ، كما يؤثر عن أقطاب الفلاسفة والنظار المسلمين حيث صرحوا بعدم استفادتهم من المناهج الفلسفية التي أعجبوا بها ابان فترة التحصيل وطلب العلم ، ثم افنوا فيها أعمارهم ، ثم رجعوا أخيرا يجرون أذيال الحسرة (١) •

ثم أن الشيخ لايستهين بالأدلة العقلية ولايضرب عنها صفحا ، بل يعرج عليها بقدر ماتخدم الموضوع ، وتقنع السامع والمطالع •

وقبل ذلك فان الشيخ – رحمه – يُحِلّ الأدلة الشرعية النصية من الكتاب والسنة المحل الأرفع والمكان الأسمي في استشهاده واستدلاله ، فلها في نفسه أعظم منزلة وأبلغ اهتمام • ويعينه على ذلك حصيلة كبيرة من النصوص والآثار ، فالى جانب حفظه لكتاب الله ، وقيامه بحقه في التلاوة والتعبد ، كان اهتمامه بالسنة والأثر متونا وأسانيد ، وتمكنه من ذلك أَيَّما تمكن •

---

(١) انظر صون المنطق والكلام : ١٨٣ – ١٨٤ •

فالنصوص الكريمة من الكتاب والسنة تنساب على لسانه بشكل منقطع النظير ، فتجده يحشد في القضية الواحدة نصوصا كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث والآثار وكثيرا ما يورد تلك الأحاديث والآثار باسانيدها واسماء مخرجيها وعناوين كتبهم ، مع الجمع والمقارنة ، وايراد احكام المخرجين على ما أخرجوه ، أو يحكم عليها بنفسه اذا لم يجد لهم حكما عليها ، مع احاطة بطرقها ورواياتها اذا استدعى الأمر ذلك .

٣. لقد كان الشيخ يتمتع بصبر جميل ودأب وتحمل وطول نفس (١) ليس في ايراد حجج الطرف الآخر فحسب وانما في استقصاء جذورها وتتبع احتمالاتها ، ومن ثم الرجوع عليها بالمناقشة والكشف ، وبعد ذلك تزييف زائفها وتوجيه صوابها ، وعدم ترك أي ثغرة يحاول الخصم النفاذ منها . وهو يسلك في ذلك طريقة فنية مرتبة في التصنيف والتبويب وتعداد الطرق والأوجه وحصر الأنواع والتفريعات .

٤. يكثر الشيخ من الامثلة الواقعية البسيطة في معرض الاقناع وتثبيت الحجة .

٥. التّنزل مع الخصم والسير معه الى آخر الطريق ، دون ضجر أو ملل ، كانت سمة من سمات أسلوبه في هذا الكتاب ـ عامة ـ وفي هذا القسم خاصة .

٦. يكثر الشيخ من الاستشهاد بالأحداث التاريخية وسِيَر الماضين فيأخذ منها العبرة والدلالة والفائدة ، وهذه هي ثمرة الدراسات التاريخية .

٧. استفاد الشيخ من علم أصول الفقه في ايضاح الدلالات من النصوص والأحوال وبيان مسالك الاستدلال وقواعدها الموصلة الى اظهار الحجة وتقرير الأحكام والنتائج المحكمة .

---

(١) ليته ـ رحمه الله ـ استعمل ذلك مع الشيخ أبي حيان ، اذا لسلم أبو حيان من السقطة التي حصلت منه ـ بمناوأة الشيخ ، والوقوع في عرضه ـ رحمهما الله ، تعالى ـ وغفر لنا ولهما .

٠٨ التزم الشيخ بالعدل والانصاف في جميع أقواله ، فلم يسيطر عليه التعصب والغضب أبدا ، بل كان رائده طلب الحق ونصرته ، ولم يحدث أن اصطبغت أفكاره باي صبغة شخصية أو ذاتية . وبذلك امكنه تجنب أي اسفاف أو مهاترة لاتتفق مع آدب المناظرات وقواعد الجدل السليم .

٠٩ نقل كثيرا من النصوص المحترمه عند أهل الكتاب ، وعزاها الى مواضعها في كتابهم الاماندر واستنبط منها الادلة على مايريد بروح العالم الباحث المنصف المتزن .

٠١٠ ونظرا لخبرة الشيخ الطويلة بالناس وعقلياتهم فقد كان يحرص على توضيح الدقائق وتفسير المشكلات من الآراء وبسطها وتسهيلها حتى لايبقى لأى انسان حجة في عدم الفهم وقلة الادراك أو نعت كلامه بأي ابهام أو غموض ، وفي يقيني أن هذا الأسلوب المبسط كان ثقيلا على نفس شيخ الاسلام فقد كان من أذكى أذكياء العالم ، والذكي غالبا - يكره تلك الطريقة ويجنح الى الاشارات والاختصارات ، التي تناسب عقلية الذكي ولكن الشيخ باحتسابه ودعوته وجهاده يغلب مصلحة الدين والدعوة على هوى النفس ورغبة الفرد .

٠١١ مما يلاحظ ان اسلوب الشيخ كان يتسم بالجِدَّة والاشراق ، فمع مضي هذه المدة المديدة على تصنيفه لهذا الكتاب ٧٢٠ - ١٤٠٦ هـ = ٦٨٦ سنة الا أن المطالع له يحس ان هذا الكتاب يخاطب حسه ووجدانه بأسلوبه السهل الممتنع ، وعباراته الواضحة ، وتراكيبه القوية ، تماما كما نجد في عبارات الصحابة والتابعين من أمثال الحسن البصري في قوله :" ياعمر إبن هبيرة ، ان تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولايعصمك يزيد بن عبد الملك من الله - عز وجل - ، ياعمر بن هبيرة ، لاتأمن أن ينظر الله اليك على اقبح ماتعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك

نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك ، ياعمر بن هبيرة ، لقد ادركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا – والله – على الدنيا وهى مقبلة آشد ادبارا من اقبالكم عليها وهى مدبرة "(١) وانظر الى الشيخ المؤلف وهو يقول : " واميره الكبير ابو عبيدة ، أزهد الخلق في ولايته الأموال ،واعبدهم للخالق ، وارحمهم للمخلوق وأبعدهم عن هوى النفس ٠٠"(٢)

---

(١) الحلية لابي نعيم ٢ : ١٤٩ – ١٥٠ ، ط ٣ ، دار الكتاب ١٤٠٠ هـ ٠
بيروت مصورة عن ط الخانجي ٠

(٢) الجواب الصحيح ٤ : ١٢١ (ط المدني) ٠

عرض موجز لمواضيع الكتاب كله :

الكتاب كله في الأصل ـ كما هو مستفاد من اسمه ـ جواب رسالة من النصارى ، وهذه الرسالة تتضمن اشارة ست مسائل :

١٠ دعواهم أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث الى الجاهليين من العرب فقط .

٢٠ وأنه أثنى على دينهم في القرآن .

٣٠ وأن النبوات السابقة تشهد لدينهم ـ الحالي-بالصواب .

٤٠ ادعاؤهم أن التثليث يدعمه العقل والنقل والأصول .

٥٠ تشبيههم للاقانيم عند النصارى بالصفات الربانية عند المسلمين وعلى هذا فهم (موحدون) في نظر أنفسهم .

٦٠ أدعاؤهم أن في شريعة موسى وعيسى مايغني عن القرآن .

وقد أخذ الشيخ المؤلف ينقض دعاواهم ، ويناقش رسالتهم فصلا فصلا ، وعبارة عبارة .

فبدأ بوحدة الدين في أصوله من عند الله ـ سبحانه ـ ، ثم ذكر حكم من فرّق بين الرسل ـ عليهم السلام ـ ثم ذكر ثلاثة من أسباب ظهور الدين والايمان وهى :

١٠ دعاوى المعارضين للحق . وضرب مثلا لذلك بسحرة فرعون وموسى .

٢٠ عدم قدرة المعارضين على معارضة آيات الأنبياء بالأقوى أو بالمثل ، وعدم قدرتهم على إبطالها .

٣٠ وقوع بعض هذه الأمة في بدع اليهود والنصارى . كالحلول والاتحاد .

وبعد ذلك أورد سبب تأليفه لكتاب (الجواب الصحيح) وأنه بسبب كتاب (ورد من قبرص ، فيه الاحتجاج لدين النصارى) (١) ، وأرجع الداعي الى عنايته بهذا الكتاب ، دون سواه ، لأن (ماذكروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان ، وقبل هذا الزمان ... والنسخ بها موجودة قديمة) (٢) .

ثم انتقل الى بيان منهجه في المناقشه والرد ، وشدد على التمسك بالعلم والعدل ، وأورد حديث : " القضاة ثلاثة ... " .وبين اهمية القضاء في الاحوال والأعراض ، وأن القضاء في العقائد والأديان أهم من ذلك اضعافا مضاعفة .

وبعد هذا ذكر أن ضلال النصارى مركب من أمرين : من تبديل دين الرسول الأول ، وتكذيب الرسول الثاني . وأن اليهود والنصارى كل منهما يكفر الآخر ، وأن اعتراض النصارى على الاسلام انما هو لمجرد شبهات مثل : أن القرآن ليس بلسانهم ، وبناء على هذا الأمر قرروا - بدون نظر أو عقل - أنه خاص بالعرب . وبعد هذا أخذ الشيخ المؤلف في الرد عليهم ردا مبسوطا مفصلا أطال النفس فيه وقلبه من نواح متعددة الى أن بلغ مسألة هامة هي : الجمع بين الأمر بالجهاد والأمر بالمجادلة ، وقد بينها من تسعة أوجه .

وبعد ذلك تطرق الى قصص الذين آمنوا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل القوة والدولة ، وهم النجاشي ومن آمن معه من قومه ، وقد أورد قصة النجاشي بأكثر طرقها وألفاظها وتخريجاتها عند أهل السنن . ثم انتقل الى الروم وقتالهم مع الفرس وارسال الرسائل النبوية اليهم . والى المقوقس .

---

(١) الجواب الصحيح (ط المدني) ١ : ١٩ .

(٢) المصدر والموضع السابق .

ثم أخذه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزو النصارى ، وبين بعد ذلك ما لأهل الذمة من أحكام اذا قبلوا الذمة والعهد .

ثم أورد الفتوح الاسلاميه لبلاد الفرس والمجوس ودعوتهم ـ قبل ذلك ـ وغاية الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ هى حشد الأدلة على عدم خصوصية الرسالة بالعرب ، كما يدعى بعض النصارى . ثم عقد فصلين لبيان فارق رئيسي بين المسلمين والنصارى وهو تحريم البدع ومنعها في عقيدة الاسلام وشريعته ، وفَتْح باب البدع لدى النصارى على مصراعيه ، وبهذا يكون الشيخ قد أورد ثمانية أنواع من الأدلة على عموم رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ثم انتقل الى مايورده النصارى من شبهات على رسالة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كالقول بأن كلام الرسول متناقض ، وكشبهاتهم في معجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ واحتجاجهم ببعض الآيات على خصوصية الرسالة ، أو أنه لم يبشر به ، أو استدلالهم ببعض ماجاء في الكتب السابقة على دعوى أن دينهم صحيح . ودعواهم ألوهية المسيح . ثم عاد الى شبهة خصوصية الرسالة بالعرب لكون القرآن جاء بلغتهم ودحضها ، وكشف مايوهم الخصوصية ، وناقش زعمهم بعصمة التلاميذ المترجمين للانجيل .ثم تكلم على شبهة الاستغناء عن الاسلام بما سبقه من الشرائع ، ومر بمزاعم الصلب والفداء فابطلها . ثم نبه الى اعتساف النصارى في تفسير بعض الآيات من القرآن ، وذكر ميزة التوسط عند المسلمين .

وجاء الى قضايا الصفات الالهية المقدسة واعتقادات النصارى الباطلة بشأنها فزيفها ونسفها ، ثم رد مزاعم كثيرة للنصارى بشأن معابدهم ،والكتب التي يظنونها مقدسة ، وتوصل الى قيام الحجة على كل من بلغته دعوة الرسل .

وقد عقد فصلا مهما جدا في بيان أسباب ضلال النصارى وأمثالهم من الفلاسفة ،ذكر فيه ثلاثة أسباب كبرى لذلك هى : الالفاظ المتشابهة المجملة المشكلة المنقولة عن الأنبياء ، واشياء من الخوارق التي يُظن أنها آيات وهى

أحوال شيطانية ، والاخبار المكذوبة ، التي يظن بعض الناس أنها صدق ، وقد فصل القول في ذلك ، ثم عالج قضية اثبات صدق رسول الله ، محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما جاء به اخوانه من الانبياء قبله ، ومعرفة أهل الكتاب ويقينهم به .

ثم عاد الشيخ وبين بطلان دعوى أن القرآن صدق كتبهم التي بين أيديهم ، مع ايضاح أوجه الحق في كلامهم انصافا وعدالة في قبول الحق وارشاد المجادل . ثم فصل القول في زعمهم تناقض ماجاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ماجاء به الأنبياء السابقون ، وتلا ذلك بفصل عرض فيه لقضية تبديل ألفاظ التوراة والانجيل وانقطاع سندهما ، واثبات ذلك . ثم دعا ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب الى الحكم بما في كتبهم من نصوص لم تبدل ، ومن ضمن ذلك ماجاء عندهم من الادلة على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووجوب اتباعه .

ثم عاد الشيخ وعالج مسألة التبديل في الانجيل ومدى ثبوت نصوصه مقارنا بالقرآن الكريم ، وبين ماجَنَتْه الترجمة على الانجيل وانها وراء الكثير من التحريفات الحاصلة فيه . ثم عرج على التحريف في التوراة ، وذكر بعض مسبباته . ثم الانجيل وكيف حدث فيه التغيير ؟ .

وانتقل بعد ذلك الى مايحتجون به من آيات القرآن على بقائهم على نصرانيتهم ، مثل سورة (الكافرون) ووضح أوهامهم في فهم معاني تلك النصوص القرآنية الكريمة . ثم كتب فصلا في اثبات تبديل اهل الكتاب لنصوص كتابهم معتمدا في ذلك على نصوص من كتبهم ـ نفسها ـ وانهم يريدون ـ أيضا ـ أن يحرفوا نصوص القرآن بعد أن استطاعوا الحصول على نسخة منه .

وقد ذكر النصارى نقولا استدلوا بها على كفر اليهود ، فوقف الشيخ من ذلك الموقف الذي يعبق بالانصاف والوعي المستنير . واما دعواهم لأنفسهم بأنهم أفضل من اليهود فقد ناقشها بأن (... الكفر والفسوق والعصيان لم ينحصر في

ذنوب اليهود ، فان لم تعملوا مثل أعمالهم فلكم من الأقوال والأعمال مابعضه أصعب من كفر اليهود ، وان كنتم الين من اليهود وأقرب مودة ...) (١) .
وقد بين وَسَطِيّة المسلمين بين مواقف اليهود والنصارى الاعتقادية والعلمية والاخلاقيه ... الخ وأن النصارى يتعمدون الاستدلال بالمتشابه من النصوص، ودعواهم أن القرآن مدحهم ، أو أن الكتب السماوية قد أيدت دينهم ،ورد ذلك بالنظر العقلي والنصوص الشرعية .

وقد أورد النصارى نصوصا من كتب العهدين من أجل تأييد طقوسهم وبدعهم، فاجاب عنها اجابات شافية وافية ، ثم عادونسف دعوى النصارى بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان شاكا فيما جاء به اعتمادا على استدلالات خاطئة بنصوص صحيحة . مثل أدعاء النصارى أنهم هم المعنيون بقوله - تعالى - : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ... ﴾ فناقش هذه المسألة مناقشة شاملة اثبت بها أن (أقوم الطرق واكملها الطريق الذي بعث الله بها نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - كما قال - تعالى - : ﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ... ﴾ (٢) . وبعد هذا عقد فصلا كبيرا في بطلان التثليث ، وأتْبعه بفصول كثيرة كل فصل منها يناقش جزئية وجانبا من جوانب الموضوع مثل : عدم حجية ماأدعوه من الأقانيم ، وبطلان دعوى تأييد القرآن لهم ومحاولتهم تحريف القرآن،ومعنى كلمة الله ، والصفات الجوهرية ، وهل تجرى مجرى الاسماء؟، وماقالوه في التثليث ، وماقالوه في (الأمانة)،وماقالوه في التجسيم والحلول ، وما ادعوه من ظهوره - تعالى - في عيسى بن مريم ... الخ .

---

(١) الجواب الصحيح (ط المدني) ٢ : ٥٠ .

(٢) سورة الاسراء : ٩.

وعندما انتهى تقريبا من هذه القضية الشائكة ، بتفاصيلها الكثيرة ، عقد فصلا جديدا فيما يوافق فيه المسلمون النصارى ، كالاقرار بنبوة المسيح وأن من آهتدى به فقد سلم من الضلال ـ قبل النسخ والتبديل ـ والاعتراف بنبوة موسى ـ عليه السلام ـ كذلك .

هذا وقد كان النصارى آدعوا آن القرآن يشهد لماهم عليه من عقائد زائفة ونحل باطله ، فرد ذلك عليهم في فصل في عدم تناقض القرآن وان التناقض آنما آتى من قبلهم ، حيث قالوا باتحاد اللاهوت بالناسوت ، وأن هذا أمر مرفوض من تسعة عشر وجها ، ونتيجة ذلك (... أن تلك المقوله في غاية التناقض والفساد ، ولايعقل نظير هذا في شيء من الموجودات ، ونفس المتكلم بهذا من النصارى لايتصور مايقول ، ولايمكنه أن يمثله بشيء معقول) (١) .

[illegible]ول النصارى بلاهوت المسيح فقد اجابهم من خمسة أوجه ، ثم فسر بعد ذلك المراد بكلمة الله ـ تعالى ـ والمواد ـ أيضا ـ بالخلق المنسوب لعيسى ـ عليه السلام ـ وذلك من عشرة أوجه ، ثم عاد الى دعوى الطبيعتين لعيسى ، وناقش هذه المسألة مناقشة وافيه استغرقت شطرا كبيرا من الكتاب (٢) .

وقد اتبع ذلك بموضوع البشارات بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتب العهدين : القديم والجديد ، مع التفسيرات الضرورية لعبارات ومقاصد تلك البشارات ، وقد أورد فيه قريبا من ثلاثين بشارة ، مدعما لها بما في الكتاب والسنة من شواهد تؤيدها .

وآخيرا توفر على موضوع الدلائل والأعلام النبوية ، فاستعرض أكثر أنواعها ونصوصها ، وطرق وصولها الينا ، وأوجه دلالتها على النبوة ،مستعينا في ذلك بالكثير من القواعد والأصول والأدوات العقلية والعلمية المناسبة لذلك .

---

(١) الجواب الصحيح (ط المدني) ٢ : ٢٧٨ .

(٢) وقد استغرقت من ص : ٣٠٧ من ج ٢ (ط المدني) الى ص : ٢٢٨ من الجزء الثالث ، آي مامجموعه : ٢٩٩ صفحة .

عرض مفصل لمحتويات القسم الثالث (١) :

يبدأ هذا القسم بفصل يعتبر آخر حلقة في سلسلة قضية التعدد والتثليث، التي حللها الشيخ المؤلف تحليلا دقيقا جدا ، واستعرض كافة جزئياتها .

وآخر هذه الأجزاء هو موضوع : الجوهر والعرض ، واطلاقهما ، واستخدامهما في مسائل الألوهية عند الفلاسفة وأهل الكتاب وعلماء المسلمين ، وعلاقتهما بالذات والصفات ... الخ .

فقد نقل الواسطة (٢) بين شيخ الاسلام وبين النصارى تسميتهم الباري – تعالى – بالجوهر ، فتولى الشيخ مناقشة هذه المسألة من سبعة وجوه : بين في الوجه الأول أن هذه التسمية من قبل النصارى هى أقل المآخذ خطورة في عقيدتهم ، وانها جاءتهم من قبل الفلاسفة ، والمسلمون منهم – أيضا – طائفة لايمنعون مثل هذا الاطلاق ، في جانب الرب – تعالى وتقدس – وأما اللغة العربية فليست هذه التسمية أصيلة فيها . وأما علاقة الصفات بهذا الاصطلاح فهو موضع اضطراب كثير سواء عند النصارى أو غيرهم . وهذه كانت شبهة لنفاة الصفات من المسلمين حيث زعموا أن الصفات جواهر .

وأما موقف الرسل – سلام الله عليهم – واتباعهم فان (... نفس اسم الله يتضمن ذاته – المقدسة – المتصفة بصفاته – سبحانه – وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه، ولا زائدة على مسمى اسمه ...) (٣) وقد كشف الشيخ وَهْمًا يقع فيه أولئك ، وهو أنهم قدّروا ذاتا مجردة عن الصفات مع أن هذا

---

(١) وهو يبدأ من ص : ٢٠٢ (ط المدني) من قوله : فصل ... الخ . الى نهاية الجزء الثالث ، والجزء الرابع بتمامه .

(٢) رجحنا ان يكون الواسطة رجلا مسلما – كأن يكون أحد التجار من طلبة العلم – كما سيأتي في قسم التحقيق – بجانب الرسالة المعروفة برسالة (بولص الأنطاكي) .

(٣) الجواب الصحيح ٣ : ٣٠٧ (ط المدني) .

التقدير خيالي فقط ، ولايمكن أن يوجد في الواقع ، والمناقشة اذا لم تكن ذهنية عينية فانها تؤدي الى الشطط والضلال .

وفي الوجه الثاني بين عدم تصريح الرسل بهذه التسمية ، فكان ينبغي لهم ان كانوا متبعين للرسل ألا يخترعوا شيئا في عقيدتهم من تلقاء انفسهم .

وفي الوجه الثالث حديث مستفيض عن علاقة الجوهر والعرض بالنفس والروح والملائكة وخلق العالم وتدبيره ، وموقف الفلاسفة - الذي يستمد منه أولئك النصارى أشياء من العقائد ، وانهم لاينبغي أن تؤخذ العقائد ولاشيء منها من جهتهم ، فلم يكن في رسل الله ولا في اتباعهم من يعضهم ولايستعين بكلامهم ، بل انهم متفقون على تجهيلهم وتضليلهم .

وعمدة هؤلاء النصارى والفلاسفة في اطلاق الجوهر هو زعمهم أن هناك نوعين من الجواهر : جوهرا لطيف ، وجوهرا كثيف . مع أنهم لم يثبتوا ذلك بالدليل ، ثم جزم الشيخ بأنهم لن يجدوا دليلا لو أرادوا ذلك .

وأما الوجه الرابع والخامس فقد ناقشهم في تمثيلهم بجوهر الضوء وأمثاله ، وأنه مثال محتمل لأكثر من معنى ، وكل معنى له حكم مستقل ، فلا حجة لهم فيه . ثم ناقشهم في قولهم : أن الجوهر اللطيف لايقبل عرضا " . فقد بين بطلانه من أوجه كثيره ، من ابرزها تناقضهم في وصف الضؤ بالجوهر، مع أنهم قرروا أن العرض هو مايفتقر في وجوده الى غيره ، والضوء على هذا يقوم بالأرض والهواء فهو عرض في قاعدتهم التي قرروها وجوهر فيما صرحوا به ! وهذا مايظهر الخلل البين في عبارتهم القائلة : (ان الرب جوهر ثلاثة أقانيم ، والاقنوم : ذات وصفة) ،و - أيضا - في قولهم ان الرب جوهر .

وفي الوجه السادس أوضح ان جمهور أهل الأديان السماوية وغيرهم يثبتون الصفات لله - تعالى - ، واما الذين ينفونها فهم الملاحدة الجهميون ، ومن وافقهم من الفلاسفة وبعض اليهود والنصارى . وان النصارى في قولهم بالأقانيم

الثلاثة بجانب قولهم بالجوهر ، وبوصفه ـ تعالى ـ بالصفات الثبوتية وهي الحياة والنطق ، وقولهم : الموجود اما جوهر واما عرض " .فيلزمهم ـ بذلك ـ أن تكون صفات الباري ـ تعالى ـ أعراضا عندهم .

وفي الوجه السابع أوضح ـ كذلك ـ التناقض بين عباراتهم التي تقرر أن الموجود اما جوهر واما عرض ، وأن الجوهر هو القائم بذاته ، والعرض : هو القائم بغيره وبين اقرارهم بأنه ـ تعالى ـ موجود حى ناطق ، له حياة ونطق . لأن الحياة والنطق لايقومان بانفسهما بل بغيرهما . واخيرا تظهر ثمرة هذا البحث الدقيق في هذا الفصل عندما تطبق نتائجه على قضية الابن (المؤله) عندهم فان كان ـ في نظرهم ـ جوهرا فيكون هناك جوهر الأب ، وجوهر الابن ، وهذا يبطل قولهم : (انه اله واحد ، وانه أَحَدى الذات ، ثلاثي الصفات ، وانه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقنوم ...) . وان قالوا بأنه عرض فقد صرحوا بأن الرب جوهر تقوم به الاعراض ،مع أنهم قد انكروا هذا في كلامهم ، وقالوا : هو جوهر لاتقوم به الاعراض " .

وقد أرجع هذا الخلط والغبش الاعتقادي الى هذا الاعتقاد المركب ـ عندهم ـ من النصوص المحكمة والمتشابهة ، ومن كلام الفلاسفة المشركين المعطلين . وهذا يمثل جانبا من الجهل الذي يخيم عليهم ، كجهل عامة علمائهم بالمنسوخ من غير المنسوخ من شريعة التوراة التي يزعمون العمل بها ، مع أن العمل بالشريعة يقتضي ـ بكل تأكيد ـ التمييز بين المثبت والمنسوخ قبل العمل به ـ فهذا جهل في الشريعة وذاك جهل في العقيدة .

وبعد هذا الفصل الذي ـ كما سبق ان قلت ـ آخر الفصول الكثيرة في مناقشة التثليث والتعدد . عقد بعده فصلا هاما وموسعا بشأن مقالة النصارى بعدم ضرورة وجود هذا الدين ـ الاسلام ـ وقد جاء هذا الفصل معالجا قطعة من كتاب النصارى ـ أهل قبرص ـ بما يقارب الصفحة ، فأجاب عنها من اثنى عشر وجها (١) : بين في الوجه الأول ضعف رأيهم وسقوطه بشأن تقسيم الشرائع الى

---

(١) واستغرقت من ص : ٢٢٩ ـ ٢٥٨ من الجواب الصحيح (ط المدني) .

شريعتين : شريعة عدل وشريعة فضل ، وصحح هذا الضعف بأن الشرائع ثلاث : شريعة عدل فقط ، وشريعة فضل فقط ، وشريعة تجمع العدل والفضل ، وهي الشريعة الكاملة ، واتخذ الشيخ المؤلف من سورة البقرة الأمثلة على مايقول . وفي الوجه الثاني أوضح وجوها من عدم الكمال في التوراة والأنجيل - بالنسبة للاسلام - ومع هذا فالنصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الانجيل بل احدثوا ووضعوا لهم شريعة خارجة عنهما يغلب عليها الطابع البشري التأليفي ،وان كان فيها شيء مما جاءت به الأنبياء ، وبهذا تحولوا الى مايشبه الوثنية كنصب الصور وتعظيمها ودعاء من صورت تلك التماثيل على صورته ، ودعاء الملائكة ودعاء الموتى من الأنبياء والصالحين ، وهذا مالم يرد قط عن أي نبي .

وفي الوجه الثالث قرر أنه لو افترض أن شريعة الكتابين كافية فانما يكون ذلك لوكانت محفوظة معمولا بها ، وهذا غير ماهو حاصل . ثم بين في الوجه الرابع غلبة الشدة على شريعة التوراة ، وغلبة اللين على شريعة الانجيل ، وأما شريعة القرآن فجاءت معتدله جامعة بين هذا وهذا ، وكذلك كان حال رسولها - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه . وختم الفصل بقول بعضهم: بعث موسى بالجلال ، وبعث عيسى بالجمال ، وبعث محمد بالكمال .

وهكذا استعرض جميع الأوجه الممكنة في مناقشة هذه الدعوى الى أن قوضها واقتلعها من جذورها .

ولما كان أهل الكتاب يوردون ادلة ينسبونها الى الأنبياء تحدث الشيخ بأن احتجاجهم بتلك المنقولات ليس لهم فيه حجة من خمسة أوجه : ففي هؤلاء من لم تثبت نبوته أو لم يثبت نسبة هذا الكلام المنقول اليه ،ولابد من التسليم بنبوة محمد قبل التسليم بنبوة غيره ،وأن المسلمين لايصدقون بنبوة موسى وعيسى الا مع اخبارهما بنبوة محمد ، وأن نبوته أكمل من نبوتهما ،وطرق معرفتها أتم واكثر .

ثم عقد بعد هذا فصلا اثبت فيه الفضل والكمال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولشريعته وامته ، وأنه لايمكن أن يحتجوا بشيء من كلام محمد - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأنبياء مما يخالف دين المسلمين من دينهم ، لانه لايمكن أن يقوم على الباطل دليل صحيح ، وأما ماوقع على خلاف ماجاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو اما منسوخ أو مما حرفوا معناه وتأويله وان كان المحرف بلفظه قليل ، وهذا التحريف واقع اما عمدا واما بسبب الترجمة أو في التفسير والشرح والتأويل ، ويمتنع قطعا أن يخبر نبي بشيء ويخبر محمد - عليه السلام - بنقيضه ، فحتى مانقل عن محمد - صلى الله عليه وسلم - فيه ما ليس بثابت لفظه ، أو أن دلالته التي يظنون فيها المناقضة لما جاء به الأنبياء دلالة ظنية .

أما الحجج العقلية التي يحتجون بها على هذه المخالفة فقد أجاب عنها الشيخ بثلاثة أجوبة منطقية الزامية ، وأما مايحتجون به من الحجج السمعية سواء كانت من كلامه أو من كلام غيره من الأنبياء فأجاب عنها اجابة مفصلة مطولة غنية بالشواهد والأمثلة والتفريعات .

فقد اثبت فضل أهل الملل على غيرهم ممن ليسوا أهل منة (١) ، وأن أي شر فيهم فهوفي غيرهم أكثر .

وقرر أن الحاجات الانسانية تتوفر على قدر شدة الحاجة اليها ، وضرب مثالا على ذلك ، في الحاجة الى النَّفس والماء والطعام ... والحاجة الى معرفة الخالق ثم معرفة صدق الرسل حاجتان عظيمتان فكانت دلائلهما كثيرة وفيرة . ثم معرفة صدق الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - تعرف - أيضا - من اعتبار

---

(١) يكفي شاهدا على ذلك تفوق الغرب على الشرق في هذه الأيام في كافة المجالات وخاصة التقنية والغذائية والعسكرية .

الشيء بنظرائه وموافقيه ، فيعرف بكماله وفضله من بين الأنبياء ، اذا كان الناظر ذا علم وعدل ، وضرب لذلك أمثله كثيرة منها انه يمتنع مع العلم والعدل أن يقال : ان القمر مستنير والشمس ليست مستنيرة .

وقد انتقل بعد ذلك الى قضية كبيرة هي قضية البشارات حيث أن من النصارى من يجحد بشارات النبوات بمحمد ويثبتها للمسيح فقط . وعلى هذا فقد قرروا أن من لم تبشر به النبوات فليس بنبي ، وقد ناقش هذه الفكرة ، وحللها ، واستدل بالأدلة الكثيرة العقلية والنقلية من القرآن والسنة والنصوص الكتابية والآثار المتعددة على اثبات بشارة الأنبياء والكتب السابقة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فقد سرد مجموعة من الحجج المنطقية القوية وحشدا كبيرا من النصوص الكتابية ، وشرحها وبين اتفاقها مع واقع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وواقع الاسلام .

فقد أورد بشارات من العهد القديم ، من مزامير داود ومن نبوة أشعيا ومن نبوة دانيال ، ثم من العهد الجديد ، من انجيل يوحنا ، ومن انجيل متى، ومن كلام مرقس ومن كلام المسيح - عليه السلام - ، ثم أخذ في شرح عبارات مختارة من هذه النقول ، ثم أردف ذلك بنصوص وأمثلة من أخبار القرآن الكريم الغيبية ، واستحالة معرفة غير رسول بها ، وامتناع حصوله عليها من مصدر غير اخبار الله - سبحانه - وذلك من خمسة أوجه . وقد مر في اثناء ذلك بما يزعمه الفلاسفة بشأن النبوة فدحضه وابطله ،وكذلك بمزاعم المشركين حيال النبوة - ايضا - فردها ردا منطقيا ونقليا .

ثم أنشأ فصلا واسعا اثبت فيه اعتراف المشركين وأهل الكتاب في قرارة نفوسهم بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأن أنكروها أو انكرها بعضهم بلسانه .بالاضافة الى الادلة الواقعية الكثيرة التي تؤيد ذلك .

ثم انتقل الى الحديث المباشر عن آيات النبوة ودلائلها بحديث شامل ، ودراسة عامة ، في فصول متتابعة ، بين في أولها وضوح دلائل النبوة وتنوعها وكثرتها ، ثم تناول تسمية الدلائل بالمعجزات ، وكذلك الكرامات وعالجها وتوصل الى نتيجة واضحة بشأن ذلك ، ثم اتبع ذلك بمبحث في اعجاز القرآن من اكثر – أن لم يكن من جميع – جوانبه ، وبعده تحدث عن علامات النبوة في سيرته – صلى الله عليه وسلم – : في أخلاقه وأقواله وافعاله وشريعته ، وقرر أن أمته من آياته ، وعِلْم أمته ودينهم من آياته – أيضا – ، وان كرامات صالحي أمته من آياته – كذلك – .

وبعد هذا عقد فصلا أورد فيه مجموعة كبيرة من النصوص التي تتحدث عن صفاته الخِلقية والخُلقية والمعيشية والاجتماعية ودلالتها على نبوته ورسالته. ثم كتب فصلا في اثباته – صلى الله عليه وسلم – لليوم الآخر والمعاد ، وأن ذلك من دلائل نبوته ، حيث أن الايمان به هو الثمرة العملية للايمان بالله – تعالى – وبالايمان بالله وبالمعاد يستقيم المرء على شرع الله – تعالى – وتقبل نفسه على طاعته والتقرب اليه ، ويتم بذلك صلاح الحال والمآل .

ثم بين الشيخ – رحمه الله – تعالى – أن من ادعى النبوة لايخلو من أحد ثلاثة أمور ، وبعد مناقشتها يتضح للمرء – وضوح الشمس في رائعة النهار – صدقه وأهليته – صلى الله عليه وسلم – للنبوة والرسالة .

وفي فصول تالية تحدث عن قصة الفيل ودلالتها على النبوة ، وعن حراسة السماء ابان البعثة . وذكر السبب في ابتدائه بذكر نصوص من القرآن في مجال آيات النبوة (لأن من أهل الكتاب من يقول : " لانصدق الا بما في القرآن كما في التوراة والانجيل)(1) .

---

(1) الجواب الصحيح ٤ : ١٢٨ (ط المدني) .

وفي فصل بعده قرر أن آياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الفعلية والخبرية ، وأورد لذلك طائفة كبيرة جدا من نصوص السنة النبوية . وأتبعه بفصل آخر في آياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير ، وقسمها الى ستة أنواع : الأول : ماكان في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب ، والثاني : آيات الجو كاستسقائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستصحائه . والثالث : آثاره في الاشجار والخشب . والرابع : تكثير الماء والطعام والثمار ببركته فوق العادة . والخامس : تأثيره في الاحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له ، والسادس : تأييد الله له بملائكته .

ثم كتب فصلا يشرح فيه : كيف ان هذه الاخبار التي أوردها في أنواع الآيات الستة تفيد العلم ، وفيه تحقيق رائع لهذا الأمر الهام ، وتجلية لمعالمه وأسسه . وذلك من طرق ستة هى : التواتر العام والتواتر الخاص والتواتر المعنوي ،وشهادة الجماهير الكثيرة للآيات ، وسماعهم لنقلها ، واقرارهم للناقل ، وعدم الانكار ، وتواتر مافيه كفاية من هذه الآيات عند كل صنف من العلماء ، كعلماء التفسير والحديث والفقه وعلماء الاصول والكلام وغيرهم . والطريق السادس : اهتمام العلماء بذلك الأمر وتصنيف المصنفات المجردة فضلا عما ضمنوه في مصنفاتهم ولم يجردوه .

وقرر في فصل تال عدم اختصاص آيات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بزمن حياته فقط ، بل هى في زمنه وقبل مولده وبعد مماته ، فضلا عن ان تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدي ـ كما ظنه بعض أهل الكلام ، ثم ذكر أن من آيات الأنبياء اهلاك الله لمكذبيهم ، ونصره للمؤمنين بهم . وقد فصل القول في ذلك ودلل وأكثر من الشواهد وايراد الاحتمالات وردها .

ثم انتقل الى ذكر نوعى الأدلة ، وأثبت آن أدلة الأنبياء هى من جنس الأدلة التي تدل على العلم بالمدلول عليه ، مع الحرص على الرغبة فيه أو الرهبة منه ، وليست من النوع الذي يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه . ثم اتبع ذلك بالحديث عن مسألة طلب آية ثانية وثالثة على نبوة النبي ، وقرر أنه لايجب آجابة الطالب لآية ثانية (بل وقد لاينبغي ذلك) (١) ثم بين آنه قد يكون من الحكمة تتابع الآيات كما هو الحال في نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - نظرا لعموم دعوته وشمولها ،وقد عرض الشيخ - رحمه الله - الى آن هناك نوعا من الآيات توجب عذاب الاستئصال ، كما كان الكفار يقترحون على الأنبياء آيات غير التي جاءوا بها ، فتارة يجيبهم الله الى ذلك لما فيه من المصلحة والحكمة ، وتارة لايجيبهم لما في ذلك من المضرة والمفسدة عند جمهور آهل الملل من المسلمين وغيرهم ممن يعلل أفعاله - تعالى -،وممن لايعللها يرد الأمر الى محض المشيئة .

وفي آخر فصلين من الكتاب تحدث في أولهما عن طبيعة الخبر حديثا موسعا مدعما بالأدلة الشرعية ، والقواعد الأصولية ، حديث العالم المتبحر الجامع لأنواع الفنون والعلوم ، وهذا مافعله في الفصل الثاني في حديثه عن طبيعة المخبر وصفاته واحواله ، واحكام العلم بصفات هذا المخبر ، وكيفيات هذا العلم وبعض الآراء الكلامية ، وأنواع الناس في الحاجة الى معرفة النبي المعين وبذلك خَتَم الكتاب .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٢٧٥ (ط المدني) .

مصادر الشيخ في هذا القسم :

لقد كان كتاب الله العزيز ، الذي لايأتيه الباطل ، هو المصدر الأول وهو النهر الكبير الذي ينهل منه جل أفكاره ومعظم آرائه ، واليه يستند في مناقشاته واحتجاجاته ، وقد كان يكثر الاستشهاد بآياته الكريمة كثرة بادية بأدنى نظر ، كما كان - رحمه الله - يفعل في كتبه الأخرى ،حتى أنك لتجد - أحيانا - الصفحة أو الصفحتين ، وقد ملأهما بآيات الله البينات، وأحيانا أخرى ، يورد أول السورة وشيء من وسطها وآيات من آخرها ، حتى يضع السورة بكاملها ماثلة في خيال المطالع للكتاب ، ولم يكن همه - أبدا - هو الحشد والجمع ، بل انه حسن الاستدلال وقوة الاستحضار ، والتركيز على ضرورة الالتصاق بهذا الوحي الرباني في كل أمر تكلم فيه القرآن ، قبل أن يبحث المرء عن أي مصدر آخر .

وهو فيما بين استدلالاته القرآنية قد رجع الى مجموعة منوعة من المصادر الأخرى ، وان لم تبلغ حدا من الكثرة ، ولكن العبرة ليست بالكثرة دائما -. فقد كان يعتمد على كتب السنة والسيرة اعتمادا كبيرا وفي مقدمتها صحيح البخاري وصحيح مسلم اللذان كان لهما نصيب الأسد في النقل عنهما ، والاستدلال بما ورد فيهما . حيث أنه من المعروف أن المسلمين قد اعتبروهما أصح الكتب بعد القرآن ، وتلقوهما بالقبول ، وكأنى بالشيخ وهو بهذا الاتجاه يلتمس اسباب الوحدة والاتفاق بين المسليمن ويحرص عليها . والى جانب الصحيحين الكتب الاربعة ، سنن ابي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه والموطأ . وقد كان لكتب السنة الأخرى نصيبها - أيضا - من اهتمامه ونقوله كمسند الامام أحمد ، وسنن الدارمي ومسند ابي زرعة ومسند ابي داود الطيالسي ، وصحيح ابن حبان ومسند ابي يعلى ومستدرك الامام أبي عبد الله الحاكم وتاريخ البخاري وماألفه ابو الشيخ الاصبهاني وعبد الرحمن بن الجوزي والمختارة للضياء المقدسي .

هذا الى جانب كتب السيرة والدلائل والشمائل ، وفي مقدمتها السيرة النبوية لمحمد بن اسحاق بن يسار ، التي أكثر من النقل عنها ، وذلك لما عرف عنها وعن صاحبها من الدقة والضبط والجودة . وكذلك دلائل النبوة لابي نعيم الاصبهاني ودلائل النبوة لأحمد البيهقي فقد اعتمدها كثيرا ، وهناك المغازي لموسى بن عقبة وهو الرجل الذي نال ثناء أهل عصره ، ثم كتاب الشفاء للقاضي عياض – رحمه الله – .

أما كتب التفسير فقد رجع الى أهمها مثل تفسير الطبري وتفسير ابن ابي حاتم وغيرهما وبجانبها كتب اللغة كالصحاح للجوهري وغيره ، وكذلك كتب التراجم والرجال من الصحابة والتابعين ، والعلماء والقادة من العرب والعجم . ولقد كان لكتب العقائد والنحل وكتب الفلاسفة مجالها ، والتي كان يستفيد منها بقدر ماتدعو اليه الحاجة مثل كتب ابن سينا والفارابي وارسطو ،ككتاب (اثولوجيا) وكتاب (آراء المدينة الفاضلة)[1] . ولقد رجع الى كتب اهل الكتاب التي بأيديهم واستخرج منها كثيرا من الشواهد والبشارات .

---

(١) الجواب الصحيح ٣ : ٢١٥ (ط المدني) .

مآخذ ومقترحـــــات :

لكل عمل بشري نقاط ضعف ، بغض النظر عن شخص من قام به .. ولقـــــد تراءى لي خلال رحلتي مع شيخ الاسلام في القسم الثالث من (الجواب الصحيـــح) المآخذ الآتية :

١. الاطالة والاستطراد - أحيانا قليلة - بحيث يكون البحث خارجا عـــن موضوعه الى موضوع آخر تماما ، كما فعل في قضية صدق الخبر وعدمـــه ، وتصديقه أو تكذيبه ، حيث خرج الى موضوع فقهي بحت ، وهو بحث الدعاوى والبينات ، فبدأ بقوله : والمدعى عليه اذا كان صاحب يد ... الخ ، ثم ختمه بقوله : فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعه ، وبسطه له موضـــع آخر ، والمقصود هنا : أن الخبر ... " . الخ .(١)

٢. نَفْيُ مسألة تاريخية مشهورة وهى رمي الحجاج للكعبة بالمنجنيق حيـــث قال : والحجاج بن يوسف كان معظما للكعبة ، لم يرمها بمنجنيـــق ، وانما قصد ابن الزبير خاصة "(٢) ولم يذكر لذلك النفي سندا من أثـــر أو رواية .

٣. تقسيمه الكتاب بالفصول لم يكن له - في حالات كثيرة - شيء من الجدوى، حيث يطول الفصل - تارة - فيشمل اكثر من موضوع ، كلها تستحق أن تكون فصولا ، ويقصر تارة فينقسم الموضوع الواحد الى أكثر من فصل . ولعـــل عذر الشيخ في ذلك أنه كان يتتبع فقرات رسالة النصراني .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٢٩٣ - ٢٩٥ (ط المدني) .
(٢) الجواب الصحيح ٣ : ٣٢٩ (ط المدني) .

٠٤ ساق في أكثر من موضع أدلة ضعيفة ، اما بسبب ارسالها ، أو لضعف بعض رجال اسنادها ، أو انقطاعها ، ولقد كان في الأدلة الصحيحة الكثيرة غنية ، ولعل الشيخ أردا بذلك استغراق وشمول جميع أنواع الأدلة النقلية ، فكانت هذه الآثار مقصودا بها التمثيل وايراد النموذج وليس تقرير الحقائق عن طريقها لوجود مايغني عنها - غناء عظيما - أضف الى ذلك عدم حكم الشيخ على هذه الآثار بما يناسبها الا في حالات قليلة وهو من أقدر الناس على ذلك ويمكن أن يكون هذا لوضوح الأمر بالنسبة لها ، أو لاكتفائه بذكر الاسناد أو لغير ذلك من الاسباب .

٠٥ أورد أثرا فيه حكاية عن غزاة القسطنطينية من المسلمين وتوسلهم بقبر أبي أيوب الانصاري - رضى الله عنه - ، وقد سكت عليه ولم يعلق بايضاح هذه البدعة ، كما سيأتي التنبيه على ذلك في موضعه ان شاء الله - ومعلوم أن الناقل للخبر اذا سكت ولم يبين موقفه منه فهو مقر له ، هذا بالرغم من جزمنا بعدم أقرار الشيخ له - قطعا - بل تصديه لذلك وانكاره بقوة في مواضع كثيرة من كتبه .

٠٦ وصف مستدرك الحاكم بالصحيح (١) ، مع أنه معلوم لديه ولدى تلميذه الذهبي بأن تصحيح الحاكم لايعتد به . وكان الأولى به - رحمه الله - أن يسميه كما سماه به صاحبه (المستدرك) .

٠٧ أكثاره - أحيانا - من الأمثلة أكثارا يبلغ مرة مائة وسبعة عشر مثالا تقريبا ، كان يكفى منها ١٧ مثلا .. واسهابه ومناقشته أمورا جانبية مناقشة دقيقة مفصلة تنسي المطالع لكتاب الموضوع الأم (٢) . وكأني بالشيخ يمثل نفسه بفلاح يريد اقتلاع شجرة ولايحب أن يبقى لعروقها في الأرض أي أثر فتراه يتتبعها وان بعدت حتى يستأصلها جميعا .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٢١٢ و ٢٢٥ (ط المدني) .

(٢) الجواب الصحيح ٤ : ٢٩٣ - ٢٩٥ (ط المدني) .

هذا وانني بعد معالجتي لهذا الجزء من الكتاب قد شعرت بمدى أهمية موضوع اثبات صدق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ و نبوته ، ودوره في تقوية ايمان المسلمين وقناعتهم بدينهم أولا ، ثم في هداية غير المسلمين الى هذا الدين ، لأن ذلك مقتضى الشهادة الثانية في ركن الاسلام الأول ، فكيف يشهد الانسان بنبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورسالته وهو لم يعلم دلائل صدقه وعلامات نبوته سواء كان مسلما أو غير مسلم .

فَعِلْمُ دلائل النبوة ، الذي خصص له الشيخ معظم هذا القسم ، يتبوأ منزلة عزيزة في هذه العقيدة الربانية ، وهذا مادعا كثيرامن العلماء المسلمين الى افراده بمصنفات مستقلة كبيرة أو صغيرة ،أو تمييزه بأبواب خاصة في مصنفاتهم كما فعل البخاري ومسلم وغيرهما .

وهذا الاهتمام نابع ــ بلا ريب [redacted] قناعة هؤلاء العلماء القدماء والمحدثين بما يستحقه هذا العلم من رعاية ونشر، وهذا ــ بالتالي ــ مايلقى على طلبة العلم والمؤسسات العلمية المعاصرة تبعة العناية بهذا العلم ورفع شأنه والافادة القصوى منه في أيامنا هذه التي تموج فيها الافكار والعقائد والنحل ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كثرة المتشوقين لمعرفة حقيقة الاسلام ورسالته في الشرق والغرب ، نظرا لجو الحرية الاعتقادية الذي يعيشه العالم المعاصر أكثر من أي وقت مضى .

وفي نظري أن العناية التي أشرت اليها تتلخص فيما يلي :

١. وضع فهارس تتضمن جميع ما ألف وكتب في موضوع دلائل النبوة قديما وحديثا سواء كان مفردا بالتأليف أو ضمن غيره .
٢. البحث عن النسخ المخطوطة لكتب الدلائل الكثيرة التي لازالت في خزائن المخطوطات وتجميعها وتحقيقها تحقيقا علميا وافيا ثم نشرها .
٣. قيام علماء مختصين بتمييز الصحيح من الدلائل وافراده في نشرات دورية ، مع شرحه شرحا وافيا ، يتناسب مع اهتمام الناس وعقلياتهم

المعاصرة . وكذلك فرز الضعيف والباطل منها وبيان وجه ضعفه وسقوطه وتحذير الناس من نقله وتداوله.(١)

---

(١) ومما تجدر الاشارة اليه أن المسلمين بدأوا يتنبهون لهذا الأمر فقد صدرت الموافقة الملكية الكريمة على انشاء مركز لخدمة السنة والسيرة النبوية ، بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ، بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية ، بحيث تتولى الجامعة الاسلامية الجوانب العلمية ، ويتولى المركز الطباعة ونفقات التشغيل كما صرح بذلك د . عبد الله العبيد . انظر مجلة الدعوة السعودية العدد ١٠٢٥ في ١٤٠٦/٥/١٠ هـ = ١٩٨٦/١/٢٠م .
هذا الى جانب مؤتمرات السنة والسيرة النبوية الدولية التي أخذت تعقد بشكل دوري ، وكان آخرها مؤتمر السيرة النبوية الدولي الذي عقد في اسلام اباد بباكستان ، والذي قرر انشاء سكرتارية دولية للسيرة تعمل الدول الاسلامية من خلالها - كما جاء في الأخبار - الى ابراز وترسيخ مبادىء وتعاليم السنة النبوية ، وكشف المخططات التي تعمل ضد الاسلام، كما أعرب (خان جوينجو) رئيس وزراء باكستان عن استعداد بلاده لاستضافة مقر السكرتارية الدولية للسيرة النبوية . جريدة (المسلمون) اللندنية ، العدد ٤٨في١٤٠٦/٥/٢٣ هـ = ١٩٨٦/١/٤م . وقبل ذلك كان قد عقد المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية في القاهرة في ١٤٠٦/٢/١٩ هـ = ١٩٨٥/١١/٢م وقام بافتتاحه الرئيس المصري حسني مبارك
وهو المؤتمر الرابع في سلسلة هذه المؤتمرات والذي سبقه ثلاثة هى كالتالي: الأول كان في اسلام آباد في باكستان سنة ١٣٩٦ هـ ، والثاني في استانبول بتركيا سنة ١٣٩٧ هـ والثالث بالدوحة بقطر سنة ١٤٠٠ هـ. انظر مجلة الأزهر ، الجزء الثالث ، ربيع الأول ١٤٠٦ هـ = نوفمبر ١٩٨٥م ،السنة ٥٣ . والذي يظهر لي ان مؤتمر السيرة النبوية الدولي الذي عقد بباكستان في هذه السنة هو مؤتمر مستقل عن سلسلة المؤتمرات التي كان أولها في باكستان وآخرها في القاهرة .

٠٤ وهناك قضية في منتهى الأهمية وهى الربط بين دلائل النبوة وبين مايقع على أيدي الصالحين من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من خوارق العادات ، والذي قد توصل الشيخ - رحمه الله - الى أن التمييز بين هذه وتلك في التسمية لامبرر له (١) ، ففي ذلك مايكبح خيالات الذين يرفعون النبي - صلى الله عليه وسلم - فوق مرتبة البشريه في تصوراتهم واعتقاداتهم وان لم يصرحوا بذلك بالسنتهم ، وفيه - أيضا - فَهْم الخوارق التي يجريها الله - تعالى - على أيدي الصالحين من أمته الفهم الشرعي المطلوب .

٠٥ وبالنسبة لتربية وتعليم الأطفال على معايشة السيرة وتقريب دلائل النبوة لهم، فهذا مما ينبغي أن نحرص عليه أشد الحرص ، فلقد كنت في سن الطفولة - كما أذكر الآن - أعاني من عدم استطاعتي تصور حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، الحياة المعتادة ، ناهيك عن الدلائل والآيات ، ولم أستطع أن اقترب من ذلك التصور الا بعد أن وصلت الى المرحلة الثانوية ، وانني أعزو ذلك الى طريقة اطّلاعي أنا وأمثالي من أطفال المسلمين - آنذاك - على سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وربما يكون لعدم وجود الكتابات في السيرة - ومن ضمنها الدلائل النبوية - التي تتناسب مع أذهان الأطفال وتصوراتهم .

وعليه فان بقاء الطفل طيلة هذه الفترة من حياته شبه معزول عن هذه السيرة العطرة أمر في منتهى الخطورة والقسوة .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٧٠ (ط المدني) .

وصف النسخ الخطية لهذا القسم من الكتاب :

لم يتوفر للكتاب كله نسخه تامة ، الا تلك النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، والتي كانت احدى النسخ المعتمدة لي ولكل من زميلي (١) في مقابلة هذا الكتاب ، وأما بقية النسخ فان ماتوفر لأحدنا لم يتوفر كله أو بعضه للآخر .

هذا وان الذي استطعنا الحصول عليه من نسخ للقسم الخاص بي من هذا الكتاب ست نسخ ، اعتمدت منها ثلاث نسخ ، واستفدت كثيرا من الثلاث نسخ الأخرى . دون أن أتقيد بمقابلتها ، وذلك على سبيل التخفيف من الهوامش ، وهذا وصف لتلك النسخ :

١. نسخة جامعة (لايدن) بهولندا (٢) ، ورقمها (٤٠) وهى مكتوبة بخط نسخي جميل واضح ، الا أنه اختلف في آخرها ، وعدد أوراقها (التي تخصني) مائة وثلاث وثمانين ورقة ، وصفحاتها (٣٦٦) صفحة ، في كل صفحة من ٢١ – ٢٣ سطر ، وفي كل سط (١٠ – ١٧) كلمة ، وناسخها غير معروف ، ولكن عليها تملك هذا نصه : (انتقل (أي الكتاب) بالبيع الشرعي الى أحمد بن محمد بن زيد ، ومنه على يد شمس الدين اللؤلؤي الليثي ، وعلي يد ولده في أوائل شعبان سنة احدى وستين وثمانمائة هجرية) . وقد كتب ناسخها في آخرها مانصه : (نجز الكتاب المسمى : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – عليه وعلى سائر النبين الصلاة والسلام – تأليف شيخ الاسلام ، تقي الدين أحمد بن تيمية – رضي الله عنه – في سنة ثلاثين وسبعمائة ، وقوبل على أصل صحيح نقل من خط مؤلفه).

---

(١) وهما الزميلان على بن ناصر وعبد العزيز العسكر المحاضران بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض .

(٢) وقد أحضرها لي وله زميلي الشيخ عبد العزيز العسكر – جزاه الله خيرا – وهو الذي أحضر لي – كذلك – النسخ الباقية .

وقد رمزت لهذه النسخة برمز أ اشارة الى أنها الأصل ، والنسخة الأم التي اعتمدتها ،نظرا لأنها أقدم النسخ الموجودة ، ولما أُثبت في آخرها أنها نقلت من أصل .. نقل من خط المؤلف ، ومعنى هذا أنها قريبة جدا لعمل المؤلف وأنه ليس بينها وبينه الا حلقة واحدة فقط .

وقد أثبت مابينها وبين النسختين الاخريتين من فروق ، ولكني لم اتقيد بها تقيدا مطلقا فلقد سرت على طريقة الترجيح أو التصحيح - أحيانا - . فمتى ماترجح لدى خلاف مافيها أثبته ، وغالبا ما أبرر هذا العمل .

٢. النسخة الثانية ، هى النسخة الكاملة للكتاب كله . كما قلت - آنفا - وهى محفوظة" بدار الكتب القومية بالقاهرة ، وهى ذات الرقم (٢٧٨)وقد رمزت لها برمز (ك) ، والنسخه المطبوعة تتفق معها في أغلب الأحيان الا أن (ك) أصح منها برغم كثرة مافيها من الأخطاء والسقط ، الذي يتجاوز الصفحة في أكثر من موضع . وأوراق هذه النسخة أربعمائة وسبع عشرة ورقة والعدد الأجمالي للوحات هذه المخطوطة (٨٣٣) لوحة ، في كل لوحة (٣١) سطرا الى (٢٦) سطرا ، وقد بلغ نصيبي من هذه النسخة مايقارب مائة واثنتين وثلاثين ورقة ، أي مائتان وثلاث وستون صفحة في كل صفحة مامعدله (٢٦) سطرا ، بمعدل (١٣) كلمة في كل سطر ، والقلم الذي كتبت به في نصيبي قلم نسخي ثم تغير في أثنائها ،أي كأنه تعاقب على كتابتها ناسخان . الا أنه خط مقروء وواضح ، مع صغر حرفه . هذا وقد كتب في آخرها :" آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، والحمدلله وحده ... بقلم أحقر الورى ... الحاج على اللبدي الحنبلي ... وذلك ليلة الأربعاء ، في غرة ربيع الأول المبارك ، من شهور سنة ألف ومائتين وواحدة وثمانين ، من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة ، وأتم التحية ...) هذا ويوجد بدار الكتب (القومية المصرية) بالقاهرة نسخة خطية أخرى تحمل الرقم (٧٥٦) عقائد تيمور ، ولكنها ناقصة .(١)

---

(١) ذكر ذلك الزميل : على بن حسن بن ناصر ، وقال : بأنه اقتنى منها صورة . انظر رسالته ج ١ ، م ١ ، ص ٦٠ .

٠٣ النسخة المطبوعة :

وهى التي قدم لها وأشرف على طبعها الاستاذ : على السيد صبح المدني ، وطبعت بمطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ،وذلك سنة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤م قال المدني : " وقد بذلت المؤسسة (أي المذكورة) من الجهد في ابرازه على هذا الشكل الأنيق ، ماتحتسبه ٠٠" ولم يذكر أصلا للطبعة تلك ، مع أنه عمل مقدمة تعريفية للكتاب ، بلغت صفحاتها العشرين ٠ ثم قسم الكتاب الى أربعة أجزاء ، متساوية الحجم - تقريبا ، كان نصيبي منها من صفحة (٢٠٢) من الجزء الثالث الى نهايته ، والجزء الرابع بأكمله ومجموع صفحاته (٤٥٣) صفحة ماعدا الفهارس ٠

هذا وانني أكاد أجزم بأن هذه الطبعة مأخوذة من طبعة سبقتها - سأشير اليها لاحقا - ان شاء الله - ولم تختلف عنها الا في الشكل والاخراج فحسب ٠ والذي دعاني الى اعتمادها ضمن النسخ الثلاث هو كثرة ماطبع منها ونشر بين الناس من الطبعة الأصلية ومن المصورات التي نقلت عنها بطريقة (الأوفست) (١) ولقد كانت الطبعة الأولى (الكردي) قبل عصر التصوير ، وكان اخراجها على الطريقة القديمة ، حيث يتواصل النص على نمط واحد من أوله الى آخره ، ثم جاءت طبعة المدني فحظيت بذلك الرواج الكبير ٠

أما النسخ الثلاث الأخرى التي توفرت لدي ، فلقد أخذت منها في أحيان كثيرة خاصة النسخة البريطانية التي تحمل الرقم (٢٩٩) بالمتحف البريطاني بجامعة اكسفورد وقد كتب عليها الناسخ عنوانا آخر غير العنوان المعروف وهو (كتاب تخجيل أهل الأنجيل ، والنهج الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح) وأولها :"الحمد لله الذي شرع لنا الدين ، والصلاة

---

(١) مثلما قامت به مؤسسة المجد التجارية بالرياض ٠ وقد عمدت رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض الى توزيع كميات كبيرة جدا - وقفا لله تعالى - من كل من الطبعة والمصورة عنها٠

والسلام على أفضل من اعتصم بحبله المتين ... اعلم وفقك الله وايانا أن النصارى لهم قول مشهور بينهم ، وهو أن منهم من يقول أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لم تبشر به النبوات ...) .

وبدايتها تلك توافق الصفحة رقم ٢٧٥ من الجزء الثالث ط المدني ، ومع اختلاف العنوان فليس في مادتها أي اختلاف جوهري عن النسخ الأخرى وهي مكتوبة بخط نسخي واضح ولكنه أقل جمالا من الخط الذي كتبت به (أ) .

وعدد أوراقها (١٩٥) ورقة ، وصفحاتها (٣٩٠) صفحة ، في كل صفحة من ٢١ - ٢٢ سطرا ، وقد كتب الناسخ في آخرها : (تمت النبوات ، تصنيف الشيخ الامام العالم العلامة ... أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ...) ولكن بجانبه بخط دقيق (... آخر الكتاب ، وهو الرد على النصارى .. أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ...) وفي موضع آخر من الصفحة يقول الكاتب (كتبها الفقير الى الله محمد ... المقدسي..) وقد انطمس التاريخ تماما . ولكن طريقة الخط تدل على أنه متقدم جدا.

أما النسخة السعودية فهي الموجودة بالمكتبة السعودية التابعة لرئاسة ادارات البحوث العلمية بالرياض ورقمها العام (٤٤٢) والرقم الخاص (٨٦) وعليها تملك للشيخ : محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وعدد أوراقها مائة واحدى عشرة ورقة ، كتب في آخرها (رَقَمه الفقير الى رحمة الله - تعالى - ورضوانه : أحمد بن ابراهيم بن عيسى في شهر ربيع الأول في سنة ١٢٧٦ هـ ولاحول ولاقوة الا بالله) . وخطها جيد ومقروؤ وواضح . وبدايتها من الموضع الذي بدأت به النسخة البريطانية .

أما النسخة المطبوعة الأخرى فهي التي طبعت سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥م بمطبعة النيل بمصر ، بمعرفة الشيخ فرج الله زكي الكردي ، والشيخ مصطفى القباني الدمشقي ، وقالا (تنبيه : لايجوز لأحد أن يطبع (الجواب الصحيح) من هذه النسخة ... ، وكل من طبعها يكون مكلفا بابراز أصل قديم ، يثبت أنه طبع منه ، والا يكون مسؤلا عن التعويض قانونا) . ثم قالا في آخره : (.... وقد أوشك هذا الكتاب أن يفقد من الوجود ، لقلة نسخه ، فلا يوجد في قطر من الأقطار نسخة تامة ، وقد بذلنا غاية الجهد للحصول على ذلك آملا بالنفع العام حتى وفقنا الله لنسخة السيد الشريف المحقق نقيب اشراف مدينة بغداد ، .. ثم توفقنا للجزء الأول ... عند ... الشيخ عبد السلام الأمير ، و ـ أيضا ـ لثلاثة أجزاء عند ... لطيف باشا سليم ، وكل تلك الأصول صحيحة مقرؤة على المؤلف ، وبعضها عليه قرأه بعض الافاضل كالحافظ ابن حجر واضرابه ...) الجواب الصحيح (طبع الكردي) ٤ : ٣٢٥ . ثم ذكر مصطفى القباني نبذة من ترجمة المؤلف وذكر أنه سيطبع الرد الوافر الذي نسخه بيده من المكتبة العمومية بالاستانة .

وماقاله الكردي والقباني من تفرق النسخ يؤيده ماحصل عندما بحث الزميلان عن النسخ بعد هذه المدة الطويلة ١٣٢٣ هـ ـ ١٤٠٤ هـ حيث لم يجدا نسخة تامة الا النسخة المصرية المتأخرة (١٢٨١ هـ) . وهنا لايسعنا الا الدعاء للكردي والقباني بالرحمة والثواب الجزيل على مابذلاه في سبيل احياء هذا العمل ونشره بعدما كاد يفقد (بصفته الكاملة) ولابد انهما عانيا من أجل ذلك معاناة كبيرة ، حيث لم تكن وسائل الاتصال كما هى الآن ، ولقد اثمر جهدهما ، حيث تلقف هذا السفر طلبة العلم في أنحاء العالم الاسلامي بشوق وحرص ولا أدل على ذلك من وجود هذه الطبعة في مكتبة والدي : محمد بن حمدان الحمدان حفظه الله ـ تعالى ـ وكان يقيم في قرية (الرويفة) و (البير) وهما في أعماق

الريف النجدي ، والذي كان أهلها لايشمون رائحة النصرانية ولاعلاقة لهم بها مطلقا .(١)

---

(١) لاأدري هل كان مبعث ذلك هو التحصن بمعرفة الرد على النصارى تحسبا لأي طاريء ، أم كان الدافع لذلك هو الاعجاب الشديد بشيخ الاسلام ، ومحاولة اقتناء أي مؤلف له ؟ أم هما الأمران ؟

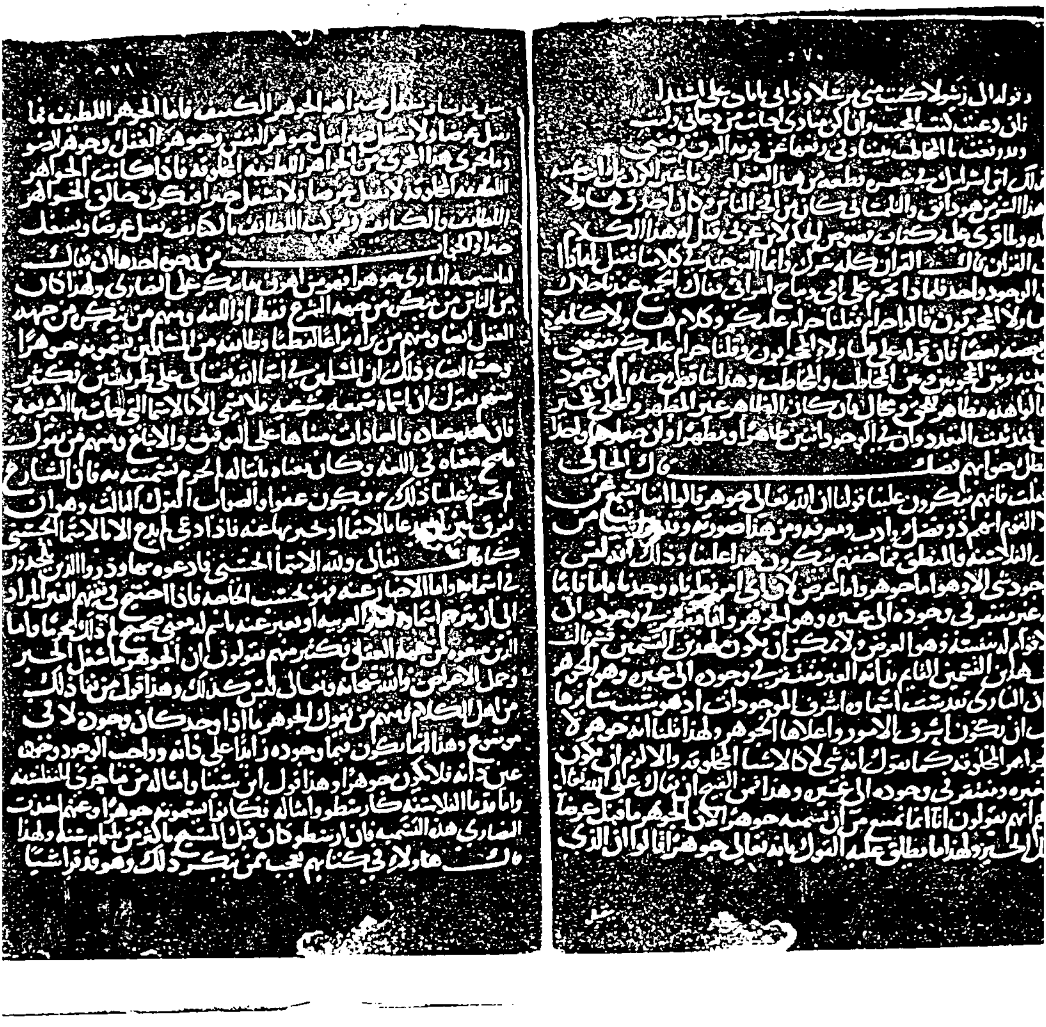
[illegible] وقوله ... و[illegible] اباها وابانى لم تزل ... [illegible] ابت
﴿ الى رسولا كنت منى مرسلا وذاتى باياتى على استدلت ﴾
﴿ فان دعيت كنت المجيب وان اكن منادى اجابت من دعانى ولبت ﴾
﴿ وقد رفعت تا المخاطب بيننا وفى رفعها عن فرقة الفرق رفعتى ﴾
وكذلك لابن اسرايل فى شعره قطعه من هذا كقوله
﴿ وما انت غير الكون بل انت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائق ﴾
والتلمسانى الملقب بالعفيف كان من احذق الناس وكان احذق هاولا الملاحده ولما قرى عليه كتاب فصوص الحكم لابن عربى قيل له هذا الكلام يخالف القران قال القران كله شرك وانما التوحيد فى كلامنا فقيل له فاذا كان الوجود واحد فلما ذا تحرم على امى وتباح امراتى فقال الجميع عندنا حلال ولكن هاولا المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وكلام هاولا كله ينقض بعضه بعضا متناقض فان قوله على هاولا المحجوبون وقلنا حرام عليكم يقتضى الفرق بينه وبين المحجوبين وبين المخاطب والمخاطب وهذا يناقض وحده الوجود واذا قالوا هذه مظاهر للحق ومجالى فان كان الظاهر غير المظهر والمجلى غير المتجلى فقد ثبت التعدد وان فى الوجود اثنين ظاهر ومظهر وان جعلوها واحد فقد بطل جوابهم فصل قال الحاكى عنهم فقلت فانهم ينكرون علينا قولنا ان الله تعالى جوهر قالوا انا نسمع عن هاولا القوم انهم ذو فضل وادب ومعرفه ومن هذا صورته وقد قرا شيا من كتب الفلاسفه والمنطق فاحمقهم ينكرون هذا علينا وذلك انه ليس فى الوجود شى الا وهو اما جوهر واما عرض لان اى امر نظرناه وجدناه اما قايما بنفسه غير مفتقر فى وجوده الى غيره وهو الجوهر واما مفتقر فى وجوده

(أول صفحة من القسم الثالث من الكتاب ، من مخطوطة جامعة لايدن ، ورمزها أ)

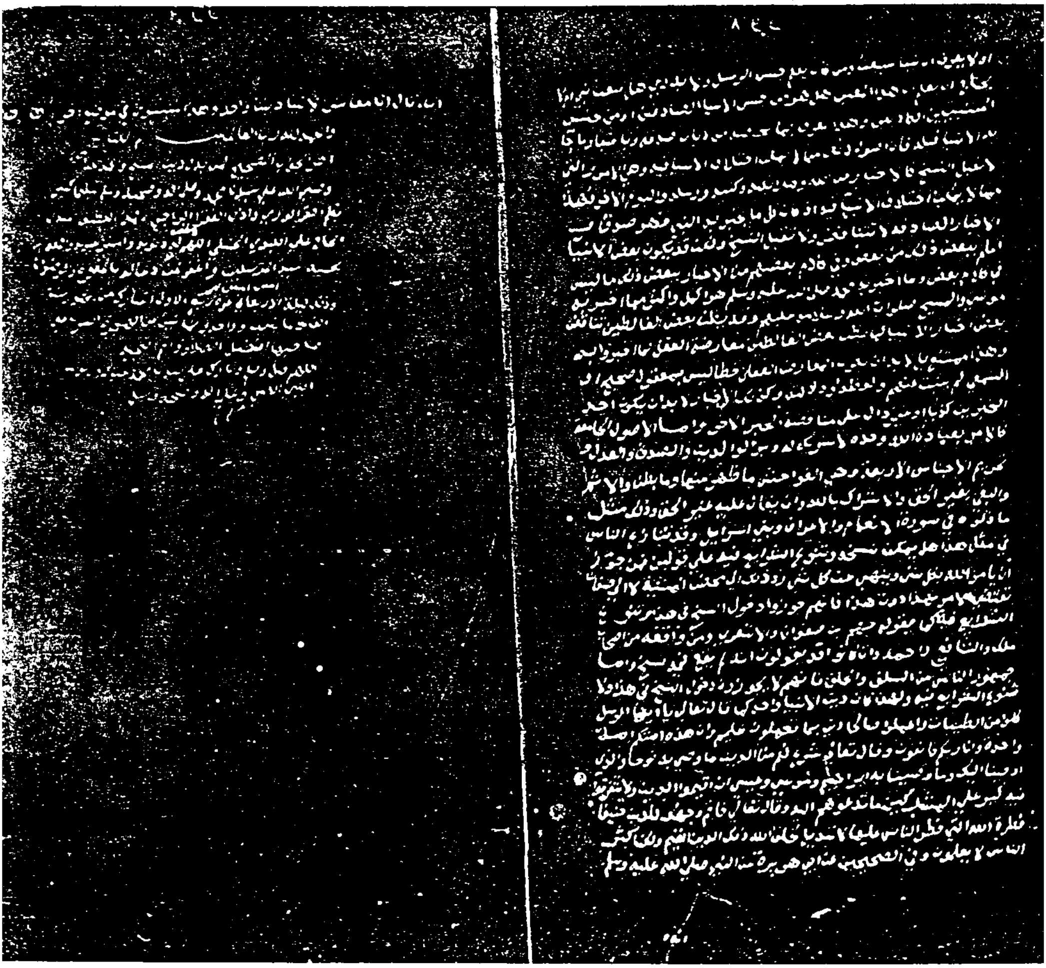
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه وقال تعالى فاقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون وفي الصحيحين عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبيا ديننا واحد
وهذا مبسوط في موضع اخر ه   الحمد لله وحده وصلى الله على محمد [illegible]

تم الكتاب المسمى بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح [illegible]
[illegible] في سنة [illegible]
نقل من خط مؤلفه

(آخر صفحة من نسخة جامعة لايدن ورمزها هنا أ)



(أول صفحة من القسم الثالث من نسخة دار الكتب المصرية ،ورمزها ك)



(آخر صفحة من نسخة دار الكتب المصرية والمرموز لها برمز ك)

الفرق بينه و بين المحجوبين ، و بين المخاطب والمخاطَب ، وهذا يناقض وحدة الوجود .

و إذا قالوا : « هـذه مظاهر للحق ومجالٍ » فإن كان الظاهر غير المظاهر ، والمجلى غير المتجلى ، فقد ثبت التعدد ، وأن فى الوجود اثنين ظاهراً ومظهراً ، و إن جعلوهما واحداً ، فقد بطل جوابهم .

فصـــل

قال الحاكى عنهم : فقلت فإنهم ينكرون علينا فى قولنا : إن الله تعالى جوهر .

قالوا : إننا نسمع عن هؤلاء القوم أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة .

ومن هذا صورته ، وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق ، فما حقهم ينكرون هـذا علينا ، وذلك أنه ليس فى الوجود شىء إلا وهو إما جوهر و إما عرض ، لأن أى أمر نظرناه وجدناه ، إما قائماً بنفسه غير مفتقر فى وجود إلى غيره ، وهو الجوهر ، و إما مفتقر فى وجوده إلى غيره ، لا قوام له بنفسه ، وهو العرض ، ولا يمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث .

فأشرف هذين القسمين ، القائم بذاته الغير مفتقر فى وجوده إلى غيره . وهو الجوهر .

ولما كان البارى ــ تقدست أسماؤه ــ أشرف الموجودات ، إذ هو سبب سائرها ، أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها الجوهر .

ولهذا قلنا : إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة ، كما نقول : إنه شىء كالأشياء المخلوقة ، و إلا لزم أن يكون قوامه بغيره ومفتقر فى وجوده إلى غيره . وهذا فمن القبيح ، أن يقال على الله تعالى .

فقلت لهم : إنهم يقولون : إنا إنما نمتنع من أن نسميه جوهراً ، لأن الجوهر ما قبل عرضاً وما شغل الحيز ، ولهذا من يطلق عليه القول بأنه تعالى جوهر ،

(أول صفحة من القسم الثالث من طبعة المدني ومصوراتها ، ورمزها ط)

من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصَّيْنَا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وجهك للدين حنيفاً فِطْرَةَ الله التى فَطَرَ الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القَيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد » .

وهذا مبسوط فى موضع آخر . والحمد لله رب العالمين .

(آخر صفحة من طبعة المدنـــــــــي ، ورمزها ط)

المشيئة لا الى الصفات يقتضي الامر بها دون هذا ثم

دخول النسخ في هذا وتنوع الشرايع فيه كما يقوله جهم ابن صفوان

والاشعري ومن وافقه من اصحاب مالك والشافعي واحمد وان

كانوا قد يقولون انه لا يقع فيه نسخ واما جمهور الناس

من السلف والخلف فانهم لا يجوزون دخول النسخ في هذا ولا تنوع الشرايع

فيه ولهذا كان دين الانبيا واحدا كما قال تعالى يا ايها الرسل كلوا

من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم

امة واحدة وانا ربكم فاتقون وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به

نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

كبر على المشركين ما تدعوهم اليه وقال تعالى فاقم وجهك للدين

حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر

الناس لا يعلمون وفي الصحيح عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال انا معاشر الانبيا ديننا واحد وهذا مبسوط

في موضع اخر

تمت النبوات تصنيف الشيخ

الامام العالم العلامة اوحد العصر

فريد الدهر شيخ الاسلام ابي عبد

الله احمد ابن عبد الحليم ابن

تيمية الحنبلي رحمه الله

وارضاه امين

اعاد الله بركاته

هذا اخر الكتاب وهو الرد على النصارى ...

شيخ الاسلام ... ابي العباس احمد ...

... والرضوان ...

(آخر صفحة من مخطوطة أكسفورد)

هنا من فضائل الجهل. وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع وأهل التحريف
والتأويل الذين يتأولون كلامهم على ما يخالف مرادهم ويدعون أنهم أرادوا ذلك المعنى مع أنه
ليس في كلامهم ما يدل على إرادة ذلك المعنى بل كلامهم يدل على إرادة خلافه وأهل
التجهيل الذين يقولون ذلك الكلام ليس هو معنى يعلمه الرسول ولا غيرهم وإنما هو [illegible]
[illegible] وهذان القولان يقول بكل منهما طوائف معظمين للرسل وقد تبين
فسادهما في غير هذا الموضع وأما من قال إن الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي يعنيه
الله بكلامه ولكن [illegible] تعلم مراده إلا بعلم [illegible]
السلف والأئمة وبسط هذا موضع آخر. والمقصود هنا أن الكلام في النبوات نوعان نوع في
جنسها ونوع في شخص النبي المعين وهو قول من [illegible] جنس النبوة إن
كان من أهل الكتاب وأهل الكتاب يعرفون جنس النبوة ثم منهم من يعرفه بنبوة نوح والخليل
وموسى وأنبياء بني إسرائيل والنصارى تعرف ذلك بالمسيح والإنجيل والذين يحتاجون إلى
معرفة النبي المعين نوعان نوع عرفوا أنه يبعث نبي وقد يعرفون بعض صفته فيحتاجون أن
يعرفوا عينه وهو قول طائفة من أهل الكتاب كانوا ينتظرون هذا النبي وكانوا يعلمون أن نبيا سيبعث
فلما كان حاجتهم أن يعرفوا هل هو هذا النبي الذي كانوا ينتظرونه فيكون ما يحتاجون إليه من
لا يؤمن بالرسل أو لا يعرف أن نبيا سيبعث ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدري هل بعث
نبي أم لا فيحتاجون إلى أن يعلم أن هذا المعين هل هو من جنس الأنبياء الصادقين أو من المتنبئين
الكذابين وهذا وهذا يعرف بما يعرف به ثبات صدقه وباعتبار ما جاء به الأنبياء قبله
أصول ذلك بما لا [illegible] اختلاف الأنبياء فيه ومن الأمور التي لا تقبل النسخ كالإخبار عن الله و
ملائكته ورسله واليوم الآخر فهذه إنما [illegible] اختلاف الأنبياء فيه إذ كان كل ما يخبر به نبي
فهو صدق والأخبار الصادقة لا تتناقض ولا تقبل النسخ ولكن [illegible] بعض الأنبياء [illegible]
ذلك ما ليس في كلام بعض وما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم هو أكثر وأكبر مما أخبر به موسى
والمسيح صلوات الله عليهم وقد يظن بعض الغالطين أن في بعض أخبار الأنبياء ما يظن
بعض الغالطين معارضة العقل لما أخبروا به وهذا ممتنع بل لا بد أن يكون [illegible] معارض العقلي

خلا

خلافا ليس بعيد واحد [illegible] السمعي يثبت [illegible] لفظه أو دلالته وكذلك الأخبار الدالة على الحكمة
[illegible] الخبر الآخر وأما الأصول الجامعة كالأمر
بعبادة الله وحده لا شريك له وبر الوالدين والصدق والعدل وتحريم
الفواحش الأربعة الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والإشراك بالله
[illegible] عليه بغير الحق ونحو ذلك مثل ما ذكر في سورة الأنعام والأعراف وبني إسرائيل
فقد تنازع الناس في مثل هذا هل يقبل النسخ ومنع النسخ فيه [illegible] من جوز أن يأمر
الله بكل شيء وينهى عن كل شيء [illegible] لا لحكمة [illegible] لنفس الأمر [illegible]
فإنهم جوزوا دخول النسخ في هذا ومنع [illegible] بقولهم صفوان والأشعري ومن
وافقهم من أصحاب مالك [illegible] أحمد وغيرهم كانوا يقولون [illegible] وأما
جمهور الناس من السلف والخلف فإنهم لا يجوزون دخول النسخ في هذا ولا تنوع الشرائع فيه و
لهذا كان دين الأنبياء واحدا قال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون وقال تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وهذا مبسوط في غير هذا الموضع [illegible]
[illegible] والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بلغ مقابلة [illegible] أصله

آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
[illegible] رحمه الله تعالى ورضوانه [illegible]
[illegible] ٢٧٦ [illegible] شهر ربيع الأول [illegible]
ولا حول ولا قوة إلا بالله

كتبت وقد أيقنت ولا شك أنني
ستبلى يدي يوما ويبقى كتابها
فيا ليت شعري [illegible]

(آخر صفحة من النسخة السعودية)

لا يجوزون دخول النسخ في هذا ولا تنوع الشرائع فيه ولهذا كان دين الانبياء واحدا كما قال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) وقال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وفي الصحيحين عن ابى هريرة عن عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وهذا مبسوط في موضع آخر والحمد لله رب العالمين تم الكتاب آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(آخر صفحة من طبعة الكردي)

رموز مستخدمة في التحقيـــق

هذه الرموز وضعت من أجل الأختصار :

الفتح	فتح الباري لابن حجر .
اللسان	لسان العرب لابن منظور .
المصباح	المصباح المنير للفيومي .
مختار	مختار الصحاح لابن عبد القادر الرازي .
تهذيب	تهذيب التهذيب لابن حجر .
تقريب	تقريب التهذيب لابن حجر - أيضا - .
المجمع	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي .
صفوة	صفوة التفاسير للصابوني .
الكامل	الكامل في التاريخ لابن الأثير .
أ	نسخة جامعة لايدن بهولندا .
ك	نسخة دار الكتب القومية بالقاهرة .
ط	طبعة المدني للجواب الصحيح ، واذا جاء بعدها رقم فمعناهاالطبعة.
م	مجلد .
:	مابعد النقطتين بعد ذكر اسم السورة : هو رقم الآية .
:	مابعد النقطتين بعد ذكر المرجع هو رقم الصفحةوماقبلهماهو الجزء.
:	مابعد النقطتين بعد ذكر الاصحاح هورقم الفقرةومابعد ذكر نـــوع (العهد) هو رقم الصفحة .
أكسفورد	نسخة المتحف البريطاني . بجامعة أكسفورد للجواب الصحيح .
(...)	الرقم بين قوسين بعد تخريج الحديث هو رقمه العام في الكتـــاب ، واذا كان في نهاية ترجمة انسان فهو رقم الترجمة العام-أيضا - .

(هذا وان كان هناك رموز لم أذكرها هنا فهي سهلة تتضح بأدنى تأمل)

القسم الثاني - (التحقيق)

كتاب

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

لشيخ الاسلام ابن تيمية

(القسم الثالث والأخير)

فصـــل

(مناقشة النصارى في إطلاق لفظ الجوهر على الله – تعالى –)

قال الحاكي (١) عنهم (٢): فقلت: فإنهم ينكرون علينا قولنا (٣): إن الله – تعالى – جوهر (٤). قالوا: إننا نسمع عن هؤلاء القوم أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة (٥)، ومن هذا صورته، وقد قرأ شيئا من كتب الفلاسفة (٦) والمنطق، فما حقهم ينكرون هذا علينا (٧)، وذلك أنه ليس في الوجود شيء إلا وهو إما جوهر وإما عَرَض (٨)، لأن أي أمر نظرناه وجدناه. إما قائما بنفسه غير مفتقر في وجوده الى غيره (٩)، وهو الجوهر، وإما مفتقر في وجوده إلى غيره، لاقوام له بنفسه، وهو العرض، ولايمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث. فأشرف هذين القسمين القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده إلى غيره. وهو الجوهر.

---

(١) الحاكي هو: بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، الذي وضع رسالة يعترض فيها على دين الاسلام، وينتصر لدين النصرانية، وقد ولد في أنطاكية وعاش كراهب فيها، في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي (الخامس الهجري تقريبا) وقد عين أسقفا لصيدا. وكان منتميا للكنيسة الملكية، وكتب عدة رسائل في الدفاع عن عقيدته، وقد أفادنا د. مزمل صديقي في رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد الأمريكية، والتي بعنوان ترجمته: موقف الاسلام من المسيحية في القرون الوسطى: دراسة تحليلية لأراء الامام ابن تيمية: ص ١٣٥ ،التي قدمها سنة ١٩٧٨م، أفادنا بأن بولص خوري – أحد نصارى لبنان – حقق ونشر كثيرا من أعماله، ومن بينها، هذه الرسالة، ثم ذكر أنه ينسب اليه أربع وعشرون رسالة، لكن خوري يجزم أن خمسا منها فقط هي من عمله، دون الباقي.

=

....

= (٢) الضمير يعود إلى النصارى .

(٣) في ط زيادة : (في) .

(٤) الجوهر – في اصطلاح المتكلمين – : ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع . وهو عندهم منحصر في خمسة أشياء : هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل ، وهو عند العرب يطلق على الأشياء المعدنية والحجارة التي هي عندهم بالوضع والاعتياد نفيسة : انظر التعريفات : ٨٣ و ١٥٣ . ولباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول : ٢٧ . لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي – ٦٢٦ هـ ت: د. فوقية حسين محمود ، ط ١ ، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧ م . والملل والنحل ٢ : ١٦٩ لعبد الكريم بن أحمد الشهرستاني – ٥٤٨ هـ ت : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م .

(٥) يقصدون المسلمين .

(٦) هم اليونانيون الذين تناولوا مسائل الألوهية والنفس والعالم ، وناقشوها بأسلوب خاص ، واتخذوا بصددها مواقف معينة : أي مذاهب ، دافعوا عنها بالحجج والبراهين العقلية ، ومنهم : أفلاطون ، وأرسطو ، وسقراط ، وإبرقلس ، ويامبليخوس . انظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام : ٣ ، د . محمد علي أبو ريان ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٦م .

(٧) المنطق : علم من العلوم الآلية ، المؤسسة على القوانين العقلية . وقد عرف الجرجاني – ٨١٦ هـ في كتابه (التعريفات) : ٢٥١ نشر مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٨م . عرف المنطق عند المناطقة : بأنه آله قانونية ، تعصم (في زعمهم) مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر . فهو علم عملي آلي ، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي ، والغرض منه : إرشاد قوى العقل في مناهج البحث عن الحقيقة ، وإظهارها للغير . وموضوعه : كيفية زيادة مادة المعارف بتصور الأمور الخارجية ، واكتساب أعلى الحقائق وأقصى النظريات من طريق البرهان والقياس . وانظر دائرة معارف القرن العشرين ١٠: ٢٦٨ – ٢٦٩ – وسأشير إليها فيما بعد : بدائرة معارف وجدي حيث أن مؤلفها هو : محمد فريد وجدي – ١٣٧٣ هـ ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧١ م .

(٨) العرض : في اصطلاح المتكلمين :هو الذي يحتاج الى موضع – أي محل – يقوم به . كاللون المحتاج في وجوده الى جسم يحله . ويطلق عند جمهور العرب على كل نافع في هذه الحياة الدنيا . انظر التعريفات ١٥٣ ولباب العقول : ٣٥.

(٩) في ط (وجود) بدون هاء .

ولما كان الباري – تقدمت أسماؤه – أشرف الموجودات ، إذ هو سبب سائرها ، أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها الجوهر . ولهذا قلنا : إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة ، كما نقول : إنه شيء لا (١) كالأشياء المخلوقة ، وإلا (٢) لزم أن يكون قوامه بغيره ، ومفتقر في وجوده إلى غيره ، وهذا من القبيح أن يقال على الله – تعالى – فقلت لهم : إنهم يقولون : إنا إنما نمتنع من تَسمِّيه (٣) جوهرا ، لأن الجوهر ماقبل عرضا وماشغل الحيز ، ولهذا مايطلق (٤) عليه القول بأنه – تعالى – جوهر (٥) * قالوا : إن الذي يقبل عرضا ويشغل حيزا هو الجوهر الكثيف ، فأما الجوهر اللطيف ، فما يقبل عرضا ولايشغل حيزا ، مثل جوهر النفس ، وجوهر العقل ، وجوهر الضوء ، ومايجرى هذا المجرى من الجواهر اللطيفة المخلوقة .

---

(١) سقطت (لا) من ط .

(٢) جاءت في جميع النسخ (فمن) والصواب حذف الفاء كما فعلنا .

(٣) في ك و ط (من أن نسميه) .

(٤) في ط (من) .

(٥) في ك (جوهرا) بالنصب .

فإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لاتقبل عرضا ، ولاتشغل حيزا ، فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف ، يقبل عرضا ويشغل حيزا كلا .

والجواب من وجوه :

أحدها : أن يقال : أما تسمية الباري جوهرا . فهو من أهون ماينكر على النصارى ، ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع - فقط - أو اللغة ، ومنهم من ينكره من جهة العقل-أيضا-، ومنهم من يراه نزاعا لفظيا ،وطائفة من المسلمين يسمونه جوهرا وجسما-أيضا-، وذلك أن المسلمين في أسماء الله - تعالى - على طريقتين ، فكثير(١) منهم يقول : ان أسماءه سمعية شرعية ، فلا يسمى الا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة ، فإن هذه عبادة ، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع .

ومنهم من يقول : ماصح معناه في اللغة ، وكان معناه ثابتا له ، لم يحرم تسميته به ، فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك ، فيكون عفوا . والصواب القول الثالث ، وهو أن يفرق بين أن يدعى(٢) بالأسماء أو يخبر بها عنه . فإذا دعى لم يدع إلا بالأسماء الحسنى ، كما قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾(٣) . وأما الاخبار عنه ، فهو بحسب الحاجة ، فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد الى أن يترجم أسماؤه بغير العربية ، أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح ، لم يكن ذلك محرما .

---

(١) في ط (وكثير) بالواو .

(٢) في أولك رسمت (يدعا) .

(٣) سورة الأعراف : ١٨٠ .

وأما الذين منعوه من جهة العقل ، فكثير : منهم من يقولون : إن الجوهر ماشغل الحيز ، وحَمَل الأعراض ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس كذلك ، وهذا قول من نفى ذلك من أهل الكلام (١) . ومنهم من يقول : الجوهر ماإذا وجد كان وجوده لافي موضوع ، وهذا إنما يكون فيما وجوده زائدٌ على ذاته ، وواجب الوجود وجوده عين ذاته ، فلا يكون جوهرا ، وهذا قول ابن سينا (٢) وأمثاله من متأخري المتفلسفة (٣) .

---

(١) أهل الكلام : هم الذين يرون تقرير أصول الدين بالفلسفة العقلية ، التي قاعدتها علم المنطق وعلوم الأوائل ، وقد نشأ في القرن الثاني من الهجرة ، في عهد العباسيين . وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد بإيراد الحج ودفعه الشبه . وسمي علم الكلام : إما لأنه أول مسألة اختلف فيها هي مسألة القرآن : هل هو منزل أو مخلوق ، وإما لأن أقوى أسلحة هذا العلم هو الكلام ، وصوغ الحجة القاطعة ، وإتقان التعبير عن المقاصد ... الخ وهو يشبه علم " اللاهوت " عند النصارى . انظر المواقف في علم الكلام : ٢٧ ، لعضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأيجي ـ ٧٥٦ هـ عالم الكتب . بيروت . ودائرة معارف وجدي ٨ : ١٧٣ ـ ١٧٤ وعلم الكلام ومدارسه : ٤٨ ـ ٥٦ د . فيصل عون ، نشر مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ١٩٨٢م .

(٢) هو أبو علي ، الرئيس ، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب ، وله من الذكاء الخارق والذهن الثاقب مافاق به غيره ، ومولده ببخارى ، وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية ، تاب في آخر عمره ، واغتسل وتصدق مما معه ،ورد المظالم وأعتق مماليك وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة . ثم مات بهمذان سنة ٤٢٨ هـ وله مايقرب من مائة مصنف منها : الشفاء والإشارات والقانون وغيرها . انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢ : ٢ : ١٥٧ ـ ١٦٢ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ـ ٨٦١ هـ ت د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .وشذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ٣ : ٢٣٤ ـ ٢٣٧ لعبد الحي بن العماد الحنبلي ـ ١٠٨٩ هـ ط ١ دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م ولسان الميزان ٢ : ٢٩١ ـ ٢٩٣ لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢ هـ ط ٢ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٧١ م = ١٣٩٠ هـ .

=

وأما قدماء الفلاسفة ، كأرسطو (١) وأمثاله ، فكانوا يسمونه جوهرا ، وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية ، فإن أرسطو كان قبل المسيح (٢) بأكثر من ثلاثمائة سنة ، ولهذا قال هؤلاء في كتابهم : نعجب ممن ينكر ذلك ، وهو قد قرأ شيئا من كتب الفلاسفة والمنطق (٣) .

= (٣) من أمثال يعقوب بن اسحاق الكندي ، وحنين بن اسحاق ، وأحمد ابن زيد البلخي وغيرهم ، وهؤلاء قد سلكوا كلهم طريقة أرسطو في جميع ماذهب اليه وانفرد به ، سوى كلمات يسيرة ، ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين . أنظر الملل والنحل ٢ : ١٥٨ — ١٥٩ .

(١) هو أرسطو طاليس بن نيقوماخوس بن ماخاون ، من ولد اسقلبيادس الذي اخترع الطب لليونانيين ، ولد سنة ٣٨٤ ق . م ، وتتلمذ على أفلاطون في (أثينا) ، وهو فيلسوف وحكيم مشهور ، له كتب كثيرة في مختلف الفنون ، مثل كتاب المقولات وكتاب البرهان ، وكتاب الخطابة . مات سنة ٣٢٢ ق . م . أنظر الملل والنحل ٢ : ١١٩ ، وتاريخ الحكماء : ٢٧ — ٥٣ لجمال الدين أبي الحسن على بن يوسف القفطي — ٦٤٦ هـ نشر مكتبة : المثنى ، بغداد ، والفهرست : ٣٤٥ — ٣٥٢ لمحمد بن اسحاق النديم البغدادي — ٣٧٨ هـ دار المعرفة ، بيروت . واغاثة اللهفان ، من مصايد الشيطان ٢ : ٢٥٩ — ٢٦٣ للامام أبي عبد الله — تلميذ الشيخ المؤلف — محمد بن أبي بكر ،الشهير بابن قيم الجوزية — ٧٥١ هـ ، ت : محمد حامد الفقي ، نشر دار المعرفة ، بيروت .

(٢) المسيح : هو نبي الله عيسى بن مريم — عليه السلام — وقد فسر العلماء ذلك بأحد قولين : ١. قال ابو عبيدة والليث : أصله بالعبرانية (مشيحا) فعربته العرب ،وغيروا لفظه ،و(عيسى) أصله (يشوع) كما قالوا — في موسى — : أصله (موشى) أو (ميشا) بالعبرانية ، وعلى هذا القول لايكون له اشتقاق . والقول الثاني ، أنه مشتق ، وعليه الأكثرون ، وذكروا في ذلك ثمانية أوجه : إما أنه يمسح بيده ذوي العاهات فيبرأون ، أو أنه يمسح الأرض : أي يقطعها ، أو أنه يمسح

=

....

= رؤس اليتامى لله ـ تعالى ـ ، أو أنه مُسّح من الأوزار والآثام ، أو أنه ممسوح القدمين ، فلم يكن في قدمه خُمّص ، أو لأن كان ممسوحا بدهن طاهر مبارك ، يُمسح به الأنبياء ، ولايمسح به غيرهم ، أو لأنه مسحه جبريل ـ عليه السلام ـ بجناحه وقت ولادته ، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن . قلت : وهذا الوجه مقارب جدا للوجه السادس . أنظر التفسير الكبير ٨ : ٥٤ المجلد الرابع ، للإمام محمد بن عمر الفخر الرازي ـ ٦٠٤ هـ ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

(٣) في ط فقط زيادة : " وقد ذكرت طائفة : أن أفلاطون وغيره كانوا ينكرون تسميته جوهرا ، وأن أرسطو سماه جوهرا . ومما (هكذا) حكى النزاع بينهم أبو نصر الفارابي " .

(٣) هذا النص من رسالة بولص الأنطاكي ، وقد تقدم شيء منه . قال زميلي د. على بن حسن بن ناصر : قلت : حاولنا البحث جاهدين عن نص الرسالة ، فظفرنا ببعضها ، ولم نظفر بها كاملة ،وقد وجدناها ضمن مخطوطات مكتبة المتحف القبطي ، في كنيسة ماري جرجس ، بمصر القديمة ، برقم (٩٥) والرقم العام (١٢٥٤) ... والنص الموجود من رسالة النصراني ينتهي رد الشيخ عليه بانتهاء صفحة : ٢٠٢ من الجزء الثالث من الكتاب المطبوع ، ط (المدني) ". راجع الجواب الصحيح ... ، الجزء الأول ، المجلد الأول : ٤٦ ـ ٤٧ دراسة وتحقيق د . على بن حسن بن ناصر ، رسالة دكتوراه ،مقدمة لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض ،للعام الجامعي ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦ هـ .

وأما اللغة : فان لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء، ولهذا لايعرف في كلام العرب المحض، وإنما هو معرب كما ذكر ذلك الجوهري (١) وغيره، قال الجوهري : الجوهر معرب، الواحدة جوهرة (٢) فهو من العربية المعربة، لا من العربية العرباء، كلفظ سجيل (٣)، وإستبرق (٤) وأمثال ذلك من الألفاظ المعربة، وهذا اللفظ ليس موجودا في القرآن (٥). ومع هذا فلما عرب كان معناه في اللغة : هو الجوهر المعروف. وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهرا، فهو أمر اصطلاحي، ليس هو من الأسماء اللغوية ولا العرفية العامة، ولا الأسماء الشرعية (٦).

---

(١) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، صاحب الصحاح في اللغة، يكنى أبا نصر، كان من " فاراب " وهي من بلاد الترك وكان من أذكياء العالم، وأحد أئمة اللسان والأدب جيد الحفظ والخط، قيل : إنه مات مترديا عندما حاول الطيران بجناحين سنة ٣٩٣ هـ بنيسابور. انظر لسان الميزان ١ : ٤٠٠ - ٤٠١ وشذرات الذهب ٣ : ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري ت : أحمد عبد الغفور عطار، ٢ : ٦١٩ مادة جهر، باب الراء، فصل الجيم، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩ - ١٩٧٩م.

(٣) سجيل : قال الأزهري : والذي عندنا - والله أعلم - أنه إذا كان التفسير صحيحا فهو فارسي أُعْرِب، لأن الله - تعالى - قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط فقال : " لنرسل عليهم حجارة من طين " (سورة الذاريات : ٣٣) فقد بَيَّن للعرب ما عَنَى بسجيل. لسان العرب ١١ : ٣٢٧ مادة : سجل لمحمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري - ٧١١ هـ دار صادر، بيروت.

(٤) إستبرق : قال الزجاج : هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن، قال : وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية : إستقره، ونُقل من العجمية الى العربية...). اللسان ١٠ : ٥ مادة : إستبرق.

(٥) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الجيم : ١٨٣ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤ هـ.

(٦) في أ و ك (العربية) والصواب ما أثبتناه من ط.

وقد قيل : إنه مأخوذ من كلام الأوائل ، كاليونان (١) وغيرهم ، فإنه يوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهرا • وقد قيل : سموه بذلك لأن جوهر الشيء أصله ، والقائم بنفسه هو الأصل • وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهرا • وقيل : لأن لفظ الجوهر • فَوْعَل ، من الجهر : وهو الظهور والوضوح ، والقائم بنفسه يظهر ويعرف قبل أن يُعرَف ماقام به من الأعراض (٢) •

والناس متفقون على اثبات الأعيان القائمة بنفسها التي تسمى جواهر أو أجساما ، وتنازعوا في ثبوت الأعراض القائمة بها ، والنزاع عند محققيهم لفظي ، فان عاقلا لاينازع أن الجسم يتحرك بعد سكونه • لكن منهم من يقول: حركته ليست زائدة على ذاته • ومنهم من يقول : هى زائدة على ذاته • وهو نظير نزاعهم في الصفات : هل هي زائدة على الذات أو ليست زائدة ؟

---

(١) اليونان : قال المسعودي : وقد ذكر ذوو العناية بأخبار المتقدمين أن (يونان) أخو (قحطان) ، وأنه من ولد عابر بن شالخ ••• وأنه خرج في جماعة من ولده وأهله ومن انْضَاف إلى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب ، فأقام هناك ، وأَنْسل في تلك الديار ، واستعجم لسانه ، ووازى من كان هنالك في اللغة الأعجمية والروم ، فزالت نسبته ، وانقطع سببه ، وصار منسيا في ديار اليمن ، غير معروف عند النسابين منهم • واليونان طائفتان : الاغريقيون واللطينيون • مروج الذهب ومعادن الجوهر ١: ٢٨٥ وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء : ٤٤ – ٦٥ لحمزة بن الحسن الأصفهاني – ٣٦٠ هـ دار مكتبة الحياة ، بيروت•وتتمة المختصر في أخبار البشر ١ : ١١٨ لزين الدين عمر بن مظفر بن الوردي – ٧٤٩ هـ ، دارالمعرفة بيروت ١٣٨٩ هـ

(٢) راجع لباب العقول للمكلاتي ، فقد عقد فيه فصلا تحدث فيه عن الجوهر ومايدور حوله ، من : ٢٧ – ٣٥ •

والتحقيق أن مسمى الانسان إذا أُطلق دخل فيه صفاته ، وإذا ميز بين هذا وهذا قيل : الذات والصفات . ومن الناس من يخص بلفظ العَرَض مالم يكن من الصفات لازما(١) للموصوف ، والصفات اللازمة يسميها صفات ذاتية جوهرية . ومنهم(٢) من يخص بالعرض مالايبقى(٣) عنده زمانين ، ويقول : صفات المخلوق(٤) تسمى أعراضا ، لأنها لاتقبل زمانين بخلاف صفات الله ، فانها عنده باقية(٥) فلاتسمى أعراضا .

ومن نُظّار المسلمين(٧) من يسمى(٦) صفات كل موصوف أعراضا – واذا كان كذلك فلا يدخل في أسماء الله التي تذكر في أصول الايمان التي يجب اعتقادها من الأسماء ماهو اصطلاح طائفة من الناس ، مع أنه يوهم معنى باطلا . وهذا الوضع مما اضطرب فيه – مع النصارى – كثير من الناس . – منهم : من يجعل الصفات أعيانا قائمة بنفسها وجواهر قائمة بنفسها . ومنهم : من يجعل الأعيان القائمة بنفسها صفات ، والصفات لاتقوم بأنفسها ، بل لابد لها من موصوف تقوم به . والأولون نوعان : منهم : من نفى(٨) الصفات ، وقال :لوأثبتنا له حياة وعلما وقدرة لزم أن تكون هذه آلهة ، فان القِدَم أخص وَصْفِه ،

---

(١) في ك و ط زيادة (أو) .
(٢) في ك سَقْطٌ بمقدار ثلاثة أسطروقد كتب كلمة (ومنهم) في الهامش ولكنه لم يكمل . وقد انتهى السقط عند قوله (... كل موصوف أعراضا)
(٣) في ط (ينفي) وقال في الهامش (هكذا بالأصل) ثم ذكر الصحيح في الهامش .
(٤) في ط (المخلوقات) .
(٥) في ط (فانها ثابته) .
(٦) في ط زيادة (وغيرهم) .
(٦) هم أهل النظر ، والنظر : علم يبحث فيه عن الموجودات كلها من حيث تعينها وثبوتها وتحقق حقائقها ومايعرض لها ، ونسب مابينها : ما يعمها ومايخصها ، من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلائقها . وموضوعه : الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية . دائرة معارف وجدي ، ٦ : ٦١٩ – ٦٢٠ .
(٧) في ط (اذا) بدون واو .
(٨) في أ (يقر) والصحيح مافي ك و ط ولذلك اعتمدناه .

فلو أثبتنا قديما ليست هي الذات ، لزم أن يشارك الذات في أخص وصفها ، فتكون ذاتا أخرى قائمة بنفسها • وهذه طريقة كثير من نفاة الصفات من مبتدعة المسلمين (١) ، واليهود والنصارى (٢) احتجوا على نفي الصفات بأنا لو أثبتناها لزم أن تكون آلهة •

وقال من قال من المنتسبين الى الاسلام (٣) : انا لو أثبتنا الصفات لقلنا بقول النصارى ، حيث أثبتوا لله الأقانيم (٤) ، وحجة هؤلاء قائمة على النصارى ، وهم النوع الثالث ،فانهم أثبتوا لله صفات وجعلوها جوهرا قائما بنفسه ، وقالوا (٥) : ان الله موجود حي ناطق ،ثم قالوا : حياته جوهر قائم بنفسه ، ونطقه - وهو الكلمة - جوهر قائم بنفسه ،وقالوا في هذا : انه اله من اله، وهذا اله من اله ،فأثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قائمة بنفسها ، ثم قالوا : الجميع جوهر (٦) ،فكان في كلامهم أمور كثيرة (٧) من الباطل المتناقض •منهم من جعل الصفات جوهرا • ومنهم من جعل الجواهر المتعددة جوهرا واحدا •

---

(١) المبتدعة : جمع مبتدع ،والبدعة الحدث في الدين بعد الاكمال ،أو ما أستحدث بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأهواء والأعمال ،وكبار الفرق الاسلامية الخارجة عن السنة والجماعة سبع : الشيعة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة • أنظر ترتيب ١:٢٣٠، والمواقف : ٤١٤•

(٢) في أ (فانا) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه •

(٣) انظر المواقف : ٤١٤ •

(٣) من أمثال أبي على الجبائي وأبي الهذيل العلاف المعتزليان • انظر الفرق بين الفرق : ١٨٣ - ١٨٤ لعبد القاهر بن طاهر البغدادي - ٤٢٩ هـ ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، وانظر الملل والنحل ١ : ٥٠•

(٤) الأقانيم جمع أقنوم ، وهي كلمة سريانية معناها : شخص مستقل بذاته عن غيره • وهي نوعان : أقانيم التجسد ،وأقانيم المتعدد، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم ، وسموها الأب والابن وروح القدس ،والعلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم ،وتختلف طوائف النصارى في تفسيرها • أنظر أقانيم النصارى : ٩ د• أحمد حجازي السقا ط ١ ، نشر دار الأنصار ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م ، مصر ، والملل والنحل ١ : ٢٢٦ - ٢٢٨ • ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة : ١٢٠ - ١٢١ دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٢م •

(٥) في ك و ط (فقالوا) •

(٦) في ط زيادة (واحد) •

(٧) في أ (كثير) بدون تاء •

والذين قالوا من نفاة الصفات (١) المعتزلة والجهمية : إن من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى ،هو (٢) متوجه على من جعل الصفات جواهر . وهؤلاء هم النصارى يزعمون أن الصفات جواهر آلهة ، ثم قال هؤلاء : ولاإله إلا الله ، فلا صفة له . وقالت النصارى : بل الأب جوهر إله ، والأبن جوهر إله ، وروح القدس جوهر إله ، ثم قالوا : والجميع إله واحد . ونفس تصور هذه الأقوال ـ التصور التام ـ يوجب العلم بفسادها . وأما الرسل وأتباعهم ، فنطقوا أن لله علما وقدرة وغير ذلك من الصفات ، وثبتوا (٣) أن الاله إله (٤) واحد . فإذا قال القائل : عبدت الله ، ودعوت الله . فإنما دعا وعبد الها واحدا ، وهو ذات متصفة بصفات الكمال ، لم يعبد ذاتا لاحياة لها ولاعلم ولاقدرة ، ولاعبد ثلاثة آلهة ولا ثلاثة جواهر ، بل نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة بصفاته ـ سبحانه ـ وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ، ولازائدة على مسمى اسمه ، بل اذا قدر ذات مجردة عن الصفات ، فالصفات زائدة على هده الذات القدرة في الذهن المجردة عن الصفات ، ليست الصفات زائدة على الذات المتصفة بالصفات ، فان تلك لاتَحَقَّق (٥) إلا بصفاتها ، فتقديرها ـ مجردة عن صفاتها ـ تقدير ممتنع .

---

(١) في ك و ط زيادة (من) .

(٢) في ط (فهو) بالفاء في أوله .

(٣) في ك و ط (بينوا) .

(٤) لم ترد لفظة (إله) في ط .

(٥) في ك (لاوجود تحقق) وفي ط " لاوجود لها " .

وقد تنازع المثبتة : هل يقال الصفات عين (١) الذات ، أم يقال (٢) ليست عين (١) الذات ؟ أم يقال : لايقال هن (٣) غير الذات ، ولايقال ليست غير الذات ؟ (٤) وتنازعوا في مسمى الغيرين (٥) : هل هما ماجاز مفارقة أحدهما الآخر مطلقا ، أو ماجاز مفارقته بوجود أو زمان أو مكان ، أو هما ماجاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر ؟ وغاية (٦) ذلك منازعات لفظية .

وكثير (٧) منهم فرق في الصفات اللازمة بين بعضها وبعض . فجعل بعضها زائدا على الذات ، وبعضها ليس بزائد على الذات ، وكان الفرق بحسب مايتصوره ، لابحسب ما الأمر عليه في نفسه . فإذا أمكنهم تصور الذات بدون صفة ، قالوا : هذه زائدة ، وإلا قالوا : ليست زائدة ، وهذا يقتضي أنها زائدة على ماتصوروه هم من الذات ، لا أنه في الخارج ذات مجردة عن تلك الصفة وصفة زائدة عليها ، بل ليس إلا الذات المتصفة بتلك الصفات .

ولكن يجب الفرق بين أن يقال : إن الصفات غير الذات ، وبين أن يقال : إنها غير الله ، فإن اسم (الله) متناول لذاته المتصفة بصفاته . فإذا قال القائل : دعوت الله ، وعبدت الله ، فلم يدع ذاتا مجردة ، ولاصفات مجردة ، بل دعا الذات المتصفة بصفاتها ، فاسمه ـ تعالى ـ يتناول ذلك . فليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ، ولازائدة على ذلك . وإن قيل : إنها زائدة على الذات المجردة . ومن ظن أنها زائدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تدخل صفاتها في مسماها ، فقد غلط ، ولكن في الأذهان والألسنة زلق (٨) في هذا الموضع كثيرا .

---

(١) في ك و ط (غير) في الموضعين .
(٢) سقطت (يقال) من ك .
(٣) في ك و ط (هي) .
(٤) سقطت جملة (ولايقال ليست غير الذات) من ك .
(٥) في أ (العزيز) والأصوب مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٦) في ك و ط (وغير) .
(٧) في أ (كتبهم) والصحيح ماأثبتناه من ك و ط .
(٨) في ط (ولكن الأذهان والألسنة تزلق) .

فإذا قيل : الصفات مغايرة للذات ، لم يكن في هذا من المحذور مافي قولنا : إن صفات الله ، غير الله ، فإن اسم الله يتناول صفاته • فإذا قيل: إنها غيره ، فهم من ذلك أنها مباينة له ، وهذا باطل • ولهذا كان النفاة (١) إذا ناظروا أئمة المسلمين ، كما ناظروا الامام أحمد بن حنبل (٢) في محنته المشهورة (٣) فقالوا له : " ماتقول في القرآن وكلام الله ، أهو الله ، أم غير الله ؟ " عارضهم بالعلم ، وقال لهم : " ماتقولون في علم الله ،

---

(١) النفاة هم : المعطلة ، من النفي والتعطيل : وهو نفي الصفات الالهية عن الله – تعالى – وانكار قيامها بذاته ، كما تفعل الجهمية والمعتزلة وغيرهم • الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : ٥٣ و ٥٦ لعبدالعزيز بن محمدالسلمان، ط ٢، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

(٢) الامام أحمد بن حنبل : هو الامام حقا ، وشيخ الاسلام صدقا ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ، ولد سنة ١٦٤ هـ له كتاب المسند وفيه ٣٠٠٠٠ حديثا بالمكرر وكتاب الزهد ورسالة الصلاة ، وتوفى سنة ٢٤١ هـ وله ٧٧ سنة • سير أعلام النبلاء ١١: ١٧٧ – ٣٥٨ للامام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – ٧٤٨ هـ أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م ، ووفيات الأعيان ١ : ٦٣ – ٦٥ ، والرسالة المستطرفة : ١٤ – ١٦ لمحمد بن جعفر الكتاني – ٣٤٥ هـ ، ط ٢ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠ هـ •

(٣) وذلك عندما حاول الخليفة العباسي المأمون حمل الناس على القول بعقيدة خلق القرآن ، فتصدى الامام أحمد لانكار ذلك ، فاعتقل وأرسل هووزميله : محمد بن نوح إلى المأمون في الرقة ، فمات المأمون ، وتولى المعتصم فأبقاه في الحبس ، وأمر بضربه ، وكان يشرف بنفسه على ذلك ، ثم أطلقه ورجع إلى بيته بعد ثمانية وعشرين شهرا من الاعتقال والتعذيب ، ثم مات المعتصم ، وتولى الواثق ، فأمره بنفي نفسه ، فاختفى حتى مات الواثق ، ثم تولى المتوكل فانكشفت الغمة وظهرت السنة • انظر مناقب الامام أحمد بن حنبل : ٣٠٨ – ٣٧٩ للحافظ عبد الرحمن بن الجوزي – ٥٩٧هـ نشر مكتبة الخانجي ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ •

أهو الله ، أم غير الله ؟" • وأجاب ـ ايضا ـ بأن الرسل (١) لم تنطق بواحد (٢) من الأمرين ، فلا حجة لهم (٣) في كلام الله ورسوله ، فإن الله لم يقل لكلامه : هو أنا ، ولاقال : إنه غيري ! حتى يقول القائل • إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه ، فقد أخبر أنه خالق لكل ماسواه ! •

فإن كان الاحتجاج بالسمع • فلاحجة فيه ، وإن كان الاحتجاج بالعقل • فالمرجع في ذلك الى المعاني لاالى العبارات • فإن أرد المريد بقوله : هل كلامه وعلمه غيره ؟ أنه مباين له • فليس هو غيراً له (٤) بهذا الاعتبار •وإن أراد بذلك أن نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم • فهو غير له بهذا الاعتبار • وإذا كان اللفظ مجملا لم يجز اطلاقه على الوجه الذي يُفهم المعنى الفاسد • وأما الذين جعلوا الأعيان القائمة بأنفسها صفات ، فهم هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفاة ومن أشبههم ، فإنهم قالوا : إن رب العالمين عقل وعاقل ومعقول •

---

(١) راجعت مضان وجود هذا الأثر في كتاب مسائل الامام أحمد لأبي داود السجستاني ـ ٢٧٥ هـ ، نشر دار المعرفة ،بيروت ،ورسالة الرد على الجهمية والزنادقة للامام أحمد ، نشر رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء السعودية بالرياض ، وترجمة الامام أحمد في سير •• النبلاء ١١ : ١٧٧ ـ ٣٥٨ ، فلم أجد ذلك النص ! وإنما هو بلفظ آخر مختلف المعنى في رسالة الرد على الجهمية والزنادقة : ٣٢ ـ ٣٣ وانظر الحَيْدة : ٣١ ـ ٤٠ للامام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي ـ ٢٤٠ هـ ،نشر رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء السعودية • ومختصر الفتاوي المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية : ٥٨٢ ـ ٥٨٣ للشيخ محمد بن علي الحنبلي البعلي ـ ٧٧٧ هـ ط ١ ، دار نشر الكتب الاسلامية ،باكستان ،لاهور ١٣٩٧ هـ=١٩٧٧م

(٢) في ك و ط (المرسلين) •

(٣) في ك و ط (لكم) •

(٤) في المطبوعة (إله) وهوخطأ شنيع.

ولفظ (العقل) عندهم وإن كانوا يقولون : هو جوهر قائم بنفسه ، فقد صرحوا أيضا بأنه ـ نفسه ـ علمه (١) ، حتى صرحوا بأن رب العالمين علم ، كما صرح بذلك ابن رشد (٢) وغيره ، ونقلوه عن أرسطو ، وأن العقول العشرة (٣) كل منها علم ، فهو علم وعالم ومعلوم . بل قالوا : عقل وعاقل ومعقول ، وعاشق ومعشوق وعشق ، ولذيذ وملتذ ولذة ، فجعلوه ـ نفسه ـ لذة وعقلا وعشقا ، وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتذ ، وجعلوا نفس العلم نفس العشق ، ونفس اللذة . فجعلوه ـ نفسه ـ صفات ـ، وجعلوه ذاتا قائمة بنفسها ، وجعلوا كل صفة هي الأخرى ، وهذا مما يعلم ـ بصريح العقل ـ بطلانه .

ومنهم من لايصرح بأنه ـ نفسه ـ علم ، فإنه يقول : هو عاقل ومعقول وعقل . يقول : إنه يعلم نفسه بلا علم علمه (٤) ، بل هو العالم ، وهو المعلوم ، وهو العلم . وحقيقة كلامهم تعود (٥) إلى قول أولئك ، فإنهم إذا قالوا : إن العلم الذي يعلم به ذاته هو العالم ، وهو المعلوم . فقد جعلوا نفس العلم

---

(١) في ك و ط (علم) .

(٢) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رُشْد القرطبي المالكي قاضي الجماعة بقرطبة ومفتيها ، كان من أوعية العلم وله تصانيف مشهورة منها كتاب : المقدمات ، وكتاب : البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل ، وكتاب : اختصار مشكل الآثار للطحاوي ، كان مولده سنة ٤٥٠ هـ ومات سنة ٥٢٠ هـ . انظر سير .. النبلاء ١٩: ٥٠١ ـ ٥٠٢ ، وشذرات الذهب ٤ : ٦٢ ومعجم المؤلفين ٨ : ٢٢٨ لعمر رضا كحالة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) العقول العشرة : مصطلحات منطقية هي الجوهر والكم والاضافة والكيف والأين ومتى والوضع والملك والفعل والانفعال . انظر الملل والنحل ٢ : ١٦٩ـ ١٧١

(٤) لم ترد (علمه) في ك و لا ط .

(٥) في ط (يعود) .

نفس العالم، ونفس العلم نفس المعلوم ، وهي (١) حقيقة قول أولئك ،وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع (*) .

الوجه الثاني (٢) : أن يقال لهم : أنتم تقولون : إنكم متبعون للكتب الالهية ، وإذا كان كذلك لم ينبغ (٣) لكم (٤) في شريعة إيمانكم من الأسماء الا ماجاءت به الأنبياء - عليهم السلام - .

والأنبياء لم يسم الله (٥) أحد منهم جوهرا ، وإنما سماه بذلك أرسطو وأمثاله ، وهؤلاء كانوا مشركين(**) يعبدون الأصنام ، ولم يكونوا يعرفون الله المعرفة الصحيحة ، ولايقولون : إنه خالق السموات والأرض ، ولا إنه بكل شيء عليم ، ولا على كل شيء قدير ، وإنما كانوا يعبدون الكواكب العُلوية ، والأصنام السُفلية ، ويعبدون الشياطين ، ويؤمنون بالجبت والطاغوت (٦) ،

---

(١) في ط (وهذا هو) .

(*) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٢٧٦ - ٢٧٧ جمع وترتيب : عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم - ١٣٩٢ هـ وساعده ابنه محمد : عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض ، تصوير الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٨ هـ ،وانظر نقض المنطق :٣٢ للشيخ المؤلف ، ت : محمد حمزة وسليمان الصنيع ، مكتبة السنةالمحمدية ، القاهرة ١٣٧٠ هـ والملل والنحل ١ : ٤٩ - ٥٠ ومقالات الاسلاميين ،واختلاف المصلين : ٤٨٤ - ٤٨٥ ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري - ٣٢٤هـ نشر هلموت ريتر ، النشرات الاسلامية . ط ٣ .

(٢) في ك زيادة (يتلوه) .

(٣) في أ وك (ينبغي) والصواب حذف الياء كما في ط .

(٤) في ك و ط زيادة : (أن تدخلوا) .

(٥) هكذا في ط وفي أ و ك (يسميه أحد) .

(٦) الجبت : اسم الصنم ثم صار مستعملا لكل باطل . والطاغوت : كل ماعبد من دون الله : من حجر أو بشر أو شيطان .وقيل : هو اسم للشيطان . صفوة التفاسير ٥ : ٢٧٩ لمحمد علي الصابوني ، ط ٤ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .

(**) انظر تعريف الشرك ص ١٣٤هـ ٤ .

وانما صاروا مؤمنين ، لما دخل اليهم دين المسيح • صلوات الله عليه وسلامه بعد الاسكندر المقدوني (١) – صاحب أرسطو (٢) – بنحو ثلاثمائة سنة • ويقال : إنه آخر ملوكهم كان (بطليموس) (٣) • وكانوا يسمون الملك من ملوكهم (بطلميوس) ، كما يسمون القبط ملكها (فرعون) (٤) والحبشة ملكها (النجاشي) ، والفرس (كسرى) (٥) ونحو ذلك • وحينئذ فعدولكم عن طريقة الأنبياء والمرسلين ، الى طريقة الكفار (٦) والمشركين المعطلين (٧) من الضلال المبين •

---

(١) الأسكندر اسم يوناني معناه : حامي البشر ،وهو ذو القرنين الثاني ، اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن مطيون بن رومي ،ينتهي نسبه الى ابراهيم – عليه السلام – اليوناني المصري باني الأسكندرية ، وملك مكدونيا ،وفاتح امبراطورية الفرس • انظر البداية والنهاية ٢ : ١٠٥ لأبي الفداء اسماعيل بن كثير – ٧٧٤ هـ دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠١ – ١٠٢ نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، بدون أي معلومات نشر •

(٢) في أ سقطت السين من (سنة) فصارت (نه) •

(٣) سقطت جملة (ويقال انه ••• بطليموس) من ط وشطبت في ك •

(٣) بطليموس : هو خليفة الاسكندر ،كان حكيما عالما سائسا مدبرا ، وكان ملكه ٤٠ سنة ،وقد كان له حروب مع بني اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام ويقال أنه أول من لعب بالبزات والشواهين واقتناها ، وقد ملك بعده هيفلوس • مروج الذهب ١ : ٣٠١ – ٣٠٢ •

(٤) في ط (تسمي) •

(٥) الكامل في التاريخ ،لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري عز الدين – ٦٣٠ هـ ١ : ١٦٦ ط ٤ ، نشر دار الكتاب العربي • بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م • ومروج الذهب ومعادن الجوهر ١ : ٣٦٦• والبداية والنهاية ٣ :٧٨•

(٦) الكفار : هم الجاحدون والمنكرون ، وأصل الكفر في اللغة : الستر والتغطية ، ومنه سمى الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته ، قال الشاعر :

.... في ليلة كفر النجوم غمامها

والكفر على أربعة أضرب ١ – كفر إنكار : وهو أن لايعرف الله أصلا ، ككفر فرعون ٢ – كفر جحود : وهو أن يعرف الله بقلبه ولايقر بلسانه ككفر ابليس • ٣ – كفر عناد : وهو أن يعرف الله بقلبه ، ويقر بلسانه ، ولايدين به ، ككفر أمية بن أبي الصلت وابي طالب • ٤ – كفر نفاق : وهو أن يقر بلسانه ولايعتقد صحة ذلك بقلبه • تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل بذيل صحائف تفسير البيضاوي ١ : ٤٩ – ٥٠ دار الطباعة العامرة بمصر عام ١٣٢٤ هـ تصوير دار أحياء التراث العربي ، بيروت •

....

= (٧) التعطيل : من العطل وهو : الخلو والفراغ والترك ، والمراد به : نفي الصفات الالهية عن الله ـ تعالى ـ وانكار قيامها بذاته أو أنكار بعضها ، ومن المشركين المعطلين بقايا دين أهل نمروذ من الصابئة والفلاسفة . الكواشف الجلية : ٥٢ ـ ٥٣ .

وفي كتبهم : أن بولص (١) لمّا صار إلى (أيثينية) (٢) دار الفلاسفة ،وفيها دار الأصنام ، وجد مكتوبا على باب دار العلماء (٣) الإله الخفي الذي لايُعْرَف ، هو الذي خلق العالم" (٤) .

فكانوا لايعرفون رب العالمين ، فكيف يُعْدَل عن طريقة رسل الله وأنبيائه كموسى ، وداود والمسيح إلى طريقة هؤلاء الكفار المشركين المعطلين ؟! .

---

(١) بولص : هو من أصل يهودي . وله اسم آخر هو (شاول) وقد ولد في طرسوس ، ونشأ في أورشليم ، وقيل : إنه كان رومانيا ، ولكن المُرَجّح أنه كان يهوديا ، وقد تنصر ليفسد أهل النصرانية ، فكان يتجول في المدن والقرى لكي يقنع الناس بالعقيدة التي أحدثها استغلالا لجهلهم [illegible] . انظر الاصحاح التاسع فما بعده ، سفر أعمال الرسل ، العهد الجديد : ١٦٦ ـ ١٩٩ ، ومعاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير: ١٣ هامش ٦ ، لابراهيم بن سليمان الجبهان ، ط ٢ ، مطابع الرياض ، الرياض ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م . وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٩٥ ـ ١٩٩.

(٢) في ط (أثينة) .

(٢) وهي العاصمة اليونانية الحالية وهي في جزيرة " هلاوة " باليونان ، وهي شهيرة بآثارها القديمة ، كانت في السابق واحدة من اشهردول اليونان ، واليها ينسب ترقي اليونان المادي والأدبي القديم ، وقد سادت على كل (اليونان) ، ثم ضعفت ومات حكيمها (سقراط) وزال مجدها ، حتي سطت عليها (مقدونيا) وامتلكتها .. دائرة معارف وجدي ١٠ : ١٠٤٨ ـ ١٠٥٥ ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم : ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) في ك و ط زيادة : (والأصنام مكتوبا) .

(٤) انظر الاصحاح السابع عشر : ١٦ ـ ٣٤ سفر أعمال الرسل ، العهد الجديد ١٨١ .

ولكن النصارى ركبوا دينا من دينين من دين الأنبياء الموحدين ، ودين المشركين ، فصار في دينهم قسط مما جاءت به الأنبياء ، وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم ، كما أحدثوا ألفاظ الأقانيم ، وهي ألفاظ لاتوجد في (١) كلام الأنبياء ، وكما أحدثوا الأصنام المرقومة (٢) بدل الأصنام المجسدة ، والصلاة إلى الشمس والقمر والكواكب ، بدل الصلاة لها (٣) ، والصيام في وقت الربيع ، ليجمعوا بين الدين الشرعي والأمر الطبيعي وغير ذلك .

الوجه الثالث : - قولهم : إن الذي يشغل حيزا ويقبل عرضا هو الجوهر الكثيف ، فأما (٤) الجوهر اللطيف فما يقبل عرضا ولايشغل حيزا ، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء . فيقال : الكلام في الجواهر . هل هي منقسمة إلى متحيز وغير متحيز ، أو كلها متحيزة (٥) ؟! متصل بالكلام على نفس الانسان الناطقة (٦) .

---

(١) في ك و ط زيادة : شيء من) .

(٢) الأصنام المرقومة : من رقمت الثوب رقما ، من باب قتل : وَشَّيْتُه فهو مرقوم . أي الرسوم المصورة (وهو مايعرف الآن بالفنون التشكيلية) انظر المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير للرافعي : ٢٣٦ ، وسأشير اليه فيما بعد بكلمة : المصباح . تأليف العلامة : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي - ٧٧٠ هـ المكتبة العلمية ، بيروت .

(٣) في أوط(اليها) .

(٤) في ك (فمما) .

(٥) في ط (متحيز) .

(٦) هذه هي تسمية الفلاسفة لنفس الانسان ، والمراد عندهم بالنطق : العقل، لأن النطق أخص ثمرات العقل فينسب اليه ، وله قوتان : قوة عالمة وقوة عاملة . لباب العقول : ١٣٠ .

فنقول : إن المسلمين من أعظم الناس معرفة بوجود الملائكة (١)، والجن (٢)، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع الأمة (٣)، وكذلك سلف الأمة وأئمتها (٤) يعرفون وجود النفس التي هي روح الانسان التي تفارق بدنه حين الموت، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة، وإن كان كثير من أهل الكلام يزعم أنها عَرَض من أعراض البدن، أو جزء من أجزائه، فهذا قول محدث

---

(١) في ط زيادة (وجود) .

(١) الملائكة هم الملأ الأعلى ،وهم عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ماوراء الطبيعة أو غير المنظورة التي لايعلم حقيقتها الا الله - عز وجل -.العقائد الاسلامية : ١٠٩ لسيد سابق، ط ٣ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .

(٢) وهم نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ماعليه الانسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية ومخلوقون في الأصل من نار، قبل آدم - صلى الله عليه وسلم - ويقال : كان قبلهم في الأرض (الحِن - بالحاء - والبِن - بالباء) فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وسكنوها بعدهم ،وهم مستترون عن الحواس لايُرون على طبيعتهم، ولهم قدرة على التشكل . انظر البداية والنهاية ١ : ٥٥ . والعقائد الاسلامية : ١٢٩ .

(٣) الأمة : أتباع النبي - صلى الله عليه وسلم . المصباح : ٢٣

(٤) يراد بهم الرعيل الأول من علماء الإسلام الذين تمسكوا بالكتاب والسنة نصا وروحا، ودافعوا عنهما بالمنهج الذي مرده الكتاب والسنة تجاه التيارات الأخرى . مفهوم الشر ومصدره بين السلف والمعتزلة : ١٣ لحمدان ابن محمد الحمدان (محقق هذا القسم) رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة، جامعة الملك سعود ١٤٠٢ هـ .

في الأسلام لم يذهب اليه أحد من السلف (١) والأئمة ، وان كان محكيا عن أكثر المتكلمين ، فليس الذين قالوا هذا من سلف الأمة ولا أئمتها ، بل هم من أهل الكلام المحدث المذموم عند السلف . وأئمة الأمة وكثير من المتفلسفة الداخلين في أهل الملل يقولون : إن الذوات التي تسميها الأنبياء الملائكة ، هي التي تسميها المتفلسفة المشاؤون (٢) عقولا ، أو عقولا ونفوسا ، وهذا (٣) غلط عظيم ، كما قد بسط في موضعه (٤) .

---

(١) السلف ، هم : المهاجرون والأنصار ، والذين شهدوا بدرا وأحد - غير (قِزْمَان) وكل من شهد بيعة الرضوان بالحديبية ، والعشرة المشهود لهم بالجنة ، وجميع أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل أهل البيت - دون من مال منهم إلى الاعتزال أو الرفض ، ومن اعتدى وكذلك أعلام التابعين للصحابة باحسان . الفرق بين الفرق : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) الفلسفة : باليونانية وهي محبة الحكماء ومحب الحكمة ، والحكمة قولية وفعلية ، والمشاؤن هم من الفلاسفة المتأخرين وهم قسمان : مشاؤا أقاديما والمشاؤن المطلق . والأخيرون هم أهل لوقيون ، وكان أفلاطون يلقن الحكمة ماشيا تعظيما لها ، وتابعه على ذلك أرسطو طاليس ، فيسمى هو وأصحابه المشائين . الملل والنحل ٢ : ٥٨ و ١٠٢ .

(٣) سقطت : وهذا من أ . وقد زدناها من ك و ط .

(٤) راجع - ان شئت - كتاب نقض المنطق ٩٩ - ١٠٧ ، ومجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ١٠٤ - ١٠٥ و ٢٧١ - ٢٧٣ .

فإن العقول التي يثبتها هؤلاء المتفلسفة لاحقيقة لها عند الرسل وأتباعهم ، بل ولاحقيقة لها في المعقول (١) الصريح ، بل حقيقة كلامهم (٢) أنها أعراض قائمة بنفسها (٣) . وقد (٤) صرحوا بأن واجب الوجود - نفسه - هو عِلْم ، وجعلوا نفس العلم هو نفس العالم ، ونفس تصور هذا القول يكفي في العلم بفساده ، كما أن هؤلاء المتفلسفة - أتباع أرسطو - لايعرفون الملائكة ، بل ولا الجن ، وإنما علمهم - معرفة (٥) الأجسام الطبيعية ، وتكلموا في الالهيات بكلام قليل نزر (٦) . باطله أكثر من حقه ، كما قد بسط في موضع آخر (٧) .

وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول أبدع مادونه من العقول والأفلاك إلى أن ينتهي (٧) الأمر الى العقل العاشر ، فهو مبدع ماتحت فلك القمر . وهذا كله من أعظم الكفر عند الرسل وأتباعهم أهل الملل . فإن مضمون هذا ، أن ملكا من الملائكة خلق كل ماتحت السماء ، وملكا فوقه خلق كل ماسوى الله - سبحانه - وهذا من أعظم الكفر في دين المرسلين وأهل الملل ، المسلمين واليهود والنصارى (٨) - قال تعالى - : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا-سبحانه-بل عباد مكرمون ﴾ لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم

---

(١) في ط (عند العقل) .
(٢) سقطت جملة (بل حقيقة كلامهم) من ك و ط .
(٣) في ط (بأنفسها) .
(٤) سقطت الواو من أ و ك وقد زدناها من ط .
(٥) في ك (تعرفه) وفي ط " بمعرفة " .
(٦) في أ (قدر) .
(٦) نزر : من نزر الشيء نزارة ونزورا : بمعنى قليل . المصباح : ٦٠٠
(٧) في أ (كذا) والأصوبماأثبتناه من ك و ط .
(٨) في ط (النصاى) باسقاط الراء .

ولايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ (١) فأخبر أن الملائكة لاتسبقه بالقول ، ولاتعمل الا بأمره ، فضلا عن أن يكون ملك (٢) خلق كل شيء .

وهؤلاء يقولون : إن الوحي والكلام الذي جاءت به الرسل ، إنما هو فيض من هذا العقل الفعال على قلوب الأنبياء (٣) . والله - تعالى - عند هؤلاء - لم يكن يعرف موسى ولا عيسى ولا ابراهيم ولا محمدا ولاغيرهم من الرسل ، ولايعرف الجزئيات ، بل عند أرسطو وأتباعه : أنه لايعلم شيئا من الأشياء ، بل ولا خلق عندهم شيئا ، بل ولايقدر عندهم على خلق شيء ، فضلا عن أن يكون على كل شيء قدير ، وأن يكون (٤) أحاط بكل شيء علما .

وأرسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الأصنام بمقدونية (٥) وأثينية (٦) وغيرهما من مدائن فلاسفة اليونان ، وكان وزيرا للاسكند بن فيلبس المقدوني، وكان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو (٧) ثلاثمائة سنة ، ولم يكن

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦ - ٢٨ .

(٢) في ط زيادة (هو) .

(٣) انظر الملل والنحل ٢ : ٥٩ .

(٤) في ك و ط زيادة (قد) .

(٥) مقدونية : بر القسطنطينية . مراصد ٣ : ١٢٩٧ .

(٦) في ط (أثينة) .

(٧) في ك (نحو) .

(٧) في ط زيادة : (كان) .

وزيرا لذى القرنين (٣) الذى بنى سد يأجوج ومأجوج (٢) ، وعامة (١) علم القوم علم الطبيعيات والحسابيات ، وأما العلم الالهي ـ وهو الذي يسمونه علم مابعد الطبيعة ، وهو منتهى فلسفتهم ـ فإنما تكلموا (٤) فيه على (٥) أمور كلية ، قسموا الوجود إلى جوهر وتسعة أعراض يجمعها بيتان :

---

(١) ذو القرنين: هو عبد الله بن الضحاك بن معد ، وقيل : مصعب بن عبد الله ابن قنان ، وينتهى نسبه إلى قحطان ، وأمه رومية ، وكان قبل المسيح بنحو ٢٣٠٠ سنة ، وهو المذكور في سورة الكهف ، وهو ملك من الملوك العادلين ، وقيل : كان نبيا ، وقيل : كان رسولا ، وكان الخضر ـ عليه السلام ـ وزيره ، وقد أسلم على يد ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وسمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا ، وملك مابينهما من الأرض ، وهو ذو القرنين الأول تمييزا له عن ذي القرنين الثاني "اسكندر بن فيليبس" البداية والنهاية ٢ : ١٠٣ ـ ١٠٦ واغاثة اللهفان ٢ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ وانظر التعليق الجيد للشيخ محمد حامد الفقي على ماذكره ابن القيم بشأن ذي القرنين . الكامل ١ : ٩٠ .

(٢) قيل هما : ابنا يافث بن نوح ـ عليه السلام ـ وانهم أقارب للترك وهما قبيلتان من ذرية آدم ـ بلا شك ـ وعلى أشكال الآدميين وصفاتهم . وقيل . إنهم يسمون (تركا) ـ أيضا ـ لأنهم تركوا من وراء السد في هذه الجهة لأنهم كان فيهم بغي وفساد وجراءة . وأما السد فإنه منقطع أرض الترك من المشرق ، وقد بعث الخليفة العباسي الواثق ـ ٢٣٢ هـ بعض أمرائه ومعهم سلام الترجمان ـ الذي قيل : إنه يعرف أربعين لسانا ـ ووجه معه جيشا ـ سرية ـ لينظروا السد وينعتوه له إذا رجعوا ، فغابوا أكثر من سنتين ثم رجعوا وقد شاهدوا أهوالا وعجائب ووصفوا له السد وصفا دقيقا . انظر معجم البلدان ٣ : ١٩٧ لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ـ ٦٢٦ هـ دار صادر ، وبيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م ، والبداية والنهاية ٢ : ١٠٩ ـ ١١٠ ، ومراصد الاطلاع ٢ : ٦٩٩ .

(٣) في ك زيادة : (كان) .

(٤) في أ و ك (فإما يتكلموا) والصواب ماأثبته من ط .

(٥) سقطت (على) من ك .

زيد الطويل الأسود بن مالك   في داره بالأمس كان متكى
في يده سيف نضاه (١) فانتضى   فهذه عشر مقولات سوا

وهي : الجوهر ، والكم ، والكيف ،
والأين ، ومتى ، والإضافة ، والملك ،
والوضع ، وأن يفعل ، وأن ينفعل .

وقد نازعه أتباعه وغيرهم في هذا الحصر (٢) وقالوا : إنه لادليل عليه . ومنهم من جعلها ثلاثة . ومنهم من قال غير ذلك ، وأثبت العلة الأولى بناء على حركة الفلك ، وأنه يتحرك حركة شوقية (٣) ، فلابد له مما يتشبه به . فالعلة الأولى هي غاية (٤) لحاجة الفلك إليها من جهة أنه متحرك (٥) ليتشبه (٦) بها كحركة المؤتم بامامه ، والمقتدي بقدوته ، وقد يقولون : كتحريك المعشوق لعاشقه .

وكلام أرسطو في ذلك موجود ، وقد نَقَلْتُه بألفاظه وتكلمت عليه في غير هذا الموضع (٧) ، وقد ذكر ذلك في مقالة (٨) اللام (٩) وهي آخر فلسفته ، ومنتهى حكمته .

---

(١) نضاه : سله . مختار : ٦٦٥
(٢) في أ (الخصر) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٣) في أ و ك (سوقية) والأصوب ما أثبتناه من ط .
(٣) انظر الملل والنحل ٢ : ١٢٥ .
(٤) في ط (علة) .
(٥) في ك و ط (يتحرك) .
(٦) في أ : (النسبة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .
(٧) انظر درء تعارض العقل والنقل ٩ : ٢٩٦ - ٣٢١ للشيخ المؤلف ، ت : د.محمد رشاد سالم ، ط ١ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .
(٨) في ك (مقامة) .
(٩) هذه المقالة جزء من كتاب لارسطو معروف باسم (مابعد الطبيعة). انظر درء تعارض العقل والنقل ٩ : ٤٠٦ .

وفي كتاب أثولوجيا (١) " ولم يثبت أن الرب مبدع (٢) لفلك ، و (٣) علة فاعلة ، ولايسمى (٤) واجب الوجود " .

ولاقسم (٥) الموجودات إلى واجب قديم وممكن قديم . بل ذلك فعل المتأخرين، كابن سينا وأمثاله (٦) ، وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع .

والمتأخرون الذين سمعوا كلام أهل الملل أرادوا اصلاح كلامه وتقريبه إلى العقول ، لعله يوافق (٧) ماعلم بصريح المعقول وصحيح المنقول . فتكلم عليه ثابت بن قُرّة (٨) وبين أن الفلك (٩) لاقوام له الا بطبيعته (١٠) ولا قوام لطبيعته الا بحركته (١١) ، ولاقوام لحركته الارادية الا بمحرك لها .

---

(١) وهو أحد كتب أرسطو في الطبيعيات ، وقد فسره الكندي . والفارابي يذكر هذا الكتاب لأرسطو ، ويسميه كتاب الربوبية . الفهرست : ٣٥٢ وتاريخ الفلسفة في الاسلام : ٢٠٠ هامش ٢ ، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط ٥ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١م .

(٢) في أ و ك (مبدعا) بالنصب ، والصحيح ما أثبتناه من ط .

(٣) في ط زيادة (ولا) .

(٤) في ط (سماه) .

(٥) هكذا في جميع النسخ (ولاقسم) والأولى أن تكون العبارة : (ولم يقسم) .

(٦) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٢٧٧ - ٢٧٩ .

(٧) في ط (لعله توافق) .

(٨) هو أبو الحسن ، الحاسب الحكيم الحراني ، ولد سنة ٢٢١ هـ وكان صابيء النحلة ، اشتغل بعلوم الأوائل والطب ، وكان الغالب عليه الفلسفة ، وصله محمد بن موسى بالخليفة في بغداد ،فأدخله في جملة منجمين ، ومات سنة ٢٨٨ هـ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١ : ٣١٣ - ٣١٤ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - ٦٨١ هـ ت : د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، والبداية والنهاية ١١ : ٨٥ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٩٦ - ١٩٧ .

(٩) في ط زيادة (إذا كان) .

(١٠) في ط (بطبيعة) .

(١١) في أ (تحركه) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

وزعموا أن المحرك يجب أن لايكون متحركا ، وقرروا ذلك بأدلة فاسدة ، قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع (١) ، فقالوا : إنه إنما تحرك الفلك من جهة نسبة الفلك به ، وإن لم يكن هو القادر على تحريك الفلك ، بل ولاشعور منه بالفلك . وعبر عن ذلك ابن (٢) رشد الفيلسوف وأمثاله ، فقالوا: إنه يأمر الفلك بالحركة وقوام الفلك بطاعته لأمر الله . مع أنه عندهم لاارادة له ولا علم له بما يأمر به ، بل كونه آمرا ، هو معنى كون الفلك يتشبه به ، كما يأمر المعشوق عاشقه أن يحبه ، وإن كان المعشوق لاشعور له ولا ارادة في أن يحبه ذلك .

ثم (٣) لو قدر أنه هو الآمر ، فإنما يصدر بسبب أمره ، مجرد حركة الفلك ، ولهذا شبهوا ذلك بأمر السلطان لعسكره بأمر يطيعونه فيه ،فجعلوا الحركات معلولة (٤) بهذا الاعتبار ،لم يثبتوا أنه أبدع شيئا من الأفلاك والعناصر والمولدات ولا العقول ولا النفوس ، لاأبدع أعيانها ولاصفاتها ، ولا أفعالها ، بل غايته أن يكون آمرا لها بالحركة كأمر الملك لعسكره مع أنه عندهم ليس آمرا بالحقيقة بل ولا علم له بشيء من الموجودات . بل غاية مايزعم أرسطو وأتباعه ، أن للفلك حاجة اليه من جهة تشبهه به، وأما كونه هو علة موجبة للفلك . فإنما (٥) يقول هذا من يقوله من متأخريهم، كابن سينا .

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٩ : ٢٧٢ ومابعدها .

(٢) سقطت الف (ابن) في أ والصحيح اثباتها .

(٣) في أ (ما) والصحيح مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٤) سقطت (معلولة) من ك .

(٥) في ك و ط (وإنما) .

وأما الفارابي (١) ، فهو الذي وسع القول في هذا الباب ، وقسم (٢) الوجود (٣) إلى واجب وممكن ، وجعل الأفلاك ممكنة واجبة (٤) به ، وفي ذلك من الفساد والاضطراب ماقد بسط فيغيرهذا الموضع • وبنى ابن سينا الكلام في نفي صفاته ، على كونه واجب الوجود •

وأما الفارابي في كتاب " آرء (٥) المدينة الفاضلة (٦) " وغير ذلك ،فاعتمد على كونه أول ، وكذا (٧) أرسطو في كتاب " أثولوجيا " اعتمد على كونه هو

---

(١) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، التركي الحكيم المشهور صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم مثل : كتاب مراتب العلوم وكتاب تفسير قطعة من كتاب الأخلاق لأرسطو وتفسير كتب أخرى لأرسطو ، وهو أكبر فلاسفة المسلمين وقد أتقن اللغة العربية ، كان مولده سنة ٢٥٩ هـ ، ووفاته سنة ٣٩٩ هـ وفيات الأعيان ٥ [illegible] ١٥٧ الكامل في التاريخ ٣٣٧:٦ • والفهرست : ٣٦٨،والبداية والنهاية ١١ : ٢٢٤

(٢) هكذا في ط ، وفي أ و ك (قسموا) والأصوب مافي ط ولهذا اعتمدناه•

(٣) في ك و ط (الموجود) •

(٤) في ك و ط (واجبة ممكنة) •

(٥) في ط زيادة (أهل)

(٦) وجدت لهذا الكتاب طبعتين متقاربتين ، الأولى سنة ١٣٢٣ هـ بمطبعة النيل بمصر ، والثانية سنة ١٣٦٨ هـ ، مكتبة الحسين ، ومطبعة حجازي بالقاهرة ، وتقع كل منهما في ١٢٧ صفحة من القطع الصغير ، وقد قام د• عبد الواحد وافي بدراسة للفارابي ولرسالته هذه في كتيب أسماه : المدينة الفاضلة للفارابي ،نشر دار عالم الكتب بالقاهرة ١٣٩٣هـ =١٩٧٣م ، وذكر ص : ٢٠ أن الفارابي قصد من كتابه هذا إلى تكوين مجتمع فاضل : يوتوبيا " من نوع المجتمعات التي فكر فيها مِنْ قبله طائفة من فلاسفة اليونان ، كجمهورية أفلاطون وبنشاي وافهيمير ومدينة الشمس لجمبول ، وقد أراد – مثلهم – أن ينشيء مدينة وفقا للمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها فلسفته وآرواه في السعادة والاخلاص والكون وخالقه – سبحانه – وماوراء الطبيعة •

(٧) في ك سقطت ألف (كذا) ، وفي ط (كذلك) •

الأول ، وشبهه (١) بالأول فيالعدد ، وعلى ذلك بنوا نفي الصفات ، وإنما (٢) لو أثبتناها لخرج (٣) عن كونه أول ، مع أنهم لم يقيموا حجة على كونه أول بهذا المعنى الذي زعموه ،كما لم يقيموا حجة على كونه واجب الوجود بالمعنى الذي ادعوه ، بل تكلموا بألفاظ مجملة متشابهة ، تحتمل حقا وباطلا، فإنه معلوم أن الله واجب الوجود بذاته ، موجود بنفسه ، وأنه الأول (٤) الذي ليس قبله شيء ، وهو القديم الأزلي الذي لم يزل ولايزال (٥) . وهؤلاء جعلوا وجوب الوجود بمعنى أنه لايتعلق بغيره ، فلا يكون له صفة . وكونه أول ، بمعنى أول الأعداد الذي لاتعدد فيه . فمعلوم (٦) أن الواحد والأول المجرد عن كل شيء إنما يقدر في الأذهان لافي الأعيان .

---

(١) في ك (لشبهه) وفي ط (شبيهه) .

(٢) في ك و ط (أنا)

(٣) هكذا في ك و ط ، وأما في أ (فخرج) والأصوب مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٤) في أ (الأزل) وفي ك (الأزلي) وما أثبتناه من ط هو الأولى .

(٥) قول الشيخ المؤلف : (وهو القديم ...) هو تفسير لاسمه عز وجل (الأول) فلفظ (القديم) من الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع . وتلك لايجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنفي على معناها الا أن يبين أنه يوافق الشرع ، وهذا مثل لفظ (الجسم) و (الحيز) و(الجهة) و (الجوهر) و (العرض) . انظر درء تعارض العقل والنقل ١ : ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٦) في ط (ومعلوم) .

فالذهن يقدر واحدا (١) واثنين وثلاثة وأربعة ، إلى سائر الأعداد المجردة والعدد المجرد عن المعدود إنما يوجد في الأذهان لافي الأعيان . فأما الموجود في الخارج فإنما هي أعيان قائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها . والأول منها هو ذات متصفة بصفاتها ، لاتوجد (٢) في الأعيان ليس (٣) بذات قائمة بنفسها ، ولاصفة قائمة بغيرها ، بل لاتوجد (٤) ذات مجردة عن صفاتها وهذه الأمورمبسوطة في غير هذا الموضع (٥) . ولكن نبهنا هنا عليها ، لأن هؤلاء القوم (٦) قالوا : انا نعجب من هؤلاء القوم ، أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة ، ومن هذا صورته ، وقد قرأ شيئا من كتب الفلاسفة والمنطق ، فما حقهم ينكرون علينا هذا .

فكل (٧) كلام هؤلاء النصارى يتضمن تعظيم الفلاسفة ، وأهل المنطق، وأن من قرأ كتبهم ، عرّف بها من الحق في الالهيات (٨) مالايعرفه سائر أهل الملل . وهذا يدل على جهل هؤلاء النصارى بما جاءت به الرسل وبما يعرف بالعقل المحض .

---

(١) في أ و ك (واحد) بغير النصب والصحيح ما أثبتناه من ط .

(٢) في ط (يوجد) بالياء .

(٣) في ك (ليست) وفي ط (شيء ليس) .

(٤) في ك و ط (يوجد) بالياء .

(٥) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٥ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٦) هم النصارى : أهل قبرص الذين أرسلوا الرسالة بواسطة بولص الانطاكي . والمشار اليها سابقا .

(٧) في ك (فكلام) وفي ط (فكان كلام) .

(٨) في ك (الأذهان) .

أما الأول : فلان المسيح وأتباعه كالحواريين (١) ومن اتبعهم ليس فيهم من عَظّم هؤلاء الفلاسفة ، ولا استعان بهم ، ولاالتفت اليهم (٢) ، بل وهم عندهم من أئمة الكفر ، ورؤوس الضلال • وكذلك موسى وأتباعه ، وكذلك محمد وأتباعه • فليس (٣) في رسل الله وأنبيائه ولا في أتباعهم من يعظمهم ، ولايستعين بكلامهم ، بل الرسل وأتباعهم متفقون على تضليلهم وتجهيلهم •

وأما العقليات ، فإنما يعظم كلام هؤلاء ، الفلاسفة في العلوم الكلية والالهية (٤) من هو من أجهل الناس بالمعارف الالهية والعلوم الكلية ، إذ كان كلامهم في ذلك فيه من الجهل والضلال ، مالايحيط به إلا ذو الجلال • وإنما كان القوم يعرفون مايعرفونه من الطبيعيات والرياضيات ، كالهندسة وبعض الهيئة وشيئا من علوم الأخلاق والسياسات (٥) * المدنية والمنزلية ، التي هي جزء مماجاءت به الرسل • واليهود والنصارى - بعد النسخ والتبديل - أعلم من هؤلاء بالعلوم الالهية والأخلاق والسياسات (٦) * فضلا عما وراء ذلك •

---

(١) أصل هذه الكلمة من الخلوص والنقاء وشدة البياض ، وقد صار يِعُرْف الاستعمال دليلا على خواص الرجل وبطانته ، قال القفال :"ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الأثنى عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين (غسالي الثياب)"، والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى-عليه السلام - وأعوانه والمخلصين في محبته وطاعته وخدمته ، ويعرفون عند النصارى بـ " التلاميذ " وقد نفى ابن حزم ان يكون مثل (باطرة) و (لوقا) و (بولس) من الحواريين• أنظرالتفسيرالكبير أو مفاتيح الغيب م ٤ ، ٨ : ٦٩ - ٧٠ ، فخر الدين محمد بن عمرالرازي - ٦٠٤ هـ ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢٢٢ • والفصل في الملل والأهواء والنحل ٢ : ٨٩ - ٩١ لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري - ٤٥٦ هـ ت : د • محمد ابراهيم نصر و د • عبد الرحمن عميرة ، ط ١ شركة مكتبات عكاظ ، جدة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م •

(٢) سقطت (ولا التفت اليهم) من ك • (٣) في ك و ط (وليس) بالواو •

(٤) سقطت لام (الالهية) من أ ،وقد صححناها من ك و ط •

(٥) في ط (السياسة) •

(٦) مابين النجمتين سقط من ك ، وهو في أ بالهامش•

فأعتضاد هؤلاء النصارى هؤلاء (١) المتفلسفة ، يدل (٢) على عظيم جهلهم بالشرعيات والعقليات ، وهذا قد بسط الكلام عليه في مواضع متعددة ، إذ كان الرد على الفلاسفة لايختص به النصارى ، بل الكلام في ذلك معهم ومع من يعظمهم من أهل الملل عموما .

ومعلوم أن المنتسبين إلى الاسلام من أتباع الفلاسفة ، كالفارابي ، وابن سينا ، والسهروردي المقتول (٣) ، وابن رشد الحفيد (٤) امامهم (٥) ، أحذق بهم وأعلم من النصارى .

وكتب الفلاسفة التي صارت إلى الاسلام (٦) ، من الطب ، والحساب ، والمنطق وغير ذلك ، هذبها المنتسبون إلى الاسلام ، فجاء كلامهم فيها خيرا من كلام أولئك اليونان (٧) .

---

(١) في ط (بهؤلاء) .

(٢) سقطت (يدل) من ك .

(٣) هو أبو الفتح ، شهاب الدين ، يحيى بن حَبَش بن أَمِيرَك ، الحكيم ، كان من علماء عصره ، قرأ الحكمة وأصول الفقه ، وجمع الفنون الفلسفية ، وبرع في أصول الفقه ، وكان شافعي المذهب ، اتهم بانحلال العقيدة والتعطيل فقتل تجويعا باختياره في قلعة حلب سنة ٥٨٧ هـ لسان الميزان ٣: ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٦٨ - ٢٧٤ .

(٤) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، القرطبي المالكي ، أدرك من حياة جده شهرا سنة ٥٢٠ هـ ، وتفقه وبرع ، وسمع الحديث واتقن الطب ، واقبل على الكلام والفلسفة حتى صار مضرب المثل فيها ، توفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ . شذرات الذهب ٤ : ٣٢٠ ، والوافي بالوفيات ٢ : ١١٤ - ١١٥ . لخليل بن ايبك الصفدي - ٧٦٤ هـ . النشرات الاسلامية ، هيلموت ريتر ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م .

(٥) في ك و ط (أمثالهم) .   (٦) في ك و ط (المسلمين) .

(٧) أي فلاسفة اليونان كارسطو وغيره ، واليونان بلد أوربي يقع في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ، غرب تركيا وشمال البحر الأبيض المتوسط ، واليونانيون من الجنس السلافي . انظر دائرة معارف وجدي ١٠ : ١٠٤٦ - ١٠٤٧ .

والنصارى واليهود إنما يعتمدون في هذه العلوم على ماوصفه هؤلاء المنتسبون إلى الاسلام ، مع أن هؤلاء عند علماء المسلمين جهال ضلال في الالهيات والكليات (١) ، فكيف يكون سلفهم ومن يعظمهم من اليهود والنصارى ؟

ولما صار أولئك اليونان عارفين بالله ، موحدين له ، عابدين له مؤمنين بملائكته وكتبه ورسله ، لما دخل اليهم أتباع المسيح يدعونهم إلى دين الله الذي بعث به المسيح . وكل من كان من أتباع المسيح ، غير مبدل لشيء من دينه قبل النسخ (٢) ، فإنه من المؤمنين (٣) المهتدين ، وهم من أولياء الله وهم (٤) من أهل الجنة .

ومن ظن أن كلام الرسل يوافق هؤلاء اليونان ، فإن ذلك يدل على جهله بما جاءت به الرسل وبما (٥) يقول هؤلاء . وإنما يوجد مثل هذا في كلام الملاحدة من أهل الملل : ملاحدة اليهود والنصارى (٦) وغيرهم ، كأصحاب رسائل

---

(١) الكليات أو القضايا الكلية : هي حقائق المعقولات المجردة عن المادة والمكان والجهة ، وهي الأحكام المعينة التي من عمل العقل كادراك الصداقة والعداوة ، والمتكلمون يسمونها أحوالا أو وجوها ، ويسميها الفلاسفة الكليات المجردة ، انظر لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول: ١٣٠ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٤ : ٢١٣ .

(٢) أي نسخ دين محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لدين المسيح عليه السلام ــ بمثل قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران : ٨٥ .

(٣) في ط زيادة (المسلمين) .

(٤) في ط زيادة (المتقين) وسقطت بعدها " وهم " .

(٥) في ط (مما) .

(٦) في ط زيادة (والمسلمين) .

اخوان الصفا (١)، وأمثالهم من الملاحدة المنتسبين الى تشيع (٢)، أو الى تصوف (٣)، كابن عربي (٤) وابن سبعين (٥) وأمثالهما . وفي الكتب المضنون بها على غير أهلها (٦) ونحو ذلك من الكلام المنسوب الى أبي حامد (٧) قطعة من ذلك .

---

(١) اخوان الصفا : هم جماعة من الاسماعيلية الباطنية ، كتبوا رسائل عرفت بهذا الاسم ، وعددها أكثر من خمسين مقالة ، وذكر أبو حيان التوحيدي بعض اسماء كتبهم في كتابه (المقابسات) . انظر دراسات في الفلسفة الاسلامية : ٢٢٢ - ٢٤١ د. عبد اللطيف العبد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م ،وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤ : ٧٩ .

(٢) التشيع : هو ادعاء مشايعة الأمير علي - رضي الله عنه - ومتابعته وحبه . والشيعة أربع فرق كبيرة : ١ - الشيعة المخلصين وقت خلافته من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان . ٢ - الشيعة التفضيلية : وهم الذين يفضلونه على سائر الصحابة من غير اكفار واحد منهم ولاسب ولابغض كأبي الأسود الدؤلي وكعبد الرزاق صاحب المصنف . ٣ - السبئية ، ويقال لهم (التبرئية) وهم الذين يسبون الصحابة ، الا قليلا منهم . ٤ - الغلاة وهم القائلون بألوهية علي . مختصر التحفه الاثنى عشرية : ٣ - ٩ لشاه عبد العزيز الدهلوي - ١٢٣٩ هـ ترجمة الاسلمي واختصار الألوسي ، وتحقيق الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .

(٣) التصوف : هو علم الباطن ، وهو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر ، وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها ، وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية والتي ورد الشرع باجتنابها ، والاتصاف بالصفات التي طلب الشرع تحصيلها ، وكيفية السلوك والسير الى الله - تعالى - والفرار اليه . حياة القلوب وكيفية الوصول الى المحبوب ، لعماد الدين الأموي ١ : ٢٦٠ بهامش كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي ، المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣١٠ هـ .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد ، محي الدين ، أبو بكر ، الطائي الحاتمي الأندلسي صاحب التصانيف في التصوف وغيره ، ولد سنة ٥٦٠ هـ ، وتوفى ٦٣٨ هـ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٣ : ٦٥٩ - ٦٦٠ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ٧٤٨ هـ ت : محمد علي البجاوي، دار المعرفة بيروت ، وفوات الوفيات ٣ : ٤٣٥ - ٤٤٠ لمحمد بن شاكر الكتبي - ٧٦٤ هـ ت: احسان عباس ، دار صادر بيروت .

....

= (٥) هو عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسي الرقوطي ، العتكي ، قطب الدين ، أبو محمد ، صوفي حكيم درس العربية والآداب بالاندلس وانتحل التصوف وله مصنفات كثيرة ،مات بمكة سنة ٦٦٩ هـ لسان الميزان ٣ : ٣٩٢ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٥٣ .

(٦) هي مؤلفات تنسب الى الغزالي ، وليست له بل وضعت عليه مثل " السر المكتوم " أيضا . انظر شذرات الذهب ٤ : ١١ .

(٧) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الطوسي ،الشافعي ، زين الدين ، حجة الاسلام تتلمذ لامام الحرمين ، وتولى التدريس ببغداد ، وصنف التصانيف ، مع الذكاء المفرط والاستبحار في العلم ، ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ وفيات الأعيان ٤ :٢١٦ — ٢١٩ ، شذرات الذهب ٤ : ١٠ — ١٣ .

وهؤلاء (١) يحتجون بالحديث المأثور " أول ماخلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتي ماخلقت خلقا أكرم على منك ، فبك آخذ ، وبك أعطي ، وبك الثواب ، وعليك العقاب " (٢) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٢) حديث . أول ماخلق الله العقل ..." رواه أبو نعيم في الحلية ٧ : ٣١٨ عن عائشة بلفظ " حدثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أول ماخلق الله - سبحانه وتعالى - العقل فقال : أقبل فاقبل ، ثم قال : أدبر فأدبر ، ثم قال : ماخلقت شيئا أحسن منك ، بك آخذ ، وبك أعطي " . قال أبو نعيم : غريب من حديث سفيان ، ومنصور الزهري - أحد رواة الحديث - لاأعلم له راويا عن الحميدي الا سهلا ، وأراه واهما فيه " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أحمد بن عبد الله الاصبهاني - ٤٣٠ هـ ط ٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م وذكر السيوطي أنه أخرجه ابن عدي والدار قطني والعقيلي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو نعيم في الحلية وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد . فأما حديث ابن عدي فموضوع ، وأما الدار قطني ففي إسناده سيف بن محمد وهو كذاب بالاجماع ، وقال العقيلي بعد روايته " هذا حديث منكر ، عمر وسعيد الراوي عنه مجهولان جميعا " وقال في الميزان" والخبر باطل " وقال البيهقي بعد سياقه هذا إسناد غير قوي وهو مشهور من قول الحسن ، ثم ساق إسناده عن الحسن ، وهو عند عبد الله ابن أحمد بن حنبل مرسل من رواية الحسن . انظر اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ : ١٢٩ - ١٣٠ للامام عبد الرحمن السيوطي - ٩١١ هـ ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م . وقال العراقي : أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابي أمامه وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين . المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج مافي الاحياء من الأخبار ، بذيل احياء علوم الدين ١ : ٨٣ ، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي - ٨٠٦ هـ دارالمعرفة ، بيروت ، وقال ابن القيم :" أحاديث العقل كلها كذب " المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ٦٦ - ٦٧ لمحمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية - ٧٥١ ت : عبد الفتاح ابو غدة ، ط ١ ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م . قال الألباني : " ومما يحسن التنبيه عليه أن كل ماورد في فضل العقل من الأحاديث لايصح منها شيء وهي تدور بين الضعف والوضع ، وقد تتبعت ماأورده منها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه " العقل وفضله " فوجدتها كما ذكرت ، لايصح منها شيء ، فالعجب من مصححه الشيخ .. الكوثري كيف سكت عنها ، بل أشار في ترجمته للمؤلف .. إلى خلاف مايقتضيه التحقيق العلمي - عفا الله عنا وعنه - " سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ : ١٣ لمحمد ناصر الدين الألباني ، ط ٤ ، المكتب الاسلامي ، بيروت - دمشق ، ١٣٩٨ هـ .

وهذا الحديث كذب موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك أهل العلم بالحديث ، كأبي جعفر العقيلي (١) ، وأبي حاتم بن حبان البستي (٢) ، وأبي الحسن الدار قطني (٣) ، وأبي الفرج بن الجوزي (٤) وغيرهم .

ثم لفظه لو كان صحيحا حجة ، على نقيض مطلوبهم ، فإنه قال " أولَ ماخلق الله العقل " بنصب " أولَ " وفي لفظ " لما خلق الله العقل قال له " .

فلفظه يقتضي أنه خاطبه في أول ماخلقه ، فحرفوا لفظه وقالوا: أولُ ماخلق الله العقل بالضم ، وليس هذا لفظه ولكن لفظه يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، ولهذا قال :"ماخلقت خلقا أكرم علي منك"، وهذا يقتضي أنه خَلَق قَبله غيره .

وعندهم هو أول المبدعات ، يمتنع أن يتقدمه شيء ، مع أنه وسائر العقول والأفلاك ـ عندهم ـ قديمة أزلية ، لم تزل ولاتزال .

---

(١) هو محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي ، الحافظ ، عداده في أهل الحجاز ، توفى بمكة سنة ٣٢٢ هـ تذكرة الحفاظ ٣ : ٥٠ للأمام محمد ابن أحمد الذهبي ـ ٧٤٧ هـ دار احياء التراث العربي بيروت . طبقات الحفاظ ٣٨٤ للامام عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١ هـ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٢) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معين التميمي البستي، الشافعي ، كان من فقهاء المدن وحفاظ الآثار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم ، ومات بِبُسْت سنة ٣٥٤ هـ لسان الميزان ٥ : ١١٢ ـ ١١٥ . طبقات الحفاظ : ٣٧٥ .

(٣) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ، البغدادي الحافظ المشهور ، كان عالما حافظا فقيها ، على مذهب الامام الشافعي ، ولد سنة ٣٠٦ هـ ومات سنة ٣٨٥ هـ ببغداد . وفيات الأعيان ٣ : ٢٩٧ ـ ٢٩٩ ، وطبقات الحفاظ ٣٩٣ ـ ٣٩٥ .

(٤) هو الامام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين عبد الرحمن ابن علي بن عبد الرحمن بن علي بن علي القرشي البكري الصديقي البغدادي ، الحنبلي ،صاحب التصانيف في فنون العلم ، ولد سنة ٥١٠ هـ ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ . طبقات الحفاظ : ٤٨٠ ، والكامل ٩ : ٢٥٥ .

ثم قال : " فبك آخذ ، وبك أعطي ،وبك الثواب وعليك العقاب ".

فجعل به هذه الأنواع الأربعة .

وعندهم أن العقل صدر عنه جميع العالم العلوي والسفلي ، وذلك أن لفظ (العقل) في الحديث سواء كان صحيحا أو ضعيفا ، هو العقل في لغة الأنبياء والمرسلين ، هو عقل الانسان ، وهو عَرَض قائم به ، وهذه (١) صفة قائمة بالانسان ليس هو جوهرا قائما بنفسه .

والعقل في لغة هؤلاء الفلاسفة ، هو جوهر قائم بنفسه . وأما النفس الفلكية ، فلهم فيها قولان : قيل: إنها عرض قائم بالفَلَك وهو قول أكثرهم. وقيل : بل جوهر قائم بنفسه ، ولهذا يميل ابن سيناء . وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر (٢) .

والمقصود هنا ذكر هؤلاء النصارى (٣) أن ثَم (٤) جوهرا لطيفا ، غير الجوهر الكثيف ، ومثلوا (٥) ذلك بالنفس والعقل والضوء (٦) ، ثم (٧) لم يقيموا على ثبوت شيء من ذلك دليلا ، ولادليل (٨) مما دلت عليه الكتب الالهية ، فإن النفس الفلكية والعقول العشرة لم ينطق بها كتاب ولارسول ، بل ولادل عليها دليل عقلي ، وأدلة المتفلسفة عليها ضعيفة . وإنما دل العقل على ما أخبرت به الرسل من الملائكة .

---

(١) في ط (هذا) .

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٣٠٣ ومابعدها . ونقض المنطق : ٩٩ .

(٣) سقطت (النصارى) من ك و ط .

(٤) ثم : بفتح أوله - اسم اشارة إلى مكان غير مكانك . المصباح : ٨٤ .

(٥) في أ : (يمثلوا) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٦) في أ (الصور) والأصح مافي ك وط ولهذا أثبتناه .

(٧) في ك و ط زيادة (إن النصارى) .

(٨) في ط زيادة (ذلك) .

ولكن هؤلاء الذين حملوا كلام الرسل على مايوافق قول (١) المتفلسفة يجعلون اللوح المحفوظ ، هو النفس الفلكية ، كما يجعلون العقل والقلم هو العقل الأول والعرش هو الفلك التاسع ،وغير ذلك مما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر (٢) .

وإذا لم يقيموا حجة شرعية ولا عقلية على مامثلوا به من الجواهر اللطيفة لم يكن لهم حجة على من قال : إن الجوهر مايشغل حيزا ويقبل عرضا . ولما قرنوا النفس بالعقل ، كان ذلك ظاهرا في أنهم أرادوا النفس الفلكية

فأما إن أرادوا النفس الانسانية فهذه ثابتة ، (٣) أخبرت بها الرسل وأتباعهم ، كما قد بسط في موضعه . لكن هذه لاتقترن بالعقل الذي هو جوهر، والعقل صفة هذه ، وهو مصدر عقل يعقل عقلا . وقد يراد بالعقل غريزة قائمة بها ، ويراد بالعقل العمل ب[redacted] كما قد بسط في موضع آخر .

الوجه الرابع : قولهم : " وجوهر الضوء " . فيقال لهم : إن أردتم بالضوء نفس الشمس والنار فهذا جسم متحيز ، يشغل حيزا ، (٤) ويقبل عرضا ، ليس هو من الجواهر اللطيفة الذي (٥) مثلتم بها وإن أردتم بالضوء . الشعاع القائم بالهواء والجدران ونحو ذلك ، فليس هذا بجوهر ، لالطيف ولا كثيف ، بل هو عرض قائم بغيره .

---

(١) في ط زيادة (هؤلاء) .

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٦ : ٥٤٥ ومابعدها .

(٣) في ك و ط زيادة (قد) .

(٤) في ط (أو)

(٥) في ط (التي) .

الوجه الخامس : قولكم : " إن الجوهر اللطيف لايقبل عرضا " كلام ممنوع ، وهو باطل - ايضا - فان نفس الانسان تقبل الأعراض القائمة بها ، وكذلك النفس الفلكية - عند من أثبتها - تقوم (١) بها ارادات وتصورات متجددة . ولفظ " العرض " في اصطلاح النظار يراد به ماقام بغيره ، سواء كان صفة لازمة أو عارضة ، وهذا موجب تقسيم النصارى ، كما هو قول الفلاسفة .

فإنهم قالوا : " ليس في الوجود شيء الا وهو اما جوهر واما عَرَض ، لأنه أي أمر نظرناه وجدناه اما قائما بنفسه ، غير مفتقر في وجوده إلى غيره ، وهو الجوهر . وإما مفتقر في وجوده إلى غيره ، لاقوام له بنفسه وهو العَرَض . قالوا : ولايمكن أن يكون لهذين (٢) قسم ثالث " .

وهذا الذي قالوه هو تقسيم أرسطو وأتباعه ، وهو يسمي المبدأ الاول جوهرا وهذا تقسيم سائر النظار . لكن أكثرهم لايدخلون رب العالمين في مسمى الجوهر ، ومنهم من يدخله فيه ، وبعض النزاع في ذلك لفظي .

وإذا (٣) كان الأمر على ماقالوه ، فالضوء القائم بالأرض والهواء ، عَرَض ليس جوهرا قائما بنفسه ، وهم قد جعلوه جوهرا ، وهذا تناقض بيِّن .

- وأيضا - فالجواهر اللطيفة ، تقوم بها الأعراض كالحياة والعلم ، بل والرب - على قولهم - تقوم به الحياة والعلم .

فإذا سموه جوهرا ، لزمهم أن يسموا صفاته أعراضا ، إذا قالوا : لاموجود الا جوهر أو عرض (٤) .

---

(١) في ط (يقوم) .

(٢) في ط زيادة (القسمين) .

(٣) في ك (إذا) بدون واو .

(٤) من هنا حصل تقديم وتأخير في ط بمقدار صفحة تقريبا ويظهر واضحا أنه اختلاف في ترتيب صفحات المخطوطة التي طبعت عليها .

فهؤلاء يوجد تناقض قولهم (١) : " الموجود اما جوهر واما عرض ،فليس في الموجودات الا هذا أو هذا " بل موجب (٢) كلامهم أنها قائمة بذات الله ، فكيف بذات غيره ؟

وإذا (٣) قالوا : " ويُعنى (٤) بالأعراض ، الصفات العارضة أو القائمة بالأجسام ، كان هذا مناقضا لقولهم : " الموجود (٥) اما جوهر ، واما عرض ، مع قولهم (٦) : " إن الرب جوهر ثلاثة أقانيم ، والأقنوم ذات وصفة " ومع قولهم " إن الرب جوهر (٧) " فقولهم يقتضي أن الرب جوهر تقوم به الأعراض ، فكيف غيره ؟ .

ثم يقال : إذا قدر أنهم يدعون ثبوت جوهر لايقوم (٨) به الأعراض ، فهذا اصطلاح لهم، وافقوا فيه (٩) نفاة الصفات من الفلاسفة كأرسطو وذويه (١٠) ،فانهم يقولون : إن الرب جوهر لايتصف بشيء من الصفات الثبوتية ، لكن ليس هذا قول النصارى ، فتبين أنهم في قولهم : " إن الرب جوهر " وفي قولهم : " إن من الجواهر مالايقوم (١١) به الصفات " موافقون للمشركين الفلاسفة ، أرسطو وأتباعه ، لا موافقين للمسيح والحواريين ، وأنهم أثبتوا الصفات لله موافقة للمسيح والحواريين ، ثم جعلوه جوهرا ، ثم قالوا : " إن الجوهر اللطيف لاتقوم (١٢) به الصفات " وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين ، وهذا تحقيق ماذكرناه عنهم من أنهم رَكَّبوا دينا من دين المسيح والحواريين ومن دين الكفار المشركين .

---

(١) في ك و ط (وهذا تناقض قولهم) .
(٢) في ط (وموجب) .
(٣) في ك و ط (وإن) .
(٤) في ط (نعني) بنونين .
(٥) في أ (الوجود) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٦) في ك (أقولهم) و في ط (أقوالهم) .
(٧) هكذا في ك و ط وفي أ (جوهرا) بالنصب والصحيح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٨) في ط (تقوم) .
(٩) في أ (فيهم) والصحيح مافي ك و ط ولذلك اعتمدناه .
(١٠) في ط (وأتباعه) .
(١١) في ط (تقوم) .
(١٢) في ك (يقوم) .

فهؤلاء إن عنوا بالعرض هذا فكل* جوهر يقبل الصفات ، وإن أرادوا بالعرض ما تعنيه المتفلسفة بالصفات العرضية ، التي يفرقون بينها وبين الذاتية - مع أن هذا ليس مقتضى كلامهم - فقد ذكرنا في غير هذا الموضع (١) أن تقسيم هؤلاء الصفات اللازمة للموصوف إلى ذاتية وعرضية : تقسيم باطل ، وتقدير أن يكون حقا : فالنفس - أيضا - تقبل الصفات العرضية ، بل وكذلك كل جوهر سواء كان لطيفا أو كثيفا. فقولكم : " إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرضا ، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء ، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة " كلام باطل على كل تقدير .

وإن عنوا بلفظ العرض شيئا آخر ، لم ينفعهم ذلك ، فإن المتكلمين الذين قالوا : " الجوهر هو (٢) ما يشغل حيزا ويقبل عرضا " إنما أرادوا بالعرض ما يقوم بغيره من المعاني ، سواء كان لازما له أو عارضا له ، ومعلوم أن كل جوهر فإنه يقوم (٣) به المعاني (٤) . والخالق - تعالى (٥) - عندهم يقوم به الحياء (٦) والعلم ، فإذا كان الخالق - تعالى (٧) - يقوم (٨) به المعاني وهم يسمونه جوهرا ، فكيف لا تقوم المعاني بغيره (٩) .

---

(١) أنظر الجواب الصحيح ٣ : ٨٥ وما بعدها ، طبع المدني .

(١) أنظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) الجزء الأول ، المجلد الثاني : ٥٦١ وما بعدها ، تحقيق الزميل : علي بن حسن بن ناصر . والجواب الصحيح ، طبع المدني ٣ : ٨٥ وما بعدها ، وفي مواضع أخرى ، حيث اهتم الشيخ المؤلف ببيان وجه الحق في قضية الصفات من أوجه كثيرة ، يقع فيها للمسلمين وللنصارى وغيرهم خلط وضلال . وهو في كل ذلك يقرر عقيدة أهل السنة ، ناصعة مشرقة مفصلة ، مدعومة بالأدلة النقلية الصحيحة والبراهين العقلية الصريحة .

(٢) سقطت (هو) من ط .

(٣) في ط (تقوم) .

(٤) في أ سقطت الميم من (المعاني) والصواب اثباتها كما في ك و ط .

(٥) في ك و ط (تقوم) بالتاء .

(٦) في ك و ط (الحياة) .

(٧) لم ترد كلمة التقديس في ط .

(٨) في ط (تقوم) .

(٩) في ط تقدمت (بغيره) على (المعاني) .

* في أ و ك (وكل) وما في ط هو الصواب.

وهؤلاء يثبتون جوهرا لطيفا (١) لاتقوم به الأعراض ، مع قولهم : " إنه تقوم به المعاني " . وهذا اصطلاح لهم لايوافقهم عليه أحد . ثم يتناقضون فيقولون : " الموجود اما جوهر واما عرض " وهذا تناقض (٢) .

ونُظار المسلمين لهم في تسمية صفات الله القائمة به أعراضا نزاع (٣) : بعضهم يسميها أعراضا ، وبعضهم ينكر هذه التسمية ، مع اتفاق هاتين الطائفتين على قيام الصفات به . وجمهور نظار المسلمين لايسمونه جوهرا ، وبعضهم يسميه جوهرا . وأما من أنكر قيام الصفات به ، فذاك لايسمى الله (٤) جوهرا ولاجسما .

وهؤلاء النصارى متناقضون تناقضا بينا ، ولهذا كان لهم طريقة لايوافقهم عليها أحد من طوائف العقلاء وذلك يظهر :

بالوجه السادس : وهو أن الناس لهم في اثبات الصفات القائمة بذات الله تعالى قولان : فسلف المسلمين وأئمتهم ، وجمهور الخلق من أهل الملل وغير أهل الملل ، يثبتون قيام الصفات بالله - تبارك وتعالى -.وهل تسمى أعراضا (٥)؟ على قولين .

---

(١) سقطت " لطيفا " من ط .

(٢) في ط زيادة (بينهم) .

(٣) في ك و ط زيادة (بينهم)

(٤) في أ و ك (لايسميه جوهرا) .

(٥) في ك (يسمى) بالياء .

والقول الثاني : - قول من ينفي الصفات ، مثل الملاحدة الجهمية (١) ونحوهم ، من مبتدعة المسلمين ، ومن وافقهم من الفلاسفة ، وبعض اليهود والنصارى . فهؤلاء لاتقوم به المعاني والصفات عندهم ، فلا يقولون تقوم به الأعراض . ثم من هؤلاء ، من يسميه جوهرا كأرسطو (٢) وأتباعه ، ومنهم من لايسميه جوهرا كمتأخري الفلاسفة . ابن سينا وأمثاله ، مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم . سواء سموه جوهرا أو لم يسموه (٣) .

وأما الجمهور (٤) القائلون بقيام المعاني به ، فبعضهم يسميها أعراضا وإن لم يسمه جوهرا . وقد سماه بعضهم جوهرا ، وبعضهم ينفي أن يكون أعراضا ، وبعضهم يسكت عن النفي والاثبات ، فلايسميها أعراضا ، ولاينفي تسميتها بذلك ، أو يستفصل القائل عن كونها أعراضا .

---

(١) (الجهمية) : هم أتباع جهم بن صفوان ، الذي قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال وانكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ... وامتنع من وصف الله - تعالى - بأنه شيء أو حي او عالم أو مريد ... " الفرق بين الفرق :٢١١ لصدر الدين عبد القاهر بن طاهر ابن محمد البغدادي - ٤٢٩ هـ - دار المعرفة ، بيروت . وقد وصف الشيخ (الجهمية) بإنهم (ملاحدة) لأنهم الحدوا في أسمائه - تعالى - فأبو تسميته بأسمائه الحسنى ، وهذا ميل عن الحق والصواب . انظر الكشاف ٢ : ١٣٢ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - ٥٣٨ هـ - دار المعرفة ، بيروت .

(٢) في أ و ك (أرسطوا) بألف بعد الواو والصواب حذفها كما في ط .

(٣) سقطت جملة (سواء سموه جوهرا أولم يسموه) من ط .

(٤) " الجمهور من الناس : (جلهم) ومعظم كل شيء . ترتيب القاموس للطاهر أحمد الزاوي ، ١ : ٥٣٤ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

وأما هؤلاء النصارى فقالوا : " جوهر(١) ثلاثة أقانيم " ووصفوه بالصفات الثبوتية ، وهي الحياة والنطق ، وقالوا : " الموجود اما جوهر ، وإما عرض " فلزمهم أن تكون صفات الله أعراضا عندهم . ثم قالوا : "الجوهر اللطيف ، لايقوم(٢) به الأعراض " ونزهوا الرب أن تقوم به الأعراض ، مع قولهم : " إنه جوهر " تناقضوا(٣) تناقضا بَيّنا ، حيث جمعوا بين كلام الرسل وأتباعهم وبين كلام المشركين(٤) المعطلين(٥) الفلاسفة . فما تلقوه عن المسيح فهو حق ، وما ابتدعوه من قول من خالف الرسل ، فهو باطل . فجمعوا في قولهم بين الحق والباطل ، وسلكوا مسلكا لايُعْرف عن غيرهم وايضاح هذا أن يقال في :

---

(١) في ك و ط زيادة (هو) .

(٢) في ط (تقوم) .

(٣) في ط : (فتناقضوا) بفاء في أوله .

(٤) جمع : (مشرك) من الشرك : وهو : تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله - تعالى - وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر وهو الذي يخرج من ملة الاسلام ، وهو صرف أي نوع من العبادة لغير الله . ٢ - وشرك أصغر : وهو الذي لايخرج من ملة الاسلام ، ٣ - وشرك خفي : وهو الذي يكفّره التعوذ منه . وهو نوع من الشرك الأصغر لمن جعل الشرك نوعين . انظر حاشية كتاب التوحيد : ١٥ للشيخ عبد الرحمن بن محمد القاسم العاصمي النجدي - ١٣٩٢ هـ ط ١ ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ١٣٩٦هـ وعقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ١ : ٢٦٨ - ٢٧٥ للشيخ صالح بن ابراهيم البليهي ، ط ١ ، المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠١ هـ .

(٥) من " التعطيل " وهو مأخوذ من (العطل) وهو الخلو والفراغ والترك . والمراد بالمعطلين نفاة الصفات الالهية عن الله . ومنكري قيامها بذاته - عز وجل - أو منكري بعضها ، والتعطيل ثلاثة أنواع : ١- تعطيل الله - سبحانه - من كماله المقدس . ٢ - تعطيل معاملته . ٣ - تعطيل المصنوع من صانعه . انظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية :٥٢ - ٥٣ لعبد العزيز بن محمد السلمان ، ط ٢ ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .

الوجه السابع : أن هذا الذي ذكروه تناقض بَيِّن ، فإنهم قالوا : الموجود اما جوهر واما عرض ، القائم بذاته هو الجوهر ، والقائم بغيره هو العرض " .

ثم قالوا :"إنه موجود حي ناطق ، له حياة ونطق " . فيقال لهم : حياته ونطقه . إما جوهر واما عرض وليس جوهرا ، لأن الجوهر ماقام بنفسه ، والحياة والنطق لايقومان بأنفسهما ، بل بغيرهما ، فهما من الأعراض ،فتعيَّن أنه عندهم جوهر يقوم (١) به الأعراض ، مع قولهم : إنه جوهر لايقبل عرضا".

فإن قيل (٢) : أرادوا بقولهم : " لايقبل عرضا " ماكان حادثا . قيل : فهذا ينقض تقسيمهم (٣) الموجود إلى جوهر وعرض ، فإن المعنى القديم الذي يقوم به ليس جوهرا وليس حادثا . فإن كان عرضا ، فقد قام به العرض وقَبِلَه ، وإن لم يكن عرضا ، بطل التقسيم .

يبين هذا أنه يقال (٤) : أنتم قلتم : " إنه شيء حي ناطق " وقلتم : " هو ثلاثة أقانيم " وقلتم : " المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة " وقلتم في الأمانة (٥) : نؤمن باله واحد أب ضابط الكل ، وبرب واحد (٦) يسوع (٧) المسيح

---

(١) في ط (تقوم) .

(٢) في ك و ط (وان) .

(٣) في أ و ك (تقسمهم) وقد صوبناها من ط .

(٤) في ط (فتبين من هذا أنهم يقال لهم) .

(٥) (الأمانة) هي كتاب (قانون الأمانة) الذي قام رجال الكنيسة بوضعه من تلقاء أنفسهم ، دونما مستند من وحي أو كتاب منزل ، وقد أورد د. أحمد السقافي كتابه : أقانيم النصارى : ٥٩ - ٦٧ مايثبت أن هذا القانون من تأليف كبار القساوسة .

(٦) في أ (واحدا) بالنصب ، وفي ك (ايسوع) الحقت الالف بكلمة "يسوع " حيث جاءت في أول السطر . والصحيح مافي ط ولذلك اعتمدناه ".

(٧) يسوع "هو الاسم الشخصي لعيسى بن مريم - عليه السلام - عند النصارى ، أما المسيح فهو لقبه ، وهو الصيغة العبرية (يشوع) ومعنى الاسم (يهوه مخلص) وقد جاءت هذه التسمية لعيسى عليه السلام - في العهد الجديد . ولشخص آخر يدعى " يسطس " وكان عاملا مع بولس ورفيقا له في رومية . انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٦٥ - ١٠٦٦ .

ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، اله حق من اله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو ، للأب في الجوهر "(١).

ثم قلتم :" إن الرب جوهر"، وقلتم :" إن الذي يشغل حيزا أو يقبل عرضا هو الجوهر الكثيف . فأما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضا ولايشغل حيزا ، مثل جوهر النفس وجوهر العقل ، ومايجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة . فإذا كانت (٢) الجواهر اللطيفة المخلوقة لاتقبل عرضا ، ولاتشغل حيزا ، فيكون (٣) خالق الجواهر اللطائف والكثائف ، ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضا ويشغل حيزا كلا"(٤). فصرحتم بأنه جوهر لايقبل عرضا ، وقلتم : " ليس في الموجود شيء الا وهو اما جوهر واما عرض فإن كان قائما بنفسه غير محتاج في وجوده إلى غيره ، فهو الجوهر ، وان كان مفتقرا في وجوده إلى (٥) غيره ، لاقوام له بنفسه ، فهو العَرَض " .

فيقال لكم : الابن القديم الأزلي المولود (٦) من جوهر أبيه ، الذي هو مولود غير مخلوق ، الذي تجسد ونزل، (٧) جوهر قائم بنفسه أم هو عرض قائم بغيره ؟ والموجود عندكم : اما جوهر واما عرض .

---

(١) أنظر هذا النص في كتاب : ايماني.للقس الياس مقار ،وللكتاب اسم آخر هو قضايا المسيحية الكبرى : ٦٥ ، نشر دار الثقافة بالقاهرة.

و الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية : ٧٠ لأفلاطون مطران موسكو ، تعريب : الخوري يوحنا حزبون ، مطبعة كرم ، بيروت ١٩٥٧م .

(٢) في ط زيادة : (هذه) .

(٣) في ك (فكيف) .

(٤) في ط (الوجود) .

(٥) في ط (ال).

(٦) في ك و ط (الموجود) .

(٧) في ك و ط زيادة (هو) .

فإن قلتم : هو جوهر . فقد صرحتم باثبات جوهرين : الأب جوهر ، والابن جوهر ، ويكون حينئذ أقنوم الحياة جوهرا ثالثا ، فهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر قائمة بنفسها (١) . وحينئذ فيبطل قولهم : إنه اله واحد وإنه أحدي الذات ، ثلاثي الصفات وإنه واحد بالجوهر ، ثلاثة بالأقنوم " إذ كنتم قد صرحتم – على هذا التقدير – باثبات ثلاثة جواهر .

وإن قلتم : بل الابن (٢) القديم الأزلي ، الذي هو الكلمة ، التي هي العلم والحكمة ، عرض قائم بجوهر الأب ، ليس هو جوهرا ثانيا ، فقد صرحتم بأن الرب جوهر تقوم به الأعراض ، وقد أنكرتم هذا في كلامكم ، وقلتم : " هو جوهر لاتقوم به الأعراض" وقلتم : " إن من المخلوقات جواهر (٣) لاتقوم بها الأعراض ، فالخالق أولى " وهذا تناقض بيّن ، لاحيلة فيه لمن تدبر كلامهم ، أوله وآخره .

فإن كلامهم هذا يوجب أنه جوهر واحد ، لايقوم به شيء من الأعراض . وهم يقولون : " جوهر واحد ، ثلاثة أقانيم " وسواء (٤) سموها صفات أو خواص أو أعراضا (٥) ، أو قالوا : الأقنوم هو الذات والصفة . فيقال لهم : الرب مع الأقانيم (٦) ، ثلاثة جواهر ، أو جوهر واحد له ثلاث صفات ، أو جوهر لاصفة له ؟ فان قالوا : ثلاثة جواهر ، أثبتوا ثلاثة ، وبطل قولهم : " إن الرب جوهر واحد ، واله واحد " وصرحوا (٧) باثبات : ثلاثة آلهة .

---

(١) في ك و ط (بأنفسها) .

(٢) في أ و ك (الأب) والأصح مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٣) في أ (في المخلوقات وقلتم هو جوهر) وفي ك (في المخلوقات جوهر لايقوم) والأصح مافي ط ولذلك أثبتناه .

(٤) محل هذه الكلمة بياض في أ بمقدار كلمة وقد أثبتناها من ك و ط .

(٥) في أ و ك (أعراض) والأصح مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٦) في ط زيادة : (واحد) .

(٧) في أ (وخرجوا) وقد أثبتنا مافي ك و ط .

وإن قالوا : بل جوهر واحد له ثلاث صفات ،فقد صرحوا أن هذا الجوهر تقوم به الصفات ، وإذا قامت به الصفات - وقد سموه جوهرا - وقالوا:" كل موجود اما جوهر ، واما عرض" لزمهم قطعا أن تكون صفاته أعراضا فبطل قولهم : " إنه جوهر لايقوم (١) به الأعراض" وإن قالوا : جوهر واحد ، لاتقوم به الصفات (٢) بطل قولهم : " له حياة ونطق " وإذا نفوا الصفات ، أبطلوا التثليث والاتحاد ، وبطلت الأمانة مع مخالفتهم لكتب الأنبياء ، فإنها مصرحة باثبات الصفات ، ومع مخالفتهم لصريح (٣) العقل .

والمقصود أنهم يتناقضون تناقضا بينا ، لأنهم أثبتوا جوهرا لاتقوم به الأعراض ، مع قولهم : " الموجود اما جوهر واما عرض" ومع قولهم : " إنه جوهر ثلاثة أقانيم " فإذا لم تقم به الأعراض ، لم يكن له صفات ، فإن الصفة قائمة بغيرها ، ليست جوهرا ، بل هي - إذا كان الموجود اما جوهر واما عرض - من قسم الأعراض ، لامن قسم الجواهر ، فكان هذا الكلام نافيا لقيام الصفات به مطلقا .

ثم قالوا بالأقانيم التي توجب اما اثبات صفات ، واما اثبات جواهر ثلاثة قائمة بنفسها ، مع أنها إذا قامت بنفسها لزم اتصافها بالصفات . ولاريب أن القوم يجمعون في قولهم ، بين النقيضين ، بين إثبات الصفات ونفيها ، وبين إثبات ثلاثة جواهر ، ثلاثة آلهة ، وبين قولهم . الإله الواحد (٤).

---

(١) في ك و ط (تقوم) .

(٢) في ط زيادة (بحال)

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (بصريح) بالباء في أوله واللام أولى .

(٤) في ك و ط (واحد) .

وسبب ذلك : أنهم رَكَّبُوا لهم اعتقادا ، بعْضَه من نصوص الأنبياء المحكمة ، كقولهم :" اله (١) واحد " وبعضه من متشابه كلامهم ، كلفظ (الابن) و (روح القدس) ، وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين ، كقولهم : " جوهر لاتقوم به الصفات " (٢) .

ومما يوضح ذلك أنك تجد عامة علماء النصارى - فضلا عن عامتهم - لايعرفون مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره ، مع أتفاقهم على أن المسيح لم ينسخها كلها ، ولم يقرها كلها ، بل أخبرهم أنه انما جاء ليتمها لا ليبطلها (٣) ، وقد أحل بعض ماحرم فيها ، كالعمل في السبت .

ومعلوم أن المقصود بالرسل تصديقهم فيما أخبروا ، وطاعتهم فيما أمروا فإذا كان عامة النصارى لايميزون ما أمرهم به مما لم يأمرهم به ، ولا مانهاهم عنه مما لم ينههم عنه - مع اعترافهم بأنه أقر كثيرا من شريعة التوراة ، بل أكثرها ، وأحل بعضها فنسخه ورفعه ، وهم لايعرفون هذا من هذا ، لم يكونوا عارفين بما جاء به المسيح ، ولايعرفون ما أمرهم الله على لسان موسى وسائر الأنبياء - فإنهم لايجوز لهم العمل بكل مافي التوراة ، بل قد نسخ المسيح بعض ذلك باتفاقهم ، واتفاق المسلمين على ذلك .

---

(١) في ط (الاله) .

(٢) سبق وأن ناقش الشيخ المؤلف في كتابه هذا تلك المسألة ، في أكثر من موضع بحسب مايتطلبه الأمر في حينه ، وبقدر مايخدم الموضوع الذي يكون بصدده ، انظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ١ : ٢٤١ ومابعدها وانظر الفصل الذي عقده بعنوان : " فصل في بطلان التثليث " ٢ : ٩٠ ومابعدها ، فقد توسع فيه وفصل كثيرا ، ثم اتبعه بفصول أخرى من أجل الغرض نفسه . وانظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) الجزء الأول ، المجلد الثاني : ٥٥٣ - ٥٥٤ .

(٣) في ط (ليطلبها) .

ولايجوز لهم تعطيل جميع شريعة التوراة ، بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح . وعامتهم لايعرفون مانسخه مما لم ينسخه ، فلا يمكنهم العمل بالتوراة والانتفاع بها في الشرع ، حتى يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ .

وعامتهم لايعرفون ذلك ، فلم يكونوا حينئذ على شريعة منزلة من الله ، لامن جهة المسيح ، ولا من جهة موسى ، فلم يعلموها (١) ، بل كان ذلك مجهولا عند عامتهم وجمهورهم أو جميعهم ، فكانوا محتاجين إلى أن يعرفوا ماشرعه الله مما لم يشرعه . فأرسل الله محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشرع أمرفيه بمحاسن مافي الكتابين ، وعوض (٢) عما نسخه بما هو خير منه .

---

(١) في أ و ك (يعلمونها) وهو خطأ نحوي .

(٢) في أ (عرض) ومافي ك و ط أولى .

فصـــل

(نقض دعواهم : الاستغناء باليهودية والنصرانية من ١٢ وجها)

ثم قالوا (١) : " إنا نعجب من هؤلاء القوم (٢) ، الذين مع أدبهم ومايأخذون به أنفسهم من الفضل ، كيف لم يعلموا أن الشرائع شريعتان : شريعة عدل ، وشريعة فضل ، لأنه لما كان الباري عدلا وجوادا ، وجب أن يظهر عدله على خلقه . فأرسل موسى إلى بنى اسرائيل ، فوضع شريعة العدل ، وأمرهم بفعلها إلى أن استقرت في نفوسهم . ولما كان الكمال الذي هو الفضل ، لايمكن أن يضعه إلا أكمل الكمَّال ، وجب أن يكون هو ـ تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه ـ الذي يضعه ، لأنه ليس شيء أكمل منه ، ولأنه جواد (٣) ، وجب أن يجود بأجلّ الموجودات . وليس في الموجودات أكمل من كلمته ، ولذلك وجب أن يجود بكلمته ، فلهذا وجب أن يتحد بذات محسوسة ، يظهر منها قدرته وجوده . ولما لم يكن في المخلوقات أجل من الانسان ، اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة ، من مريم البتول المصطفاة على نساء العالمين. وبعد هذا الكمال ماتبقى (٤) شيء يوضع ، لأن جميع مايتقدمه (٥) ومايأتي مقتضيه (٦) ، ومايأتي بعد الكمال غير محتاج اليه ،

---

(١) القائلون هم النصارى .

(٢) هم المسلمون .

(٣) في أ (جعلا) وقدصوبناه من ك و ط . مع أن الناسخ قدكتب فوقها لعله (جواد) في أ .

(٤) في ط (بقي) .

(٥) في ط (تقدمه) .

(٦) في ك و ط (منقصة) .

لأن (١) ليس شيء يأتي بعد الكمال فيكون فاضلا (٢)، بل دون (٣)، أو آخذ منه . فهو فضل لايحتاج اليه ، وفي هذا القول نفع (٤) . والسلام على من اتبع الهدى .

وهذا مما عرفته من أن القوم الذين رأيتهم وخاطبتهم في محمد — عليه (٥) السلام — ومايحتجون به عن أنفسهم ، فإن يكن ماذكروه صحيحا ، فلله الحمد ، وان كان (٦) خلاف ذلك ، فمولانا يكتب ذلك ، فقد (٧) جعلوني (٨) سفيرا ، والحمد لله رب العاملين (٩) " .

والجواب على (١٠) هذا من وجوه :

أحدها : أن يقال : بل الشرائع ثلاثة ، شريعة عدل فقط ، وشريعة فضل فقط ، وشريعة تجمع العدل والفضل ، فتوجب العدل ، وتندب إلى الفضل ، وهذه أكمل الشرائع الثلاث ، وهي شريعة القرآن ، الذي جمع (١١) فيه بين العدل والفضل ، مع أنا (١٢) لاننكر أن يكون موسى — عليه السلام — أوجب العدل وندب إلى الفضل ، وكذلك المسيح — أيضا — أوجب العدل وندب إلى الفضل .

---

(١) في ك و ط (لأنه) .

(٢) في أ و ك (فاضل) والصواب مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٣) في ط (دونا) بالنصب .

(٤) في ط (مقنع) .

(٥) في ط (الصلاة السلام) .

(٦) في ط (يكن) .

(٧) في ك و ط (بعد أن) .

(٨) المتحدث هو : بولس الأنطاكي .

(٩) من قوله : وهذا مما عرفته .. إلى هذا الموضع ، هو من كلام رجل يظهر لي أنه مسلم ، وأنه كان يقوم بنقل مايكتبه النصارى للشيخ المؤلف ليرد عليه.

(١٠) في ك و ط (عن) . (١١) في ك و ط (يجمع) .

(١٢) في ط (أننا) .

وأما من يقول : إن المسيح أوجب الفضل وحرم على كل مظلوم أن يقتص من ظالمه ، أو أن موسى لم يندب إلى الاحسان ، فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين . لكن قد يقال : إن ذكر العدل في التوراة أكثر ، وذكر الفضل في الانجيل أكثر ، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال .

والقرآن بَيَّن أن السعداء أهل الجنة ، وهم (١) أولياء الله نوعان ، أبرار مقتصدون ، ومقربون سابقون . فالدرجة الأولى : تحصل بالعدل ، وهي أداء الواجبات وترك المحرمات . والثانية : لاتحصل الا بالفضل ، وهو أداء الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات والمكروهات .

فالشريعة الكاملة ، تجمع العدل والفضل كقوله ـ تعالى ـ :﴿...وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ...﴾ (٢) فهذا عدل واجب ، من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة . ثم قال : ﴿ ... وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (٢) . فهذا فضل مستحب مندوب اليه ، من فعله أثابه الله ورفع درجته ، ومن تركه لم يعاقبه . وقال ـ تعالى ـ ﴿ ... ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ﴾ (٣) فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... الا أن يصدقوا ... ﴾ (٣) فهذا فضل . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ... والجروح قصاص ... ﴾ (٤) فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... فمن تصدق به فهو كفارة له ... ﴾ فهذا فضل .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم ...﴾ فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ...﴾ (٥) فهذا فضل .

---

(١) في ط (فهم) .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٠ .

(٣) سورة النساء : ٩٢ .

(٤) سورة المائدة : ٤٥ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣٧ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ...﴾ فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (١) فهذا فضل .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ...﴾ فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... فمن عفا وأصلح فأجره على الله ... ﴾ (٢) فهذا فضل .

وهو ـ سبحانه ـ دائما يحرم الظلم ، ويوجب العدل ، ويندب إلى الفضل ، كما في آخر سورة البقرة ، لما ذكر حكم الأموال . والناس فيها ، اما محسن، واما عادل ، واما ظالم . فالمحسن ، المتصدق ، والعادل ، المعاوض كالبايع ، والظالم كالمرابي (٣) .

فبدأ بالاحسان والصدقة ، فذكر ذلك ورغب فيه فقال : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون * قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴾ الآيات (٤) ...

ثم ذكر تحريم الربا فقال : ﴿ الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فأنتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٥) .

---

(١) سورة النحل : ١٢٦ .

(٢) سورة الشورى : ٤٠ .

(٣) في ك (المربي) .

(٤) سورة البقرة : ٢٦١ ـ ٢٦٣ .

(٥) سورة البقرة : ٢٧٥ .

ثم لما أحل البيع ذكر المداينات ، [١] وحكم البيع الحالّ والمؤجل ، وحِفْظَ ذلك بالكتاب والشهود أو الرهن ، وختم السورة بأصول الإيمان ، من الإيمان بالكتب والرسل ، وهو ـ سبحانه [٢] ـ بعد أن افتتحها ، بذكر [٣] أصناف الناس وهم ثلاثة : اما مؤمن واما كافر واما منافق . فذكر نعت المؤمنين ، ثم ذكر نعت الكافرين ، ثم ذكر نعت المنافقين . ثم مهد أصول الايمان ،فأمر بعبادة الله ـ تعالى ـ وذكر آياته وآلائه [٤] . ثم قرر نبوة رسله [٥] ، ثم ذكر اليوم الآخر والوعد والوعيد ، ثم ذكر بدء العالم وخلق السموات والأرض ، ثم خلق آدم واسجاد الملائكة له ، وخروجه من الجنة ، وهبوطه إلى الأرض .

ثم بعد أن عم بالدعوة جميع الخلق ، خص أهل الكتاب فخاطبهم : خاطب اليهود أولا بني اسرائيل ، ثم النصارى ، ثم خاطب المؤمنين ، فقرر لهم قواعد دينه ، فذكر أصل ملة ابراهيم ، وبناء البيت ، ودعاءه لأهل مكة ، ووكد الأمر بملة ابراهيم . ثم ذكر مايتعلق بالبيت ، من اتخاذه قبلة ، ومن تعظيم شعائر الله التي عنده ، كالصفا والمروة ، ثم ذكرالتوحيد والحلال والحرام والمطاعم [٦] للناس عموما ، ثم للذين آمنوا [٧] خصوصا .

ثم ذكر مايتعلق بالقتل من القصاص وبالموت ، من الوصية . ثم ذكر شرائع الدين ، فذكر صيام شهر رمضان ،ومايكون فيه من الأعتكاف . ثم ذكر مايتصل بشهر الصيام ، وهو أشهر الحج ، فذكر الحج ، وذكر حكم القتال عموما وخصوصا ، في البلد الحرام . ولما ذكر الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة ،

---

(١) في ك وط زيادة (ذكر).

(٢) لم ترد جملة (هو سبحانه) في ط . وهي في ك مشطوبة .

(٣) في ط زيادة (بذلك) وفيها وفي ك (وذكر) .

(٤) "آلاء الله " هي نعمه على الانسان مطلقا بدون تقييد . انظر البحر المحيط ٤ : ٣٢٥ .لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي ـ ٧٥٤هـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض .

(٥) في ك و ط (رسوله) . (٦) في ط (في المطاعم) .

(٧) في ك زيادة (ثم) .

ذكر بعد ذلك الحلال والحرام في الفروج . فذكر أحكام وطء (١) النساء ، والحَيْض ، والايلاء منهن (٢) ، والطلاق لهن ، واختلاعهن . وذكر حكم الأولاد وارضاعهم ، واعتداد النساء ، وخطبتهن في العدة ، وطلاقهن قبل الدخول وبعده . ثم ذكر الصلوات والمحافظة عليهن ، ثم قرر المعاد ، ومايدل عليه من احياء الموتى فيالدنيا مرة بعد مرة .

فتضمنت هذه السورة الواحدة جميع مايحتاج الناس اليه في الدين ، وأصوله (٣) وفروعه ، وافتتحها بالإيمان بالكتب والرسل ، ووسطها بالإيمان بالكتب والرسل ، وختمها بالإيمان بالكتب والرسل . فإن الإيمان بالكتب والرسل هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه (٤) .

وأمر فيها الخلق عموما وخصوصا (٥) ، وذكر فيها الإيمان بالخالق وآيات ربوبيته ، والإيمان بالمعاد والدار الآخرة ، والأعمال الصالحة التي أمربها ، وأن (٦) من كان من أتباع الرسل من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين (٧) قائما بهذه الأصول : وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة الذي له أجره عند ربه ، ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون (٨) .

---

(١) في أ (الوطئ) وعدم التعريف أولى وهو ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) (الايلاء) : هو أن يحلف الرجل أن لايجامع أمرأته للاضرار بها . صفوة التفاسير ٢ : ١٤٥ .

(٣) بدون عطف في ك و ط

(٤) جِمَاعُه : أي جَمْعُه . المصباح : ١٠٩ .

(٥) في ك و ط زيادة (بعد عموم) .

(٦) في ط (وإن) .

(٧) من : صبأ الرجل : إذا مال وزاغ ، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين ، وهم يعتقدون أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان ، والواجب معرفة العجز عن الوُصول إلى جلاله وإنما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين اليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة . ووسطاؤهم "عاديمون" و " هرمس". الملل والنحل ٢: ٥ ـ ٦.

(٨) هذا اقتباس من الآية : ٦٢ من سورة البقرة .

بخلاف من بدل منهم الكتاب ، أو كذب بكتاب فإن هؤلاء من الكفار . فمن كان متبعا لشرع التوراة قبل مبعث المسيح ،غير مبدل له فهو من السعداء . وكذلك من كان متبعا لشرع الانجيل قبل مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - غير مبدل له فهو من السعداء . ومن بدل شرع التوراة أو كذب بالمسيح فهو كافر ، كاليهود بعد مبعث المسيح - عليه السلام - . وكذلك من بدل شرع الانجيل أو كذب محمدا - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر ، كالنصارى بعد مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - .

فقدماء اليهود والنصارى الذين اتبعوا الدين قبل النسخ والتبديل ، سعدوا (١) ، وأما اليهود والنصارى الذين تمسكوا بشرع مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتب (٢) والرسول الذي أرسل اليهم وإلى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم ، فهم كفار .

وَرَدَّ دعاوى اليهود والنصارى الكاذبة ، مثل قول هؤلاء : ﴿ ... لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ... ﴾ (٣) وقول هؤلاء : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فقال : ﴿ بلى من أسلم وجهه الله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (٤) . وبين من كُفْر اليهود والنصارى ، مما (٥) عرف بهم حالهم .

لكن أكثر ماذكر في هذه السورة : اليهود ، كما أن أكثر ماذكر في سورة آل عمران النصارى ، فإن هذه نزلت أول مَقْدَمِه المدينة ، وكان اليهود جيرانه . وآل عمران تأخر نزولها إلى آخر الأمر ، لما قدم عليه (٦) نصارى نجران (٧)،

---

(١) في ك و ط (سعداء) .
(٢) في ك و ط (الكتاب) .
(٣) سورة البقرة : ١١١ .
(٤) سورة البقرة : ١١٢ .
(٥) في ك و ط (ما) .
(٦) في ط زيادة (وفد)
(٧) نجران : من مخاليف (مناطق)اليمن من ناحية مكة ،وبها كان خبر الأخدود ، واليها تنسب كعبة نجران ، وكان بها أساقفة مقيمون منهم " السيد " و " العاقب " حتى أجلاهم عمر - رضى الله عنه - عنها .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣ : ١٣٥٩ لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي - ٧٣٩ هـ ت : على محمد البجاوي ، ط ١ ، دار المعرفة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .

وفيها فرض الحج ، لما طهَّر الله مكة من المشركين ، فكان أكثر دعائه (١) في أول الأمر للمشركين ، لأنهم جيرانه بمكة (٢) ، ثم لليهود لأنهم جيرانه (٣) بالمدينة (٤) ، ثم للنصارى لأنهم كانوا أبعد عنه من ناحية الشام (٥) ، واليمن (٦) ، والمجوس (٧) ايضا لأنهم كانوا أبعد عنه بأرض العراق (٨) وخراسان (٩) .

---

(١) أي دعوته لهم للإسلام .

(٢) من هنا سقطت من أ جملة : (بمكة ثم لليهود لانهم جيرانه) . وهو سقط ظاهر ، والصحيح ما أثبتناه من ك و ط .

(٣) مكة : هي بيت الله الحرام ، فيها الكعبة القبلة التي يتوجه المسلمون اليها في صلاتهم من سائر الآفاق ، سميت مكة لأنها تَمُكّ أعناق الجبابرة : أي تذهب نخوتهم وتذلهم ، وهي مدينة في واد بين جبلين مشرفين عليها من نواحيها ، وهي محيطة بالكعبة ، والكعبة في وسط المسجد ، والأبنية والدور محيطة بالمسجد ، وهي حارة في الصيف ، الا أن ليلها طيب . مراصد الاطلاع ٣ : ١٣٠٣ .

(٤) هي مدينة يثرب ، وهي مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي في حرة (أرض ذات حجارة سود) سبخة (ملحة) ، وبها مسجد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبره . المصدر السابق ٣ : ١٢٤٧ .

(٥) بسكون همزته أو فتحها أو بدون همزه ، وكان اسمها الأول " سورى " وحدها من الفرات إلى العريش طولا ، وعرضا من جبلي طيء إلى بحر الروم ، المصدر السابق ٢ : ٧٧٥ .

(٦) سميت اليمن لتيامنهم اليها لما تفرقت العرب من مكة ، والبحر محيط بأرض اليمن من المشرق إلى الجنوب ، ثم راجعا إلى الغرب ، يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من بحر الهند إلى بحر اليمن عرضا في البرية من المشرق إلى جهة الغرب . المصدر السابق ٣ : ١٤٨٣ .

(٧) المجوس يقال لهم : الدين الأكبر والملة العظمى ، ومرجع ملوكهم هو (موبذ موبذان) ومعناه أعلم العلماء وأقدم الحكماء ، ومنهم (الثنوية) الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين ، يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد . ومسائل المجوس تدور على قاعدتين :

=

....

= ١ - بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ٢ - سبب خلاص النور من الظلمة . والمجوس الأصليون قالوا : أن الأصلين لايجوز ان يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة محدثة . ومنهم : الكيومرثية والزروانية والمسخية والزراد شتية . الملل والنحل ١ : ٢٣٠ .

(٨) العراق المشهور هو مابين حُديثة الموصل (بليدة بقرب الموصل من جهة الجنوب على شاطيء دجلة بالجانب الشرقي) إلى عَبّادان طولا ، ومابين عذيب (طرف) القادسية إلى حلوان عرضا ، وسمي عراقا لأن اسمها بالفارسية " ايران " فعربتها العرب وقالوا : عراق . مراصد ٢ : ٩٢٦ .

(٩) بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق واخر حدودها مما يلي الهند ، ومن أمهات بلادها نيسابور وهرات ومرو . مراصد ١ : ٤٥٥.

وهذا هو الترتيب المناسب ، يبدعو الأقرب اليه فالأقرب ، ثم يرسل رسله إلى الأبعد . وهو - صلى الله عليه وسلم - كان - أولاً - مشغولا بجهاد المشركين واليهود . فلما صالح المشركين صلح الحديبية (١)، وحارب يهود خيبر (٢) عقيب ذلك ففتحها الله عليه (١)، وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجرة : الذين شهدوا صلح الحديبية ، تفرغ (٣) لمن بَعُدَ عنه ، فأرسل رسله إلى جميع من حواليه من الأمم .

---

(١) الحديبية - بتخفيف الياء الثانية وتثقيلها - هي قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة - والشجرة سمرة بأرض الحديبية - التي بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه عندها ، وبينها وبين مكة مرحلة (والمرحلة المسافة التي يقطعها المسافر على مطيته في نحو يوم)وهي أبعد الحل عن البيت .
والصلح هو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج معتمرا لايريد حربا في ذي القعدة سنة ٦ هـ ، وكان المسلمون الفا وأربعمائة رجل ، حتى نزل بوادي الحديبية ، وصالح قريشا على الرجوع عن مكة ، والعودة اليها في السنة القادمة لأجل العمرة . تفسير القرآن العظيم ٧ : ٣٢١ لاسماعيل بن كثير - ٧٧٤ هـ دار الشعب ، القاهرة . والسيرة النبوية . لابن هشام ٣ : ٣٢٦ - ٣٣٧ عبد الملك بن هشام - ٢١٨هـ، ت : مصطفى السقا وغيره ، ط مصطفى الحلبي بمصر ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م والمصباح المنير : ٢٢٣ ومراصد ١ : ٣٨٦ .

(٢) خيبر : هو الموضع المشهور الذي غزاه النبي - صلى الله عليه وسلم - على الطريق من المدينة إلى الشام ، والخيبر : - بلغة اليهود - (الحصن) وهي الآن امارة تابعة من حيث الترتيب الاداري لامارة حائل وتتكون من مجموعة من القرى منها الشّريف ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠ نسمة وأكثر أهلها من (عَنَزَة) من البدو الرحل . مراصد ١: ٤٩٤ وانظر في شمال غرب الجزيرة : ٢٧٤ لحمد الجاسر ، ط ١ ، دار اليمامة الرياض ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .

(٣) في ط (فتتفرغ) .

أرسل إلى ملوك النصارى بمصر (١) والشام والحبشة (٢) ، فإنه كان قد مات ملك الحبشة النجاشي (٣) الذي أسلم ، وأخبر الناس بموته يوم مات ، وخرج بأصحابه إلى ظاهر المدينة ، فصلى عليه بهم صلاة الجنازة ، كما كان يصلي على سائر موتى المسلمين (٤) . وتولى بعد النجاشي آخر ، فأرسل اليه (٥) كما ذكره مسلم في صحيحه (٦) . وأرسل إلى ملوك اليمن من المشركين واليهود (٧) ، وإلى ملوك العرب (٨) .
وكان في العرب خَلْق كثير يهود ، وخَلْق كثير نصارى ، وخَلْق كثير مجوس فدعا جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، عربهم وعجمهم .

الوجه الثاني : أن يقال لهم : الناس لهم في أمر الله ونهيه قولان مشهوران :

أحدهما : أنه يرجع إلى محض المشيئة ، لايعتبر فيه أن يكون المأمور به مصلحة للخلق ، وإن اتفق (٩) أن يكون مصلحة ، وإن كان الواقع كونه مصلحة ، وهذا قول من يقول : لايفعل ولايحكم بسبب (١٠) ولالحكمة ولا لغرض .

---

(١) "مصر " من أشهر أقطار الدنيا ، وأقدمها ذكرا في التاريخ ،وأبعدها عهدا بالمدنية والعلم ، موضعها من الكرة الأرضية في الشمال الشرقي من أفريقيا ، وهي عبارة عن واد ضيق محصور بين سلسلتي جبال ، وسميت باسم من أحدثها : وهو مصر بن مطريم بن حام بن نوح ، دائرة معارف وجدي ٩ : ١٥ ، ومراصد ٣ : ١٢٧٨ .

(٢) تقع في شمال أفريقيا الشرقي ، وهي هضبة مرتفعة تعلوها جبال شامخة كثيرة الوعورة صعبة المسالك ، وبها نهيرات كثيرة وأشهرها النيل الأزرق والعطبرة ـ دائرة معارف وجدي ٣ : ٢٩٨ .

(٣) هو أصحمة بن بحر أو مصحمة بن أبجر ، وكان عبدا صالحا لبيبا ذكيا وكان عادلا عالما ، واسمه بالعربية (عطية) وصلى عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة الغائب لما مات لأنه كان يكتم ايمانه من قومه ، فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه ، وكان موته بعد فتح خيبر . السيرة النبوية ٢ : ٢٩ ـ ٣٠ لاسماعيل بن كثير ـ ٧٧٤ هـ ت : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ١ : ١٢٠ لعز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري ـ ٦٣٠ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

=

....

= (٤) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب موت النجاشي ٧ : ١٩١ (٣٨٧٧ – ٣٨٨١) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنازة ٢ : ٦٥٦ – ٦٥٨ (٩٥١ – ٩٥٣) .

(٥) مسلم . كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ملوك الكفار ... ، ٣ : ١٣٩٧ (١٧٧٤) ت محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥م .

(٦) هو ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، ثقة حافظ امام مصنف ، عالم الفقه ، مات سنة ٢٦١ هـ وله سبع وخمسون سنة . تقريب ٢ : ٢٤٥ ، وسير.. النبلاء ١٢ : ٥٥٧ – ٥٨٠ ، وطبقات الحفاظ : ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٧) في ك و ط زيادة : (وغيره) .

(٨) العرب قسمان : العرب القحطانية باليمن ، والعرب العدنانية بالحجاز وما يليها . فالبائدة من العرب : هم عاد وثمود والعمالقة ... الخ ، ويقال لهم : العرب العاربة ، والعرب الباقية هم القحطانيون باليمن ، وهم خارج اليمن تسعة عشر قبيلة ، والقسم الثاني : من العرب الباقية هم العدنانيون ، وهم ذرية اسماعيل بن ابراهيم – عليهما السلام – وهم قسمان : بنو معد وبنو عك . البداية والنهاية ٢ : ١٨٤ – ١٨٥ و دائرة معارف وجدي ٦ : ٢٣٢ – ٢٤٥ .

(٩) اتفق : بمعنى : صادق .ترتيب القاموس المحيط ٤ : ٦٣٨ .

(١٠) في ك و ط (لسبب) .

والقول الثاني : ـ وهو قول جمهور الناس ـ إن الله إنما أرسل الرسل ليأمروا الناس بما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (٢)

فان قيل بالأول : لم يُسأل عن حكمة ارسال الرسل ، وان قيل بالثاني : ففي ارسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحكم والمصالح أعظم مما كان في ارسال موسى والمسيح ، والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد أضعاف ماحصل بارسال موسى والمسيح من جهة الأمر والخلق . فإن في شريعته من الهدى ودين الحق أكمل مما في الشريعتين المتقدمتين ، وتيسير (٣) الله من اتباع الخلق (٤) له واهتدائهم به مالم يتيسر مثله لمن قبله ، فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ، ومن جهة كثرة من قبلها ، وكمال قبولهم لها . بخلاف شريعة من قبله ، فإن موسى ـ صلى الله عليه وسلم بُعث إلى بني اسرائيل (٥) ، وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى وبعد موته ،

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(٢) سورة طه : ١٢٣ ـ ١٢٦ .
(٣) في ط (ويسر) .
(٤) في آ (الحق) والأصوب مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .
(٥) هم أبناء يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ـ عليه السلام ـ وكان موطن اسحاق (حبرون) أو (قرية أربع) وهي مدينة الخليل اليوم ، وتزوج اسحاق (رفقا) ابنة عمه (ناهر بن آزر) فولدت له (عيص) و (يعقوب) ثم رحل يعقوب إلى خاله (لابان) في العراق ، وتزوج ابنتيه " ليا " و (راحيل) جميعا وكان ذلك مباحا ثم رجع إلى (أرض كنعان) وأبناؤه اثنا عشر وهم : رؤوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير . تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣١٦ ـ ٣٢١ ومابعدها . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ٣١٠ هـ ت : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ببيروت ، ومروج الذهب ١ : ٤٦-٤٧ . والكامل ١ : ٧١ ـ ٧٢ .

ماهو معروف (١) . وقد ذكر النصارى في كتابهم هذا من ذلك ماتقدم (٢) .

ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن ، فإن القرآن فيه (٣) ذكر المعاد ، واقامة الحجج عليه وتفصيله ، ووصف الجنة والنار ، مالم يذكر مثله في التوراة . وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء ، مالم يذكر في التوراة . وفيه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته ، ووصف ملائكته وأصنافهم ، وخلق الانس والجن ، مالم يفصل مثله في التوراة . وفيه من تقرير التوحيد بأنواع الأدلة ، مالم يذكر مثله في التوراة . وفيه من ذكر أديان أهل الأرض ، مالم يذكر مثله في التوراة . وفيه من مناظرة المخالفين (٤) ، واقامة البراهين على أصول الدين ، مالم يذكر مثله في التوراة مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدى من القرآن والتوراة . وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث . وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم ، حرمت عليهم عقوبة لهم . وفي شريعة القرآن ، من قبول الدية في الدماء (٥) ، مالم يشرع في التوراة ، وفيها من وضع الآصار (٦) والأغلال التي في التوراة مايظهر به أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل .

---

(١) كما جاء في سورة الأعراف : ١٣٨ – ١٤٠ و ١٤٨ و ١٦٢ – ١٦٣ و ١٦٥–١٦٦ و ١٦٩ وسورة الصف : ٥. وفي مواضع أخرى .

(٢) راجع الجواب الصحيح ٢ : ٤٤ و ٢٢٥ طبعة المدني حيث ذكر الحاكي عن النصارى : أن الذين ظلموا هم اليهود – بلاشك – فهم الذين سجدوا لرأس العجل ، وكفروا بالله – سبحانه – مرارا كثيرة ليست واحدة ، وقتلوا أنبياءه ورسله ، وعبدوا الأصنام ، وذبحوا للشياطين ... الخ .

(٣) في ك و ط زيادة (من) (٤) في ط زيادة (للرسل) .

(٥) دَمَّ فلانا : عذبه عذابا تاما ، وشدخ رأسه ، وشجه وضربه . ترتيب القاموس المحيط ٢ : ٢١٤ .

(٦) جمع اصر : وهو العبء الذي يأصر حامله : أي يحبسه مكانه لايستقل به لثقله ، استعير للتكليف الشاق . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١ : ٤٠٨ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة . بيروت .

وأما الانجيل ، فليس فيه شريعة مستقلة ، ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم ، بل أحالهم على التوراة في أكثر الأمر. ولكن أحل (١) المسيح بعض ماحَرم عليهم ، وأمرهم بالاحسان والعفو عن الظالم (٢) واحتمال الأذى ، والزهد في الدنيا ،وضرب الأمثال لذلك .

فعامة ماأمتاز به الانجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة ، والزهد (٣) المستحب ، وتحليل بعض المحرمات ، وهذا كله في القرآن ، وهو في القرآن أكمل . فليس في التوراة والانجيل والنبوات ماهو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة الا وهو في القرآن ، أو ماهو أفضل منه . وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ماليس في الكتابين . لكن النصارى لم يتبعوا لاالتوراة ولا الانجيل ، بل أحدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الأنبياء ، كما وضعوا لقسطنطين (٤) الأمانة ، ووضعوا له أربعين كتابا ، فيها (٥) القوانين ، فيها بعض ماجاءت به الأنبياء ، وفيها شيء كثير مخالف لشرع الأنبياء ، وصاروا إلى كثير من دين المشركين ، الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى ، وكذبوا رسله ، فصار في دينهم من الشرك وتغيير (٦) دين الرسل ماغيروا به شريعة الانجيل ، ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الانجيل بغيرها ، فلايعرفون مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره ، ولاماشرعه مما أحدث بعده .

---

(١) في ط زيادة (لهم) (٢) في ك و ط (المظالم) .

(٣) في أ (المزهد) وقد صوبناه من ك و ط .

(٤) هو : ابن قسطنس ، وأمه " هيلانا الرهاوية " وكان ملكه ٣٣ سنة و ٣ أشهر ، وهو الذي تنصر من ملوك الروم ، وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها ، وذلك بعد المسيح - عليه السلام - بنحو ثلاثمائة سنة ، واليه تنتسب الطائفة (الملكية) من النصارى ، وهو الذي بنى مدينة (القسطنطينية) بعد ملكه بثلاث سنين واختار مكانها لحصانته ، وقد تملك بعده قسطنطين أنطاكية ومعه أخواه (قسطوس) و (قسطنس).الكامل ١ : ١٨٩ - ١٩٠ والبداية والنهاية ٩ : ١٤٣ - ١٤٤ .

(٥) في ك و ط (ويسمونها)

(٦) في ك و ط (وتغير) .

فالمسيح لم يأمرهم بتصوير (١) الصور وتعظيمها ، ولادعاء من صورت تلك التماثيل على صورته ، ولا أمر بهذا أحدٌ من الأنبياء . لايوجد قط عن نبي أنه أمر بدعاء الملائكة والاستشفاع (٢) بهم ، ولابدعاء الموتى من الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم ، فضلا عن دعاء تماثيلهم (٣) والاستشفاع بها ، فإن هذا من أصول الشرك ، الذي نبهت عليه (٤) الرسل ، وهذا كان أصل الشرك في بني آدم من عهد نوح – عليه السلام (٥) – .

قال الله – تعالى – عن قوم نوح – : ﴿لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا (٦) وقد أضلوا كثيرا﴾ (٧) ، قال كثير من العلماء ،

---

(١) في ط (ينصب) .

(٢) هو طلب الشفاعة . والشفاعة : المطالبة بوسيلة أو ذِمَام أي عهد وأمان وضمان . انظر المصباح المنير : ٢١٠ و ٣١٧ . لأحمد بن علي المقري الفيومي – ٧٧٠ هـ – دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) هي الصور التي صورت وعملت على أمثال خلقهم حتى كأن الناظر اليها يشاهد ذواتهم . انظر ترتيب القاموس المحيط، باب الميم ٤: ٢٠٣ .

(٤) في ط (نهت عنه) .

(٥) لم يرد التسليم على نوح في أ ولا ك .

(٦) هؤلاء نفر من بني آدم ، كان لهم أتباع ، فلما ماتوا صوروهم، ليكون أشوق لهم إلى العبادة إذا ذكروهم ، فلما ذهبوا جاء آخرون فقال لهم ابليس : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم ،وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام . انظر جامع البيان عن تاويل آي القرآن ٢٩ : ٩٨ – ٩٩ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – ٣١٠هـ ط ٣ ، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م .

(٧) سورة نوح : ٢٣ – ٢٤ .

منهم ابن عباس (١) وغيره : وهؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم عبدوهم (٢) ، وقد ذكر ذلك المسيح وعلماء النصارى .

والمسيح عليه السلام لم يأمرهم بعبادته ولاقال : إنه الله ، ولا بما (٣) ابتدعوه من التثليث والاتحاد . والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ماحرمه الله في التوراة من الخبائث ، كالخنزير (٤) وغيره ، فاستحلوا الخبائث المحرمة.

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهو أحد المكثرين من الصحابة ، وأحد العباد لة من فقهاء الصحابة ، ومات سنة ٦٨ هـ بالطائف . تقريب التهذيب ١ : ٤٢٥ . واسد الغابة ٣ : ١٨٦ – ١٩٠ وسير .. النبلاء ٣ : ٣٣١ – ٣٥٩ .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب " .. ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق" فتح الباري ٨ : ٦٦٧ (٤٩٢٠) بشرح صحيح الامام أبي عبد الله محمد ابن اسماعيل البخاري – ٢٥٦ هـ للامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ٨٥٢ هـ بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء ، الرياض ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩ : ٩٩ .

(٣) في ط زيادة : (أمرهم) .

(٤) الخنزير : حيوان شديي قذر، يرتع في القذى (الوسخ) رتوعا مفرطا، وهو طويل الوقوف على أرجله مالم يمش كثيرا أو يسمن ، وهو يصاب في كثير من الأحيان بديدان تمر منه إلى من يأكل لحمه ، منها دودة "تريشين " دائرة معارف وجدي ٣ : ٦٩٧ .

وغيروا شريعة التوراة والانجيل . والمسيح لم يأمرهم بأن (١) يصلوا إلى المشرق ، ولم يأمرهم أن يعظموا الصليب (٢) ، ولم يأمرهم بترك الختان ولا بالرهبانية (٣) ولا بسائر ماابتدعوه (٤) بعده .

ولهذا لماظهر فساد دين النصارى ، صار بعض الناس ، كأبي عبد الله الرازي (٥) يقول : " لم يظهر الانتفاع بدين المسيح ، الا في طائفة قليلة كانوا قبل محمد-صلى الله عليه وسلم-، فإن الدين الذي كان عليه جمهور النصارى ، ليس هو دين المسيح (٦) " .

---

(١) في ك و ط (آن) .

(٢) للصليب ثلاثة نماذج رئيسية : أحدها صليب أندرادس وهو على شكل × علامة ضرب ، والثاني + على شكل علامة جمع . والثالث بشكل السيف وهو المعروف بالصليب اللاتيني ، ولعل الصليب المنسوب إلى المسيح كان من الشكل الأخير كما يظن الرسامون . وإلى مابعد المسيح كان الصليب علامة الذل والعار ، وحمل الصليب كان يعني حمل الاهانة ، ولكن بعد أن افتخر بولس بدعوى صلب المسيح أصبح النصارى ينظرون إلى الصليب نظرة مختلفة بالكلية . انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٥٤٦ .

(٣) روى الطبري باسناده حديثا مرفوعا : أن أهل الرهبانية " فرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى الله ودين عيسى - صلوات الله وسلامه عليه - فلحقوا بالبراري والجبال فترهبوا فيها .. " وقال قتادة : " ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع " .جامع البيان ٢٧ : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤) غلب استعمال " بدعة " فيما هو نقص في الدين أو زيادة . المصباح المنير : ٣٨ .

(٥) هو : العلامة محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري، الطبرستاني الأصل ، الرازي المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل صاحب التصانيف المشهورة مثل التفسير الكبير وكتاب المحصول وكتاب المعالم . كان ذا ثروة كبيرة ، وله باع طويل في الوعظ ، وكان مولده سنة ٥٤٤ هـ ومات - فيما يقال - مسموما من قبل الكرامية سنة ٦٠٦ هـ . وفيات الأعيان ٤ : ٢٤٨ - ٢٥٢ ، ولسان الميزان ٤ : ٤٢٧ - ٤٢٩ ، وشذرات الذهب ٥ : ٢١ .

=

وتبين هذا (١) :

بالوجه الثالث : وهو أن يقال هب (٢) : إن شريعة الكتابين كانت كافية ، فانما ذاك إذا كانت محفوظة معمولا بها ، ولم يكن الأمر كذلك ، بل كانت قد درس (٣) كثير من معالمها .

وقد اختلف أهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافا عظيما كما قال - تعالى - : ﴿ ومن الذين قالوا : انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ (٤) وقد قال - تعالى - : ﴿ كان الناس أمة واحدة) - أي فاختلفوا ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ (٥) والوقت الذي بعث الله (٦) فيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - لم يكن قد بقى أحد (٧) مظهرا لما بعث الله به الرسل قبله .

= (٦) لعل الشيخ قد نقله بالمعنى الذي وجدته في كتاب : اصول الدين ١٠٤ ، للفخر الرازي - ٦٠٦ هـ مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة . وقد بحثت عنه في اغلب كتب الرازي المطبوعة ، ومن بينها تفسيره الكبير .

(١) في ط (يبين) .

(٢) هبني فعلت : أي احسبني واعددني - كلمة للأمر فقط . ترتيب القاموس المحيط ، ٤ : ٦٦١ .

(٣) أي عفا وخفيت آثاره . المصباح : ١٩٢ .

(٤) سورة المائدة : ١٤ .

(٥) سورة البقرة : ٢١٣ .

(٦) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك و لا ط ، وإنما بنى الفعل للمفعول .

(٧) في ك (أحدا) بالنصب .

فبعثه على حين فترة (١) من الرسل ، وطموس (٢) من السبل ، أحوج ماكان الناس إلى رسول ، كما في صحيح مسلم عن عِياض بن حِمار (٣) قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا من أهل الكتاب (٤) ".

وكان الناس حين مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - إما أميين ، لا كتاب لهم يشركون بالرحمن ، ويعبدون الأوثان (٥) ، وإما أهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه ، وحرفوا حلاله وحرامه ، ولبّسوا حقه بباطله ، كما هو الموجود . فلو أراد الرجل أن يميز له أهل الكتاب ماجاءت به الأنبياء مما هم عليه مما أحدثوه بعدهم ، لم يعرف جمهورهم ذلك ، بل قد صار الجميع - عندهم - دينا واحدا .

---

(١) الفترة : هي الانقطاع وهو السكون بعد الحركة في الأجرام ، ويستعار للمعاني . البحر المحيط ٣ : ٤٤٣ .

(٢) أي امحاء واندراس . ترتيب القاموس ٣ : ٩٧

(٣) هو التميمي المجاشعي ، صحابي ،سكن البصرة ، عاش إلى حدود الخمسين . تقريب التهذيب ٢ : ٩٥ .

(٤) هذا بعض حديث أوله عن عياض ... أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال ذات يوم في خطبته : " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مما علمني يومي هذا ... " رواه مسلم في كتاب الجنة ... ،باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... ، ٤ : ١٢٩٧ (٢٨٦٥) ، ورواه الامام أحمد في مسنده ٤ : ١٦٢ ط ٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٤) الناس على أربعة أصناف : الذين لهم كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى، والذين لهم شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية، والذين لهم حدود وأحكام دون كتاب مثل الصائبة الأولى، والذين ليس لهم كتاب ولا حدود ولا أحكام مثل الفلاسفة الأولى والدهرية وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة. الملل والنحل ١ : ٣٧ .

(٥) جمع وثن وهو الصنم سواء كان من خشب أو حجر أو غيره . المصباح: ٦٤٧ .

فبعث الله – تبارك وتعالى – محمدا – صلى الله عليه وسلم – بالكتاب الذي أنزله عليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا [١]، فميز به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والغي من الرشاد ، قال – تعالى – ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴿ لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم قل : فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير ﴾ [٢] الى قوله : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا : ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴾ [٣].

---

(١) في ط زيادة (عليه) .

(١) المهيمن على الشيء : هو المعنيّ بأمره ، الشاهد على حقائقه ، الحافظ لحامله ، فلايدخل فيه ماليس منه ، والقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب ، يشهد بما فيها من الحقائق ، وعلى مانسبه المحرفون اليها ، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف – البحر المحيط ٣ : ٥٠١ – ٥٠٢ .

(٢) هذه الآيات لم ترد في ك ولم تشر اليها .

(٣) سورة المائدة : ١٥ – ١٩ .

الوجه الرابع : إن شريعة التوراة تغلب (١) عليها الشدة ، وشريعة الانجيل يغلب عليها اللين ، وشريعة القرآن معتدلة جامعة ، بين هذاوهذا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ (٢) (٢) وقال في وصف أمته : ﴿ محمد رسول الله والذينمعه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٣) وقال ـ أيضا ـ : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (٤) فوصفهم بالرحمة للمؤمنين ، والذلة لهم ، والشدة على الكفار والعزة عليهم .

---

(١) في ك و ط (يغلب) .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : ﴿... لتكونوا شهداء على الناس ...﴾

(٣) سورة الفتح : ٢٩. وبعدها في ط زيادة (الخ) .

(٤) سورة المائدة : ٥٤ .

وكذلك كان صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيهم ـ أكمل النبيين وأفضل الرسل ، بحيث قال : " أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا نبي الرحمة ، وأنا نبي الملحمة ، وأنا نبي التوبة ، وأنا الضحوك القتال " (١) فوصف نفسه بأنه نبي الرحمة والتوبة ، وأنه نبي الملحمة ، وأنه الضحوك القتال . وهذا أكمل ممن نعت بالشدة والبأس غالبا ، أو باللين غالبا . (٢)
وقد قيل : بسبب ذلك (٣) : أن بني اسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت لقهر فرعون لهم واستعباد فرعون لهم (٤) ،فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم ، ويزول عنهم ذلك الذل .

---

(١) رواه البخاري بلفظ : " لي خمسة أسماء : أنا محمد ،وأنا أحمد ،وأنا الماحي: الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر : الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " فتح الباري ٦ : ٥٥٤ (٣٥٣٢) . ورواه مسلم في كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلفظ قريب من هذا وبلفظ " أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة " ٤ : ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ (٢٣٥٤ ـ ٢٣٥٥) ، ورواه الترمذي ، في كتاب الأدب ، باب ماجاء في أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلفظ مقارب للفظ البخاري ٥ : ١٣٥ (٢٨٤٠) وقال ، " هذا حديث حسن صحيح " الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٩٧ هـ ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٢ ، شركة مكتبة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م ، ورواه مالك في الموطأ في كتاب أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسلا ٢ : ١٠٠٤ تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ورواه الدارمي في سننه ، كتاب الرقاق ،باب في أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٢ : ٣١٧ نشر دار احياء السنة النبوية طبع دار الكتب العلمية ، بيروت . ورواه الامام أحمد عن ابي موسى الأشعري بلفظ : " سمى لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه أسماء : منها ماحفظناها فقال : " أنا =

....

= محمد وأحمد والمقفي والحاشر ، ونبي الرحمة " . قال يزيد: "ونبي التوبة ونبي الملحمة " . كما رواه عن حذيفة قال : " بينما أنا أمشي في طريق المدينة ، إذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمشي ،فسمعته يقول : وأنا محمد وأنا أحمد ، ونبي الرحمة ونبي التوبة ، والحاشر والمقفي ونبي الملاحم " . قال الهيثمي : " رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير عاصم ابن بهدلة ، وهو ثقة ، وفيه سوء حفظ". الفتح الرباني ، لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٠ : ١٨٨ . مع مختصر شرحه بلوغ الأماني ... ، لأحمد بن عبد الرحمن البنا ، دار احياء التراث العربي ، بيروت . ومجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد ، كتاب علامات النبوة ، باب في اسمائه – صلى الله عليه وسلم – ٨ : ٢٨٤ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – ٨٠٧ هـ ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م . أما اسم (الضحوك القتال) فقد أورد الامام السيوطي – ٩١١ هـ في الخصائص ١ : ٧٨ طبعة سنة ١٣٢٠ هـ بدائرة المعارف النظامية ، بحيدر آباد الدكن بالهند، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت . ما أخرجه ابن فارس عن ابن عباس ان النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :"اسمي في التوراة : أحمد الضحوك القتال ... " الحديث،قال السيوطي : " وقد ألفت كتابا في شرح أسمائه الكريمة ، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسما ، مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة " .

=

....

= (٢) في ط (إن سبب) ٠

(٣) في ط (يقهر) ٠

(٤) فرعون : هو فرعون موسى : الوليد بن مصعب ، يقال ، انه من العمالقة ٠

وقيل : إنه من القبط ، وقد كان له دولة عظيمة ، و (هامان) وزيره ، وقد هلك غريقا في البحر كما ورد في كتاب الله الكريم ٠ انظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٤٠٥ فما بعدها والبداية : والنهاية ، وتتمة المختصر في أخبار البشر ١ : ٧٨ ، والبداية والنهاية ١ : ٢٦٨ ٠

ولهذا لما أمروا بالجهاد نَكَلوا (١) عنه ، وقال لهم موسى : ﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين * قالوا : ياموسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فإنكم غالبون * وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا : ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ (١)

---

(١) سورة المائدة : ٢١ – ٢٤ .

(١) النكول هنا معناه : الجبن والتأخر . المصباح المنير : ٦٢٥ .

وأما أصحاب (١) محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال له قائلهم يوم بدر (٢) : والله لانقول لك كما قال قوم موسى (٣) : " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون (٤) " لكن نقاتل أمامك ووراءك ، وعن يمينك وعن يسارك ، والذي بعثك بالحق (٥) لو استعرضت (٦) بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ولو سرت بنا إلى بِرْك (٧) الغِماد (٨) لسرنا معك " .

---

(١) جمع صحابي : وهو من لقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤمنا به ، ومات على الاسلام . الاصابة في تمييز الصحابة ١ : ٧ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢ هـ وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ـ ٤٦٣ هـ ط ١ ،مصر ١٣٢٨هـ

(٢) هو ماء مشهور بين مكةوالمدينة ، أسفل وادي الصفراء ، بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ ليلة ، وبهذ الماء كانت الوقعة المشهورة المباركة في رمضان سنة ٢ هـ معجم البلدان ١:٣٥٨ ، والسيرة لابن هشام ٢ : ٢٦٣ .

(٣) في ط : (كما قالت بنوا اسرائيل ، قالوا لموسى) .

(٤) سورة المائدة : ٢٤ .

(٥) في ط زيادة (نبيا) .

(٦) اي لوجئته من جانبه عرضا لم نبال باقتحامه ـ انظر لسان العرب ٧ : ١٧٧ مادة : عرض ، لمحمد بن مكرم بن منظور المصري ـ ٧١١ هـ دار صادر ، بيروت .

(٧) موضع وراء مكة بخمس ليال ، مما يلي البحر ، وقيل : بلد باليمن وهو أقصى حَجر ـ بلد باليمن ، ومن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي . معجم البلدان ١ : ٣٩٩ .

(٨) السيرة لابن هشام ٢ : ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، وأصله من رواية البخاري ،كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى : " إذ تستغيثون ربكم .." فتح الباري ٧ : ٢٨٧ (٣٩٥٢) ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر ٣ : ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ (١٧٧٩) ، والمسند للامام أحمد ٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

وكان الكلام قريبا من (بدر) والبحر من جهة الغرب . و (بِرْك الغِماد) مكان من يماني مكة ، بينه وبين مكة عدة ليال . والكفار كانوا - إذ ذاك - بمكة ، وأصحابه من ناحية المدينة شامي (١) مكة ، فمكة جنوبهم ، والبحر غربهم . تقول (٢) : لو طلبت أن ندخل بلد العدو ، ونذهب (٣) إلى تلك الناحية لفعلناه . قالوا : فلما نصر الله بني اسرائيل وأظهرهم ، ظهرت فيهم الأحداث بعد ذلك وتجبروا ، وقست قلوبهم ، وصاروا شبها (٤) بآل فرعون فبعث الله المسيح - عليه السلام - باللين والصفح ، والعفو عن المسيء ،واحتمال أذاه ، ليلين أخلاقهم ، ويزيل ماكانوا فيه من الجبرية والقسوة .

فأفرط هؤلاء في اللين ، حتى تركو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وتركوا الحكم بين الناس بالعدل واقامة الحدود ، وترهّب عُبّادُهم منفردين . مع أن في ملوك النصارى من الجبرية والقسوة والحكم بغير ماآنزل الله ، وسفك الدماء بغير حق ، مما يأمرهم به علماؤهم وعبادهم ، ومما لم يأمروهم به ، ماشاركوا فيه اليهود .

فبعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالشريعة الكاملة العادلة ، وجعل أمته عدلا خيارا لاينحرفون إلى هذا الطرف ولا الى هذا الطرف ، بل يشتدون على أعداء الله ، ويلينون لأولياء الله ، ويستعملون العفو والصفح ، فيما كان لنفوسهم ، ويستعملون الانتصار والعقوبة ، فيما كان حقا لله (٥) .

---

(١) في ا (شرقي) والصواب مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٢) في ط (يقول) والفعل منسوب إلى جماعة الصحابة .

(٣) في ك (تذهب) .

(٤) في ط (شبيها) .

(٥) وقد جاء وصفهم بذلك في كتاب الله - سبحانه - كما في آخر سورة الفتح.

وهذا كان خلق نبيهم ، كما في الصحيحين عن عائشة (١) قالت : " ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما (٢) ، ولا أمرأة (٢) ولا دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا نِيْل منه شيء قط فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله ، فإذا انتهكت محارم الله ، لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتقم لله " (٣) .

---

(١) هي بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين ، أفقه النساء مطلقا وأفضل أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – الا خديجة ففيها خلاف شهير، ماتت سنة ٥٧ هـ على الصحيح . تقريب التهذيب ٢ : ٦٠٦ الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ٥٨ – ٨١ دار صادر وبيروت ، بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨م .

(٢) في ط زيادة (له قط) في الموضعين .

(٣) في ط زيادة : (وماعرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر الا أخذ بأيسرها ، الا أن يكون مأثما ، فإن كان مأثما كان أبعد الناس منه).

(٣) الحديث رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته – صلى الله عليه وسلم – للآثام ... ، ٤ : ١٨١٤ (٢٣٢٨) بلفظ : " ماضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئا قط بيده ،ولا أمرأة ولاخادما الا أن يجاهد في سبيل الله ، ومانيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل " . ورواه أبو داود مختصرا ،كتاب الأدب ، باب في التجاوز في الأمر ٤ : ٢٥٠ (٤٧٨٦)مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار – احياء السنة النبوية .والذي أخرجه البخاري بلفظ : " ماخير رسول الله – صلى اللهعليه وسلم بين أمرين الا أختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه. وما أنتقم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله بها " أخرجه في كتاب المناقب ، باب صفة النبي – صلى الله عليه وسلم – ٦ : ٥٦٦(٣٥٦٠) من فتح الباري .

وفي الصحيح (١) عن أنس (٢) أنه قال : " خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين ، فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : لم لافعلته ؟ (٣) وكان بعض أهله إذا عتبوني على شيء يقول : " دعوه ، فلو قدر شيء لكان "(٤) هذا مع قوله ـ في الحديث الصحيح ـ لما سرقت امرأة (٥) كانت من أشرف قريش من بني مخزوم (٦) فأمر بقطع يدها ،

---

(١) في ط (الصحيحين) .

(٢) هو ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خدمه عشر سنين ، صحابي مشهور مات سنة ٩٢ أو ٩٣ هـ وله أكثر من ١٠٠ سنة . تقريب التهذيب ١ : ٨٤ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ١٧ ـ ٢٦ .

(٣) في ط زيادة : (ولا لما صنعت لم لاصنعت) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب باب حسن الخلق ... ، بلفظ : " خدمت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين فما قال لي أف ، ولالم صنعت ؟ ولا ألا صنعت " فتح الباري ١٠ : ٤٥٦ (٦٠٣٨) . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقا بلفظ . " خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين ، والله ماقال لي افا قط ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا ؟ وهلّا فعلت كذا "؟ وبالفاظ أخرى مقاربة ، ٤ : ١٨٠٤ (٢٣٠٩) ، ورواه أبو داود كتاب الأدب ،باب في الحلم ... ، ٤:٢٤٦ (٤٧٧٤) وآخر الحديث ورد في طبقات ابن سعد ٧ : ١٧ بروايته عن الواقدي عن الأسدي عن ابن برقان عن عمران البصري عن أنس .

(٤) في ط الحقت كلمة (هذا) بالحديث ووضع القوس بعدها .

(٥) هي فاطمة بنت أبي الأسد ـ أو أبي الأسود ـ بن عبد الأسد . وهي ابنة أخي أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي . أسد الغابة ٦ : ٢١٨ .

=

فقالوا : من يكلم فيها رسول الله_صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا :من يجترىء عليه الا أسامة بن زيد (١) ؟ فكلموه ، فكلمه فيها ، فقال :"يا أسامة! أتشفع في حد من حدود الله ؟ إنما أهلك من كان قبلكم (٢) : أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! والذي نفس محمد بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد (٣) سرقت لقطعت يدها (٤) !" .

= (٦) هم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان • جمرة أنساب العرب : ١٢ –١٣ و ١٤١ • لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي – ٤٥٦ هـ ط ١ ،دارالكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م •

(١) هو ابن حارثه بن شراحيل الكلبي ، الأمير أبو محمد وأبو زيد ، صحابي مشهور ، مات سنة ٥٤ هـ وله ٧٥ سنة بالمدينة • تقريب التهذيب، ١ : ٥٣ ، والاستعياب في أسماء الأصحاب ١ : ٥٧ – ٥٩ لأبي عمر يوسف ابن عبدالله بن عبد البر القرطبي – ٤٦٣ هـ بهامش الاصابة في تمييز الصحابة •

(٢) ورد في رواية : " إنما هلك بنواسرائيل " وفي أخرى :" إنهم عطلوا الحدود عن الأغنياء ، وأقاموها على الضعفاء "•وفيهما مايبين ان المقصود بالاسم الموصول "من " هم بنواسرائيل " فتح الباري ١٢ : ٩٤ •

(٣) هي فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله_صلى الله عليه وسلم_، أم الحسنين، سيدة نساء هذه الأمة ، ماتت بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل • تقريب التهذيب ٢ : ٦٠٩ وسير•• النبلاء ٢ : ١١٨ – ١٣٤ •

(٤) قال محمد بن رمح :"سمعت الليث يقول:"قد أعاذها الله – عز وجل – أن تسرق قد أعاذها الله_عز وجل_أن تسرق • كل مسلم ينبغي له أن يقول هذا"• سنن ابن ماجه ٢ : ٨٤ وهو الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني – ٢٧٣ هـ ط ٢ ، شركةالطباعة العربية السعودية ، الرياض ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م •

(٤) رواه البخاري ، كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ، ١٢ : ٨٧ (٦٧٨٨) من فتح الباري ،ورواه مسلم ، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره ••• ، ٣ : ١٣١٥(١٦٨٨) •

ففي شريعته _صلى الله عليه وسلم_ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظم مما في الانجيل ، وفيها من الشدة والجهاد ، واقامة الحدود على الكفار والمنافقين . أعظم مما (١) في التوراة ، وهذا هو غاية الكمال . ولهذا قال بعضهم : بُعثَ موسى بالجلال ، وبُعثَ عيسى بالجمال ، وبعث محمد بالكمال.

الوجه الخامس : ان نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والاحسان اليهم ، وذلك نوعان :

أحدهما : أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم ، مثل رزقهم الذي لولا هو ،لماتوا جوعا ، ونصرهم الذي لولا هو لأهلكهم عدوهم ، ومثل هداهم الذي لولا هو لضلوا ضلالا يضرهم في آخرتهم . وهذا النوع من النعمة لابد لهم منه وان فقدوه حصل لهم ضرر ، اما في الدنيا واما في الآخرة ، واما فيهما . ولهذا كان في سورة النحل (٢) ، وهي سورة النعم ، في أولها ، أصول النعم (٣) في أثنائها كمال النعم .

والنوع الثاني : النعم التي تحصل (٤) بها من كمال النعم وعُلُو الدرجة مالايحصل بدونها ، كما أنهم في الآخرة نوعان : أبرار أصحاب يمين ،ومقربون سابقون . ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم .

وإذا كانت النعمة نوعين ، فالخلق كانوا محتاجين إلى ارسال محمد _ صلى الله عليه وسلم _ من هذين الوجهين ، وحصل بارساله هذان النوعان من النعمة ، فإن الناس بدونه كانوا جهالا ضالين : أميين (٥) وأهل الكتاب منهم .

---

(١) في ك (ما) .

(٢) وهي السورة رقم ١٦ في المصحف الشريف .

(٣) سقطت الواو من ط .

(٤) في ك و ط (يحصل) .

(٥) في ك و ط (أميهم) .

(٥) الأمّي في كلام العرب : الذي لايحسن الكتابة ، فقيل : نسبة إلى الأم ، لأن الكتابة مكتسبة ، فهو على ماولدته أمه من الجهل بالكتابة ، وقيل: نسبة إلى آمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين . المصباح : ٢٣

ولم يكن قد بقى من أهل الكتاب ـ أتباع المسيح ـ من هو قائم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في الآخرة ، بل كانوا قد بدلوا وغيروا ،وأيضا فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئا ، ففي ارساله من كمال النعم وتواصلها (١) ، وعلو الدرجات في السعادة ، مالم يكن حاصلا بالكتاب الأول . فكان ارساله أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نَوْعَي النعيم .

ومن استقرأ (٢) أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من انعامه بارساله ـ صلى الله عليه وسلم (٣) ـ وان الذين ردوا رسالته ، هم ممن قال الله فيهم : ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾ (٤) ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال ـ تعالى ـ : ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ (٥) ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (٦) ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ (٧)

---

(١) في ط (فواضلها) .

(٢) في أ و ك (استبرأ) والأظهر مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٣) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٤) سورة ابراهيم : ٢٨

(٤) البوار هو الهلاك . قال الشاعر :
فلم أر مثلهم أبطال حرب غداة الحرب إذ خيف البوار
البحر المحيط ٥ : ٤١٤ .

(٥) سورة الأنعام : ٥٣ .

(٦) جمع عقب وهي مؤخر القدم . المصباح : ٤١٩ .

(٧) سورة آل عمران : ١٤٤ .

الوجه السادس : أن يقال قولهم (١) : " انا نعجب من هؤلاء القوم ... " إلى آخر الفصل ، قول جاهل ظالم يستحق أن يقال له : بل العجب من هذا العجب هو الواجب ، بل هو الذي لاينقضي منه العجب ، وأن كل عاقل ليعجب ، ممن عرف دين محمد - صلى الله عليه وسلم - وَقَصَده الحق ، ثم اتبع غيره ، ويعلم أنه لايفعل ذلك الا مُفرِط (٢) في الجهل والضلال ، أو مُفرِط في الظلم واتباع الهوى .

وذلك أن أهل الأرض نوعان : أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى ، وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند (٣) والترك (٤) وغيرهم (٥) ، كالمجوس من الفرس (٦) وغيرهم ، وكالصابئة من المتفلسفة وغيرهم .

---

(١) القائلون هم النصارى فيما حكاه عنهم (بولس الأنطاكي) كما تقدم أكثر من مرة .

(٢) من أفرط أي أسرف وجاوز الحد . المصباح : ٤٦٩ .

(٣) أي أهل الهند ، والهند : أرض واسعة في البر والبحر والجبال ، وهي متصلة مما يلي الجبال بأرض خراسان والسند إلى أرض التبت . مروج الذهب ١ : ٨٢

(٤) وهم من الصقالبة ، والصقالبة : من ولد مار بن يافث بن نوح ، والترك أحسنهم صورا ، وأكثرهم عددا ، وأشدهم بأسا . والترك طوائف منهم الكيماكية والبرسخانية وأشدهم بأسا الغزية ، وأحسنهم صورة ، وأطولهم قامة ، وأصبحهم وجوها الخزلجية ، وهم أهل فرغانة والشاس ومايليهما . والاسم الجامع لبلاد الترك هو " تركستان " وحدّها : الصين والتبت وفاراب ، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة . انظر مروج الذهب ٢ : ٣٣ و ١ : ١٣٢ و معجم البلدان ٢ : ٢٣ .

(٥) في ط زيادة واو العطف .

(٦) المستفيض عند الفرس أنهم من ولد " ايرج " وهو ابن أفريدون بن أثقابان بن جمشيد ابن ملك الأقاليم السبعة ، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن أول ملوكهم هو " كيومرت " وهو أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح . انظر مروج الذهب ١ : ٢٢٤ و ٢٣٨ .

وأهل الكتاب يُسَلِّمون لنا ، أن مَنْ سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منفعة ظاهرة ، وأنه دعا جميع طوائف المشركين والمجوس والصائبين إلى خير مما كانوا عليه ، بل كانوا (١) أحوج الناس إلى رسالته . وأما أهل الكتاب ، فاليهود مسلمون (٢) لنا حاجة النصارى اليه ، وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه . والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود اليه ، وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه .

فما من طائفة من طوائف أهل الأرض الا وهم مقرون بأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا سائر الطوائف (٣) غيرهم ، إلى خير مما كانوا عليه . وهذه شهادة من جميع أهل الأرض بأنه دعا أهل الأرض إلى خير مما كانوا عليه . فإن شهادة جميع الطوائف مقبولة على غيرهم ، إذ كانوا غير متهمين عليهم ، فانهم معادون لمحمد وأمته (٤) معادون لسائر الطوائف . وأما شهادتهم لأنفسهم فغير مقبولة ، فإنهم خصومه ، وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة .

وقد أعترف الفلاسفة بأنه لم يقرع العالم ناموس (٥) بأفضل (٦) من ناموسه ، واعترفوا بأنه أفضل من ناموس موسى والمسيح ـ ـ عليهما (٧) الصلاة والسلام ـ بل كان (٨) لهم من الطعن (٩) في نواميس غيره ، ماليس هذا موضع ذكره . بخلاف ناموس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه لم يطعن فيه أحد منهم ، الا من كان خارجا عن قانون الفلسفة التي توجب عندهم العدل والكلام بعلم ـ وأما (١٠) من التزم منهم الكلام بعلم وعدل ، فهم متفقون على أن ناموس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل ناموس طرق (١١) العالم ، فكيف يُعجب (١٢) من مثل هذا الناموس ؟!

---

(١) في ط زيادة (من) .
(٢) في ط (يسلمون) .
(٣) في ط زيادة واو العطف .
(٤) في ك و ط زيادة الواو .
(٥) ناموس : اسم يوناني الأصل معناه "شريعة أوقانون " قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٩٧٨ .
(٦) في ك و ط (أفضل) .
(٧) في أ و ك (عليهم) .
(٨) سقطت (كان) من ط .
(٩) هو القدح والعيب . المصباح : ٣٧٣
(١٠) في ك وط (فاما)
(١١) بمعنى طلع ، وكل ما آتى ليلا فقط طرق . المصباح : ٣٧٢ .
(١٢) في ك (تعجب) ، وفي ط (يتعجب) .

الوجه السابع : أن يقال لأهل الكتاب خصوصا ، فيقال لليهود : أنتم أذل الأمم ، فلو قدر أن ما أنتم عليه دين الله الذى لم يبدل ،فهو مغلوب مقهور في جميع الأرض ، فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولا يهدى إلى الحق والى طريق مستقيم ، فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، حتى يصير دين الله الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، منصورا ظاهرا بالحجة والبيان والسيف والسنان (١) ؟ !

ويقال للنصارى : أنتم لم تخلّصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين ، بل أخذتم من أصول المشركين (٢) والمعطلين من الفلاسفة وغيرهم ، ما أدخلتموه في دينكم ، وليس لكم على (٣) أكثر (٤) الكفار ، حجة علمية ، ولايد قهرية ،بل للكفار في قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم ، ما أنتم به من أضعف الأمم حجة ، وأضيقها محجة (٥) ، وأبعدها عن العلم والبيان ، وأعجزها عن أقامة الحجة والبرهان ، تارة تخافون من الكفار والفلاسفة وغيرهم من المشركين والمعطلين ، فإما أن توافقوهم على أقوالهم واما أن تخضعوا لهم متواضعين . وتارة تخافون من سيوف المشركين ، فاما أن تتركوا بعض دينكم لأجلهم ، واما أن تذلوا لهم خاضعين .

ففيكم من ضعف سلطان الحجة ، وضعف سلطان النصرة ، مايظهر به حاجتكم إلى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه . فالعجب منكم ، كيف تعدلون عما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة إلى مافيه شقاؤكم في الدنيا والآخرة ؟ هذا هو العجب ! ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وفي خلافه شقاوة الدنيا والآخرة .

---

(١) في أ (البنان) والأصح مافي ك و ط . وهو ما أثبتناه .
(١) السنان : هو سنان الرمح ، وجمعه : أسنة . مختار : ٣١٧ .
(٢) في ط بدون عطف .
(٣) في ط زيادة (على) هنا .
(٤) في ك و ط زيادة : (لا)
(٥) المحجة : جادة الطريق . مختار : ١٢٣ .

ومثل هذا لايرد على المسلمين ،فإنه لم يزل ولايزال فيهم طائفة قائمة بالهدى ودين الحق ، ظاهرة بالحجة والبيان ، واليد والسنان (١) ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، كما ثبت في الصحاح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لايضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة " وفي لفظ " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرة حتى يأتي الله بأمره " (٢) .

---

(١) في ط (اللســان) .

(٢) الحديث متفق عليه ، وهو بألفاظ متعددة ، انظر فتح الباري ، كتاب فرض الخمس ، باب قول الله - تعالى - : "٠٠ فأن لله خمسة ٠٠" ٦: ٢١٧ (٣١١٦) ، وكتاب المناقب ، باب (٢٨) ٦ : ٦٣٢ (٣٦٤٠ - ٣٦٤١)، وكتاب الأعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لاتزال طائفة ٠٠ " ١٣ : ٢٩٣ (٧٣١١ - ٧٣١٢) ، وفي كتاب التوحيد ، باب قول الله - تعالى - "انما قولنا لشيء إذا أردناه ٠٠" ١٣ : ٤٤٢ (٧٤٥٩ - ٧٤٦٠) ، وانظر صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب قوله - صلى الله عليه وسلم - : " لاتزال طائفة ٠٠٠ " ٠ ٣ : ١٥٢٣ - ١٥٢٥ (١٩٢٠ - ١٩٢٥ و ١٠٣٧) ، ورواه ابو داود ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤ : ٩٧ - ٩٨ (٤٢٥٢) ، ورواه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ماجاء في الأئمة المضلين ٤ : ٥٠٤ - ٥٠٥ (٢٢٢٩) ، ورواه ابن ماجه ، المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ١ : ٥ - ٦ (٥ - ٩) وأبواب الفتن ، باب مايكون من الفتن ٢ : ٣٦٨ (٤٠٠٠) ، ورواه الامام أحمد في المسند ٣ : ٤٣٦ و ٤ : ٩٣ ٠ ورواه ابن حبان : موارد الظمان ، في زوائد ابن حبان : ٤٥٨ (١٨٥١)٠ للامام على بن أبي بكر الهيثمي - ٨٠٧ هـ ت : محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٠

الوجه الثامن : أن يقال لأهل الكتاب ؛ لليهود : أنتم لما كنتم متبعين لموسى (١) - عليه السلام - كنتم على الهدى ودين الحق ، وكنتم (٢) منصورين ، ثم كثرت فيكم الأحداث التي تعرفونها ، كما قال - تعالى - (٣) : ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون * قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴾ (٤) وقوله (٥) - تعالى - "وعبد الطاغوت" (٦) معطوف على (لعنه الله) أي من لعنه الله وغضب عليهم (٧) وعبد هو (٨) الطاغوت ، ليس هو داخلا في خبر جعل (٩) ، حتى يلزم اشكال كما ظنه بعض الناس .

---

(١) في ط (موسى) .

(٢) في ط (فكنتم) .

(٣) في ط زيادة (لكم) .

(٤) سورة المائدة : ٥٩ - ٦٠

(٥) لم ترد كلمة التقديس في ك و لا ط .

(٦) في ط زيادة (قوله) .

(٧) في ط (عليه) .

(٨) سقطت (هو) من ط .

(٩) انظر البحر المحيط ٣ : ٥١٨ - ٥٦٩ ، واملاء مامن به الرحمن ، من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ١ : ٢٢٠ - ٢٢١ لأبي البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري - ٦١٦ هـ ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات ، وقتلوا الأنبياء .
وقال – تعالى – : ﴿ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ فإذا جاء وعد أولا هما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار (١) وكان وعدا مفعولا ﴾ ثم رددنا لكم الكرة (٢) عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (٢) ﴾ ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخره ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (٣) ﴾ وهم معترفون بأن بيت المقدس (٤) خرب مرتين .

---

(١) أي طافوا وسط البيوت ، يغدون ويروحون للتفتيش عنكم ، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب ، لايخافون من أحد . صفوة التفسير ١٥ : ١٥٢ .

(٢) الكرة : الدولة والغلبة . نفيرا : عددا ورجالا . تتبيرا : تدميرا واهلاكا . حصيرا : محبسا وسجنا . المصدر السابق ١٥ : ١٥٢ – ١٥٣ .

(٣) سورة الاسراء : ٤ – ٨ .

(٤) بيت المقدس : أي البيت المطهر ، الذي يتطهر به من الذنوب ، وهو مسجد كبير متسع الأقطار ، وسط مدينة كبيرة تسمى القدس (فك الله أسرها) وهي على جبل بين جبال شامخة ، بها قرى ، والمسجد في طرفها القبلي من شرقيها ، قد بني على سطح جبل ، وفي وسط المسجد جبل صغير ، أعلاه الصخرة المشهورة التي كانت بنو اسرائيل يقربون عليها القربان ، وهي القدس ومدينة القدس تسمى "ايلياء " وهي قصبة (عاصمة) فلسطين ، وفلسطين آخر كور (مناطق) الشام من ناحية مصر . انظر مراصد ٣ : ١٢٩٦ و ١٠٤٢ و ١ : ١٣٨ .

فالخراب الأول لما جاء " بخت نصر " وسباهم الى بابل (١) ، وبقي خرابا سبعين سنة (٢) . والخراب الثاني : بعد المسيح بنحو سبعين سنة . وقد قيل :هذا تأويل قوله : ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾ (٣) فبعد الخراب الثاني ، تفرقوا في الأرض ، ولم يبق لهم ملك . وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار . وبعث المسيح - عليه الصلاة والسلام - وهم كذلك .

ويقال للنصارى : أنتم مازلتم مقهورين مغلوبين مبددين في الأرض ،حتى ظهر قسطنطين (٤) وأقام دين النصرانية بالسيف ، وقتل من خالفه من المشركين واليهود . لكن أظهر دينا مبدلا مغيرا ، ليس هو دين المسيح - عليه السلام- ومع هذا فكانت أرض العراق وفارس (٥) كفارا ، (٦) العجوس وغيرهم . مجوسا ومشركين.

---

(١) المشهور بهذا الاسم المدينة الخراب بقرب (الحلة) التي بجوار بغداد،وإلى جانبها قرية تسمى (بابل) أيضا وقد كانت مدينة بابل مبنية على جانبي نهر الفرات ، انظر مراصد ١ : ١٤٥ وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٥٣ .

(٢) وقد كان سنة ٦٠٥ و ٥٩٧ و ٥٨٧ و ٥٨٢ ق . م في زمن النبي دانيال - عليه السلام - انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٥٨ .

(٣) سورة المائدة : ٧٨ .

(٤) قسطنطين : سبق التعريف به ص ١٠٥.

(٥) (فارس) : ولاية واسعة ، واقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق (أرجان) ، ومن جهة كرمان (السيرجان) ،ومن جهة ساحل بحر الهند (سيراف) ، ومن جهة السند (مكران) ،وكانت (شيراز) قصبتها (عاصمتها) ومناطقها خمس . مراصد الاطلاع ٣ : ١٠١٢ .

(٦) في ك و ط زيادة (من) .

وكانوا في بعض الأزمنة يقهرون النصارى على بلادهم .

وأما أرض المشرق والمغرب ففيهما من أنواع المشركين أمم . وكان الشرك والكفر ظاهرا في أرض اليمن والحجاز (١) والشام والعراق ، فلما بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - أظهر به توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ، ظهورا لم يعرف في أمة من الأمم ، ولم يحصل مثله لنبي من الأنبياء ، وأظهر به من تصديق الكتب والرسل والتوراة والانجيل والزبور ، وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الرسل مالم يكن ظاهرا ، لاعند أهل الكتاب ولاغيرهم ، فأهل الكتاب وان كانوا خيرا من غيرهم فلم يكونوا قائمين بما يجب من الايمان بالله ورسله ولاباليوم الآخر ولا شرائع دينه ، ولا كانوا قاهرين لأكثر الكفار ، (٢) ولاكانوا منصورين عليهم ، ولهذا قال - تعالى - :

* قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ... * (٣) .

أما اليهود ففيهم من التنقص من (٤) الأنبياء في (٥) سبهم ، وذكر عيوب نزههم الله عنها (٦) ، ماهو معروف . حتى ان منهم من يقول : ان سليمان كان ساحرا ، وداود كان منجما (٧) لم يكن نبيا ، الى أمثال ذلك مما يطول وصفه . ففيهم (٨) من الكفر بالأنبياء ، من جنس ماكان في سلفهم الخبيث .

---

(١) الحجاز جبل ممتد حال بين الغور (المطمئن من أرض) تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما . معجم البلدان ٢ : ٢١٨ .

(٢) في ك و ط زيادة (بل) .

(٢) انظر تاريخ بني اسرائيل ، من أسفارهم : ٤٧ وغيرها ، وهو كتاب قيم موثق مختصر ، لمحمد عزة دروزة ، المكتبة العصرية ، صيدا ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م . ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود : ١٥٨ - ١٦٠ د. عبدالستار فتح الله سعيد ، مكتبة المنار ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ

(٣) سورة التوبة : ٢٩ .

(٤) في ك و ط (بالأنبياء) .

(٥) في ك و ط (وسبهم) .

(٦) في ك و ط (منها) .

(٧) في أ (مسبحا) والصحيح مافي ك و ط وهو ماأثبتناه .

(٨) في أ (فيهم) .

وأما النصارى – فمع غلوهم في المسيح وأتباعه – يستخفون بغيره ،فتارة يجعلون الحواريين مثل إبراهيم وموسى أو أفضل منهم ، وتارة يقولون – كما قال اليهود – : "إن سليمان لم يكن نبيا ، بل سقط من النبوة"، وتارة يجعلون ماخاطب الله به داود وغيره من الأنبياء إنما أريد به المسيح . مع أن اللفظ لايدل على ذلك ، بل يتأولون (١) كتب الله بمجرد هوى أنفسهم ،وتارة يقولون : إن الواحد منهم إذا أطاع الله بما يزعمون أنه طاعة ، صار مثل واحد من الأنبياء (٢) ، ويسوغون لمثل هؤلاء أن يغيروا شرائع الأنبياء ، ويضعوا دينا ابتدعوه (٣) . ومحمد – صلى الله عليه وسلم – وأمته أقاموا توحيد الله الذي كان عليه ابراهيم وموسى وسائر الرسل ، وآمنوا بكل كتاب أنزله الله ، وكل رسول بعثه الله ، وأقاموا دين الرحمن إقامة لم يقمها أحد من الأمم فعامة أهل الأرض مع محمد – صلى الله عليه وسلم – (٤) : إما مؤمن به باطنا وظاهرا ، وهم أولياء الله المتقون ، وحزبه المفلحون ، وجنده الغالبون . وإما مسلمون له في الظاهر ، تقية (٥) وخوفا من أمته ، وهم المنافقون ، وإما مسالمون له بالعهد والذمة والهدنة : وهم أهل الذمة والهدنة في جميع الأرض ، وإما خائفون من أمته .

---

(١) أول الكلام تأويلا ، وتأوله : دبره وقدره وفسره . ترتيب القاموس ١ : ١٩٧ .

(٢) في ك و ط زيادة : (وأفضل منه ، ووجب طاعته ، كما تجب طاعة الأنبياء)

(٣) البدعة : الحدث في الدين بعد الاكمال . ترتيب القاموس ١ : ٢٣٠ .

(٤) لم ترد في ك جملة : (مع محمد) ، ولم ترد فيها ولافي ط الجملة الدعائية .

(٥) في ك و ط (قاهرا) .

(٥) هي الموالاة والمعاشرة والمحالفة الظاهرة ، لأنهم يحذرون من جهتهم أمرا يريدون اتقاءه . انظر الكشاف ١ : ٤٢٢ .

وحيث كان الواحد والطائفة من أمته متمسكا بدينه ، كان نوره ظاهرا ، وبرهانه باهرا (١) معظما منصورا ، يعرف فضله على كل من سواه .

وهذا أمر يعرفه الناس في أرض الكفار من المشركين وأهل الكتاب لما خص الله به محمدا - صلى الله عليه وسلم (٢) - وامته من الهدى ودين الحق . وقد أظهروا (٣) دين الرب في مشارق الأرض ومغاربها ، بالقول والعمل . فهل يقول من عنده علم وعدل : إنه لافائدة في إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم (٤) - وانه يستغنى بما عند أهل الكتاب عن رسالته ؟ ! .

الوجه التاسع : أن يقال : هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع ، فإنه أقام توحيد الله ودينه (٥) فيهم ، وأنه عظّم المسيح ، وردّ على اليهود قولهم فيه وأهانهم ، وحينئذ فهذا من أعظم الفوائد ، وأجل المقاصد ، وأعظم نعم الله على عباده . ثم هو - مع ذلك - قال : إن الله أرسله وأمره بذلك .

فإن كان كاذبا ، فالكذاب المفتري على الله من شر الكفار ، ومن يكون كذلك لايحصل منه هذا الخير العظيم ، الذي ماحصل مثله من أحد من الأنبياء ، فإنه أزال دين المشركين ، ودين المجوس ، وقمع (٦) اليهود . وكل واحدة من هذه الثلاث لم يقدر عليه أحد قبله من الأنبياء والمرسلين .

---

(١) في ك و ط (قاهرا)

(٢) في أ (محمد) بغير النصب وقد اعتمدنا مافي ك و ط وهو النصب ، ولم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط .

(٣) في ط (عاقل ممن) .

(٤) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط .

(٥) لم ترد (ودينه) في ك .

(٦) أي أذلهم وأهانهم . المصباح : ٥١٦ .

وان كان صادقا • فهو قد أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من الأمم ، وأخبر عن الله بكفر كل من لم يؤمن به ، وهذا الوجه ممن يخاطب به كل صنف • فيقال كل صنف من الأمم : أنتم معترفون بأن من سواكم اذا اتبعوا دين محمد - صلى الله عليه وسلم - (١) كان خيرا لهم مما هم عليه • فاليهود معترفة بأن النصارى اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين النصارى • والنصارى معترفون بأن اليهود اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين اليهود • وأهل الكتاب • اليهود والنصارى معترفون بأن من سواهم اذا اتبعوا - محمدا صلى الله عليه وسلم - (٢) كان خيرا لهم مماهم عليه •

فالمجوس والمشركون من العرب ، والسودان (٣) والترك وأصناف الخزر (٤) والصقالبة (٥) ، إذا اتبعوه كان خيرا لهم مماهم عليه • وسائر أصناف الكفار معترفون بأن أتباعه خير من غيرهم (٦) • ومن ليس من أهل الكتاب ، عامتهم ، معترفون

---

(١) لم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط •

(٢) لم يرد الاسم الشريف في ط ، ولم يرد فيها ولا في ك الجملة الدعائية •

(٣) (السودان) : اسم يطلق على الأرض الشاسعة من أفريقيا ، المحصورة بين الصحراء وخليج غينيا وحوض نهر الكونغو • وهو ثلاثة أقسام: السودان الشرقي والأوسط والغربي ، وأغلب سكان الشرقي والأوسط مسلمون وأما الغربي فزنوج • دائرة معارف وجدي ٥ : ٣١٧ - ٣١٩ •

(٤) "الخزر" أمة من ولد يافث بن نوح - عليه السلام - وهو الأصغر من ولد نوح ، وبلادهم حول جبل القبخ في خراسان ، تهود ملكهم في خلافة هارون الرشيد ثم أسلموا سنة ٣٥٤ هـ • مروج الذهب ٢ : ٣٤ و ١ : ١٧٦ و ١٧٨ ، والبداية والنهاية ١١ : ٢٥٦ •

(٥) (الصقالبة) : من ولد مار بن يافث بن نوح - عليه السلام - ، واليه يرجع سائر أصناف الصقالبة ، وبه يلحقون في أنسابهم ، ومساكنهم بالجدي الى أن يتصلوا بالمغرب ،وهم أجناس مختلفة ، وبينهم حروب ولهم ملوك منهم كتابيون ومنهم جاهليون • مروج الذهب ٢ : ٣٢ •

(٦) في ط (غيره) •

بأن دين المسلمين خير من دين[1] اليهود والنصارى . وحينئذ فيقال : من جاء بهذا الدين الذي يفضله جميع أهل الأرض على غيره ، يمتنع أن يكون من أكفر الناس وأحقهم بغضب الله وعقابه . وكل من قال : إنه رسول الله . فإن كان صادقا . كان من خير أهل الأرض وأحقهم برضوان الله وثوابه . وإن كان كاذبا ، كان من شر أهل الأرض وأحقهم بغضب الله وعقابه . ومن حصل منه هذا الخير والعلم والهدى ، ومافيه صلاح الدنيا والآخرة ، أعظم مما حصل من جميع الخلق : يمتنع أن يكون من أكفر الناس ، المستحقين لغضب الله وعقابه ، فوجب أن يكون من خير أهل الأرض ، * بل هو خير أهل الأرض *[2] وأحقهم برضوان الله وثوابه .

الوجه العاشر : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كانت سنته قبل إنزال التوراة ، إذا كُذِّب نبي من الأنبياء[3] ينتقم الله[4] من أعدائه بعذاب من عنده ، كما أهلك قوم نوح بالغرق ، وقوم هود بالريح الصرصر[5] ، وقوم صالح بالصيحة ، وقوم شعيب بالظلة[6] ، وقوم لوط بالحاصب[7] ، وقوم فرعون بالغرق ، قال

---

(١) سقطت (دين) من ط .

(٢) مابين النجمتين زيادة من ط . وهي زيادة حسنة جدا .

(٣) في ط زيادة (أن) .

(٤) في ك و ط (ينتقم له) .

(٥) الريح الصرصر : هي الريح الباردة المحرقة ، كما تحرق النار ، قاله الفراء والزجاج ، وقال السدي وغيره : الصرصر : من صرصر : اذا صَوَّت . البحر المحيط ٧ : ٤٨١ و ٤٩٠ .

(٦) الظلة : هي حر شديد جدا ، مدة سبعة أيام ، لايُكِنُّهم منه شيء ، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم ، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله ـ تعالى ـ عليهم شررا من نار ولهبا ووهجا عظيما ، ورجفت بهم الارض ، وجاءتهم صيحة عظيمة ازهقت أرواحهم . تفسير القرآن العظيم ٦ : ١٧٠ للحافظ إسماعيل ابن كثير ـ ٧٧٤ هـ ت : د. محمد البنا وزميله . دار الشعب ، القاهرة .

(٧) الحاصب: هي الريح العاتية التي تحمل حصباء الأرض فتقلبها عليهم ، والمؤلف هنا أخذ بالرواية الواردة عن ابن عباس وقتادة ، والتي استبعدها ابن كثير. انظر تفسير القرآن العظيم ٦ : ٢٨٨ .

ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴾ (١) فلما أنزل التوراة ، أمر أهل الكتاب بالجهاد ، فمنهم من نَكَل ، ومنهم من أطاع .

وصار المقصود بالرسالة لايحصل إلا بالعلم والقدرة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) (٢) .

فقول هؤلاء : " إن التوراة جاءت بالعدل ، والانجيل بالفضل ،فلا حاجة إلى غيرهما " لو قدر أنه حق ، إنما يستقيم إذا كان الكتابان لم يبدلا بل كانا مُتَّبَعَيْن علما وعملا، وكان أهلهما (٣) مع ذلك منصورين مؤيدين على من خالفهم ، فكيف وكل منهما قد بدل كثير مما فيه ، وأهلهما غير منصورين على سائر (٤) الكفار ؟ ! بل الكفار ظاهرون عليهم في أكثر الأرض ، كأرض اليمن والحجاز ، وسائر جزيرة العرب ، وأرض العراق وخراسان والمغرب (٥) ، وأرض الهند والسند (٦) والترك . وكان بأيدي أهل الكتاب الشام ومصر وغير ذلك ، ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك . ثم إن الله أظهر النصارى عليهم ، فكان ظهورهم توطئة وتمهيدا لإظهار دين الإسلام .

---

(١) سورة القصص : ٤٣

(٢) سورة الفتح : ٢٨ .

(٣) في ك (أهلها) .

(٤) سقطت (سائر) من ط .

(٥) في أ (الغرب) بدون ميم ، وقد رجحنا مافي ك و ط حيث أنه الموجود في معجم البلدان والمراصد .

(٥) (المغرب) ضد المشرق ، وهي بلاد واسعة كبيرة ، قيل:حدها من مدينة " مليانة " . وهي آخر حدود إفريقية الى آخر جبال السوس ، التي وراءها البحر المحيط ، فتدخل فيه جزيرة الأندلس . معجم البلدان ٥ : ١٦١ ومراصد الاطلاع ٣ : ١٢٩٣ .

(٦) (السند) بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ومدينتها (المنصورة) . مراصد ٢ : ٧٤٦ .

فإن الفرس المجوس ، لما غلبوا الروم (١) ، ساء ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين به ، وفرح بذلك مشركوا العرب ، وكانوا أكثر من المؤمنين، لأن أهل الكتاب أقرب الى المؤمنين من المجوس ، والمجوس أقرب الى المشركين منهم إلى أهل الكتاب ، ووعد الله المؤمنين أن تَغْلِبَ الروم بعد ذلك ، وأنه يومئذ (... يفرح المؤمنون بنصر الله ...) (٢) فأضاف النُّصرة إلى اسم الله (٣) ، ولم يقل: بنصر الله إياهم . وذلك أنه حين ظهرت الروم على فارس ، كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود .

وأرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ ذاك يدعو ملوك النصارى بالشام ومصر إلى الايمان به ، فعرفوه وعرفوا أنه النبي المبشر به ، وكان ذلك أول ظهور دينه . ثم أرسل طائفة من أصحابه إلى غيرهم (٤) ، ثم خرج بالمسلمين بنفسه (٥) معهم عام تبوك إلى الشام ، ثم فتح هذه البلاد أصحابه ، فكان تأييد دين الله وظهوره ، وإذلال المشركين والمجوس وغيرهم من الكفار (٦) ، على يديه ويدي أمته ، لا على يد اليهود والنصارى (٧) .

---

(١) جيل معروف ، في بلاد واسعة ، تضاف إليهم فيقال : بلاد الروم . ومشارق بلادهم وشمالهم : الترك والروس والخزر ، وجنوبهم : الشام والاسكندرية ، ومغاربهم : البحر والأندلس ، وكانت أنطاكية دار ملكهم ، الى أن نفاهم المسلمون الى أقصى بلادهم . وقد قيل في نسبهم أن جدهم : رومي بن ليطن بن يونان بن يافث بن برية بن سرحون بن رومية بن مرنط بن نوفل بن روين بن الأصفر بن النضر بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم – عليهما السلام . مراصد الاطلاع ٢ : ٦٤٢ ، ومروج الذهب ١ : ٣٠٨ .

(٢) سورة الروم : ١ – ٤ .

(٣) في ط زيادة (الذي هو الفاعل) .

(٤) في ط (الى مؤتة) .

(٥) لم ترد (بنفسه) في ط .

(٦) سقطت (من الكفار) من أ وك ، وقد أثبتناها من ط .

(٧) في أ زيادة (من الكفار) ، ولاتلتئم في السياق . ولهذا لم نثبتها .

فلو قُدِّر أن شرع أولئك كامل لا تبديل فيه ، لكان مغلوبا مقهورا ، وكان الله قد أرسل من يؤيد دينه ، ويظهره ، فكيف وهو مبدّل ؟! ولو لم يبدل فدين أحمد أكمل وأفضل منه ، فذاك مفضول مبدل ، وهذا فاضل لم يبدل، وذلك مغلوب مقهور ، وهذا مؤيد منصور ، وببعض هذا تحصل الفائدة في ارساله ! .

فكان من أجلّ الفوائد إرسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف يقال : إنه لا فائدة في إرساله .

الوجه الحادي عشر : قولهم : " لما كان الباري عدلا جوادا (١) أوجب أن يظهر عدله وجوده " . فيقال لهم : جود الجواد : غير إلزام الناس بترك حقوقهم . فإن الجواد هو الذي يحسن إلى الناس ، ليس هو الذي يلزم الناس بترك حقوقهم . وهؤلاء يزعمون أن شريعة الإنجيل الزمت الناس بترك حقوقهم ، وأنه لا ينصف مظلوم من ظالمه ، ولهذا ليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس ، بل الحكم عندهم حكمان : حكم الكنيسة ، وليس فيه (٢) إنصاف المظلوم من الظالم . والثاني : حكم الملوك ، وليس هو شرعا منزلا ، بل هو بحسب آراء الملوك .

ولهذا تجدهم يردون الناس الى حكم شرع الاسلام في الدماء والأموال ونحو ذلك ، حتى في بعض بلادهم يكون الملك والعسكر (٣) كلهم نصارى ، وفيهم طائفة قليلة مسلمون لهم حاكم ، فيردون الناس في الدماء والأموال إلى حكم شرع المسلمين . وذلك أن الدماء والأموال وإن كان يستحب للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه ، فالحاكم الذي يحكم بين الناس : متى حكم على المظلوم بترك حقه ، كان حاكما بالظلم لا بالعدل .

---

(١) الجود : السخاء والتكرم . ترتيب القاموس ١:٥٥٢ ، والمصباح : ١١٣.

(٢) في أ و ك (فيهم) والأصح مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٣) في ط زيادة : (وأكثر أهل البلد) وليس فيها (كلهم) .

(٣) العسكر : الجيش . قال ابن الجواليقي : فارسي معرب . المصباح : ٤٠٨ .

ولو أمرنا كل وليّ مقتول أن لايقتص من القاتل ، وكلّ صاحب دَيْن أن لايطالب غريمه بل يَدَعَهُ على اختياره ، وكل مشتوم ومضروب أن لاينتصف من ظالمه ، لم يكن للظالمين زاجر يزجرهم ، وظَلَم الأقوياء الضعفاء ، وفسدت الأرض ، قال - تعالى - : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾(١).

فلابد من شرع يتضمن الحكم بالعدل ، ولابد - مع ذلك - من نَدْبِ الناس إلى العفو والأخذ بالفضل .

وهذه شريعة الإسلام كما تقدم ماذكرنا(٢) من الآيات ، مثل قوله : ﴿... والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ...﴾(٣) وقوله : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ... ﴾(٤) وقوله : ﴿ وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ...﴾(٥) وقوله : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقِبْتُم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾(٦) وقوله : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾(٧) وقوله ﴿ ... ودية مسلّمة الى أهله إلا أن يصّدّقوا .. ﴾(٨) وقوله : ﴿ ولَمَن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾(٩) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) في ك و ط (ذكرناه) .

(٣) سورة المائدة : ٤٥ و في ط زيادة (وقوله) .

(٤) سورة البقرة : ٢٨٠ .

(٥) سورة الشورى : ٤٠ وفي ط زيادة ﴿ ... إنه لايحب الظالمين ﴾.

(٦) سورة النحل : ١٢٦.

(٧) سورة آل عمران : ١٣٤ وفي ط زيادة وهي (وقوله : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أُولئك لهم عذاب أليم ﴾ سورة الشورى : ٤١ - ٤٢.

(٨) سورة النساء : ٩٢ .

(٩) سورة الشورى : ٤٣ .

وقال أنس : " ما رُفِعَ للنبي-صلى الله عليه وسلم-أمر (١) فيه القصاص ، إلا أمر فيه بالعفو (٢) " فكان يأمر بالعفو ، ولايلزم الناس به . ولهذا لما عتقت (بَرِيرَة) (٣) ، وكان لها أن تفسخ النكاح ، وطلب زوجها (٤) أن لاتفارقه ، شفع (٥) إليها أن لاتفارقه ، فقالت : أتأمرني ؟ قال :"لا ، إنما أنا شافع (٦) " فلم يوجب عليها قبول شفاعته - صلى الله عليه وسلم - .

الوجه الثاني عشر : قولهم : " ولما كان الكمال الذي هو الفضل ، لايمكن أن يضعه إلا أكمل الكُمَّل (٧) " فيقال لهم : العدل والفضل لايشرعه إلا الله ، فشريعة التوراة لم يشرعها إلا الله ، وشريعة الإنجيل لم يشرعها إلا الله - عز وجل - .

---

(١) في أ زيادة (شيء) .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الديات، باب الامام يأمر بالعفو في الدم ٤ : ١٦٩ (٤٤٩٧) . والنسائي ، كتاب القسامة ، الأمر بالعفو عن القصاص ٨ : ٣٧ - ٣٨ من طريقين ، وابن ماجة ، أبواب الديات ، العفو في القصاص ٢ : ١١٣ (٢٧٢٤) ، وأحمد في المسند ٣ : ٢١٣ و ٢٥٢ ، قال الشيخ عبد القادر الأرناؤط :"واسناده حسن". هامش جامع الأصول ١٠ : ٢٧٤ .

(٣) هي مولاة عائشة - رضي الله عنها - وكانت مولاة لبعض بني هلال، وقيل : غيرهم . عاشت الى زمن يزيد بن معاوية . أسد الغابة ٦ : ٣٩، وتهذيب التهذيب ١٢ : ٤٠٣ .

(٣) في ك و ط زيادة : (جارية عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -)

(٤) واسمه : مغيث . الحديث رقم (٥٢٨٣) من فتح الباري ٩ : ٤٠٨ .

(٥) في ك و ط (فشفع) .

(٦) رواه البخاري، كتاب الطلاق باب شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - في زوج بريرة ، ٩ : ٤٠٨ (٥٢٨٣) من فتح الباري . ورواه مسلم، كتاب العتق ، باب : إنما الولاء لمن أعتق ٢ : ١١٤٣ (١٥٠٤) .

(٧) في أ سقطت (الكمال) وقد أثبتناها من ك و ط .

يبين ذلك أن الله كلم موسى من الشجرة تكليما ، وهم غاية ماقرروا به إلهية المسيح: أن زعموا أن الله كلم الناس من ناسوت المسيح ، كما كلم موسى من الشجرة . ومعلوم عند كل عاقل ،لوكان هذا حقا أن تكليمه لموسى من الشجرة أعظم تكليم كلمه الله لعباده ، فكيف يقال : إن شريعة العدل لم يشرعها الله-عز وجل-؟ .

ثم يقال لهم : بل شريعة العدل أحق بأن تضاف الى الله من شريعة الفضل ، فان الأمر بالإحسان والعفو يحسنه كل أحد (١) . وأما معرفة العدل (٢) والحكم بين الناس به ، فلايقدر عليه الا آحاد الناس . ولهذا يوجد الذي يُصلح (٣) بين الناس بالاحسان خلق كثير . وأما الذي يحسن أن يفصل بينهم بالعدل ، فناس قليل . فكيف يقال : إن الذي يأمر بشرع الفضل هو الله ، دون الذي يأمر بشرع العدل ؟! .

والله-تعالى- أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليقوم الناس بالقسط (٤) ، كما قال - تعالى - : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴾ (٥) .

---

(١) في ط (واحد) .
(٢) في ط (شريعة) .
(٣) في ك (الذين يصلح) ،في ط (من الذين يصلحون) .
(٤) القسط : العدل . وهو من أسماء الأضداد . قاله ابن القطاع . المصباح ٣ - ٥ .
(٥) سورة الحديد : ٢٥.

وأَمْر المسيح – عليه السلام – للمظلوم بالعفو عن الظالم : ليس فيه مايدل على أنه من الواجب الذي مَنْ تركه استحق الذم والعقاب ، بل هو من المرغّب فيه ، الذي من فعله استحق المدح والثواب . وموسى – عليه السلام – أوجب العدل الذي من تركه استحق الذم والعقاب . وحينئذ فلا منافاة بين إيجاب العدل، وبين استحباب الفضل .

لكن إيجاب العدل يقترن به الترهيب والتخويف في تركه ، واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق إلى فعله . فذاك فيه رهبة مع مافيه من الرغبة . وهذا فيه رغبة بلا رهبة ، ولهذا قال المسيح – عليه السلام – : ﴿ وكنتُ عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١) ولهذا قيل : إن المسيح – عليه السلام – بُعِثَ لتكميل التوراة ، فإن النوافل تكون بعد الفرائض كما في صحيح البخاري (٢) عن أبي هريرة (٣) – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : يقول الله – تعالى – : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وماتقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ماافترضت عليه ، ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،

---

(١) سورة المائدة : ١١٧ – ١١٨ .

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو عبد الله ، جبل الحفظ ، وإمام الدنيا ، ثقة الحديث ، من الطبقة الحادية عشرة ، له كتاب الجامع الصحيح ، وكتاب خلق أفعال العباد ، وكتاب الأدب المفرد ، وغيرها وهذه مطبوعة مات سنة ٥٦ هـ وله ٦٢ سنة . تقريب ٢ : ١٤٤ وفيات الأعيان . ٤ : ١٨٨ – ١٩١ .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر – وقيل غير ذلك – الدوسي الصحابي الجليل ، حافظ الصحابة ، مات سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ هـ وله ٧٨ سنه . تقريب ٢ : ٤٨٤ . أسد الغابة ٥ : ٣١٨ – ٣٢١ .

ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وماترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ،ولابد له منه (١) ".

وإلا فلو قيل : ان المسيح – عليه السلام – أوجب على المظلوم العفو عن الظالم ، بمعنى : أنه يستحق (٢) الوعيد والذم والعقاب (٢) ان لم يعف عنه ، لزم من هذا أن يكون كل من انتصف من الظالم ظالما مستحقا للذم والعقاب ، وهذا ظلم ثان للمظلوم الذي انتصف ، فان الظالم ظلمه أولا ، فلما انتصف منه ظلم ظلما ثانيا ، فهو ظلم العادل (٣) انتصف من ظالمه .

---

(١) لفظ البخاري : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إن الله [illegible] قال : " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب . وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مماافترضته عليه ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ". كتاب الرقاق ،باب التواضع ١١: ٣٤٠ – ٣٤٣ (٦٥٠٢) من فتح الباري ، وذكر ابن حجر في شرحه في هذا الموضع أن للحديث طرق أخرى – أي غير اسنادالبخاري – منها عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد ، وابن أبي الدنيا ،وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الزهد ، والطبراني ، والاسماعيلي ، وعن أنس – وهو اللفظ الذي ساقه الشيخ المؤلف "... فقد بارزني ..." أخرجه أبويعلى والبزار وابن ماجه . وقال ابن حجر :"وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أَسْر الخالق ، والجواب:أنه من المخاطبة بمايُفهَم ، فان الحرب تنشأ عن العداوة ، والعداوة تنشأ عن المخالفة ، وغاية الحرب الهلاك ، والله لايغلبه غالب ، فكان المعنى: فقد تعرض لإهلاكي إياه.فأطلق الحرب ، وأراد لازمه : أيأعمل به مايعمله العدو المحارب". ونقل عن الفاكهاني قوله : " في هذا تهديد شديد،لأن من حارب الله أهلكه ، وهو من المجاز البليغ ، لأن من كره من أحب الله : خالف الله،ومن خالف الله عانده ، ومن عانده أهلكه ،واذا ثبت هذا في جانب المعاداة : ثبت في جانب الموالاة،فمن والى أولياء الله أكرمه الله ".

(٢) في ك و ط (مستحق للوعيد وللذم والعقاب) .

(٣) في أ (للعادل) وحذف احدى اللامين أصح .

وما أحسن كلام الله حيث يقول : ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل * انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ﴾(١) وقال : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ﴾(٢) .

فهذا من أحسن الكلام وأعدله وأفضله ، حيث شرع(٣) العدل فقال : (وجزاء سيئة سيئة مثلها)(٤) ثم ندب الى الفضل فقال : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين)(٤) . ولما ندب الى العفو . ذكر أنه لالوم على المنتصف ، لئلا يُظَن أن العفو فرض فقال : (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل)(٥) .

ثم بين أن السبيل انما يكون على الظالمين ، فقال : (انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم)(٦). ثم لما رفع عنهم السبيل ،ندبهم مع ذلك الى الصبر والعفو ، فقال : (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور)(٦) .

---

(١) سورة الشورى : ٣٦ – ٤٣ .

(٢) سورة الحج : ٦٠ .

(٣) في ك و ط (يشرع) .

(٤) سورة الشورى : ٤٠ .

(٥) سورة الشورى : ٤١ .

(٦) سورة الشورى : ٤٢ – ٤٣ .

فهذا أحسن شرع و أحكمه (١) ، يرغب في الصبر والغفر (٢) والعفو والاصلاح بغاية الترغيب ، ويذكر مافيه من الفضائل والمحاسن وحميد العاقبة ، ويرفع عن المنتصف ممن ظلمه الملام والعذل (٣) ، ويبين أنه لاحرج عليه ولاسبيل اذا انتصر بعد ماظلم .

فهل يمكن أن تأتي شريعة بأن (٤) تجعل على المنتصف سبيلا مع عدله ، وهى لاتجعل على الظالم سبيلا مع ظلمه ؟ ! .

فعلم أن ماأمر به المسيح من العفو لم يكن لأن تاركه مستحق للذم والعقاب ، بل لأنه محروم مما يحصل للعافي المحسن من الأجر والثواب ، وهذا حق لايناقض شرع التوراة . فعلم أن شرع الانجيل ، لم يناقض شرع التوراة ، اذ كان فرعا عليها ، ومكملا لها . وحينئذ : فزعمهم أن شرع الانجيل شرعه الله ، دون شرع التوراة ، كلام من هو من أجهل الناس (٥) وأضلهم ، ولهذا كان هذا فرعا على قولهم بالاتحاد ، وأن المسيح هو الله .

فذاك الضلال مما (٦) أوجب هذا القول المحال (٧) .

---

(١) في ك و ط (وأجمله) .

(٢) سقطت (والغفر) من ط .

(٣) جاءت في جميع النسخ بالدال المهملة (العدل) والذي يظهر انها (العذل) بالذال المعجمة وهو ما أثبتناه .

(٤) سقطت (بأن) من ط .

(٥) في أ لم تثبت كلمة (الناس) في الصلب . وأضاف الناسخ في الهامش قوله : لعله (الناس) .

(٦) سقطت (مما) من ك وط .

(٧) المحال : هو الباطل غير الممكن الوقوع . المصباح : ١٥٧ .

فصـــــل

(بطلان استدلالهم بما يدعون انه من كلام الانبياء السابقين)

وجميع ما احتجوا به من التوراة والانجيل وغيرهما من كلام الأنبياء – عليهم السلام – انما يكون الحجة فيه (١) علمية برهانية، اذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه، بأن بينوا امكان النبوة (٢)، ثم بينوا وقوعها في الشخص المعين بالطرق التي يستدل بها على نبوة النبي.

وهم لم يفعلوا شيئا من ذلك، بل احتجوا بذلك، بناء (٣) على أنها مقدمة مسلمة يسلمها المسلمون لهم، وهذا لاينفعهم لوجوه :

أحدها : فيمن ذكروه من لم يثبت عندالمسلمين أنه نبي، كميخا (٤)، وعاموص (٥).

الثاني : أن من ثبت عند المسلمين نبوته، كموسى، وعيسى، وداود وسليمان، لم يثبت عندهم أنهم قالوا

---

(١) في ك و ط (تبينوا).

(٢) في ك (يكون) وفي ط (تكون).

(٣) سقطت (بناء) من ك و ط .

(٤) هو فيما يظن احد انبياء بني اسرائيل ولقبه "المورشي" نسبة الى مسقط رأسه " مورشة " قرية بقرب " جت ". ظهر في ملك "يوثام " و "آحاز" و "حزقيا" ملك يهوذا سنة ٧٥١ – ٦٩٣ ق . م و كان معاصرا لاشعياء الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته واليه ينسب السفر الثالث والثلاثون من أسفار العهد القديم وفيه سبعة اصحاحات . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٩٣٦ والكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٣٥ – ١٠٤٠ . والتراث الاسرائيلي : ٢٦٣، د. صابر عبد الرحمن طعيمة، دار الجيل، بيروت ١٣٩٩ هـ .

(٥) هو كما يقال – نبي من أنبياء بني اسرائيل، ورد في السفر المنسوب اليه – والذي يتكون من تسعة اصحاحات – : أنه ولد في قرية (تقوع) جنوب (أورشليم) وكان راعيا للغنم، وكان ظهوره في زمن الملك (يربعام الثاني) ملك اسرائيل . سفر عاموص، العهد القديم : ١٠٢١ – ١٠٢٩، والتراث الاسرائيلي : ٢٢٨ .

جميع ماذكروه من الكلام ، وأن ترجمته بالعربية هو ماذكروه ،وأن مرادهم به مافسروه (١) .

الثالث : أن جمهور المسلمين لايعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد الا باخبار محمد - صلى الله عليه وسلم - بنبوتهم ، فلايمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلاء ، الا بعد التصديق بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - (٢) .

فاذا طلب هؤلاء من المسلمين أن يسلموا نبوة هؤلاء ، دون نبوة محمد ، لم يمكن المسلمون أن يسلموا ذلك لهم ، ولايشرع (٣) ذلك للمسلمين ، لا عقلا ولا نقلا . وحينئذ اذا (٤) لم يقيموا الأدلة على نبوة أولئك ، لم يكونوا قد ذكروا ، لاحجة برهانية ، ولاحجة جدلية .

الرابع : أن المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى ، الا مع اخبارهما بنبوة محمد . فان سلموا أنهما أخبرا بنبوة محمد ، ثبتت نبوته ونبوتهما .

---

(١) راجع الفصل الذي عقده الشيخ المؤلف ، من أجل مناقشة قضية الترجمةلنصوص التوارة والانجيل ، وبين فيه استحالة دعواهم بترجمة التوراة والأنجيل لجميع الأمم ، وأن الترجمة لاتحتاج الى معصوم - كما يزعمون - ،وأن دعوى العصمة لمترجمي التوراة والانجيل دعوى باطلة ، انظر هذا الفصل في الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ١ : ٥٠١ - ٥٠٥ المجلد الثاني . دراسة وتحقيق الزميل : علي بن حسن بن ناصر . وكذلك الجواب الصحيح ٢ : ١٦ - ٢٧ ، وقد تحدث الشيخ هنا بتفصيل أكثر ، وذلك على طريقته في هذا الكتاب ، من البسط تارة ، والاختصار مع الاحالة تارة أخرى .

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ ولا ك .

(٣) في ك و ط (يسوغ) .

(٤) في ك و ط (فاذا) .

وإن جحدوا ذلك ، جحد المسلمون نبوة من يدعون أنه موسى وعيسى الذين لم يخبرا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - .

الخامس : أن المسلمين وكل عاقل ، يمنع (١) - بعد النظر التام - أن يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد - صلى الله عليه وسلم - ، إذ كانت نبوته أكمل ، وطرق معرفتها أتم (٢) وأكثر . وما من دليل يستدل به على نبوة غيره الا وهو على نبوته أدل ، فان جَحْد نبوته يستلزم جَحْد نبوة غيره بطريق الأولى . ولكن من قال ذلك ، هو متناقض كما يتناقض (٣) سائر أهل الباطل . ولهذا قال - تعالى - في الكفار : ﴿ انكم لفي قول مختلف ﴾ يؤفك عنه من أفك ﴾ (٤) .

---

(١) في ك و ط (يمتنع) .

(٢) في أ (أثم) ويظهر أنه خطأ نسخي .

(٣) في ك و ط (تتناقض) .

(٤) سورة الذاريات : ٨ - ٩ .

فصــــل

(اثبـات الفضل والكمـال لـرسول الله ولـشريعتـه ولأمتـــــــــه)

قد ذكرنـا في جواب أول كتـابهم (١) ، بيـان امتنـــاع احتجاجهم بشيء من كلام محمد ـ صلى الله عليه وسلـم ـ أو غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على مايخالـــف دين المسلمين من دينهم • ونحن نبسط هذا هنا فنقـــول: لاريب أن الباطل لايقوم عليه دليل صحيح ، لاعقلي ولاشرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبيات ،فان الدليل الصحيـــح يستلزم صحة المدلول عليه • فلو قام على الباطل دليـــل صحيح ، لزم أن يكون حقا مع كونه باطلا ، وذلك جمـــع بين النقيضين ، مثل كون الشيء موجودا معدوما •

وأهل الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات ،ومعهم باطل ، وهو مابدلوه في الخبريات ، سواء كان المبـــدل هو اللفظ أو معناه ، ومابتدعوه ، أو مانسخ مـــــن العمليات • والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليـــــل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل • فان الـــذي اتفقت عليه : هو الذي لابد للخلق منه في كل زمان ومكان، وهو الايمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، كماقال ـ تعالى ـ : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (٢)

---

(١) هي رسالة بولس الأنطاكي عن أهل قبرص • وانظر الجواب الصحيح ، رسالة دكتوراه ١ : ٢٠٣ ـ ٢١٣ المجلد الأول •

(٢) سورة المائدة : ٦٩ •

وعامة السور المكية ، كالأنعام والأعراف وآل حم ،وآل طس ، وآل آلر (١) هى من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لاشريك له ، والصدق والعدل والاخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم ، وعامة ماعندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء ، من التوراة والانجيل والزبور ونبوات الأنبياء توافق المنقول عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهد (٢) هذا لهذا وهذا لهذا ، وذلك من دلائل نبوة أولئك الأنبياء، ومن دلائل نبوة ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ (٣) .

ولهذا يذكر الله ذلك بيانا لانعامه بمحمد (٤) ودلالة لنبوته ، كقوله ـ تعالى ـ لما ذكر قصة مريم (٥) : ﴿ واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون ﴾ (٦) وقال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح ـ : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴾ (٧) فذكر الاله نعمته (٨) وآيته ، بكونه لم يكن يعلمها هو ، ولاقومه ـ أيضا ـ كانوا يعلمونها، لئلا يظن أنه تعلم ذلك من قومه ، فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك .

---

(١) في أ (وآلم حم ، وآلم طس ، وآلر) والأصوب مافي ك وط ولهذا أعتمدناه .
(٢) في ط (يشهد) .
(٣) في ط تقدمت هذه الجملة على جملة (من دلائل نبوة الأنبياء) .
(٤) في ط (على محمد) .
(٥) في ط زيادة : (لما ذكر قصة مريم) .
(٦) سورة آل عمران : ٤٢ ـ ٤٤ .
(٧) سورة هود : ٤٩
(٨) في ك و ط (آلاءه ونعمته) .

وقد علم بالنقل المتواتر أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بمكة، وبها نشأ بعد أن كان مُسْتَرضعا في بادية (١) سعد بن بكر (٢)، قريبا من الطائف (٣)، شرقي مكة، وهو صغير، ثم حملته مرضعته حليمة السعدية (٤) الى أمه بمكة، لايعلم (٥) شيئا من ذلك، ولاهناك من يتعلم منه شيء من ذلك. وأهل مكة يعلمون حاله، وأنه لم يتعلم ذلك من أحد ثم أخبرهم بالغيب الذي لايعلمه أحد الا بتعليم الله له.

---

(١) البدو والبادية والباداة والبداوة : خلاف الحضر، والحضر : هو السكن بالمدن والقرى. انظر ترتيب القاموس ١ : ٢٣٣.

(٢) هم بنو بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. جمهرة أنساب العرب : ٢٦٥.

(٣) الطائف : كانت تسمى قديما (وج)، وسميت الطائف لما أُطِيْفَ عليها الحائط، وهي ناحية ذات نخيل وأعناب ومزارع وأودية، وهي على ظهر جبل غزوان، وبها عقبة مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط الى مكة، وهي الآن المصيف الأول للمملكة العربية السعودية وملتقى طرق نجد واليمن والحجاز. مراصد ٢ : ٨٧٧، والمجاز بين اليمامة والحجاز : ٢٥٤ لعبد الله بن محمد بن خميس، ط ٣، تهامة، جدة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م.

(٤) هي بنت أبي ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام ابن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن. وزوجها الذي أرضعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلبنه هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان بن ناصرة بن نصية بن نصر بن سعد بن بكر، وقد حضرت بالجعرانة ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم لحما فلما دنت من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسط لها رداءه فجلست عليه، فقال أبو الطفيل : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته. أسد الغابة ٦ : ٦٧ ـ ٦٩.

(٥) في ط (ولا).

فكان هذا من أعلام رسالته ، ودلائل نبوته ، عليهم أولا ، وعلى غيرهم آخرا ،فانهم كانوا مشاهدين له ، يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من أحد . وغيرهم يعلم ذلك بالأخبار المتواترة (١) ، ويعلم أن قومه المكذبين له - مع حرصهم على الطعن فيه ، ومع (٢) علمهم بحاله - لو كان قد تعلم من أهل الكتاب ، لقالوا : هذا قد تعلمه منهم . قال - تعالى - : ﴿ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاأدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ﴾ (٣) والمقصود أنه نفى علم قومه بما أخبره فيه ، بيانا لآلاء الله (٤) التي هي آياته ونعمه ، فان ذلك يدل على أنه لم يتعلم ذلك من قومه ، وفيه انعام الله على الخلق بذلك .

وقال - تعالى - لما ذكر قصة يوسف - : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ (٥) وقال - تعالى - : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون * وماكنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وماكنت من الشاهدين * ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وماكنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين * وماكنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾ (٦) .

---

(١) الأخبار المتواترة :هي مانقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة ، بأن يكونوا جمعا لايمكن تواطؤهم على الكذب ،عن مثلهم من أول الاسناد الى آخره . وهذا مايجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، ولايعتبر فيه عدد معين في الأصح . وقد قيل - في العدد -:أكثر من خمسة.وقيل : عشرة، وهو المختار ، لأنه أول جموع الكثرة ، وقيل : أربعون . وقيل : سبعون. وقيل : ثلاثمائة وبضعة عشر . تدريب الراوي ، في شرح تقريب النواوي ٢ : ١٧٦ - ١٧٧ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي - ٩١١ هـ ت : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م.

(٢) سقطت الواو من أ .

(٣) سورة يونس : ١٦ .

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (لااله الا الله) وماأثبتناه أصح .

(٥) سورة يوسف : ١٠٢.

(٦) سورة القصص : ٤٣ - ٤٦ .

فنفى ـ سبحانه ـ شهادته (١) لهذه الأمور الغائبة وحضوره لها ، تنبيها للناس على أنه أخبر بالغيب الذي لم يشهده ولم يعرفه ، من جهة أخبار الناس ، فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك ، ولاعاشر غير قومه . وكل من عرف حاله : يعلم أنه لم يتعلم شيئا من ذلك ، لا من أهل الكتاب ولا ممن نقل عن أهل الكتاب .

فاذا كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٢) أخبر بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله ، في باب أسماء الله وصفاته وتوحيده ، وملائكته وأوليائه وأعدائه ، مع العلم بأن في هذه الأمور من التفاصيل الكثيرة : مايمتنع اتفاق اثنين عليه ، الا عن مواطأة بينهما . ومحمدوموسى ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ لم يتواطأا ، بل لم يواطىء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحدا من الرسل قبله ، ولا واطؤه (٣) .

والخبر الكذب اما أن يتعمد صاحبه الكذب (٤) ، واما أن يغلط . فالكاذبان المتعمدان للكذب لايتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة .

---

(١) في ك و ط (شهوده) .

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٣) في ط (واطئوه) .

(٤) في ك و ط زيادة (فيه) .

وكذلك الغالطان لايتفق غلطهما في مثل ذلك . بل الاثنان من آحاد الناس اذا أخبر كل منهما عن حال بلدة (١) وأخبر الآخر بمثل خبره من غيرمواطأة ، عرف صدقهما ، فكيف بالأمور الغائبة ، التي لايمكن العلم بها الا من جهة الله – تعالى – ؟ فهذا من دلائل (٢) نبوة الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – .

وأما القدر الذي يخالف ماجاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – مما ينقلونه عن الأنبياء ، فهو نوعان :

أحدهما : ماوقع فيه النسخ من الشرائع (٣) ، وهذا لايمنعه ، لكن المنسوخ مثل هذا بالنسبة الى مالم ينسخ من الكتاب نظير المنسوخ من القرآن والأحاديث النبوية ،فانه قليل جدا بالنسبة الى مالم ينسخ ، وكذلك عامة ماأمر به موسى وداود والمسيح وغيرهم من الأنبياء ، اذا اعتبر بما أمر به محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وجد عامة ذلك متفقا لم ينسخ منه الا القليل .

والثاني : الخبريات ، وهذه قد ادعى بعض أهل الكتاب أن محمدا خالف بعض ماأخبرت به الأنبياء قبله ، وهذا باطل ، فان أخبار الأنبياء لايجوز أن تتناقض ، اذ هم – كلهم – صادقون مصدقون . ومن (٤) علم أن محمدا رسول الله ، وأن موسى رسول الله ، وأن المسيح رسول الله ، علم أن أخبارهم لاتتناقض . لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر هذا ، فيكون في أخبار أحدهم زيادات على أخبار غيره ، لامايناقض خبر غيره .

---

(١) في ك وط زيادة : (رآهـا) .

(٢) جمع دليل ، يقال : دله عليه دَلالة ودِلالة ودُلالة ودَلولة فاندل : سدده اليه ، والدليلى : الدلالة ، أو : علم الدليل بها ورسوخه . ترتيب القاموس ٢ : ٢٠٦ .

(٣) في أ (الشريعة) ومافي ك و ط أولى .

(٤) في ط (فان) .

ومايذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو ـ عامته (١) ـ مما حرفوا معناه وتأويله ، وقليل منه حرف لفظه .وأهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ مع المسلمين (٢) متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها (٣) ، إما عمداً وإما خطأ في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها (٤) . وإنما تنازع الناس : هل وقع التحريف في بعض ألفاظها ؟ وكل مايدعي فيه (٥) مدع (٦) أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ناقضه فلابد له من أن يثبت مقدمتين : احداهما : ثبوت ذلك اللفظ عن ذلك النبي . والثاني : ثبوت معناه .

وكل من احتج بنقل عن نبي ، فلابد له من هاتين المقدمتين : الاسناد والمتن ، فلابد له من ثبوت اللفظ ، ولابد له من ثبوت معنى اللفظ . واذا كان النقل ليس بلغة النبي ، بل بلغة آخرى ، فلابد من الترجمة الصحيحة ، وعامة النصارى ليس عندهم كتب الأنبياء بلغة الأنبياء (٧) .

---

(١) في ك (غايته) .

(٢) في ط (المسلمون) .

(٣) هكذا في ط ، وأما في أ و ك فقد سقطت (بها) واثباتها أصح .

(٤) في ك و ط (شكل) .

(٥) سقطت (فيه) من ك و ط .

(٦) في أ (مدعي) ، والصحيح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٧) وبهذا الصدد أذكر أن أحد المؤرخين المعاصرين من الغرب ـ ولا أذكر اسمه ولا المصدر الذي عرفت عن طريقه ذلك ـ أعلن ـ انصافا للحقيقة ـ انه يتأسف على عدم وجود الكتاب المقدس (عندهم) بلغته الأصلية ، ويعترف للقرآن بالفضل الباهر ، حيث بقي الى يومنا ـ والى ماشاء الله ـ تعالى ـ بلغته الأصلية التي نزل بها ، والتي قرأه بها من أنزل عليه ، وهو محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا مايرى فيه ذلك المؤرخ أو المفكر ذلك الجانب الشامخ من القيمة العلمية .ويقول د. صابر : إنه جميل خاطر انجمان في كتابه : الكتاب المقدس في اللغة العربية .

فان موسى والمسيح ومن بينهما من أنبياء بني اسرائيل إنما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية (١) .

والمسيح كان عبرانيا ، لم يتكلم بغير العبرانية ، وإنما تكلم بغيرها ، كالسريانية واليونانية والرومية ، بعض من اتبعه . وجمهور النصارى لايعرفون بالعبرانية ، فلا يحسنون (٢) أن يقرؤا بالعبرانية لاتوراة ولا انجيلا ، ولاغير ذلك ، وانما يتكلمون بذلك : (٣) الرومية ، أو السريانية (٤) أو غيرهما ، وان كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية . بخلاف اليهود ، فان (٥) العبرانية فاشية فيهم (٦) . وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقول بالرومية والسريانية أو بالعربية ، (٧) فانه يحتاج مع اثبات النقل الى اثبات الترجمة وصحتها فانهم كثيرا مايضطربون في الترجمة وصحتها (٨) ويختلفون في معناها .

---

(١) وهاهم أولا المعتدون اليهود الذين قدموا ضيوف نحس وثقل على وطننا الاسلامي من بلاد شتى : روسية وأوربية وأمريكية بل وعربية وافريقية يسعون لنبش العبرية وتجميع رفاتها ، بجعلها لغة رسمية ، واطلاق اسم (الجامعة العبرية) على جامعتهم ، شعورا منهم ـ أبعدهم الله ـ باهمية اللغة ودورها في شخصية أهلها .

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ (يحسنوا) بحذف النون والأصح اثباتها كما في ك و ط .

(٣) في ك و ط زيادة (باللغة) .

(٤) السريانية : لغة من اللغات المتفرعه من الآرامية ، وهي من اللغات السامية كالعربية والعبرانية . المنجد في الآداب والعلوم : ١٢ و ٢٥٣ ، لويس معلوف ، الطبعة الثامنة عشرة ، بيروت .

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (بأن) والأول أصح .

(٦) في ك و ط (المنقولة) .

(٧) في ك و ط (بالعبرانية) .

(٨) سقطت (وصحتها) من ك و ط .

فهذه مقدمات ثلاث ، لابد لهم منها في كل مايحتجون (١) من كلام الأنبياء، ولو لم يدعوا أنه معارض لما أخبر به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فكيف اذا أدعوا به تناقضه (٢) لما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟! فان قدر أنه ثبت أن نبيا (٣) أخبر بشيء ، امتنع قطعا أن يخبر محمد بنقيضه. فان فيما نقل عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا ماليس بثابت لفظه ، مثل بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وفيما ثبت لفظه ماليس معناه صريحا في المناقضة ، بل لايدل على ذلك .

فكم ممن يفسر القرآن بما لايدل عليه لفظ القرآن ، بل ولاقاله أحد من الصحابة بل (٤) ولا التابعين (٥) .

كمن يقول: ان شعيبا النبي هو (٦) كان حمو (٧) موسى . وليس في القرآن والسنة وكلام الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك (٨) . وكمن يقول : ان الرسل الذين أرسلوا الى القرية كانوا من أتباع المسيح . وليس في القرآن والمنقول عن الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك (٩) .

---

(١) في ط (يحتاجون) .

(٢) في ط (مناقضته) .

(٣) في أ (عن نبي) وما أثبتناه من ك و ط أصوب .

(٤) سقطت (بل) من ك و ط .

(٥) مفرده : تابعي : وهو من صحب صحابيا أولقيه وان لم يصحبه . وقد عدهم الحاكم خمسة عشر طبقة . انظر تدريب الراوي ٢ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٦) سقطت (هو) من ك وفي ط (كان هو) .

(٧) في ط (حما) .

(٧) حمو الرجل : أبو امرأته أو أخوها أو عمها أو الأحماء من قبلها خاصة . ترتيب القاموس ١ : ٧١٨ ـ ٧١٩ .

(٨) راجع البداية والنهاية ١ : ٢٤٤ ، وجامع البيان للطبري ٢٠ : ٦٢ .

(٩) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ : ٥٥٤ .

وأما ماعلم أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) أخبر به ، فقد قامت الأدلة القاطعة اليقينية على صدقه وصدق ماأخبر به ، أعظم مما قامت على صدق غيره وصدق ماجاء به ، فمهما عارض ذلك علم أنه كذب على الأنبياء . ولايمكن أحداً من الخلق أن يذكر دليلا قطعيا على صحة ذلك النقل ، بل غايتهم أن يذكروا طريقا ظنيا لايفيدهم الا الظن ، والظن لايعارض اليقين .

فما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمكن صاحب النظر والاستدلال أن يعلمه علما يقينا ، لايرتاب فيه .

ومايناقضه لاسبيل لأحد الى العلم به ، ولايتصور أن يقوم بقلبه (٢) منه الا الظن والتقليد ، وكلاهما لايناقض (٣) العلم ، فهذا أصل جامع ، ثم العارف يعبرعنه مع كل انسان بحسب مايوصل معناه (٤) الى ذلك المخاطب . والمقصود هنا أن يقال : كل مايحتجون به على مخالفة ماثبت عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايمكن أن يقوم لهم عليه دليل : لاشرعي ولاعقلي ، وهذا يعلمه (٥) مجملا .

ونحن نبين ذلك مفصلا فنقول : مايحتجون به إما أن يكون حجة عقلية ، وإما أن يكون سمعية . أما العقليات : فمعلوم أن الحجج العقلية الدالة على فساد مايقوله (٦) النصارى ، أظهر مما يحتجون به على صحة دينهم . ومن احتج منهم أو من اليهود بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه فلها أجوبة :

---

(١) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٢) هكذا في ك و ط ، وفي أ (عليه) والارجح مافي ك و ط وهو ماأثبتناه لأن الحديث عن صاحب النظر والاستدلال ـ المذكور آنفا .

(٣) في ط (يناقضان) .

(٤) سقطت (معناه) من ك .

(٥) في ط (نعلمه) .

(٥) المقصود : صاحب النظر والاستدلال آنف الذكر .

(٦) في ط (تقوله) .

أحدها : أن يبين أن ذلك يلزم غيره من الأنبياء ، فانهم جاءوا بذلك أو بأعظم منه ٠

فلا يقدح أحد بحجة عقلية في محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا كان ذلك قد جاء بطريق الأولى في غيره من الأنبياء ، كما بينا في الرد على الرافضة (١) ، أنه لايقدح أحد في الخلفاء الثلاثة : أبي بكر (٢) وعمر (٣) وعثمان (٤) الا أمكن (٥) أن يقدح بمثل ذلك وبأعظم منه في علي (٦) ، فيمتنع أن يكون عليّ (٧) سليما من القوادح في إمامته إلا والثلاثة أسلم منه ، مما يقدح في امامتهم ٠

---

(١) "الرافضة" هم صنف من أصناف الشيعة الثلاثة ، وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نصّ على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنه معصوم في جميع أحواله ٠ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين : ١٦ ـ ١٧ للامام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ـ ٣٢٤ هـ تصحيح هلموت ريتر ، ط ٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ٠

(٢) هو الصديق : عبد الله بن أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي ، صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشهد له بالجنة وحضر المشاهد كلها ، وتولى الخلافة من بعده توفي سنة ١٣ هـ ٠أسد الغابة ٣ : ٢٠٥ ـ ٢٣٠ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣١٤ ٠

(٣) هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ، القرشي ، العدوي أمير المؤمنين ، مشهور ، جم المناقب ، استشهد سنة ٢٣ هـ تقريب ٢ :٥٤، والإصابة في تمييز الصحابة ٢ : ٥١٨ ـ ٥١٩ ٠

(٤) هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي ، أمير المؤمنين ، ذو النورين ، احد السابقين الأولين ، والخلفاء الأربعة ، والعشرة المبشرة استشهد سنة ٣٥ هـ ، وله ٨٠ سنة ٠ تقريب ٢ : ١٢ والاصابة ٢ : ٤٦٢ ـ ٤٦٣ ٠

(٥) في أ (مكن) بدون همز ، والأولى مافي ك وط ولهذا اعتمدناه ٠

(٦) هو ابن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزوج ابنته ، من السابقين الأولين ، وأحد العشرة ، مات سنة ٤٠ هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم باجماع أهل السنة ،وله ٦٣ سنة ٠ تقريب ٢ : ١٩ ٠ والاصابة ٢ : ٥٠٧ ـ ٥١٠ ٠

(٧) في أ (عليا)٠

ويمتنع أن يكون موسى وعيسى وداود برآء مما يقدح في نبوتهم الا ومحمد أبرأ مما يقدح في نبوته . وهذا كما لو (١) احتج محتج بما في القرآن من اثبات الصفات (٢)، فيقال له : في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء مثل ذلك وأعظم (٣) . واذا احتج بانزال المتشابهات (٤)، فيقال له : في الكتب المتقدمة من التشابه أعظم مما في القرآن . وهل ضلت النصارى الا باتباع المتشابه (٥) من كلام الأنبياء وترك المحكم ؟ . والثاني : أن يبين أن (٦) تلك الحجة لاتصلح أن يعارض بها ما جاءت به الأنبياء ، كما اذا أخذ بعض الناس يطعن في شيء من الشرائع بالرأي ، بين له أن ماثبت عن الأنبياء ، لايعارض برأي ولاقياس .

الثالث : أن يُبَيِّن فساد تلك الحجة العقلية . ان كانت من باب الخبريات: بُيِّن فسادها كما قد بسطنا القول في ذلك في كتاب " درء (٧) تعارض العقل والشرع (٨) " وذكرنا أن جميع مايحتج به على خلاف نصوص الأنبياء من العقليات ، فانه باطل وذكرنا (٩) مايعتمد (١٠) عليه النفاة من (١١) هذا الباب .

---

(١) في ك و ط (اذا) .

(٢) في ك و ط (آيات) .

(٣) سقطت (وأعظم) من ك .

(٤) في ك و ط (المتشابهات) .

(٥) في ط (المتشابهات) .

(٦) في ك و ط زيادة (مثل) .

(٧) في ط (رد) .

(٨) وهو الكتاب الذي طبعته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بعنوان " درء تعارض العقل والنقل " بتحقيق د. محمد رشاد سالم في عشرة مجلدات ومجلد للفهارس العامة وكان قد طبع من الكتاب مايقارب ثلث حجم الكتاب الحقيقي ومالم ينشر أهم بكثير مما نشر وذلك بعنوان " بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول " انظر الكتاب المذكور ١ : ٣ - ٧ .

(٩) في ط (فذكرنا) .

(١٠) كررت (مايعتمد) مرتين في أ وهو خطأ نسخي بحت كما حصل في مواضع أخرى آثرت عدم الوقوف عندها .

(١١) في ك و ط (في) .

وان كانت من باب الطلبيات [1] فهي من باب الأمر والنهي . فمن كان في مذهبه [2] أنه لايعلل أحكام الله ، ولايقول ان [3] حُسن الأفعال وقُبحها يُعْلم بالعقل ، ولاينزه الله عن فعل ولا عن حكم ، بل يُجَوِّز عليه كل شيء ، وإنما ينفي ذلك بالخبر السمعي أو العادة ، فهذا يجيب بهذا الجواب ، لكن عامة القلوب والعقول لاتقبل هذا .

وأما على قول الجمهور : فنبين [4] مافي مأموراته من الحِكَم والمصالح ، وما في منهياته من المفاسد والضرر ، ونبين [5] رجحان ماجاء به [6] على مايعارض به ، بل ونبين [4] رجحان شرائع الأنبياء على سياسات سائر الأمم ، بل ونبين [7] رجحان شريعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على [8] سائر الشرائع ، وهذا مبسوط في مواضع [9] .

وأما اذا احتج أهل الكتاب على [10] مناقضة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحجة سمعية سواء كانت من كلامه ، أو كلام غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، كان الجواب من وجوه :

أحدها : أن يقال لهم : لايمكنكم أن تصدقوا بنبوة نبي من الأنبياء مع التكذيب بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم [11] ـ والطريق الذي [12] بها تثبت نبوة

---

(١) في ط (كان) .
(٢) في ك و ط (من) .
(٣) في ك و ط (بأن) .
(٤) في ك و ط (فيبين) .
(٥) في ط (ويبين) .
(٦) في ك و ط (فيه) .
(٧) سقطت (بل) من ط وفيها ـ أيضا ـ (ويبين) .
(٨) في ك و ط (وسائر) .
(٩) انظر الفصل الماضي من هذه الرسالة .
(١٠) في ك و ط (في) .
(١١) في ك و ط زيادة (فأنكم لايمكنكم أن تحتجوا بكلام أحد من الأنبياء حتى تثبت نبوته) .
(١٢) في ك و ط (التي) .

الأنبياء ، تثبت نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم (١) – بمثلها وبأعظم منها . بل نحن نبين أن التصديق بنبوته ، أولى من التصديق بنبوة غيره ، وأن (٢) كل مايستدل به على نبوة نبي ، فمحمد – صلى الله عليه وسلم – أحق بجنس ذلك الدليل من غيره ، ومايعارض به نبوة نبي ؛ فالجواب عن محمد – صلى الله عليه وسلم – أولى من الجواب عن غيره .

فهو مقدم فيما يدل على النبوة ، وفيما يجاب (٣) به عن المعارضة ، وهذه (٤) أكمل في ذلك (٥) . فيمتنع مع العلم أو العدل أن يصدق بنبوة غيره مع التكذيب بنبوته ، كما يمتنع مع العلم والعدل في كل اثنين ؛ أحدهما أكمل من الآخر في فن (٦) ، أن يقر بمعرفة ذلك الفن للمفضول (٧) دون الفاضل . وقولنا مع العلم والعدل ، لأن الظالم (٨) يفضل المفضول مع علمه بأنه مفضول . والجاهل قد يعرف المفضول ولايعرف الفاضل .

فان كثيراً من الناس يعلمون فضيلة متبوعهم : اما في العلم أو العبادة (٩) ولايعرفون أخبار غيره حتى يوجد أقوام يعظمون بعض الأتباع دون (١٠) متبوعه الذي هو أفضل منه عند التابع (١١) ، وغيره لايعرفونه ، فهؤلاء ليس عندهم علم ، ولهذا تجد كثيرا من هؤلاء يرجح المفضول ، لعدم علمه (١٢) بأخبار الفاضل . وهذا موجود في جميع الأصناف ، حتى في المدائن ، يفضل الانسان مدينة يعرفها على مدينة هي أكمل منها ، لكونه لايعرفها .

---

(١) ليس في ك و لا ط الجملة الدعائية .
(٢) في ك و ط (لأن) .
(٣) في ك (جاءت) .
(٤) في ك و ط (وهو) .
(٥) في أ (الكذب) والأصح مافي ك و ط ولذلك أثبتناه .
(٦) سقطت كلمة (فن) من أ ، والأولى إثباتها .
(٧) في أ (المفضول) والراجح ماأثبتناه من ك و ط .
(٨) في ك و ط (العالم) .
(٩) في أ و ك (والعبادة) والأصح مافي ط وهو المثبت .
(١٠) هكذا في ك و ط ، وفي أ (بعض الاتباع ومتبوعه) واثبات " دون "أولى.
(١١) هكذا في ط ، وفي أ و ك (المسامع) وقد اخترنا مافي ط .
(١٢) في ك و ط (العلم) .

والحكم بين الشيئين بالتماثل أو التفاضل(١) ، يستدعي معرفة كل منهما ، ومعرفة ما أتصف به من الصفات التي يقع بها(٢) التماثل والتفاضل . كمن يريد أن يعرف أن البخاري أعلم من مسلم ، وكتابه أصح ، أو أن سيبويه(٣) أعلم من الأخفش(٤) ونحو ذلك .

وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال ـ تعالى ـ ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾(٥) وقال ـ تعالى ـ ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾(٦) . والكلام في شيئين : أحدهما : في كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل ، وهذا غاية الجهل والظلم . كقول الرافضة الذين يقولون : ان عليا كان اماما عالما عادلا ، والثلاثة لم يكونوا كذلك .

وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون : ان موسى كان رسولا ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن كذلك ، فان هذا في غاية الجهل والظلم . بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة ، ولكن فضل المفضول ، فهذا أقل جهلا وظلما .

---

(١) في أ (والتفاضل) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) في ط (تستدعي) .

(٣) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، مولى بني الحارث بن كعب ، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ، ولم يوضع فيه مثل كتابه ، توفى سنة ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك ، وله نيف وأربعون سنة . وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٣ ـ ٤٦٥ ، وسير .. النبلاء ٨ : ٣٥١ ـ ٣٥٢ .

(٤) هو الامام الكبير ، أبو عبد الله ، هارون بن موسى بن شريك التغلبي الدمشقي ، كان اماما صاحب فنون وله تصانيف في القراءات والعربية ، مولده سنة ٢٠٠ هـ ووفاته سنة ٢٩٢ هـ . سير أعلام النبلاء ١٣ : ٥٦٦ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٠٩ .

(٥) سورة الاسراء : ٥٥ .

(٦) سورة البقرة : ٢٥٣ .

ومعلوم أن المرسلين يتفاضلون ، تارة في الكتب المنزلة عليهم ، وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم ، وتارة في الشرائع وماجاءوا به من العلم والعمل ، وتارة في أممهم .

فمن عنده علم وعدل : فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والانجيل ، أو في معجزات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعجزات غيره ، أو في شريعته وشريعة غيره ، أو في أمته وأمة غيره ، وجد له (١) من التفضيل على غيره مالا يخفى إلا على مُفّرط في الجهل أو الظلم .

فكيف يمكن مع هذا أن يقال هو كاذب مفتر ، وغيره هو النبي الصادق ؟!

نعم : كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره مايبين لهم ذلك ، كما أن كثيراً من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة مايبين لهم فضيلتهم على علي ـ رضى الله عنه ـ ، فهؤلاء في الجهل ، وطلب العلم عليهم فرض ، خصوصاً أمر النبوة . فان النظر في أمر من قال : ﴿ اني رسول الله اليكم ﴾ (٢) مقدم (٣) على كل شيء ، إذ كان التصديق بهذا مستلزماً لغاية السعادة ،والتكذيب به مقتضياً لغاية الشقاوة . فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء ، وبين الحق والباطل ، والهدى والضلال . والفرق بين أولياء الله وأعدائه .

وكما يسلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار ، بأن يعتبر حال ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وكتابه وشرعه وأمته بحال غيره وكتابه وشرعه (٤) ، وينظر : هل هما متماثلان أو متفاضلان ؟ وأيهما أفضل ؟ واذا تبين أن حاله أفضل ، كان تصديقه أولى ، وامتنع أن يكون غيره صادقا وهو كاذب .

---

(١) سقط (له) من ط .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٨.
(٣) في أ و ك (مقدماً) وقد أثبتنا مافي ط لأنه أصوب .
(٤) في ط زيادة (وأمته) .

بل لو كانا متماثلين ، وجب (١) كونه صادقا ، بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيره أفضل . فان المتنبي الكذاب لايقارب الصادق ، بل بينهما من التباين، مالايخفى الا على أعمى الناس .

وكذلك نسلك (٢) هذه (٣) الطريق في جنس الأنبياء - عليهم السلام - مطلقا أممهم ، بأن تُعرف أخبار من مضى من الأنبياء وأممهم . وتُرى آثار هؤلاء وهؤلاء كما قال - تعالى - : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (٤) . وقال (٥) - تعالى - (٦) : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ﴾ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾ ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٧) .

---

(١) في ط (لوجب) .

(٢) في ك و ط (فكذلك يسلك) .

(٣) في ط (هذا) .

(٤) سورة الحج : ٤٦ .

(٥) في ك و ط زيادة قوله - تعالى - : ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى ﴾ يوسف : ١٠٩ .

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ ولا ك .

(٧) سورة يوسف : ١٠٩ - ١١١ .

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر آل فرعون ـ : ﴿ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ (١) ، وكذلك قال ـ تعالى (٢) ـ عن عاد : ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا (٣) كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود ﴾ (٤) وقال ـ تعالى ـ (٥) عن قوم شعيب : ﴿ ألا بعدا لمدين (٦) كما بعدت ثمود (٧) ﴾ .

---

(١) سورة القصص : ٤٢ .

(٢) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس .

(٣) عاد : كانوا عربا يسكنون الأحقاف : وهي جبال الرمل ، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بارض مطلة على البحر يقال لها (الشحر) ، واسم واديهم (مغيث) وهم ذرية عاد بن عوص بن سام بن نوح . انظر البداية والنهاية ١ : ١٢٠ .

(٤) سورة هود : ٦٠ .

(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ و لا ك .

(٦) مدين : مدينة قوم شعيب ـ عليه السلام ـ وهي تجاه تبوك ، على بحر القلزم (البحر الأحمر) . وقيل : هي (كفر مندة) من عمل (ولاية طبرية) وأهل مدين هم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ مراصد الاطلاع " : ١٢٤٦ والكامل ١ : ٨٩ .

(٧) ثمود : قبيلة من العرب العاربة ، باسم جدهم (ثمود) آخي (جديس) وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح ، يسكنون الحَجْر الذي بين الحجاز وتبوك . البداية والنهاية ١ : ١٣٠ .

(٧) سورة هود : ٩٥ .

واذا ذكر الأنبياء – عليهم السلام – قال – تعالى – : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ سلام على نوح في العالمين ﴿(١)، (سلام على ابراهيم)(٢)، (سلام على موسى وهرون)(٣)، (سلام على ال ياسين ﴾(٤) وقال – تعالى – : ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾(٥) ومثل هذا في القرآن كثير ، فيذكر من حال الأنبياء وأتباعهم ، وماحصل لهم من الكرامة ، وماحصل للكفار بهم من الخزي والعذاب ، مابين(٦) حسن حال هؤلاء ، وقبح حال هؤلاء .

ومما يوضح ذلك أن من اعتبر حال(٧) أهل الملل ، من المسلمين واليهود(٨)، والنصارى ، وحال غيرهم ، في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ، تبين له أن حال أهل الملل أكمل بما لايحصى . واذا نظر ماعند غير أهل الملل ، من الحكمة

---

(١) سورة الصافات : ٧٨ – ٧٩ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٩ .

(٣) سورة الصافات : ١٢٠ .

(٤) سورة الصافات : ١٣٠ .

(٥) سورة مريم : ٥٠ .

(٦) سقطت (مابين) من ك و ط ، وثبت مكانها واو .

(٧) سقطت (حال) من أ وأثبتناها من ك و ط .

(٨) سقطت (واليهود) من ط .

العلمية والعملية ، كحكمة (١) الهند واليونان ، والعرب من (٢) الجاهلية ، (٣) والفرس وغيرهم ، وجد ماعندهم بعض ماعند أهل الملل ، من الحكمة العلمية والعملية . فيمتنع أن يكون علماء اليونان والهند ونحوهم على حق وهدى ، وعلماء المسلمين واليهود والنصارى على باطل وغلال . وكذلك يمتنع أن تكون تلك الأمة لها علم نافع وعمل صالح ، وأهل الملل ليسوا كذلك .

---

(١) في أ (فحكمة) وقد صوبناها من ك و ط .

(٢) في ك و ط (في) .

(٣) الجاهلية : زمن الفترة و لا اسلام ،وقالوا : الجاهلية الجهلاء : فبالغوا. هذا هو تعريف ابن منظور كما في اللسان ١١ : ١٣٠ مادة (جهل). والجاهلية في نظر الاستاذ : سيد قطب : هي ركام هائل من العقائد والتصورات ، والفلسفات والأساطير ، والأفكار والأوهام ، والشعائر والتقاليد ، والأوضاع والأحوال . يختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، والدين بالخرافة . والفلسفة بالأسطورة ، ومن ثم يتخبط الضمير البشري ـ تحت هذا الركام الهائل في ظلمات وظنون ، لايستقر منها على يقين . والحياة الانسانية ـ بتأثيرهذا الركام الهائل ـ تتخبط في فساد وانحلال ، وفي ظلم وذل ، وفي شقاء وتعاسة ، لاتليق بالانسان ، بل لاتليق بقطيع من الحيوان ! .

وهذه التصورات والفلسفات والمذاهب الموجودة الآن وخاصة التي يقوم عليها الفكر الغربي والحياة الغربية ـ والتي يتأثر بها جمهور عريض في بلاد المسلمين وغيرهم ـ لم تجيء بخير من هذا الركام . انظر خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : ٢٦ ـ ٤٤ للشهيد سيد قطب . ١٩٦٥م دار الشروق بيروت ـ القاهرة . وانظر كتاب أخيه الاستاذ : محمد قطب : جاهلية القرن العشرين . فقد افرد هذه المسألة بالحديث كما هو ظاهر من عنوانه .

ففي الجملة ؛ لايوجد في غير أهل الملل من علم نافع وعمل صالح .. من حكمة علمية وعملية ، الا وذلك في أهل الملل أكمل . ولايوجد في أهل الملل شر ، الا وهو في غيرهم أكثر .

وهؤلاء فلاسفة اليونان ، الذين قد شهروا عند كثير من الناس باسم الحكمة ، وحكمتهم كحكمة سائر الأمم ، نوعان : فطرية (١) وعملية . والعملية في الأخلاق ، وسياسة المنزل ، وسياسة المدائن . وكل من تأمل ماعند اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل ، من سياسة الأخلاق والمنزل والمدائن ، وجده خيراً مما عند أولئك بأضعاف مضاعفة .

فان أولئك عمدة أمرهم : الكلام على قوى النفس الشهوية والغضبية ، وقوة (٢) العلم والعدل ، كأمور (٣) من جنس آداب العقلاء ، ليس عندهم من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله ، ومن عبادته وحده لاشريك له ، شيء له قدر. والذي عندهم من العلوم الطبيعية والحسابية ، ليس مما ينفع بعد الموت الا أن يستعان به على ماينفع بعد الموت . والذي عندهم من العلم الإلهي قليل جداً ، مع مافيه من الخطأ الكثير (٤) .

وكل ماعندهم من علم نافع وعمل صالح ، فهو جزء مما جاءت به الأنبياء – عليهم السلام – فيمتنع أن يكون هؤلاء المسمون بالحكماء وأتباعهم على حق في الاعتقاد ، وصدق في الأقوال ،وخير في الأعمال ، كما هو غاية مطلوبهم. والأنبياء وأتباعهم ، ليسوا كذلك .

---

(١) في ط (نظرية) .

(٢) في ط (قوى) .

(٣) في أ (مأمور) والأصح مافي ك و ط وهو ماأثبتناه .

(٤) في ط (الكبير) .

واعتبر ذلك بمن يعرف (١) من خاصة هؤلاء وعامتهم ، وخاصة هؤلاء وعامتهم ، وان كان بينهما من التفاوت ما (٢) بين أهل الجنة وأهل النار . فالاعتبار في مثل ذلك ، مما (٣) جاء به التنزيل . قال ـ تعالى ـ : ﴿ءآلله خير أما يشركون﴾ (٤) والمقصود أنه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة يوزن (٥) الشيء بما (٦) يناظره ، ويعتبر (٧) به قياس الطرد ، وقياس العكس .

فيظهر لكل من تدبر ذلك أن أهل الملل أولى بالحق والصدق والخير من غيرهم ، وإن كان لأولئك من الحكمة مايناسب أحوالهم . وحكماؤهم أفضل من عوامهم ، وهم خير من الكفار بالرسل الذين ليس فيهم خير أصلا (٨) ، وهذا مما استفادوه أتباع الأنبياء منهم ، فيكون هذا من دلائل نبوتهم وأعلام رسالتهم ، استدلالا بالأثر على المؤثر ، وبالمعلول على علته .

---

(١) في ك و ط (تعرف) .

(٢) في ك و ط (كما) .

(٣) في ط (بما) .

(٤) سورة النمل : ٥٩ .

(٥) في ط (توزن) .

(٦) في أ (مما) والأصح ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) في ط (تعتبر) .

(٧) القياس : تقدير شيء بشيء آخر ، فالطردي : ماتناسب مقدار المقيس مع المقيس عليه قلة وكثرة ، والعكسي : ماخالف أحدهما الآخر زيادة ونقصا . انظر ابن قدامة وآثاره الأصولية ـ تحقيق كتاب روضة الناصر ، وجنة المناظر ـ ٢ : ١٨ للعلامة الموفق ابن قدامة المقدسي ـ ٥٥٨ هـ ت : د. عبد العزيز السعيد ط ٣ ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ، ومجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٨ ومابعدها و ٢٥٩ ، وأصول مذهب الإمام أحمد : ٥٤٩ ومابعدها تأليف د. عبد الله التركي ، ط ٣ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

(٨) في ط (ليس لهم من الحكمة مالهم) .

وكذلك من تدبر حال المسلمين ، وحال اليهود والنصارى ، تبين له رجحان حال المسلمين ، فيكون هذا من دلائل نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأعلام رسالته .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن النبوة تعلم بطرق كثيرة ، وذكرنا طرقاً متعددة في معرفة النبي الصادق والمتنبي (١) الكذاب (٢) ، غير طريق المعجزات . فان الناس كما قويت حاجتهم الى معرفة الشيء ، يسر الله أسبابه ، كما يتيسر (٣) ماكانت حاجتهم اليه في أبدانهم أشد . فلما كانت حاجتهم الى النّفس والهواء أعظم منها الى الماء ، كان مبذولا لكل أحد في كل وقت . ولما كانت حاجتهم الى الماء أكثر من حاجتهم الى القوت ، كان وجود الماء أكثر .

وكذلك لما كانت حاجتهم (٤) الى معرفة الخالق أعظم ، كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها . ولما كانت حاجتهم الى معرفة صدق الرسل ـ بعد ذلك ـ أعظم من حاجتهم الى غير ذلك ، أقام الله ـ سبحانه ـ من دلائل صدقهم ، وشواهد نبوتهم ، وحسن حال من أتبعهم ، وسعادته ونجاته ، وبيان مايحصل له من العلم النافع والعمل الصالح ، وقبح حال من خالفهم ، وشقاوته ، وجهله وظلمه ، مايظهر لمن تدبر ذلك ﴿ ... ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴾ (٥) .

وهذا الذي ذكرناه ، من اعتبار الشيء بنظرائه وموافقيه وأشباهه ، واعتباره (٦) بأضداده ومخالفيه ،حتى يعرف في المتشابهين أيهما (٧) أكمل

---

(١) هكذا في ك و ط وفي أ (النبي) والأول أولى واليق .

(٢) انظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ م ١ : ٢١١ ومابعدها . و ج ١ م ٢ : ٧٠٥ ـ ٧١٠ فقد ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ خمسة أوجه فيما يثبت لأهل الكتاب نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأسلوب قوي وفكر عميق ، وانظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٤ : ٢٨٧ ومابعدها الى آخر الكتاب ، فقد تحدث المؤلف عن ذلك حديثا دقيقا وافيا .

(٣) في ك و ط (ييسر) .

(٤) في ك و ط (وجود الماء أكثر لذلك . فلما كانت حاجتهم) .

(٥) سورة النور : ٤٠.

(٦) في أ زيادة واو عطف لانرى لها محلا ولهذا تركناها كما في ك و ط .

(٧) هكذا في ك و ط وفي أ (أنهم) في هذا الموضع وفي الذي يليه بعد بضع كلمات . ومافي ك و ط أظهر ولهذا أثبتناه .

وأفضل ، وفي المختلفين أيهم أولى بالحق والهدى ، والعدل موجود في سائر الأمور علمها وعملها ، كعلم الطب والحساب (١) والفقه وغير ذلك ، فيمتنع – مع العلم والعدل – أن يقال : جالينوس (٢) كان طبيبا ، وأبقراط (٣) لم يكن طبيبا ، *أو أن يقال تاميطميوس (٤) كان فيلسوفا وأرسطو لم يكن فيلسوفا * (٥)، أو أن يقال : الأخفش كان نحويا ، وسيبويه لم يكن نحويا ، أو أن يقال (٦)

---

(١) في ك و ط زيادة (والنحو) .

(٢) هو رئيس الأطباء في عصره ، وقد ظهر بعد وفاة أبقراط بـ ٦٦٥ سنة ، وهو الثامن من الرؤساء ، ومعلمه أرمنيس الرومي ، واشتهر بالحكمة والفلسفة ، وكانت ولادته سنة ١٣٠ م ، ومات وله ٨٨ سنه طبقات الأطباء : ٤١ – ٥١ لأحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة – ٦٦٨ هـ . دار الفكر ، بيروت ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦م .والفهرست : ٤٠٢ .

(٣) هو ابن ابراقليس ، من تلاميذ اسقلبيوس الثاني ، كان في أيام بهمن ابن أردشير ، قال يحيى النحوي : بقراط وحيد دهره ، الذي يضرب به المثل ، الطبيب الفيلسوف ، وبلغ به الأمر الى أن عبده الناس . توفى سنة ٣٥٧ ق . م ، وعمره ٩٥ سنه . طبقات الأطباء : ٢٤ ، والفهرست : ٤٠٠ ، وتاريخ الحكماء : ٩٠ .

(٤) من شراح كتب أرسطو ، وكان أفلاطونيا محدثا ولد سنة ٣١٧ م ، وعاش في القسطنطينية ، وأيد الامبراطور (جوليان) في العمل على احياء الوثنية ، وتوفى سنة ٣٨٨م . الملل والنحل ٢ : ١٠٣٣ – ١٠٣٦ . تاريخ الحكماء : ١٠٧ الفهرست : ٣٥٥ .

(٥) مابين النجمتين ليس في ك و لا ط .

(٦) سقطت (يقال) من ك و ط .

زُفَر (١) والحسن بن زياد (٢)، ومحمد بن الحسن (٣) كانوا فقهاء، وأبو حنيفة (٤) لم يكن فقيها، أو أن أشهب (٥)، وابن القاسم (٦)، وابن وهب (٧) كانوا فقهاء،

---

(١) زفر : هو ابن الهذيل بن قيس بن سلم العنبري ، ابو الهذيل ، الفقيه المجتهد الرباني ، ولد سنة ١١٠ هـ ، وهو أكبر تلامذة أبي حنيفة ، وثقه ابن معين ، مات سنة ١٥٨ هـ • سير •• النبلاء ٨ : ٣٨ – ٤١ و لسان الميزان ٢ : ٤٧٦ •

(٢) الحسن بن زياد : هو اللؤلؤي ، فقيه العراق ، أبو علي الأنصاري مولاهم ، الكوفي ، كان أحد الأذكياء البارعين في الرأي ، توفي سنة ٢٠٤هـ ضعفه أكثر من واحد من علماء السنة • سير •• النبلاء ٩ : ٥٤٣ – ٥٤٥، وميزان الاعتدال ١ : ٤٩١ •

(٣) بدلا من(محمد بن الحسن) جاء (يوسف بن خالد السمتى) في ك وفي ط (يونس بن خالد السمتى) •

(٣) محمد بن الحسن : هو ابن فرقد الشيباني بالولاء الحنفي ، أبو عبد الله ، فقيه مجتهد محدث ، أصله من (حرستا)بغوطة دمشق ، ولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله ،وتوفى بالري سنة ١٨٩ هـ ، وكان مولده سنة ١٣٥ هـ • لسان الميزان ٥ : ١٢١ – ١٢٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٢١ •

(٤) هو النعمان بن ثابت الكوفي ، الامام ، يقال أصله من فارس ، فقيه مشهور مات سنة ١٥٠ هـ وله ٧٠ سنة • تقريب التهذيب ٢ : ٣٠٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٢٦٥ ، والأعلام ٨ : ٣٦ •

(٥) هو ابن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسي ، أبو عمرو ،الفقيه المصري ، قيل : اسمه (مسكين) و(أشهب) لقب له ، مات سنة ٣٠٤ هـ تهذيب التهذيب ١ : ٣٥٩ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٣٨ – ٢٣٩ •

(٦) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقي ،أبو عبد الله المصري ، الفقيه ، أثنى عليه كثير من الأئمة ووثقوه ، وأنفق أموالا كثيرة في طلب العلم ، وكان زاهدا صبورا مجانبا للسلطان ، مات سنة ١٩١ هـ ، وله ٦٠ سنه • طبقات الحفاظ : ١٥٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٢٩ •

(٧) ابن وهب : هو الامام أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهري مولاهم المصري ، أحد الأعلام ، كان فقيها محدثا عابدا ، وله تصانيف كثيرة ، وصحب مالكا عشرين سنة ، ومات سنة ١٩٧ هـ • ميزان الاعتدال ٢: ٥٢١ – ٥٢٣ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٤٧ – ٣٤٨ •

ومالك لم يكن فقيها ، أو أن المزني (١) والبويطي (٢) وحرملة (٣) ، كانوا فقهاء (٤)، والشافعي (٥) لم يكن فقيها ، (٦) وأن أبا داود (٧) وابراهيم الحربي (٨) ،وأبا بكر (٩)

---

(١) مالك هو ابن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو عبد الله المدني، الفقيه امام دار الهجرة ، رأس المتقين ،وكبير المتثبتين ، من الطبقة السابعة ، مات سنة ١٧٩ هـ،وله ٩٠ سنة . تقريب التهذيب ٢ : ٢٢٣،وسير.. النبلاء ٨ : ٤٨ – ١٣٥ .

(٢) في أ تقدم ذكر الشافعي وأصحابه على ذكر مالك وأصحابه ، والأولى العكس ، وهو مافي ك و ط ولذلك أثبتناه .

(٣) هو اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو ، أبو إبراهيم ، المصري، فقيه زاهد ، ولد سنة ١٧٥ هـ وتوفى سنة ٢٦٤ هـ وله ٨٩ سنة . سير اعلام النبلاء ١٢ : ٤٩٢ – ٤٩٧ وفيات الأعيان ١ : ٢١٧ – ٢١٩ .

(٤) هو : يوسف بن يحيى المصري البويطي أبو يعقوب ، الفقيه ، صاحب الشافعي، كان زاهدا متهجدا ذاكرا ، مات في سجن الخليفة الواثق سنة ٢٣١ هـ . سير .. النبلاء ١٢ : ٥٨ – ٦١ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٤٢٧ – ٤٢٩ .

(٥) هو ابن يحيى بن حرملة بن عمران ، أبو حفص التجيبي المصري ،صاحب الشافعي ، مات سنة ٢٤٣ أو ٢٤٤ هـ تقريب التهذيب ١ : ١٥٨ ، وسير .. النبلاء ١١ : ٣٨٩ – ٣٩١ .

(٥) في ك و ط (الربيع) .

(٦) هو محمد بن ادريس بن العباس ، المطلبي ، أبو عبد الله ، المكي نزيل مصر ، رأس الطبقة التاسعة ، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين. مات سنة ٢٠٤ هـ وله ٥٤ سنة . تقريب التهذيب ٢ : ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٦٣ – ١٦٩ .

(٧) في ك و ط (أو) .

(٨) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني ، ثقة حافظ مصنف السنن وغيرها ، من كبار العلماء مات سنة ٢٧٥ هـ تقريب ١ : ٣٢١ ووفيات الأعيان ٢ : ٤٠٤ – ٤٠٥ .

(٩) هو ابن اسحاق بن ابراهيم ، أبو اسحاق ، أحد الأئمة الأعلام ولد سنة ١٩٨ هـ وتفقه على الامام أحمد وكان من نجباء أصحابه ، زاهدا حافظا للحديث قيما بالأدب مات سنة ٢٨٥ هـ فوات الوفيات ١ : ١٤ – ١٧. صفة الصفوة ٢ : ٤٠٤ – ٤١٠ لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – ٥٩٧ هـ ت : محمود فاخوري و د. محمد قلعة جي ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

الاثرم (١) كانوا فقهاء ، وأحمد بن حنبل لم يكن فقيها ، أو أن عليا كان امام (٢) عدل ، وأبا (٣) بكر وعمر لم يكونوا (٤) امامي عدل ، أو أن نور الدين الشهيد (٥) كان عادلا ، وعمر (٦) بن عبد العزيز لم يكن عادلا ، أو أن كوشيار (٧) ، كان يعلم الهيئة ، وبطليموس (٨) لم يكن يعرف الهيئة (٩) ، أو أن النابغة

---

(١) هو أحمد بن محمد بن هانيء ، الطائي الحافظ الثبت الثقة ، أحد الأئمة المشاهير ، كان من أذكياء الأمة ، مات سنة ٢٦١ هـ . تقريب ١ : ٢٥ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٤١ — ١٤٢ .

(٢) في أ تردد بين نصب (امام) وعدمه .

(٣) في ط (أبو) .

(٤) في ك و ط (يكونا) .

(٥) هو محمود بن زنكي عماد الدين أبن أقسنقر التركي ابو القاسم ، الملقب بالملك العادل ، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وهو أعدل الملوك في زمانه وأجلهم وأفضلهم ، كان من المماليك ، مولده سنة ٥١١ هـ ومات سنة ٥٦٩ هـ في دمشق ، ودفن بمدرسة النورية . الكامل ٩ : ١٢٤ — ١٢٥ ، وسير .. النبلاء ٢٠ : ٥٣١ ، والبداية والنهاية ١٢ : ٢٧٧ — ٢٨٤ .

(٦) هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، أمير المؤمنين ، أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولي امرة المدينة للوليد ، وولي الخلافة بعد سليمان ، فعد مع الخلفاء الراشدين ، وهو من الطبقة الرابعة ، مات سنة ١٠١ هـ وله ٤٠ سنة . تقريب ٢ : ٦٠ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٣٠١ .

(٧) كوشيار : هو ابن لبان الجيلي ، أبو الحسن ، مهندس فلكي ، من العلماء ، ألف عدة كتب منها : مجمل الأصول في أحكام النجوم ، وكتاب الاصطرلاب ، مات سنة ٣٥٠ هـ . الأعلام ٥ : ٢٣٦ .

(٨) بطليموس : هو القلوذي ، مؤلف كتاب المجسطي ، عالم بالرياضة والنجوم ، وهو أول من عمل الاسطر لاب الكرى (المنظار الفلكي) والآلات النجومية والمقاييس والأرصاد ، وقيل : بل هو تلميذ (ابرخس) أو أستاذه ، وقد كان في زمان (أدريانوس) و (انطونينوس) . الفهرست : ٣٧٤ ، وتاريخ الحكماء : ٩٥ ، وتتمة المختصر ١ : ١٢١ .

(٩) في ك و ط زيادة : (أو أن أبا علي بن الهيثم كان يعرف علم الهندسة واقليدس لم يكن يعرف ذلك) .

(٩) علم الهيئة : هو المعروف بعلم الفلك ، وهو علم موضوعه : الأجرام العلوية ، أي الشموس والسيارات والثوابت وتوابعها ، وذوات الأذناب ، وهو قسمان: نظري وعملي . دائرة معارف وجدي ٧ : ٤٨١ .

الجعدي (١) كان شاعرا ، والنابغة الذبياني (٢) لم يكن شاعرا ، أو أن يقال : أن القمر مستنير ، والشمس ليست مستنيرة ، أو أن عطارد (٣) نجم ثاقب (٤) ، وزحل (٥) ليس بنجم ثاقب ، أو أن مسلما كان عالما بالحديث ، والبخاري لم يكن كذلك ، أو أن كتابه أصح من كتاب البخاري . ونحو ذلك مما يطول تعداده .

---

(١) هو قيس بن عبد الله – وقيل غير ذلك – ابن عمرو بن عدس بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة العامري الجعدي ، طال عمره في الجاهليه والاسلام ، وهو أسن من النابغة الذبياني ، عاش ١٨٠ سنة – فيما يقال – وكان يذكر في الجاهلية دين ابراهيم – عليه السلام – ويصوم ويستغفر ، ووفد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاسلم ، وعاش الى زمن ابن الزبير ومات بأصبهان ، وكان من أصحاب علي – رضي الله عنهما – أسد الغابة ٤ : ٥١٦ – ٥١٧ ، والاصابة ٣ : ٥٣٧ – ٥٤٠ .

(٢) النابغة الذبياني : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، من أهل الحجاز ، وعاش عمرا طويلا ، وله ديوان شعر صغير مطبوع ، ومات نحو سنة ١٨ق .هـ الأعلام ٣ : ٥٤ – ٥٥ .

(٣) عطارد : هو أقرب السيارات الى الشمس ومتوسط بعده عن الشمس ٣٥ مليون ميل ، وهو يدور بسرعة كبيرة (٣٠) ميلا في الثانية ، ويشاهد الفلكيون على سطحه جبال شامخة ، وأودية عميقة . انظر دائرة معارف وجدي ٧ : ٤٩٦ – ٤٩٧ .

(٤) في ك و ط زيادة : (ثقب ضؤه) .

(٥) في ك و ط (والمشتري) .

(٥) زحل : هو أبعد السيارات عن الشمس ، نوره أصفر ثابت ، لكنه ضعيف بسبب المسافة وفلكه واسع جدا ، وهو يدور حول الشمس على بعد ٨٧٣ مليون ميل . انظر المصدر السابق ٧ : ٥٠٨ .

فصـــل

(اشتراطهم لصحة النبوة تبشير الأنبياء بها ،والرد عليهم)

والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم ، وهو أن فيهم (١) من يقول : " محمد لم تبشر به النبوات ، بخلاف المسيح فانه بشرت به النبوات " .وزعموا أن من لم تبشر به ، فليس بنبي . وهذا السؤال يورد على وجهين : أحدهما : أنه لايكون نبيا حتى تبشر (٢) به . والثاني : أن من بشرت به أفضل أو أكمل ، ممن لم تبشر به (٣) ، أو أن هذا طريق يعرف (٤) به نبوة المسيح ، اختص به . وأنتم قد قلتم :" مامن طريق تثبت به نبوة نبي الا ومحمد تثبت نبوته بمثل تلك الطريق وأفضل " فأما هذا الثاني، فيستحق الجواب ، وأما الأول (٥) نجيبهم عنه - أيضا - لكن هل تجب (٦) الاجابة عنه ؟ فيه (٧) قولان ، بناء على أصل : وهو أنه : هل من شرط النسخ الاشعار بالمنسوخ ؟ ولنظار المسلمين فيه قولان : أحدهما : أنه لابد اذا شرع حكما يريد أن ينسخه ، فلابد أن يشعر المخاطبين بأنه سينسخه (٨) ، لئلا يظنوا دوامه ، فيكون ذلك تجهيلا لهم . والثاني : لايشترط ذلك .

---

(١) في ك و ط (منهم) .
(٢) في ك و ط (يبشر) .
(٣) سقطت (به) من أ والأصوب اثباتها كما في ك و ط .
(٤) في ك و ط (تعرف) .
(٥) في ك و ط زيادة (فنحن) .
(٦) في ك و ط (يجب) .
(٧) في أ (ففيه) .
(٨) في ك و ط (بأني سأنسخه) .

وأيضا ، فمن بعث بعد موسى (١) ، هل يجب أن يكون مبشرا به ؟ فيه قولان .

وبكل حال ، فلاريب عند علماء المسلمين أن المسيح - عليه السلام - بشر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - كما قال - تعالى - : ﴿ واذ قال عيسى بن مريم : يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (٢) ، وقد (٣) قال - تعالى - : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (٤) وقال - تعالى - : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ (٥) وقال - تعالى - : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ (٦) في موضعين من القرآن ، أحدهما في التوحيد (٧) والقرآن ، والآخر في القبلة ، والقرآن ومحمد .

---

(١) في ك و ط زيادة (بشريعة) .
(٢) سورة الصف : ٦. وفي ك و ط زيادة قوله : (الآية) .
(٢) قوله - تعالى - (أحمد) يحتمل معنيين : أحدهما : المبالغة في الفاعل ، يعني أنه أكثر حمدا لله من غيره . وثانيهما : المبالغة من المفعول ، يعني ، أنه يحمد بما فيه من الاخلاص والأخلاق الحسنة أكثر مما يحمد غيره . التفسير الكبير ٢٩ : ٣١٤ م ١٥ .
(٣) سقطت (قد) من ك و ط .
(٤) سورة الأعراف : ١٥٧ .
(٥) سورة الفتح : ٢٩ .
(٦) سورة البقرة : ١٤٦ وسورة الأنعام : ٢٠ .
(٧) في ك و ط (أو) .

فقال في الأول : ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل : لاأشهد قل : إنما هو إله واحد وانني بريء مما تشركون * الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون ﴾ (١) وهذا في سورة الأنعام ، وهي مكية (٢) .

وقال في سورة البقرة ـ وهي مدنية ـ : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد (٣) الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون * ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابعٍ قبلتهم ومابعضهم بتابعٍ قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين * الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ (٤) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ .. وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (٥) وقال (٦) ـ تعالى ـ : ﴿ أفغير الله أبتغي حكماً وهو

---

(١) سورة الأنعام : ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) في ط (مدنية) .

(٣) شطر المسجد : وجهة المسجد الحرام وتلقاءه وجانبه . التفسير الكبير ٤ : ١٢٤ م ٢ .

(٤) سورة البقرة : ١٤٤ ـ ١٤٧ .

(٤) في أ جاء بقوله ـ تعالى ـ ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ الى قوله (فولوا وجوهكم شطره ﴾ وهي الآية رقم ١٥٠ ثم اتبعها بقوله تعالى : ﴿ وان الذين أوتوا الكتاب ﴾ .. الآيات وهي آخر الآيه رقم ١٤٤ والايتان التاليتان لها .

(٤) الممترين : الشاكين ، وجملة : " فلاتكونن من الممترين . عائدة الى أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن بعضهم عاند وكتم ، أو الى آمر القبلة ، أو الى صحة نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشرعه ، وهذا هو الأقرب ، لأن أقرب المذكورات اليه قوله ـ تعالى ـ : (الحق من ربك) فاذا كان ظاهره يقتضي النبوة وماتشتمل عليه من قرآن ووحي وشريعة . فقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فلاتكونن من الممترين ﴾ ظهر كونه راجعا اليه . انظر التفسير الكبير ٤ : ١٤٤م ٢ .

(٥) [illegible] (٦) سقطت الواو في ط .

الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزلٌ من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ (١) وقال - تعالى -: ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ؟ ﴾ (٢) وقال - تعالى -: ﴿ .. قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ (٣) وقال - تعالى - : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .. ﴾ (٤)

وقال - تعالى - : ﴿ إنّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان (٥) يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ (٦) وقال - تعالى - : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة (٧) ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٨) وقال - تعالى - (٩) : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك .. ﴾ (١٠).

---

(١) سورة الانعام : ١١٤ .

(٢) سورة الشعراء : ١٩٧ .

(٣) سورة الرعد : ٤٣ .

(٤) سورة المائدة : ٨٣ وفي ك و ط زيادة (الآية) .

(٥) هو جمع قلة من (ذقن) وهو من الانسان مجمع لحييه . المصباح : ٢٠٨ .

(٦) سورة الاسراء : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٧) أي يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم بالحسنة أي الكلمة الطيبة الجميلة. أو لايقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون . صفوة التفاسير ٢٠ : ٤٣٩ م ٢ .

(٨) سورة القصص : ٥٢ - ٥٤ .

(٩) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس .

(١٠) سورة يونس : ٩٤ وفي ط زيادة " الآية " .

وإذا كان كذلك ، فيقال : معلوم باتفاق أهل الملل ، أنه ليس من شرط نبوة كل نبي أن يبشر به من قبله ، إذ النبوة ثابتة بدون ذلك ، ـ لاسيما ـ ونوح وإبراهيم وغيرهما لم يعلم أنه بشر بهما من قبلهما ، وكذا عامة الأنبياء الذين قاموا في بني اسرائيل ، لم تتقدم بهم (١) بشارات ، إذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة ، كداود وأشعيا (٢) وغيرهما .

وانما قد يدعى (٣) هذا فيمن جاء بنسخ (٤) شرع من قبله ، كما جاء المسيح بنسخ بعض أحكام التوراة ، وكذلك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ففي مثل هذا يتنازع المتنازعون من علماء المسلمين وغيرهم : هل يشترط أن يكون قد أخبر بذلك قبل النسخ ؟ على قولين .

---

(١) في ك و ط (يتقدم لهم) .

(٢) هو ابن آموص ، عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد وبقى الى أن جاوز الثمانين من عمره ، ويعتبره أهل الكتاب نبياً ، ولم يرد ذكره في القرآن الكريم ، وله السفر الثالث والعشرون من أسفار العهد القديم . يقول (استاهلن الجرمني) : انه لايمكن أن يكون الباب الأربعون ومابعده إلى الباب السادس والستين من كتاب أشعيا من تصنيفه " . بمعنى أن ٢٧ سفراً لم يكتبها أشعيا . أنظر إظهار الحق للشيخ رحمة الله بن خليل الله ـ ١٣٠٨ هـ ت : د . أحمد حجازي السقا ٩٨ ، دار التراث العربي ، القاهرة ١٣٩٨ هـ ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٨١ ـ ٨٥ .

(٣) وسمت في أ هكذا (يدعا) .

(٤) في ك و ط زيادة (بعض) وهي في أ مضروب عليها .

وحينئذ[1] فالمسلمون يقولون : شريعة التوراة والانجيل لم تشرع شرعا مطلقا ، بل مقيدا ، الى أن يأتي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وهذا مثل الحكم الموقت بغاية لايعلم متى يكون ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ .. فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ... ﴾[2] وقوله[3] ـ تعالى ـ : ﴿ ... فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾[4] ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل .

وهل يسمى هذا نسخا ؟ فيه قولان : قيل : لايسمى نسخا ، كالغاية المعلومة . كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ... ﴾[5] فان ارتفاع وجوب الصيام بمجيء الليل ، لايسمى نسخا باتفاق الناس .

فقيل إن الغاية المجهولة ، كالمعلومة . وقيل : بل هذا يسمى نسخاً ، ولكن هذا النسخ جائز باتفاق أهل الملل ، اليهود وغيرهم . وعلى هذا ، فثبوت نبوة المسيح ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ لاتتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه ،فإن ذلك إنما يكون في الحكم المطلق ، والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقا .

وسواء قيل : إن الاشعار بالناسخ واجب ، أو قيل : إنه غير واجب ، فعلى القولين قد أشعر أهل الشرع الأول ، بأنه سينسخ . فإن موسى بشر بالمسيح ، وكذلك غيره من الأنبياء . وموسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء بشروا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإذا كان هذا هو الواقع ، فنبوة المسيح ومحمد ـ صلى الله عليهما[6] وسلم ـ لاتتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه .

---

(١) في ك و ط زيادة : (فنقول) .
(٢) سورة البقرة : ١٠٩ .
(٣) في ط (قال) .
(٤) سورة النساء : ١٥ .
(٥) سورة البقرة : ١٨٧ .
(٦) في أ (عليه) .

وحينئذ فنقول : العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح ، لاتتوقف على العلم بأن من قبلهما بشربهما ، بل طرق العلم بالنبوة متعددة . فإذا عرفت نبوته بطريق من الطرق ، ثبتت نبوته عند من علم ذلك ، وإن لم يُعلَم أن من قبله بشر به . لكن يقال : إذا كان الواجب أو الواقع أنه لابد من إخبار من قبله بمجيئه ، وأن الإشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع ، صار ذلك شرطا في النبوة ، ومن علم نبوته ، علم أن هذا قد وقع ، وإن لم ينقل اليه .

فاذا قال المعارض : عدم اخبار من قبله به ، (١) يقدح في نبوته ،وأنه (٢) اذا قدر أنه لم يخبر به من قبله - والاخبار شرط (٣) في النبوة - كان ذلك قدحا . قيل : الجواب هنا من طريقين :

أحدهما : أن يقال : إذا علمت نبوته بما قام عليها من أعلام النبوة : فإما أن يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته ، واجباً أو واقعاً ، وإما أن لايكون لازماً .

فان لم يكن لازماً لم يجب وقوعه وإن كان لازما عُلِمَ أنه قد وقع . وإن كان ذلك لم ينقل إلينا ؛ إذ ليس كل ماقالته (٤) الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا . وليس كل ما (٤) أخبر به المسيح ، ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا ، وهذا مما يعلم بالاضطرار .

---

(١) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٢) في ك و ط (فإنه) .

(٣) في ك و ط (شرطا) بالنصب .

(٤) في أ و ك (كلما) .

ولو قُدِّر أن هذا ليس في الكتب الموجودة ، لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه ، بل يمكن أنهم ذكروه ومانقل . ويمكن أنه كان في كتب غير هذه (١) . ويمكن أنه كان في نُسخ غير هذه النُّسخ ، فأزيل من بعضها ، ونسخت هذه مما أزيل منه وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه ، فكل هذا ممكن في العادة ، لايمكن الجزم بنفيه .

فلو قدر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب ، لم يقطع بأن الأنبياء لم يبشروا به . فإذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يبشر به الأنبياء ، ولايمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يبشر (٢) به الأنبياء ، لم يكن معهم علم بعدم ذلك ، بل غاية مايكون عند أحدهم ظن ، لكونه طلب ذلك ، فلم يجده .

ودلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية ، لايمكن القدح فيها بظن ، فان الظن لايدفع اليقين ، لاسيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء ، كما في صحيح البخاري : أنه قيل لعبد الله بن عمرو (٣) : " أخبرنا ببعض صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوراة ، فقال : إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : " ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ولاصخاب بالأسواق ، ولاتجزي بالسيئة السيئة ، ولكن تجزي بالسيئة الحسنة ، وتعفو

---

(١) في ط زيادة : (الكتب) .

(٢) في ك و ط : (تبشر) .

(٣) هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي ، أبو محمد ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة ، وأحد العبادلة الفقهاء ، مات سنة الحرة ٦٢ هـ بالطائف . تقريب ١ : ٤٣٦ ، وسير .. النبلاء ٣ : ٨١ ـ ٩٤ .

وتغفر (١) ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة الموجاء (٢) ، فأفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما . وقلوباً غلفا ،بأن يقولوا : لا إله إلا الله " (٣) .

ولفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور : قد يراد به الكتب المعينة ، ويراد به الجنس ، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره ، كما في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: " خفف على داود القرآن ، فكان مابين أن تسرج (٤) دابته الى أن يركبها يقرأ القرآن (٥) " والمراد به قرآنه : وهو الزبور ، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل الا على محمد .

وكذلك ماجاء في صفة أمة محمد (٦) " أنا جيلهم في صدورهم (٧) " فسمى الكتب الذي يقرؤونها (٨) - وهي القرآن - أناجيل . وكذلك في التوراة " اني

---

(١) في أ (أو تغفر) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) في ك (العرجاء) .

(٣) أورده الشيخ هنا بشيء من اختلاف اللفظ وهو في صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق ٤ : ٣٤٢ - ٣٤٣ (٢١٢٥) وفي كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب "إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا " ٨، ٥٨٥ : (٤٨٣٨) من فتح الباري .

(٤) في ك و ط (يسرج) .

(٥) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله - تعالى - : "... وآتينا داود زبورا " ٦٠ : ٤٥٣ (٣٤١٧) من فتح الباري بلفظ : خفف على داود - عليه السلام - القرآن ،فكان يأمر بدوا به فتسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ، ولايأكل الا من عمل يده " .
ورواه الإمام أحمد ٢ : ٣١٤ .

(٦) أمة محمد : هم أتباع ملة محمد - صلى الله عليه وسلم - وشريعته ومنهاجه وسنته . انظر الملل والنحل ١ : ٣٠٨ .

(٧) يبدو لي أن هذا النص هو من العهد الجديد . حسب الترجمة السائدة في أيام شيخ الاسلام ، وقد بحثت عن هذه الجملة القصيرة المجتزأة فلم أعثر عليها .

(٨) في ط (التي) .

سأقيم لبني اسرائيل نبيا من اخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى "(١)
فسمى الكتاب الثاني توراة .

فقوله : " أخبرني بصفة رسول الله ـصلى الله عليه وسلم في التوراة ـ "(٢)
قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلها ، وكلها تسمى توراة ، ويكون هذا في بعضها .

وقد يراد به التوراة المعينة ، وعلى هذا فيكون هذا في نسخة لم ينسخ(٣) منها هذه النسخ ، فان النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ، ليس فيها هذا(٤) .

لكن هذا عندهم في نبوة أشعيا قال فيها : " عبدي الذي سرت به نفسي أنزل عليه وجيي ، فيظهر في الأمم عدلي ، ويوصيهم بالوصايا ، لايضحك ، ولايسمع صوته في الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لاأعطي أحدا ، يحمد الله حمدا جديدا ، يأتي من أقصى الأرض ، وتفرح البرية وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لايضعف ولايغلب ، ولايميل الى الهوى ، مشقح(٥) ، ولايذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوى الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذي لايطفى . أثر سلطانه على كتفيه "(٦) .

---

(١) سفر التثنية ، الاصحاح ١٨ ، العهد القديم : ٢٤٢ الكتاب المقدس (عندهم) أي كتب العهدين القديم والجديد . مترجم من اللغات الأصلية : وهي العبرية والكلدانية واليونانية ، دار الكتاب المقدس (عندهم) في الشرق الأوسط بمصر ، ونصه في الترجمة الحالية : " يقيم لك الرب الهك نبيا من وسط اخوتك مثلي ،له تسمعون".

(٢) هو في الأثر عن ابن عمرو المذكور آنفا .

(٣) في ك و ط (تنسخ) .

(٤) هذا تصريح من الشيخ المؤلف بأنه قد أطلع بصفة شاملة على كل ماهو موجود في وقته من الكتب السابقة ـ حسب ما أمكنه .

(٥) في أ بياض بمقدار كلمة وقد كتب أولها (مـ) وهي في ك و ط " مشقح" و أظن ، أنها مقحمة ، وربما يكون من شقحت البسرة : إذا تغيرت إلى الحمرة ، ومن اشقح النخل : إذا أزهى . اللسان ٢ : ٤٩٩ مادة : شقح .

(٦) انظر سفر أشعيا ،الاصحاح ٣٥ ،فقرة ١ ـ ١٠ العهد القديم :٨١٥ والاصحاح التاسع فقرة ٦ العهد القديم : ٧٩٠ . والاصحاح الثاني والأربعين فقرة ١ ـ ٩ .

وهذه صفات منطبقة على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته ، وهي من أجل بشارات الأنبياء المتقدمين به .

ولفظ التوراة ، قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب ، فيدخل في ذلك الزبور ، ونبوة أشعيا ، وسائر النبوات غير الإنجيل.

فإن كان المراد بلفظ التوراة والإنجيل في القرآن هذا المعنى ، فلاريب أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة (١) كثير متعدد (٢) .

الطريق الثاني من الجواب : أن نبين أن الأنبياء قبله ، بشروا به. وهذا هو دليل مستقل على نبوته ، وَعَلَم عظيم من أعلام رسالته . وهذا ـ أيضا ـ يدل على نبوة ذلك النبي إذ أخبر بأنباء من الغيب ، مع دعوى النبوة ، ويدل على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإخبار من تثبت نبوته بثبوته . هذا إذا وجد الخبر ممن لانعلم نحن نبوته (٣) ، ولم يذكر في كتابنا.

وأما من ثبتت نبوته بطرق أخرى ، كموس والمسيح ، فهذا مما تظاهر فيه الأدلة على المدلول الواحد ، وهو ـ أيضا ـ يتضمن أن كل ما ثبتت به نبوة غيره ، فإنه تثبت به نبوته . وهو جواب ثانٍ لمن يجعل ذلك شرطاً لازماً لنبوته .

---

(١) في ك و ط زيادة : (بهذا الاعتبار) .

(٢) في ك و ط زيادة : (ظاهر كما سنبين بعضه وحينئذ فتكون التوراة في قوله : (...يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ...) سورة الأعراف : ١٥٧ متناولة لجنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب ، ولفظ الإنجيل يختص بما عند النصارى ، ولهذا لم يذكر كونه في الزبور ، مع أنه مذكور فيه إذ كان مندرجا في لفظ التوراة) .

(٣) في ك و ط (ثبوته) بالتاء المثلثه في أوله .

فصل

(طرق العلم ببشارة الأنبياء بمحمد – عليهم الصلاة والسلام –)

ثم العلم بأن الأنبياء قبله ، بشروا به يعلم من وجوه : أحدها : مافي الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذِكْره . الثاني : اخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم وممن لم يسلم – بما وجدوه من ذكره فيها (١) . وهذا مثل ماتواتر (٢) عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه ، وأنه رسول الله ، وأنه موجود عندهم، (٣) وكان هذا من أعظم مادعا الأنصار إلى الايمان به لما دعاهم إلى الاسلام ، حتى آمن الأنصار به وبايعوه ، من غير رهبة ولارغبة .

ولهذا قيل : إن المدينة فتحت بالقرآن ، لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها (٤).

---

(١) في ك و ط (بها) .

(٢) رسمت في أ و ك هكذا : (مثلما) .

(٣) في ك و ط زيادة : (وكانوا ينتظرونه) .

(٤) في ك وط زيادة " وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن قال – تعالى – : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بمالاتهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون * وقالوا : قلوبنا غلف . بل لعنهم الله بكفرهم، فقليلا مايؤمنون * ولما جاءهم كتاب من عند الله ، مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا ، كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به أنفسهم ، أن يكفروا بما أنزل الله ، بغيا أن ينزل الله من فضله ، على من يشاء من عباده ، فباؤا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين ﴾ . البقرة ٨٧ ، ٩٠ .

ومثل ماتواتر عن اخبار النصارى بوجوده في كتبهم ، مثل اخبار هرقل(١) ملك الروم ، والمقوقس(٢) ملك مصر ، صاحب الاسكندرية(٣) ، والنجاشي ملك الحبشة ، والذين جاءوه بمكة(٤) ، وقد ذكر الله ذلك(٥) في القرآن في قوله عن اليهود ﴿ ... وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ... ﴾(٦) .

---

(١) هرقل هو إبن ابو سطنيوس ، وكان مدة ملكه ٢٥ سنة ، وقيل ٣١ سنة ، وفي أيامه كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنه ملك المسلمون الشام مات سنة ٢٠ هـ وقد مَلَك بعده ابنه أو ابن أخيه قسطنطين . مروج الذهب ١ : ٣٢٨ ، والكامل ١ : ١٩٢ ، والبداية والنهاية ٧ : ٩٧ .

(٢) هو جريج بن مينا القبطي . البداية والنهاية ٤ : ٢٧٢ .

(٣) المشهورة بهذا الاسم هي الاسكندرية العظمى في بلاد مصر ، ولقد بنى الاسكندر ١٣ مدينة سماها كلها باسمه ثم تغيرت أساميها بعده . مراصد ١ : ٧٦ .

(٤) انظر الخبر عن النفر العشرين ، من نصارى نجران ، الذين قدموا مكة قبل الهجرة فأسلموا . في دلائل النبوة ٢ : ٣٠٦ للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي - ٤٥٨ هـ . توثيق د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

(٥) في ك و ط زيادة (عنهم) .

(٦) سورة البقرة : ٨٩ .

وقال – عن النصارى – ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ، ترى أعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (١) وقوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا ... ﴾ (٢) .

وقال ابن اسحق (٣) : حدثني محمد بن أبي محمد (٤) ، عن عكرمة (٥) ، أو عن سعيد بن جبير (٦) ، عن ابن عباس (٧) : أن يهود كانوا يستفتحون (٨) على الأوس والخزرج (٩) برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من

---

(١) سورة المائدة : ٨٣ .

(٢) سورة القصص : ٥٢ – ٥٣ .

(٣) هو : محمد بن اسحاق بن يسار ، أبو بكر المطّلبي ، امام المغازي ، صدوق يدلس ، مات سنة ١٥٠ هـ تقريب ٢ : ١٤٤ ، وسير .. النبلاء ٧ : ٣٣ – ٥٥ .

(٤) محمد بن أبي محمد هو : الأنصاري مولى زيد بن ثابت ، مدني ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي : لايعرف.تهذيب التهذيب ٩ : ٤٣٣ .

(٥) عكرمة هو ابن عبد الله ، مولى ابن عباس ، أصله بربري ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولايثبت عنه بدعة ، مات سنة ١٠٧ هـ وقيل بعد ذلك . تقريب ٢ : ٣٠ .

(٦) سعيد بن جبير : هو الأسدي مولاهم ، الكوفي : ثقة ثبت فقيه ، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ ، ولم يكمل الخمسين . تقريب ١ : ٢٩٢ ،وسير .. النبلاء ٤ : ٣٤٢ .

(٧) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه ، وهو أحد المكثرين من الصحابة مات سنة ٦٨ هـ بالطائف . تقريب ١ : ٤٢٥ ، وأسد الغابة ٣ : ١٨٦– ١٩٠

(٨) الاستفتاح : الاستنصار . ترتيب القاموس ٣ : ٤٤٣ .

(٩) الأوس والخزرج هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مُزَيْقيا بن عامر ماء السماء – ابن حارثة بن الغطْريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزدبن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان . جمهرة أنساب العرب : ٣٣٢ و ٣٢٩ – ٣٣٠ .

العرب ، كفروا به ، وجحدوا ماكانوا يقولون فيه . فقال معاذ بن جبل (١) وبشر بن البراء بن معرور (٢) ، وداود بن سلمة (٣) ، يامعشر يهود ، اتقوا الله ، وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن أهل شرك ، وتخبرونا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته " . فقال سَلّام بن مِشْكَم (٤) ، أخو بني النضير (٥) : ماجاءنا شيء نعرفه ، وماهو بالذي كنا نذكر لكم " .

فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ .. فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (٦) .

---

(١) معاذ بن جبل : هو ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالرحمن ، من أعيان الصحابة ، شهد بدرا ومابعدها كان اليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن ، مات بالشام سنة ١٨ هـ وهو مشهور . تقريب ٢ : ٢٥٥ ، وأسد الغابة ٤ : ٤١٨ ـ ٤٢١ .

(٢) بشر بن البراء بن معرور : هو ابن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري الخزرجي ، من بني سلمة ، شهد العقبة وبدرا وأحدا ، ومات بخيبر سنة ٧ هـ وذلك بسبب أكله من الشاة المسمومة التي أكل منها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .أنظر أسد الغابة ١ : ٢١٨ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٢٠٢ و ٣ : ٦١٨ . والمسماة الطبقات الكبرى ، لأبي عبد الله محمد ابن منيع البصري الزهري ـ ٢٣٠ هـ دار بيروت ودار صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م .

(٣) داود بن سلمة : هو الانصاري ، قال ابن حجر : له ذكر ، ثم أورد هذا الأثر من رواية ابن أبي حاتم في التفسير ثم عقب بقوله : كذا رأيته في نسخة . ووقع في نسخة أخرى : " فقال لهم معاذ وبشر بن البراء أخو بني سلمة " كذا ذكره الطبري من هذا الوجه ، فلعل الأول تصحيف . الاصابة ١ :٤٧٣ .

(٤) هو سيد بني النضير في زمانه ، وصاحب كنزهم ، وهو الذي نهى بني قومه عن نية القاء الحجر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " هو يعلم " . وهو زوج زينب بنت الحارث ، التي أطعمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشاة المسمومة في خيبر ، وقد تزوج أم المؤمنين صفية بنت حيي فمات عنها ، ومعنى ذلك أن سلّام قد مات قبل عام خيبر .انظر السيرة لابن هشام ٣ : ٤٧ . والكامل ٢ : ٩٩ و ١١٩ و ١٥٠و ٢١٠ .

=

وقال أبو العالية (١) وغيره : " كانوا – يعنى اليهود – إذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب (٢) يقولون : " اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا ، حتى نعذب المشركين ونقتلهم (٣) " فلما بعث الله محمدا – صلى الله عليه وسلم – ورأوا أنه من غيرهم ، كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون : أنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (٤) فأنزل الله هذه الآيات ﴿ ... فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ... ﴾ (٥) .

= (٥) هم قبيلة كبيرة من اليهود ، كان رئيسهم حيي بن أخطب ، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة ، غزاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحاصرهم – بعد نقضهم العهد – وأجلاهم إلى الشام على أن لهم ماحملت الابل ، وفيهم نزلت سورة الحشر . انظر فتح الباري ٧ : ٣٣٠ – ٣٣٣ .

(٦) سورة البقرة : ٨٩ .

(٦) السيرة لابن هشام ٢ : ١٩٦ ، ورجال إسناد هذا الأثر ثقات سوى محمد بن أبي محمد ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات .

(١) أبو العالية : هو رُفَيْع بن مِهران الرياحي البصري ، وهو ثقة ، فأما قول الشافعي : " حديث أبي العالية الرياحي رياح " فإنما أراد به حديثه الذي أرسله في القهقهة فقط . ومذهب الشافعي : أن المراسيل ليست بحجة ، فأما إذا أسند أبو العالية فحجة وهو امام مقرئ حافظ مفسر ، أدرك زمان النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه . وحفظ القرآن وقرأه على أبيّ بن كعب وذاع صيته مات سنة ٩٣ هـ سير .. النبلاء ٤ : ٢٠٧ . تقريب ١ : ٢٥٢

(٢) مشركوا العرب : أولهم عمرو بن لحي من قَمَعة بن خِندق الخزاعي ، فهو أول من غير دين اسماعيل – عليه السلام – فنصب الأوثان ، وبَحّر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي . وكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : ... لاشريك لك الا شريكا هو لك .. " وكان لكل قبيلة صنما ، واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت : وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنه وحجاب ، ويهدى لها ويطاف وينحر . انظر السيرة لابن هشام ١ : ٧٨ – ٨٥ .

(٣) في ك و ط (يعذب المشركين ويقتلهم) بالياء في الموضعين .

(٤) الجملة الدعائية ليست في أ . (٥) سورة البقرة : ٨٩ .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره : جامع البيان ٢ : ٣٣٤ (١٥٢٦) ت : محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ونقله ابن كثير في تفسيره : تفسير القرآن العظيم ١ : ١٧٨ .

وروى ابن اسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، ثم الظَفَري (١) ، عن رجال من قومه قالوا : " ومما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله وهداه - أنا كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ،وكانوا أهل الكتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ،فإذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا : " قد تقارب زمان نبي يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم (٢) ، فكنا كثيرا ما (٣) نسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - رسولا من عند الله ، أجبنا حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ماكانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت (٤) هؤلاء الآيات التي في البقرة: ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (٥)

---

(١) في ك و ط (الطفري) .

(١) هو أبو عمر ، المدني ، أحد العلماء ، كان عارفا بالمغازي ، يعتمد عليه ابن اسحاق كثيرا ، وكان جده من فضلاء الصحابة ، مات سنة ١٢٠ هـ سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٤٠ - ٢٤١ ، وتقريب ١ : ٣٨٥ .

(٢) ارم : هم عاد الأولى ، وهم أولاد عاد بن ارم بن عموص بن سام بن نوح ورسولهم : هو هود - عليه السلام - وقال مجاهد : ارم : أمة قديمة - يعني عادا الأول - كما قال قتادة والسري : ان ارم بيت مملكة عاد. قال ابن كثير : وهذا قول حسن جيد قوي . تفسير القرآن العظيم ٨ : ٤١٦ - ٤١٧ .

(٣) هكذا في ك و ط ، وفي أ (مما) والأول أصح ، وهو ما أثبتناه .

(٤) هكذا في ط ، وفي أ و ك (نزل) والأصوب مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٥) سورة البقرة : ٨٩ .

(٥) الأثر بمعناه في السيرة لابن هشام ٢ :١٩٠ . وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢ : ٣٣٢ - ٣٣ (١٥١٩) ت : محمود شاكر . وقال : هذا له حكم الحديث المرفوع .. ورجحنا اتصاله " .

قال ابن اسحاق : " وحدثنا صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (١) ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن آسعد بن زرارة الأنصاري (٢) ، قال: حدثني من شئت من رجال قومي ، عن حسان بن ثابت الأنصاري (٣) قال : " والله أني لغلام يفعة (٤) ، ابن سبع سنين أو ثمان سنين ، أعقل كل ماسمعت إذ سمعت يهوديا يقول على أُطُم (٥) يثرب (٦) ، يصرخ : " يامعشر اليهود " فلما اجتمعوا عليه قالوا : " مالك ويلك ؟ " قال : " طلع نجم أحمد الذي يبعث الليلة " (٧).

---

(١) هو الزهري ، أبو عبد الرحمن ، المدني ، ثقة ، من الطبقة الخامسة ، مات قبل سنة ١٢٧ هـ ، في ولاية ابراهيم بن هشام . تقريب ١ : ٣٥٨ ، و الكاشف ٢ : ١٨ .

(٢) هو الأنصاري البخاري المدني ،ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البجلي : تابعي ثقة . تهذيب التهذيب ١١ : ٢٤١ .

(٣) هو ابن المنذر بن حرام الخزرجي ، ابو عبد الرحمن ، أو أبو الوليد : شاعر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشهور ، مات سنة ٥٤ هـ وله ١٢٠ سنة . تقريب ١ : ١٦١ ، وسير .. النبلاء ٢ : ٥١٢ ـ ٥٢٣ .

(٤) في ط (يفقه) .

(٤) من اليَفَاع : وهو ما أرتفع من الأرض مثل (سلام) وأيفع الغلام : شب . المصباح : ٦٨١ .

(٥) الأُطُم : القصر ، وكل حصن مبني بحجارة ، وكل بيت مربع مسطح . وجمعه : آطام وأطوم . ترتيب القاموس ١ : ١٥٧ .

(٦) مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سميت بأول من سكنها وهو : يثرب ابن قانية ، من ولد سام بن نوح . وقيل : إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كره هذا فسماها طيبة وطابة . ويروى عن ابن عباس : من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا ، إنما هي طيبة . معجم البلدان ٥ : ٤٣٠ .

(٧) السيرة لابن هشام ١ : ١٦٨ ، وإسناد هذا الأثر فيه مجهولون .

وروى أبو زرعة (١) ، بإسناد صحيح ، عن أسامة بن زيد ، عن أبيه زيد ابن حارثة (٢) ، قال : " خرج (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُرْدِفِيَّ . ثم أقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في يوم حار من أيام مكة ، حتى إذا كنا بأعلى الوادي ، لقيه زيد بن عمرو بن نفيل (٤) فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " يا ابن عمرو . مالي أرى قومك قد شنفوك (٥) ؟ " .

قال : " أما والله ، إن ذلك لغير ثائرة (٦) كانت مني فيهم ، ولكن أراهم على ضلال .

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فَرّوخ ، القرشي المخزومي . الرازي ، امام حافظ ثقة مشهور ، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الاسلام ، قال اسحاق بن راهويه : كل حديث لايعرفه ابو زرعة الرازي ليس له أصل مات بالري آخر سنة ٢٦٤ هـ تقريب ١ : ٥٣٦ ، وطبقات الحفاظ : ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(١) أخبرني شيخي أ. د. محمد مصطفى الأعظمي : أن مسند أبي زرعة لايزال في عالم المخطوطات .

(٢) هو ابن شراحيل الكلبي . أبو أسامة ، مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صحابي جليل مشهور ، من أول الناس اسلاما ، استشهد يوم مؤتة في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – سنة ٨ هـ وله ٥٥ سنة . تقريب ١ : ٢٧٣ ، وسير .. النبلاء ٢ : ٤٩٦ – ٥٠٧ .

(٣) في ك و ط زيادة : (علينا) .

(٤) هو ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط القرشي العدوي ، والد سعيد بن زيد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم عمر بن الخطاب ، كان موحدا في الجاهلية ، وتوفي قبل مبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – . أسد الغابة ٢ : ١٤٣ – ١٤٤ .

(٥) الشَّنَف : النظر إلى الشيء كالمعترض عليه أو كالمتعجب منه ، أو كالكاره له . وشَنِف له – كفرح – : أبغضه وتنكره فهو شَنِف . وفَطِن . والشانف : المعرض . ترتيب القاموس ٢ : ٧٦٤ .

(٦) في ط (مأثرة) وهو تحريف .

(٦) الثائرة : طلب الثأر والدم . انظر ترتيب القاموس ١ : ٣٩٤ .

فخرجت أبتغي هذا الدين ، فأتيت إلى أحبار (١) يثرب ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، فقلت : ماهذا بالدين الذي أبتغى . فخرجت حتى آتي أحبار خيبر ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، فقلت : ماهذا بالدين الذي أبتغى . فقال لي حبر من أحبار الشام : " إنك لتسأل عن دين مانعلم أحدا يعبد الله به الا شيخ بالجزيرة (٢) " . فخرجت ، فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له ، فقال : " إن كل من رأيت في ضلالة ، فمن (٣) أنت ؟ (٤) قلت : أنا من أهل بيت الله (٥) ، ومن أهل الشوك والقَرْظ (٦) ".

فقال : " إنه قد خرج في بلدك نبي ، أو خارج قد خرج نجمه ، فارجع فصدقه واتبعه وآمن به " فرجعت فلم أحس شيئا بعد ، قال : " فأناخ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعيره فقدمنا (٧) اليه السفرة (٨) ". قال زيد : " ماآكل شيئا ذبح [redacted] الله " فتفرقا ، فجاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فطاف بالبيت . قال زيد (٩) : وأنا معه ، وكان صنمان من نحاس

---

(١) جمع حَبْر وهو العالم أو الصالح ، ويجمع على حبور – أيضا – . ترتيب القاموس ١ : ٥٧٣ .

(٢) وتسمى " جزيرة أقُور " وهي التي بين دجلة والفرات ، مجاورة الشام ، تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، سميت الجزيرة : لأنها بين دجلة والفرات . معجم البلدان ٢ : ١٣٤ .

(٣) في ك وط (ممن) .

(٤) في ك و ط زيادة : (قال) .

(٥) هو الذي بمكة – حرسها الله – وهو البيت الحرام . وهو الكعبة زادها الله شرفا " . مراصد ١ : ٢٣٧ و ٣ : ١١٦٨ .

(٦) القرظ هو استخراج الماء من الآبار. انظر ترتيب القاموس ٣ : ٥٩٣ .

(٧) في ط (قدمنا) .

(٨) السُّفْرة : طعام يصنع للمسافر . وسميت الجِلْدة التي يوعى فيها الطعام سفرة مجازا . المصباح : ٢٧٩ .

(٩) هو الراوي : زيد بن حارثة – رضي الله عنه – .

يقال لهما (أساف) و (نائلة) مستقبل الكعبة[١] ، يتمسح بهما الناس إذا طافوا ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (لاتمسهما ولا تمسَّح بهما " . قال زيد : فقلت في نفسي ، وقد طفنا ، لأمسنهما[٢] حتى أنظر مايقول ، فمستهما فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "ألم تُنْهه ؟" فلا والذي أكرمه ، مامسستهما حتى أنزل الله عليه الكتاب . ومات زيد بن عمرو ابن نفيل قبل الأسلام . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " إنه يبعث أمة وحده " . وروى البخاري حديث خروج زيد بن عمرو قريبا من هذا اللفظ[٣] .

وقال ابن اسحاق : حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد[٤] عن سلمة بن سلامة بن وقش[٥] ، قال " كان بين أبياتنا يهودي ، فخرج على نادي[٦] قومه بني عبد الأشهل[٧] ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، فقال ذلك لأصحاب وثن ، لايرون أن بعثا كائن بعد موت ، وذلك قبل مبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : " ويحك يافلان أو ويلك[٨] وهذا كائن ؟ أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم ؟ قال : نعم والذي يحلف به ، لوددت أن حظي من تلك النار ، أن توقدوا[٩] أعظم تنور في داركم ،

---

(١) هما رجل وامرأة من جُرْهُم ، لم يمهلهما الله – تعالى – حتى يَفْجرا في الكعبة ، ولكنه قَبَّلها ، فمسخا حجرين ، فأخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وعظة ، فلما كان عمرو بن لحي : نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله – تعالى – ، وإساف هو ابن بغي ، ونائلة هي بنت ديك . انظر الروض الأنف ١ : ١٠٥ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي – ٥٨١ هـ بتعليق : طه عبد الرؤف سعد ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

(٢) في ك و ط (لأمسهما) .

=

....

= (٣) وهو عن ابن عمر - رضى الله عنهما - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل (بَلْدَح) قبل أن ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي فَقُدِّمَت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - سُفْرة فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه . وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ..." الحديث . وأخرج البخاري تعليقا - عن سالم عن أبيه - مع الشك - عن موسى بن عقبة في رواية سالم عن أبيه عبد الله بن عمر - أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين وَيَتْبعه ، فلقي عالما من اليهود ، فسأله عن دينهم فقال : " إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني " فقال : " لاتكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله " قال زيد " ماأفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا ،وأنّى أستطيعه ، فهل تدلني على غيره " ؟ قال : " ماأعلمه إلا أن يكون حنيفا " قال زيد : " وماالحنيف " ؟ قال : " دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولانصرانيا ولا يعبد إلا الله " فخرج زيد فلقي عالما من النصارى . فذكر مثله فقال : " لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله " ،قال : " ماأفر إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا ، وأنى أستطيع ؟ فهل تدلني على غيره " ؟ قال : " ماأعلمه إلا أن يكون حنيفا " . قال : " وماالحنيف " ؟ قال : " دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولانصرانيا ولايعبد إلا الله" فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم - عليه السلام - خرج . فلما برز رفع يديه فقال ، اللهم إني أشهد أني على دين ابراهيم " .
أخرجهما البخاري ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد ابن عمرو بن نفيل ٧ : ١٤٢ - ١٤٤ (٣٨٢٦ - ٣٨٢٧) من فتح الباري .

=

....

= (٤) محمود بن لبيد : هو ابن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي ، أبو نعيم المدني ، صحابي صغير ، وَجُلّ روايته عن الصحابة ، مات سنة ٩٦ هـ ، وله ٩٩ سنة . تقريب ٢ : ٢٣٣ ، وأسد الغابة ٤ : ٣٤١ – ٣٤٢ .

(٥) سلمة بن سلامة بن وقش : هو ابن زغبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، أبو عوف . شهد العقبتين والمشاهد كلها ، ولاه عمر على اليمامة ، مات سنة ٣٤ هـ ، وله ٧٠ سنة . أسد الغابة ٢ : ٢٧٦ .

(٥) في ك و ط (وقس) السين المهملة .

(٦) في ك و ط (بادي) بالنائي أوله .

(٧) بنو عبد الاشهل : نسبة إلى عبد الأشهل بن جُشَمُ بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو – مُزَيْقِياء – ابن عامر – ماء السماء – ابن الغطريف بن امريء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد – وهو أدد – بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان . بطن من الأنصار . اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٦٨ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣٢٩ – ٣٣٩ .

(٨) ويح لزيد وويحاله : كلمة رَحْمَة . والويل : حلول الشر . ترتيب القاموس ٤ : ٦٦٥ – ٦٦٦ .

(٩) في ك و ط (يوقدوا) .

فتحمونه ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطَيّنون (١) عليّ ، وإني أنجو من تلك النار غدا • فقيل : يافلان ، فما علامة ذلك ؟ قال : " نبي يبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار إلى مكة واليمن بيده " قالوا : فمتى تراه (٢) ؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء (٣) باب (٤) أهلي وأنا أحدث القوم فقال : " إن يستنفد (٥) هذا الغلام عمره يدركه " • فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ، وإنه لحيٌّ بين أظهرهم ، فآمنا به وصدقناه ، وكفر به بغيا وحسدا • فقلنا له : يافلان ، ألست الذي قلت ماقلت ، وأخبرتنا ؟ قال: "ليس به" (٦) وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : أن غلاما يهوديا (٧) كان يخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمرض ، فأتاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة • فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

---

(١) في ك و ط بالياء المثناة التحتية في المواضع الثلاثة •

(٢) في ط (نراه) •

(٣) الفناء : ـ مثل كتاب ـ هو : سعة أمام البيت ، وقيل : ماامتد من جوانبه • المصباح : ٤٨٢ •

(٤) في ك و ط (بفنايات) •

(٥) في ك (يستنقد) بالقاف وفي ط (يستقد) •

(٦) السيرة لابن هشام ١ : ٢٢٥ وهذا الأثر رجال إسناده ثقات •

(٧) قال ابن حجر : لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته ، إلا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب (العتبية) حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام (عبد القدوس) قال : وهو غريب ماوجدته عند غيره • فتح الباري ٣ : ٢٢١ •

" يايهودي ، أنشدك بالله (١) الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة (٢) صفتي ومخرجي ؟ " قال : لا . قال الفتى : بلى والله يارسول الله ، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك (٣) ، وإني أشهد أن لا اله إلا الله ، وأنك رسول الله . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أقيموا هذا من عند رأسه ، وَلُوا (٤) أخاكم " رواه البيهقي (٥) بإسناد صحيح (٦) . وقال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة (٧) ، قال : هل تدري عما كان

---

(١) أي : ذكّرتك به ، أو سألتك به مقسما عليك . المصباح ٢ : ٦٠٥ .

(٢) في دلائل النبوة زيادة : (نعتي) .

(٣) اللفظ في دلائل النبوة " قال الفتى : يارسول الله ، إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك " .

(٤) من وَلِيَة : إذا قام به ، فهو ولي ، والجمع : أولياء ، قال ابن [illegible] : وكل من ولي أمر أحد فهو وليه . المصباح : ٦٧٢ .

(٥) هو : الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي ، ولد سنة ٣٨٤ هـ ، درس على أُبي عبد الله الحاكم ، وتخرج ، كان دينًا زاهدا ورعا ، مات بنيسابور سنة ٤٥٨ هـ ، ونقل جثمانه إلى بيهق ودفن بها - على يومين من نيسابور - وكان له ٧٤ سنة . انظر سير أعلام النبلاء ١٨ : ١٦٣ - ١٧٠ ، ووفيات الأعيان ١ : ٧٥ - ٧٦ .

(٦) وإسناده : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ، حدثنا أحمد بن عمر ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس ... ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٦ : ٢٧٢ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - ٤٥٨ هـ ت : د. عبد المعطي قلعجي ، ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

(٧) " قريظة " اسم رجل نزل أولاده حصنا بقرب المدينة . وقريظة والنضير : أخوان من أولاد هارون النبي - عليه السلام - . اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٢٦ لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري - ٦٣٠ هـ دار صادر ، بيروت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

إسلام أسيد (١) وثعلبة (٢) ابني سعية (٣) ، وأسد بن عبيد (٤) ، نفر من (٥) هَدْل (٦) ، لم يكونوا من بني قريظة وبني النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له : ابن الهيَّبَان (٧) ، فأقام

---

(١) هو القُرَظي ، أسلم وأحرز ماله وحسن إسلامه توفى في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - . أسد الغابة ١ : ١١٠ .

(٢) وقيل : إن يامين لما أسلم قالت اليهود : والله ما آمن بمحمد ولا أتبعه إلا أشرارنا . ولو كانوا من أخيارنا ماتركوا دين آبائهم ، وذهبوا إلى غيره " فأنزل الله - تعالى - في ذلك من قولهم :* ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ...* إلى قوله - تعالى - * ... من الصالحين " آل عمران : ١١٢ - ١١٤ ، وهو وأسيد وأسد من (بني هَدل) ليسوا من بني قريظة ، فنسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم سعد بن معاذ . وقد توفى في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضا . انظر الاصابة ١ : ٢٨٧ و ٢٨٨ . والاستيعاب بهامش الاصابة ١ : ٦٩ .

(٣) في ك و ط (سعيد) .

(٤) هو القُرَظي اليهودي ، وهو ابن عم اسيد وثعلبة ابنى سَعْيَة ، ذكره ابن حبان في الصحابة . طبقات ابن سعد ١ : ١٦٠ ، وأُسد الغابة ١ : ٨٥ ، والإصابة ١ : ٣٣ .

(٥) في ك و ط زيادة : (بني) .

(٦) في جميع النسخ بما فيها أ (هُذَيْل) وهو تحريف .

(٦) هذه النسبة إلى (الهَدْل) وهم إخوة قريظة ودعوتهم في بني قريظة . اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٣٨٢ .

(٧) هو أبو عمير ، وهو رجل يهودي قدم من بيت المقدس إلى المدينة ، ينتظر ظهور محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكي يتبعه - كما ورد في هذا الأثر - وقد مات قبل البعثة ودفن بالمدينة . البداية والنهاية ٤ : ٨٠ .

عندنا ، والله مارأينا رجلا قط لايصلي الخمس خيرا منه ، فقدم علينا قبل مبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسنين ، وكنا إذا أقحطنا وقلّ علينا المطر نقول : ياابن الهيّبان ، أخرج فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة [فنقول : كم ؟ فيقول : صاعا (١) من تمر أو مُدَّيْن من شعير " فنخرجه ، ثم يخرج إلى ظاهر حَرَّتنا (٢) ونحن معه ، فنستقى، فوالله مايقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب (٣) قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة . فحضرته الوفاة، واجتمعوا اليه، فقال : يامعشر يهود ماترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير (٤) إلى أرض البؤس والجوع (٥) ؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أخرجني أتوقع (٦) خروج نبي قد أظل (٧) زمانه، هذه البلاد مهاجره (٨) ،

---

(١) هكذا في ط ، وفي أ و ك " صاع " والصحيح ماأثبتناه من ط .

(٢) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . مختار الصحاح : ١٢٩ لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط ١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٣م .

(٣) جمع شِعْب وهو الطريق ، وقيل : الطريق في الجبل . المصباح : ٣١٣ .

(٤) هو " الخميرة " ـ بتاء وبدونها ـ وهو مايجعل في العجين . أراد بذلك الرخاء وسعة العيش . أنظر مختار الصحاح : ١٨٩ .

(٥) المقصود بأرض الخمر والخمير أرض بيت المقدس ، والمراد بأرض البؤس والجوع أرض المدينة أو الجزيرة العربية . أنظر البداية والنهاية ٤ : ٨٠

(٦) في ط (توقع) .

(٧) من (أظلك فلان) إذا دنا منك كأنه ألقى عليه ظله . مختار الصحاح : ٤٠٥ .

(٨) في ط بزيادة واو .

فاتبعوه ولاتُسْتَبَقُن[1] إليه إذا خرج،يامعشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وبسبي[2] الذراري والنساء ممن يخالفه ، ولايمنعنَّكم ذلك منه " ثم مات . فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الثلاثة الفتية ، وكانوا شبانا أحداثا : يامعشر يهود ، والله إنه الذي ذكر لكم ابن الهيبان . فقالوا : ماهو به . قالوا : " بلى والله إنه لصفته " ثم نزلوا فأسلموا و خلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم . قال ابن إسحق : فلما فتح الحصن رد ذلك عليهم[3] .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب[4] ، لما حدثه

---

(١) في ط (تسبقن) .

(٢) في ك و ط (سبي) .

(٣) السيرة لابن هشام ١ : ٢٢٦ ، وإسناد هذا الأثر فيه مجهول . وقد أخرجه البيهقي من طريق ابن اسحاق - أيضا - من روايتين ، دلائل النبوة ٤ : ٣١ - ٣٢ .

(٤) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي ، والد معاوية وإخوته ، كان رئيس المشركين يوم أحد ، والأحزاب يوم الخندق ، أسلم زمن الفتح ، ولقى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالطريق قبل دخول مكة ، وشهد حنينا والطائف ، ومات سنة ٣١ هـ ، وقيل غير ذلك . وهو يكنى بابنه (حنظلة) الذي قتل مشركا يوم بدر سنة ٢ هـ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٤١٢ . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٥ .

عن هرقل ـ وقد تقدم حديثه في أول الكتاب (١) ـ وذكر فيه : أن هرقل لما سأله عن صفات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " إن يكن ماتقول حقا ، إنه نبي (٢) قد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أني أَخْلُصُ (٣) إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه " .

وزاد البخاري في حديثه ، وقال ابن الناطور (٤) : وكان هرقل حَزّاء (٥) ينظر في النجوم ، فنظر فقال : " إن ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة " ؟ قال : تختتن اليهود فلايهمنك شأنهم ، وابعث إلى من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم (٦) . ثم وجد إنسانا من العرب فقال : " انظروا ، أمختتن هو " ؟ فنظروا ، فإذا هو مختتن . وسأله عن العرب فقال : يختتنون .

---

(١) انظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ م ١ : ٣١٣ ـ ٣١٩ للزميل : علي بن ناصر ، والجواب الصحيح (طبع المدني) ١ : ٩٢ ـ ٩٦ ، قال الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ : " وكان هرقل من أجل ملوك النصارى في ذلك الوقت ، وقد أخبر غير واحد : أن هذا الكتاب إلى الآن باق ، عند ذرية هرقل ، في أرفع صوان ، وأعز مكان ، يتوارثونه كابرا عن كابر ، وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق الى الآن عند (الفنش) صاحب (قشتالة وبلاد الأندلس) يفتخرون به ، وهذا أمر مشهور معروف".

(٢) في ك و ط (لنبي ، وقد) .

(٣) أخلص : أصل . مختار : ١٨٤ .

(٤) في ط (الناظور) بالظاء المعجمة .

(٤) هو بالطاء المهملة ، وفي رواية الحموي بالظاء المعجمة ، وهو بالعربية حارس البستان . ووقع في رواية الليث عن يونس " ابن ناظورا " فعلى هذا هو اسم إعجمي ، وقد روى أبو نعيم في الدلائل أن الزهري قال: لقيته بدمشق في زمن عبد الملك بن مروان ، وقد كان أمير ايلياء " بيت المقدس " . انظر فتح الباري ١ : ٤٠ ـ ٤١ .

(٥) الحزاء : هو الذي يشتغل بالزجر والكهانة . انظر ترتيب القاموس ١ : ٦٣٧ .

(٦) في ط (فيقتلونهم) .

وقال فيه : وكان برومية (١) صاحب له ، كان هرقل نظيره في العلم ، فأرسل إليه وسار إلى حمص (٢) ، فلم يَرِمْ من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه نبي (٣) .

وكذلك النجاشي ملك الحبشة ، لما هاجر الصحابة إليه ، لما أذاهم المشركون ، وخافوا أن يفتنوهم عن دينهم ، وقرءوا عليه القرآن ، قال : فأخذ عودا بين أصبعيه فقال : ماعدا (٤) عيسى بن (٥) مريم ماقلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته (٦) فقال : وإن نخرتم ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي . يعني أنتم آمنون . وقال هذا ، لأن قريشا أرسلوا هدايا إليه وطلبوا منه أن يرد هؤلاء المسلمين وقالوا : " هؤلاء فارقوا ديننا ،وخالفوا دينك (٧) .

---

(١) وهي ببلاد الروم ، وهي مدينة رئاسة الروم وعلمهم ، وتقع شمالي وغربي القسطنطينية ، بينهما مسيرة خمسين يوما أو أكثر ، وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجية وهو لهم بمنزلة الامام ، وهي من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خَلْق . وهي الآن من أجمل مدن العالم ، وعاصمة إيطاليا ، وتبعد عن باريس ١٠٩٨ كم . معجم البلدان ٣ : ١٠٠ - ١٠١ ، ودائرة معارف وجدي ٤ : ٤٧٨ .

(٢) حمص : بلد مشهور كبير ، بين دمشق وحلب ، في منتصف الطريق ، يسمى باسم من أحدثه وهو حمص من مكنف العميلقي . مراصد ١ : ٤٢٥ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان ... ، ١ :٣١ - ٣٣ (٧) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلى هرقل يدعوه إلى الاسلام ٣ : ١٣٩٣ (١٧٧٣) .

(٤) ماعدا : ماجاوز ، من عداه عدوا . مختار : ٤١٩ .

(٥) في ط (ابن) .

(٦) جمع بطريق : كلمة يونانية مأخوذة من كلمة " أب " في اللغة المذكورة ، وهو لقب لكل الذين يشتهرون بخدمتهم للامبراطورية أو الامبراطور ولهم المقام الأول في المملكة . دائرة المعارف ٥ : ٤٧٧ - ٤٧٨ لبطرس البستاني ، دار المعرفة ، بيروت .

(٧) في ك و ط زيادة : (الحديث رواه أحمد وغيره) .

(٧) رواه الامام أحمد ١ : ٢٠١ - ٢٠٣ قال الهيثمي :"ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع". مجمع الزوائد ٦ : ٢٤ - ٢٧ وقد ورد الحديث في السيرة لابن هشام ١ : ٣٥٧ - ٣٦٢ .

وفي الصحيح (١) ، حديث ورقة بن نوفل (٢) الذي ترويه عائشة - رضى الله عنها - في بدء الوحي ، قالت : " أول مابدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة من (٣) النوم ، وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح ، ثم حُبِّب إليه الخلاء (٤) ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد - إلى أن قالت - : فأتت به خديجة ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب من الانجيل - ماشاء الله أن يكتب - ، فقالت : اسمع من ابن أخيك ، فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) في ك و ط بالتثني[illegible] .

(٢) هو ابن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي الأسدي ، حكيم جاهلي ، اعتزل الأوثان قبل الاسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها ، وتنصر وقرأ كتب الأديان ، وكان يكتب العربية بالحرف العبراني ، أدرك أوائل عهد النبوة ، ولم يدرك الدعوة ، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين .
أسد الغابة ٤ : ٦٧١ - ٦٧٢ ، والإصابة ٣ : ٦٣٣ - ٦٣٥ .

(٣) في ك و ط (في) .

(٤) في أ (البعيد) وهو خطأ . والصواب من أثبتناه من ك و ط .

خبر مارأى ، فقال ورقة : " هذا الناموس (١) الذي أنزل الله على موسى ،ليتني كنت (٢) جَذَعا أنصرك (٣) إذ يخرجك قومك " قال : أَوَمُخْرِجِيّ هم ؟ قال : لم يأت أحد بمثل ماجئت به إلا عُودِيَ ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا "

---

(١) الناموس : صاحب سر الرجل ، الذي يطلعه على باطن أمره ، ويخصه بما يستره عن غيره • وزعم ابن ظفر : أن الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر • والمراد به هنا جبريل - عليه السلام - وقال : " على موسى " ولم يقل : على عيسى • مع كونه نصرانيا لأن كتاب موسى - عليه السلام - مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى • وأما ماذكره السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به • الروض الأنف ١ : ٢٧٣ • فهذا الذي ذكره السهيلي : محال لايعرَّج عليه في حق ورقة وأُشباهه ، ممن لم يدخلوا في التبديل ، ولم يأخذ عمن بدل • وقد ورد بإسنادين أحدهما حسن والآخر ضعيف " ناموس عيسى" فعلى هذا كان ورقة يقول تارة ناموس عيسى ، وتارة ناموس موسى ، فعند اخبار خديجة له بالقصة قال لها :" ناموس عيسى" بحسب ماهو فيه من النصرانية ، وعند اخباره النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : ناموس موسى • للمناسبة المذكورة آنفا ، وكل صحيح • انظر فتح الباري ١ : ٢٦ • وغريب الحديث ٢ : ١٩٩ لأبي عبيد القاسم بن سلّام الهروي - ٢٢٤هـ مصورة عن ط ١ ، حيدر آباد الدكن الهند ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م •

(٢) سقطت (كنت) من ك و ط •

(٣) في ط زيادة : (نصرا مؤزرا) •

ثم لم ينشب (١) ورقة أن توفى (٢) " .

وقال ابن اسحق : وقدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرون رجلا ، أو قريب من ذلك - وهو بمكة - من النصارى ، حين ظهر خبره بالحبشة ، فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم . فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا ، دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الله - عز وجل - ، وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا ، فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له ، وآمنوا به ، وصدقوه ، وعرفوا منه ماكان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا من عنده ، اعترضهم (٣) أبو جهل في نفر من قريش ، فقالوا (٤) : خيبكم الله من ركب ، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم لترتادوا (٥) لهم ، فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم ، وصدقتموه بما قال لكم ، مانعلم ركبا أحمق منكم - أو كما قالوا لهم - ، فقالوا : " سلام

---

(١) أي لم يلبث . وأصل النشوب التعلق ، أي لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات . وهذا بخلاف مافي السيرة لابن اسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب . السيرة لابن هشام ١ : ٣٤٠ . وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة ، وإلى أن دخل بعض الناس في الاسلام . فإن مافي الصحيح أرجح وأصح . فتح الباري ١ : ٢٧ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا يحيى بن بُكَيْر ... ، ١: ٢٣ (٣) من فتح الباري - واللفظ للبخاري وآخره : " ثم فتر الوحي " . ورواه مسلم كتاب الايمان ، باب بدء الوحي الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ١ : ١٢٩ - ١٤٥ (١٦٠ - ١٦١) .

(٣) هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح يوم بدر سنة ٢ هـ فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى آثبته - أي جرحه جراحة لايقوم معها - ثم تركه وبه رمق ، ثم ذفف عليه - أسرع قتله - عبد الله بن مسعود ، واحتز رأسه حين أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يُلْتَمَس في القتلى . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٨ .

(٤) في ط (فقال) .

(٥) لترتادوا : لتطلبوا . ترتيب القاموس ٢ : ٤١٠ .

عليكم لانجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم "(١) ويقال : فيهم نزل قوله - تعالى - : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين(٢) ﴾ الآية(٣) .

وعن محمد بن عمر بن إبراهيم(٤) بن محمد بن جبير(٥) : حدثتني جدتي أم عثمان بنت سعيد(٦) بن محمد بن جبير(٧) عن أبيها سعيد(٨) بن محمد بن جبير بن مطعم(٩) ، عن أبيه(١٠) قال : سمعت أبي جبيرا(١١) يقول : " لما بعث

---

(١) في السيرة بقية كلامهم : " لم نأل أنفسنا خيرا " .

(٢) سورة القصص : ٥٣.

(٣) في السيرة : " إلى قوله : " لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين " . القصص : ٥٥، بدلا من قوله هنا : " الآية " .

(٣) السيرة لابن هشام ٢ : ٣٢ والاسناد منقطع لم يصله محمد بن إسحاق .

(٤) في ك و ط (سعيد) .

(٥) محمد بن عمر بن إبراهيم : هو من آل جبير بن مطعم القرشي ، مكي ، روى عن أم عثمان بنت سعيد عن أبيها عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، روى عنه محمد بن يحيى ... الجرح والتعديل ٨ : ١٩ لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي - ٣٢٧ هـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد . الهند ١٣٧١ هـ .

(٦) في أ (سعد) ، وقد صححناه من التاريخ الكبير للبخاري و ك و ط والدلائل لأبي نعيم .

(٧) أم عثمان : لم اعثر لها على ذكر أو ترجمة ، ولعلها المقصودة بقول الهيثمي في تخريج هذا الحديث : " ... وفيه من لم أعرفهم " .

(٨) في أ (سعد) وقد صوبناه كما تقدم .

(٩) هو سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم النوفلي المدني ، ذكره ابن حبان في الثقات وهو مقبول من الطبقة الرابعة : تقريب ١ : ٣٠٤ تهذيب ٤ : ٧٦ .

(١٠) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدي ، النوفلي ، أبو سعيد المدني ، ثقة ، عارف بالنسب ، مات على رأس المائة . تقريب ٢ : ١٥٠. وتهذيب ٢ : ٦٣ .

(١١) هو ابن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي ، صحابي، عارف بالأنساب ، مات سنة ٥٨ أو ٥٩ هـ تقريب ١ : ١٢٦ تهذيب ٩ : ٩١ .

الله نبيه ، وظهر أمره بمكة ، خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببصرى (١) ، أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي : أمن الحرم (٢) أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت : نعم ، قال (٣) : فأخذوا بيدي فأدخلوني ديرا (٤) لهم ، فيه تماثيل وصور ، فقالوا لي : انظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم ؟ فنظرت فلم أر صورته قلت : لا أرى صورته .

فأدخلوني ديرا أكبر من ذلك الدير ، فيه صور أكثر مما في ذلك الدير . فقالوا لي : أنظر هل ترى صورته ؟ فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصورته ، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب (٥) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالوا لي : أنظر هل ترى صفته (٦) ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا ؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قلت : اللهم نعم . أشهد أنه هو .

---

(١) هي قصبة (عاصمة) كورة (منطقة) حَوْران بالشام وهي التي وصل إليها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى المشهورة عند العرب . مراصد ١ : ٢٠١

(٢) يقصدون مكة المشرفة ، والحرم : بمعنى الحرام مثل زمن وزمان . فكأنه حرام انتهاكه وحرام صيده ورفثه وكذا وكذا . معجم البلدان ٢ : ٢٤٣ .

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (قالوا) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٤) الدير : بيت يتعبد فيه الرهبان ، ولايكاد يكون في المصر الأعظم ، إنما يكون في الصحارى ورؤس الجبال ، فان كان في المصر كان كنيسة أوبيعة وربما فرقوا بينهما فجعلوا الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى . قال الجوهري : ودير النصارى أصله الدار والجمع أديار ، والديراني صاحب الدير. ودير بصرى : هو الذي كان به بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معجم البلدان ٢ : ٥٠٠ .

(٥) العقب : موخر القدم . وجمعه : أعقاب : وهى مؤنثة . مختار الصحاح ٤٤٣ .

(٦) في ك (صورته) .

قالوا : أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلت : نعم .

قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده "رواه البخاري في تاريخه (١) ، وقال فيه : " قال الذي أراه الصور لم يكن نبي إلا كان بعده نبي ، إلا هذا النبي " ورواه أبو نعيم (٢) في دلائل النبوة (٣) .

وروى موسى بن عقبة (٤) أن هشام بن العاص (٥) ، ونعيم بن عبد الله (٦) ، ورجلا آخر (٧) ، قد سماه (٨) ، بعثوا الى ملك الروم زمن أبي بكر ، قال : فدخلنا على جَبَلة بن الأيهم (٩) وهو بالغوطة (١٠) – فذكر الحديث – وأنه انطلق بهم إلى الملك وأنهم وجدوا عنده شبه الرَّبْعَة (١١) العظيمة مُذَهبة ، وإذا فيها أبواب صغار ففتح فيها (١٢) بابا ، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء ، فيها صورة بيضاء ، وذكر صفة آدم ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح ، ثم ابراهيم ، ثم أراهم حريرة فيها صورة [redacted] – صلى الله عليه وسلم – وقال (١٣) : هذا آخر الأبواب لكني عجلته لأنظر ماعندكم ، ثم فتح أبوابا آخر وأراهم صورة بقية الأنبياء ، موسى ، وهرون ، وداود ، وسليمان ،

---

(١) التاريخ الكبير الجزء الأول ، القسم الأول : ١٧٩ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري – ٢٥٦ هـ ، حيدر آباد الدكن ١٣٦٢ هـ ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١ : ٣٨٤ – ٣٨٥ الا أنه قال : " محمد بن عمر بن سعيد بن محمد ابن جبير " بدلا من " محمد بن عمر بن ابراهيم ... " واللفظ للبيهقي .

(٢) هو الحافظ الكبير ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، الصوفي الأحول ، ذو التصانيف الكثيرة الشهيرة ، كان يميل إلى مذهب الأشعري في الإعتقاد ، توفى سنة ٤٣٠ هـ ، وله ٩٦ سنة . ميزان الإعتدال ١ : ١١١ ، ولسان الميزان ١ : ٢٠١ ، وشذرات الذهب ٣ : ٢٤٥.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٥٥ – ٥٦ (١٢) ت : د. محمد رواس قلعة جي ، وعبد البر عباس ، ط ١ ، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٠م = ١٣٩٠ هـ . قال الهيثمي في المجمع ٨ : ٢٤٣ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم .

(٤) موسى بن عقبة هو ابن أبي عياش الأسدي ، مولى آل الزبير ، ثقة فقيه ، إمام في المغازي ، لم يصح ان أبن معين لينه ، مات سنة ١٤١هـ وقيل بعدها . تقريب ٢ : ٢٨٦ ، وسير أعلام النبلاء ٦ : ١١٤ – ١١٨ .

=

....

= (٥) هشام بن العاص هو ابن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهم بن ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ، وهو أخو عمرو بن العاص ، كان قديم الاسلام ، وهاجر الى الحبشة ، ثم قدم مكة فحبس حتى قدم المدينة بعد الخندق ، كان قد فتن فافتتن استشهد بأجنادين سنة ١٣ هـ . أسد الغابة ٤ : ٦٣٦ ، والإصابة : ٣ : ٦٠٤ .

(٦) نُعَيْم بن عبد الله هو ابن أسيد بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عدي بن كعب القرشي العدوي ، سمي (النحام) لما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - : " دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم فيها " - والنحمة : السعلة أو النحنحة الممدودة آخرها - أسلم قديما ، وشهد الحديبية ، ولما قدم من هجرته اعتنقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقبّله ، قتل يوم اليرموك شهيدا سنة ١٥ هـ أسد الغابة ٤ : ٥٧٠ ، والاصابة ٣ : ٥٦٧ - ٥٦٨ .

(٧) قال ابن حجر : "(عدي بن كعب) لا أعرفه ، وقع ذكره في حديث غريب ، روى المعافى في (الجليس) عن عبادة بن الصامت قال :
بعثني أبو بكر إلى ملك الروم ومعي عمرو بن العاص ، وأخوه هشام ، وعدى بن كعب ، ونُعَيم بن عبد الله فخرجنا حتى قدمنا على جبلة ابن الايهم ... ثم قال : ويحتمل أن يكون عدي بن كعب هذا هو أبو خيثمة والد سليمان : فقد سماه الأزدي كذلك ." الاصابة ٢ : ٤٧١ .

(٨) ظاهر من هذا أن الشيخ المؤلف - رحمه الله تعالى - يكتب من حفظه - ولو أحيانا - إذ لو كان لديه كتاب المغازي لموسى بن عقبة لم يحتج إلى كلمة " قدسماه " ولاستطاع أن يذكر اسم الرجل صريحا . وقد يكون لقوله : (قد سماه) . سبب آخر . بل ربما تكون الجملة من قول غيره .

=

....

= (٩) جَبَلة بن الأيهم هو ابن جَبَلة بن الحارث بن أبي شمر ـ واسمه المنذر بن الحارث ـ وأمه مارية ذات القرطين ، وهو الغساني الجفني ،ملك النصارى من العرب ،وغسان أولاد عم الأنصار ،أوسها وخزرجها ، أسلم وسكن المدينة ، ثم ارتد وذهب إلى هرقل في القسطنطينية ، وبقي فيها في نعيم دنيوي لايخلو من حسرة على الإسلام ، ثم مات سنة ٥٣ هـ في خلافة معاوية . انظر البداية والنهاية ٨ : ٦٣ ـ ٦٦ .

(١٠) هي الكورة (المنطقة) التي منها دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلا ، يحيط بها جبال عالية جدا ، وتمتد فيها أنهار تسقي بساتينها ، وتصب فضلاتها في بحيرة هناك . مراصد ٢ : ١٠٠٥ ـ ١٠٠٦ .

(١١) الرَّبْعَة : هي : جؤنة العطار ، وهي سُلَيْلَة مستديرة مغشاة أَدَمًا (جلدا) تكون مع العطارين . مختار الصحاح : ٢٣٠ و ١١٨ .

(١٢) في ك و ط (منها) .

(١٣) في ك و ط (فقال) .

وعيسى بن مريم - عليهم السلام - وصفة لوط ، وصفة اسحاق ، وذكر أن هذا عندهم قديما من عهد آدم ، وأن دانيال (١) صورها بأعيانها (٢) .

وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبة (٣) ، أنه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية ملك النصارى ، أخرج له صور الأنبياء ، وأخرج له صورة نبينا -صلى الله عليه وسلم- فعرفها (٤) .

والوجه الثالث : نفس اخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة ، واستشهاده بأهل الكتاب واخباره بأنه مذكور في كتبهم ، مما يدل العاقل على أنه كان موجودا في كتبهم ، فإنه لاريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر ، أنه كان من أعقل أهل الأرض ، فإن المكذبين له لايشكون في أنه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق ، ما أوجب أن يقيم مثل هذا الأمر العظيم ، الذي لم يحصل لأحد مثله ، لاقبله ولابعده ، فعلم ضرورة أنه لايفعله ولايخبر به ،

---

(١) دانيال : هو نبي من الأنبياء الأربعة الكبار من بني اسرائيل ، و (دانيال) اسم عبري معناه : الله قضى . لم يرد له ذكر في القرآن، قصته في العهد القديم في السفر المعروف باسمه وهو جزآن ، أحدهما : من سيرة دانيال وأصحابه الثلاثة : حنانيا وميخائيل وعازار .والثاني: عن رؤيا رآها نبو خذ نصر ملك بابل وفسرها دنيال وكان قد عاش في قصره بعد السبي ، انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٣٥٧ و سفر دانيال في العهد القديم : ٩٨٩ - ١٠٠٧ ، والبداية والنهاية ٢ : ٤٠ . واظهار الحق : ٥٣٠ - ٥٣١ .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل في رواية مطولة ١ : ٣٨٥ - ٣٩٠،وأبو نعيم في الدلائل ١ : ٩.

(٣) المغيرة بن شعبة هو ابن مسعود بن معتّب الثقفي ، صحابي مشهور ، أسلم قبل الحديبية ، وولي آمر البصرة ثم الكوفة ، مات سنة ٥٠ هـ على الصحيح . تقريب ٢ : ٢٦٩ ، وأسد الغابة ٤ : ٤٧١ - ٤٧٣ .

(٤) أصل قصة دخول المغيرة على المقوقس بصحبة المالكيين الثلاثة عشر رواها الواقدي محمد بن عمر بن واقد - ٢٠٧ هـ في المغازي ٢ : ٥٩٦ و ٣ : ٩٦٤ ت د. مارسون جونس مؤسسة الأعلمي : بيروت . ونقلها عنه في سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٤ وليس فيها ذكر الصورة .

وهو من أحرص الناس على تصديقه ، وأخْبَرهم بالطرق التي يُصَدق بها ، وأبعدهم عن أن يفعل مايعلم أنه يكذب به .

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم ، بل علم انتفاء ذلك . لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة ، ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه ، وأوليائه وأعدائه ، فإن هذا لايفعله الا من هو أقل الناس عقلا ، لأن فيه اظهار كذبه عند من آمن به منهم ، وعند من يخبرونه ، وهو ضد مقصوده ، وهو بمنزلة من يريد اقامة شهود على حقه فيأتي إلى من يعلم (١) أنهلايكذب ، ويعلم أنه ليس بشاهد ولا حضر قضيته ، ويقول : هذا يشهد لي ، وهذا يشهدلي .

فإنهم كانوا حاضرين هذه القضية ، فيقول أولئك : لسنا نشهد له ، ولا حضرنا هذه القضية . فهذا لايفعله عاقل ، يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين ، وأنهم يكذبونه (٢) ، ولايشهدون له .

الرابع : أن يقال : لما قامت الأعلام على صدقه ،فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة ، وأن الأنبياء بشروا به ، علم أن الأمر كذلك ، لكن (٣) هذا لايذكر الا بعد أن يقام دليل منفصل على نبوته .

والطريق الأول ، هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب ، وأظهر الأعلام على نبوته .

---

(١) في ك و ط زيادة : (لا) .

(٢) هكذا في ط ، وفي أ و ك (يكذبوه) والصحيح مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٣) في أ بدون (لكن) والأولى اثباتها كما في ك و ط .

وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة ، وصنفوا في ذلك مصنفات[(١)]، وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح - صلى الله عليه وسلم - .

واليهود يقرون باللفظ ، لكن يدّعون أن المُبَشَّر به ليس هو المسيح عيسى ابن مريم ، وانما هو آخر ينتظر . وهم - في الحقيقة - لاينتظرون الا المسيح الدجال[(٢)] ، وينتظرون أيضا مجيء المسيح عيسى بن مريم إذا نزل من السماء ، كما بسط في موضع آخر[(٣)] ، ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون[(٤)] : إنها لاتدل على نبي منتظر ، كما قالوا في قوله : " سأقيم لبني اسرائيل[(٥)] من اخوتهم مثلك ياموسى، أنزل عليه توراة مثل توراة موسى ، أجعل كلامي على[(٦)] فيه[(٧)] " .

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن د . أحمد حجازي السقا قد حاز على درجة الدكتوراه برسالته التي سماها : البشارة بنبي الاسلام ، في التوراة والانجيل . وقد سألت د. صابر بن عبد الرحمن طعيمة : هل طبعت ؟ فقال : انها لم تطبع حتى الآن .

(٢) الدجال : رجل يخرج في زمن متأخر من عمر الدنيا ،وتكون له أحوال عجيبة وخطيرة ، وهو شاب ، قطط - أي متجعد الشعر - عينه طافئة - أي خارجة عن صفة العين الطبيعية ، يشبه رجلا في عهد النبوة اسمه " عبد العزى بن قَطَن " . ويبقى في الأرض ٤٠ يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كأسبوع ، وبقية أيامه عادية . وله أوصاف كثيرة وردت في أحاديث صحاح وحسنة . انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ١٠ : ٣٣٢ - ٣٦٢ . لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٦٠٦ هـ ت : عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م .

(٣) انظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٢ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٤) هكذا في ك و ط ، وفي أ (يقولوهن) وقد أثبتنا مافي ك و ط لأنه أولى .

(٥) في ك و ط زيادة : (نبيا) .

(٦) سقطت (على) من ك .

=

....

= (٧) نصه في الترجمة الحديثة كما يلي :" يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك مثلي ، له تسمعون ، حسب كل ماطلبت من الرب الهك في (حوريب) يوم الاجتماع قائلا : لاأعود أسمع صوت الرب الهي ، ولاأرى هذه النار العظيمة - أيضا - لئلا أموت ، قال لي الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ماأوصيه ، ويكون ان الانسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به بأسمي أنا أطالبه".
سفر التثنية ، الاصحاح الثامن عشر : ١٥ - ١٩ . العهد القديم : ٢٤٢

قال بعضهم : ليس هذا اخبارا (١) ، بل (٢) هذا استفهام أنكار ، وقدروا ألف استفهام ، وليس في النص شيء من ذلك .

فاليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح ، وذلك عند المسلمين والنصارى لايقدح في البشارة (٣) بالمسيح ، بل تبين دلالة النصوص عليه ، وبطلان تحريف اليهود .

وكذلك البشارات بمحمد - صلى الله عليه وسلم - في الكتب المتقدمة ، لايقدح فيها تحريف أهل الكتاب ، اليهود والنصارى ، بل تبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ،وبطلان تحريف أهل الكتاب .

الوجه الخامس : أن يقال معلوم أن ظهور دين محمد - صلى الله عليه وسلم - في مشارق الأرض ومغاربها ، أعظم حادث حدث في الأرض . فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه ، فان شرع موسى وان دام ، فلم ينتشر انتشاره ودوامه ،بل كان غاية ظهوره ببعض الشام . وأما شرع المسيح ، فقبل قسطنطين . لم يكن له ملك ، بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها . وكانوا مستضعفين تُقتل (٤) أعيانهم أو عامتهم في كثير من الأوقات . ولما انتشر تفرق أهله فرقا متباينة ، يكفر فيها بعضهم بعضا .

---

(١) هكذا في ك و ط ، وفي أ (أخبار) بغير النصب وقد صححناه من ك و ط .

(٢) في أ (بلى) .

(٣) في ط (البشارات) .

(٤) في ط (يقتل) .

ثم إن شرع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ظهر في مشارق الأرض ومغاربها ، وفي وسط الأرض المعمورة الاقليم (١) والثالث والرابع والخامس (٢) ، وظهرت أمته على النصارى في أفضل الأرض وأجلها عندهم ، كأرض الشام ومصر والجزيرة وغيرها ، ودام شرعه ، فله اليوم أكثر من سبعمائة سنة (٣) .

ومعلوم أن هذا المدعى للنبوة ، سواء كان صادقا أو كاذبا ، لابد أن يخبر به الأنبياء (٤) ، فإنهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب ، تحذيرا للناس مع أن الدجال مدته قليلة ، فلو كان مايقوله المكذب لمحمد حقا ، وأنه كاذب ليس برسول ، لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة ، لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال ، فلو كان كاذبا ، لكان الذين افتتنوا به أضعاف أضعاف من يفتتن بالدجال ، فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال ، إذ ليس في العالم من زمان آدم إلى اليوم ، كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام (٥) فكيف تغفل (٦) الأنبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذبا ؟ .

---

(١) في ك و ط زيادة : (الثاني) .
(٢) سقطت (الخامس) من ك و ط .
(٢) الاقليم الثالث : يبتدئ من المشرق ، فيمر على شمال بلاد الصين إلى بلاد طنجة وينتهي إلى البحر المحيط ، والاقليم الرابع : يبتدئ من أرض الصين ـ كذلك ـ إلى جزيرة قبرص ورودس وصقلية ثم البحر المحيط على الزقاق بين الأندلس وبلاد المغرب ، والاقليم الخامس : يبتدئ من أرض الترك المشرفين ويأجوج المسرودين إلى بلاد الأندلس وينتهي إلى البحر المحيط . أو أن الاقليم الثالث الحجاز ومدنه ، والرابع مصر وافريقية والبربر والأندلس ومابينها ، والخامس الشام والروم والجزيرة . انظر معجم البلدان ١ : ٢٩ ـ ٣١ ومروج الذهب ١ : ٨٧ .
(٣) حيث كان مولد المؤلف سنة ٦٦١ هـ ووفاته سنة ٧٢٨ هـ والعبارة ـ الآن يمكن أن تقال هكذا : فله اليوم أكثر من ألف وأربعمائة سنة .
(٤) في ك و ط زيادة : " ... من فتنته ، وأنه كذاب يظهر على يديه أمور ، يفتتن بها الناس " .
(٥) في أ كتب فوق كلمة (والدوام) كلمة (بدا) وبجانبها رمز (صح) والظاهر أنها كلمة (أبدا) .
(٦) في ك و ط (يغفل) .

وإذا كان صادقا : فالبشارة للإيمان به[(١)] ، أولى مايُبَشِّر به[(٢)] الأنبياء من المستقبلات ، ويُخْبر به ، فعلم أنه لابد أن يكون في الكتب ذكره . ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب ، تزيد على مائة موضع ، استدلوا بها على أنه مذكور ، وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب أنه موجود في كتبهم وتواتر عن كثير ممن أسلم أنه كان سبب اسلامهم ، أو من أعظم سبب اسلامهم علمهم بذكره في الكتب المتقدمة . اما بأنه وجد ذكره في الكتب ، كحال كثير ممن أسلم قديما وحديثا . واما بما ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب كالأنصار[(٣)] فإنه كان من أعظم أسباب اسلامهم ماكانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته ، وانتظارهم اياه ، وأن من خيارهم من لم يوجب له أن[(٤)] يسكن أرض يثرب مع شدتها ، ويدع أرض الشام مع رخائها الا لانتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد اسماعيل .

ولم يمكن أحد قط أن ينقل عن شيء من الكتب أنه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال . وعند أهل الكتاب من ذكر أصحابه كعمر بن الخطاب وغيره ، وعدلهم وسيرتهم ، عن المسيح وغيره ، ماهو معروف عندهم . فإذا كان اللذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب ، واللذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء ، عُلم بذلك أن الأنبياء المتقدمين ، ذكروه بالمدح والثناء ، ولم يذكروه بذم ولا عيب .

---

(١) في ك و ط زيادة : (به) .

(٢) في ك و ط زيادة : (من) .

(٣) هم أهل المدينة ، من الأوس والخزرج ،الذين بايعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل الهجرة على الاسلام والنصرة ، وكان العرب يسمون هذا الحي من الانصار "الخزرج " خزرجها وأوسها . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٨٤ .

(٤) سقطت جملة (يوجب له أن) من أ و ك و ط ، وقد أثبتناها من نسخة أكسفورد .

وكل من ادّعَى النبوة ومدحه الأنبياء وأثنوا عليه ، لم يكن الا صادقا في دعوى النبوة ، إذ (١) يمتنع أن الأنبياء يثنون على من يكذب في دعوى النبوة ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلى ولم يوح اليه شيء ...﴾ (٢) وهذا مما يبين أنه لابد أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا به ، وأنهم لم يذكروه الا بالثناء والمدح ، لا بالذم والعيب ، وذلك – مع دعوى النبوة – لايكون الا إذا كان صادقا في دعوى النبوة ، فتبين أنهم بشروا بنبوته ، وهو المطلوب .

يبين ذلك (٣) أن الأنبياء أخبروا أهل الكتاب بما سيكون منهم من الأحداث ، وما يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم ، ويخربون بلادهم ، ويسبونهم ك (بخت نصر) و (سنجاريب) (٤) ولكن هؤلاء الملوك لم يدّعوا أنهم أنبياء ، ولم يَدْعُوا إلى دين ، فلم تحتج الأنبياء إلى التحذير من اتّباعهم وقد حذروا من اتّباع من يَدّعي النبوة وهو كاذب .

---

(١) سقطت (إذ) من ك و ط .

(٢) سورة الانعام : ٩٣ .

(٣) في ط (تبين من ذلك) .

(٤) (سنجاريب) اسم أكادي ، وهو ملك آشور "بابل" . (٧٠٤ – ٦٨٢ ت ٠م) وقد اعتلى العرش بعد وفاة والده سرجون ، وقد سار بجيش كثيف إلى بني اسرائيل ، ومعه ابن عمه " بختنصر " حتى نزل بيت المقدس ، وكان ملك بني اسرائيل "صدقيا " مريض ، فاقبل على الدعاء والتضرع فشفي ، وارسل إليه على عساكر سنجاريب ملَكا صاح بهم فماتوا غير ستة نفر فيهم سنجاريب وخمسة من كتابه فيهم بختنصر " – في قول بعضهم – فأسرهم " صدقيا " ثم أوحى الله – تعالى – إلى أشعيا – فيما يقال – يأمره باطلاق سنجاريب ومن معه فاطلقهم ، فعادوا إلى بابل ، وبقى بعد ذلك سبع سنين ثم مات . انظر الكامل ١ : ١٤٤، والبداية والنهاية ٢ : ٣٣ . ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٨٧ .

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قهر أهل الكتاب ، (١) وقتل من قتل وسبى من سبى ، وأخرجهم من ديارهم ، فلابد أن يذكروه ويذكروا الأحداث التي تجرى عليهم في أيامه . وإذا كان كاذبا (٢) مُدَّعِيًا للنبوة ، فلابد أن يحذروهم من اتباعه . ومعلوم أن عامة أهل الكتاب ومن نقل عنهم اما أن يقول : ليس موجودا في كتبنا ، أو يقول : إنه موجود بالمدح والثناء ، لايمكن أحد أن ينقل عن الكتب المتقدمة أنه موجود فيها بالذم والتحذير . ولو كان مذكورا عندهم بالذم والتحذير ،لكان من هذا من أعظم مايحتجون به عليه في حياته ، وعلى أمته بعد مماته ، ويحتج به من لم يُسلم منهم على من أسلم .

فإنه معلوم أن كثيرا من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه ، والحرص على ابطال أمره ، ما أوجب أن يفتروا أشياء لم توجد ، وينسبوا (٣) اليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره ، حتى آل الأمر ببعضهم إلى أن فسروا قول المسلمين " الله أكبر" بأن (٤) "أكبر" صنم وأن النبي أمرهم بتعظيم هذا الصنم . وقال بعضهم فيه : إنه أوجب الزنا على المرأة المطلقة ثلاثا . عقوبة لزوجها بأنه لاينكحها حتى يزنى بها غيره . وقال بعضهم : إنه تعلم من "بحيرى (٥) الراهب " مع علم كل من عرف سيرته أنه (٦)

---

(١) في ك و ط تقدمت جملة (وسبى من سبى) على جملة (وقتل من قتل) .
(٢) في ط (كاذيا) بياء مثناة وهو خطأ مطبعي .
(٣) في ط (ونسبوا) .
(٤) في ط (بأنه) .
(٥) في جميع النسخ وفي جميع المواضع رسمت هكذا (بحيرا) بخلاف الرسم الاملائي الحديث . انظر المفرد العلم في رسم القلم : ١٤١ لأحمد الهاشمي دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٥) واسمه (سرجس) من عبد القيس ، وكان حبرا من يهود تيماء ، وقيل: كان نصرانيا وهو ماذهب إليه ابن اسحاق في السيرة . وكان يسكن صومعة بِبُصْرى من أرض الشام ، وكان وقت قدوم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن تسع سنين ، وقال الطبري :" اثنتى عشرة سنة". الروض الأنف ١ : ٢٠٦ .
(٦) في ط (بأنه) .

لم يجتمع ب (بحيرى) وحده ، ولم يره الا بعض نهار[١] مع أصحابه ، لما مروا به لما قدموا الشام في تجارة ، وأن " بحيرى " سألهم عنه ولم يكلمه الا كلمات يستخبره فيها عن حاله[٢] لم يخبره بشيء[٣] .

ومع طعن بعض أهل الكتاب فيه بأنه بعث بالسيف ، حتى قد يقولوا : إنما قام دينه بالسيف ،وحتى يوهموا الناس أن الذين اتبعوه انما اتبعوه خوفا من السيف ، وحتى يقولوا : إن الخطيب إنما يتوكأ على سيف يوم الجمعة اشارة إلى أنه انما يقوم[٤] الدين بالسيف ، إلى أمثال هذه الأمور ، التي هي من أظهر الأمور كذبا عليه ، يعرف أدنى الناس معرفة بحاله أنها كذب ، وهم - مع هذا - يتشبثون[٥] بها .

فلو كان عندهم أخبار عن الأنبياء توجب ذمه[٦] والتحذير من متابعته ، لكان اظهارهم لذلك . واحتجاجهم به ، أقوى وأبلغ ، وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم وعامتهم ، قديما وحديثا ، وكان ظهور ذلك فيهم أولى من ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين ، فإن هذا الأمر من أعظم ماتتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره .

---

(١) في ك و ط زيادة الواو .

(٢) في ط زيادة الواو .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ : ١٩١ - ١٩٤ . وأخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب ماجاء في بدء نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٥ : ٥٩٠ (٣٦٢٠) قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه" . قال بعضهم :" والظاهر أن الخبر لايثبت ، حيث ورد فيه : وبعث معه أبو بكر بلالا .." وقد كان أبو بكر حينذاك طفلا صغيرا ."

(٤) هكذا في ط و في أ و ك (يقم) والأصح مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٥) التَشَبُّث : التعلق ، ورجل شَبِث - ككتف - : طبعه ذلك . ترتيب القاموس ٢ : ٦٦٤ .

(٦) في ك و ط زيادة : (وتكذيبه) .

فإذا لم يكن كذلك ، عَلم أنه ليس في كتب الأنبياء مايوجب تكذيبه (١) ، وقد قام الدليل على أنه لابد من أن تذكره الأنبياء وتخبر بحاله ، فإذا لم يخبروا أنه كاذب ، عُلم أنهم أخبروا أنه نبي صادق ، كما شاع ذلك ، وظهر واستفاض (٢) من وجوه كثيرة .

فالكتاب الذي بعث به . مملوء بشهادة (٣) الكتب له ، والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه متعددة (٤) ، والأخبار متواترة عمن أسلم لأجل ذلك ،وهذا مما يوجب القطع بأنه مذكور فيها بما يدل على صدقه فى دعوى النبوة ، وليس فيها مايخبر بكذبه والتحذير منه ، وهذا هو المطلوب .

وفي الجملة أمره أظهر وأشهر ، وأعجب وأبهر ، وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر . ومثل هذا إذا كان كاذبا ، فلكذبه لوازم كثيرة جدا تفوق الحصر ، متقدمة ومقارنة ومتأخرة . فإن من هو أدنى دعوة منه إذا كان كاذبا ، لزم كذبه من اللوازم مايبين كذبه ، فكيف مثل هذا ؟ فإذا انتفت لوازم المكذوب (٥) انتفى الملزوم .

وصدقه لازم لأمور كثيرة كلها تدل على صدقه ، وثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ، ماضيه ومقارنه ومتأخره . ومدعي النبوة لايخلو من الصدق أو الكذب ، وكل من الصدق والكذب له لوازم وملزومات ، فأدلة الصدق مستلزمة له ، وأدلة الكذب مستلزمة له ، والصدق له لوازم والكذب له لوازم.

---

(١) في ك و ط زيادة : (وذمه) .
(٢) استفاض الخبر فهو مستفيض ومُستفاض فيه : إذا انتشر . المصدر السابق ٣ : ٥٤٢ .
(٣) في ك و ط زيادة : (أهل) .
(٤) في ك و ط زيادة : (والأخبار متواترة عمن اطلع على مافيها بذلك) .
(٥) في ك و ط (المكذب) .

فصدقه يعرف بنوعين ، بثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه ، وبانتفاء لوازم الكذب الموجب انتفاؤها انتفاء كذبه . كما أن كذب الكذاب يعرف بأدلة كذبه المستلزمة لكذبه ، وبانتفاء لوازم الصدق المستلزم (١) انتفاؤها لانتفاء صدقه ، والله أعلم .

والشيء يعرف تارة بما يدل على ثبوته ، وتارة بما يدل على انتفاء نقيضه ، وهو الذي يسمى قياس الخلف . فإن الشيء إذا انحصر في شيئين ، لزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر ، ومن انتفاء أحدهما ثبوت الآخر . ومدعي النبوة اما صادق ، واما كاذب ، وكل منهما له لوازم . يدل انتفاؤها على انتفائه ، وله ملزومات ، يدل ثبوتها على ثبوته .

---

(١) هكذا في ط وفي أ و ك (المسلتزمة) والأصوب مافي ط ولذلك أثبتناه .

فدليل الشيء مستلزم له كأعلام النبوة ودلائلها ، وآيات (١) الربوبية ، وأدلة الأحكام (٢) وغير ذلك . وانتفاء الشيء يعلم بما يستلزم نفيه كانتفاء لوازمه مثل صدق الكاذب (٣) ، يقال : لو كان صادقا ، لكان متصفا بما يتصف به الصادقون .

وكذلك كذب الصادق ، يقال : لو كان كذابا لكان متصفا بما يتصف به الكذاب ، فإنه قد عُرف حال الأنبياء الصادقين ، والمتنبئين الكذابين ، فانتفاء لوازم الكذب . دليل صدقه ، كما أن ثبوت مايستلزم الصدق . دليل صدقه . وكذلك الكذاب يستدل على كذبه بما يستلزم كذبه ، وبانتفاء لوازم صدقه ، وهكذا سائر الأمور .

---

(١) في أ (أو آيات) والأصح مافي ك و ط ولذلك أثبتناه .

(٢) في ك و ط زيادة : (الشرعية) .

(٣) في ك و ط (الكذاب) .

(٣) في أ زيادة (أصل) وليست في ك و لا ط ولانسخة أكسفورد، وقد وضع الناسخ فوقها رمز التهميش ولم أجد في الهامش الا رمزا - كذلك - ويظهر لي أن الكلمة مقحمة من الناسخ .

فصـــل

(شهادات الكتب المتقدمة لمحمد ـ عليه السلام ـ وأمثلة منها)

ومما ينبغي أن يعرف ماقد نبهنا عليه غير مرة (١)، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ اما شهادتها بنبوته ، واما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله ، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين (٢) الملحدين (٣) ، كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه .

كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ (٤) وقوله : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ... ﴾ (٥) وقوله ﴿ ...قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ... ﴾ (٦) وقوله : ﴿ الذين

---

(١) انظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٢ : ٢١٣ ـ ٢١٤ ، إلى جانب ماتضمنه الفصل السابق .

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف .

(٣) الملحدون : من الالحاد ، وهو في اللغة : العدول عن الاستقامة ،والانحراف عنها ، أو هو الجدال والمراء ، والملحدون : هم أصحاب المذاهب المادية والطبيعية ،التي لاتعترف بما وراء المادة ، ولا تؤمن بغير المحسوس . قال الفيومي : قال بعض الأئمة : والملحدون في زماننا هم الباطنية ، الذين يدعون أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأنهم يعلمون الباطن ـ فاحالوا بذلك الشريعة؛لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن . انظر مفاتيح الغيب ١٥ : ٧٥ ، ومعالم الثقافة الاسلامية : ٢٦ لعبد الكريم عثمان ط ٥،مؤسسة الأنوار بالرياض ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م والمصباح المنير : ٥٥٠ .

(٤) سورة الشعراء : ١٨٨ .

(٥) سورة يونس : ٩٤ .

(٦) سورة الرعد : ٤٣ وفي ك و ط زيادة : " وقوله : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ سورة الأنعام : ١١٤ .

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ... ﴾ (١) وقوله : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ، ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، يقولون ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين ﴿ ومالنا لا نؤمن بالله ، وماجاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ (٢) وقوله : ﴿ ... إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ، ويقولون سبحان ربنا ، إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ (٣) وذلك مثل قوله في التوراة ماقد ترجم بالعربية : " جاء الله من طُور سَيْنا (٤) " وبعضهم يقول (٥) : " تجلى الله من طور سينا وأشرق من ساعير (٦) ، واستعلن من جبال فاران (٧) " .

---

(١) سورة البقرة : ١٤٦ . وسورة الأنعام : ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : ٨٤ .

(٣) سورة الاسراء : ١٠٧ – ١٠٨ .

(٤) طُور سَيْنا : بكسر السين ويروى بفتحها – وهو اسم جبل بقرب "أيلة" . – مدينة على ساحل بحر القُلْزُم – الاحمر – مما يلي الشام . وعنده بُلَيْد – تصغير بلد – فتح في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم سنة ٥٩ ﻫ ملخصا . معجم البلدان ٤ : ٤٨ و ١ : ٢٩٢ .

(٥) في ك و ط زيادة : (في الترجمة) .

(٦) اسم لجبال فلسطين وهو من حدود الروم ، وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا . معجم البلدان ٣ : ١٧١ .

(٧) فاران : كلمة عبرانية معربة ، وهي من أسماء مكة ، وقيل : اسم لجبال مكة أو جبال الحجاز ، معجم البلدان ٤ : ٢٢٥ . وقال في قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٦٦٧ : هو السهيل المرتفع أو الأرض الجبلية الواقعة إلى جنوب كنعان ، تحيط بها من الجهات الأخرى برية مشور وسلسلة الجبال المعروفة بجبل التيه ووادي العربة .

(٧) تمام النص من الترجمة الحديثة : " وهذه هي البركة ، التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الرب من سينا ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبال فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب ، جميع قديسيه في يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك " سفر التثنية ، الإصحاح الثالث والثلاثون ، ١ – ٣ العهد القديم : ٢٦٢ .

قال كثير من العلماء - واللفظ لأبي محمد بن قتيبة [(١)] - ليس بهذا خفاء على من تدبره [(٢)] ولاغموض ، لأن مجيء الله من طور سينا انزاله التوراة على موسى من طور سينا ، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير - أرض الخليل [(٣)] بقرية تدعى (ناصرة) [(٤)] - وباسمها يسمى من اتبعه نصارى [(٥)] .

وكما وجب أن يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، انزاله القرآن على محمد - صلى الله عليه وسلم - وجبال فاران هي جبال مكة . قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فإن ادعوا أنها غير مكة ، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم [(٦)] .

---

(١) في ك و ط (واللفظ لمحمد بن قتيبة) .

(١) أبو محمد بن قتيبة هو عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينَوَري، وقيل : المروزي ، النحوي اللغوي ، صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب ، كان فاضلا ثقة ، سكن بغداد وحدّث بها ، كانت ولادته سنة ٢١٣ هـ ووفاته فجأة سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ أو ٢٧٦ هـ . وفيات الأعيان ٣ : ٤٢ - ٤٣ . ولسان الميزان ٣ : ٣٥٧ - ٣٥٩ . واللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ١٥ .

(٢) في ط (تدبر) .

(٣) الخليل هو نبي الله ابراهيم - عليه السلام - وهو ابن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قنيان بن أرفخْشَد بن سام بن نوح - عليه السلام - وسمى الخليل لقوله - عز وجل -: " واتخذ الله ابراهيم خليلا " . النساء : ١٢٥ . تاريخ الأمم والملوك ١ : ٢٣٣ والبداية والنهاية ١ : ١٣٩ .

(٤) ناصرة : قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا : فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - ومنها اشتق اسم النصارى - كما ذكر الشيخ المؤلف - رحمه الله تعالى - . انظر معجم البلدان ٥ : ٢٥١

(٥) في ك و ط (سمي من اتبعه من نصارى) .

(٦) راجعت ماوقع بين يدي من مؤلفات ابن قتيبة فلم أعثر على هذا النص.

قلنا : أليس في التوراة أن ابراهيم أسكن (هاجر (١)) و (اسماعيل) فاران ؟ وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح • أو ليس (استعلن) و(عَلِنَ) (٢) وهما بمعنى واحد ؟ وهو ماظهر وانكشف (٣) •

فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام (٤) وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟

وقال (٥) ابن ظَفَر (٦) : (ساعير) جبل بالشام ، منه ظهرت نبوة المسيح (٧) •

قلت : وبجانب بيت لحم (٨) ، القرية التي ولد فيها المسيح ، قرية (٩) تسمى إلى اليوم ساعير ، ولها جبل تسمى ساعير (١٠) •

وفي التوراة : أن نسل العيص (١١) كانوا سكانا بساعير ، وأمر الله موسى أن لايؤذيهم (١٢) •

---

(١) هاجر : كانت جارية عند ملك مصر ، فأعطاها سارة امرأة ابراهيم - عليه السلام - خادمة لها ، ثم قالت سارة لابراهيم : إن ربي قد أحرمني الولد ، فادخل على أمتى هذه لعل الله يرزقني منها ولدا ، فلما وهبتها له دخل بها ابراهيم فولدت له اسماعيل ، ولابراهيم من العمر ست وثمانين سنة ، قبل مولد اسحاق بثلاث عشرة سنة • وماتت هاجر بمكة بعد زواج ابنها اسماعيل لما بلغ الرشدودفنت بالحِجْر ، وكانت الروم تسمي العرب (سارقيوس) يعني : عبيد سارة بسبب هاجر فنهاهم نقفور عن ذلك • الكامل ١ : ٧١ و ١٩٣ ، والبداية والنهاية ١ : ١٥٠ - ١٥٥ •

(٢) في ط بدون عطف •

(٣) عَلِنَ الأمر : من باب دَخَلَ وَطرِب • مختار الصحاح : ٤٥٢ • وانظر اللسان ١٣ : ٢٨٨ - ٢٨٩ مادة : علن •

(٤) في ط (فهل تعلمون ظهر دين ظهور الاسلام) •

(٥) في ك و ط زيادة : " أبوهاشم " •

(٦) هو حجة الدين أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظَفَر الصَّقَلِّي، نشأ بمكة ، وسكن حماة ، وكان قصيرا لطيف الشكل ، وله نظم وفضائل مات سنة ٥٦٥ هـ بحماة • وفيات الأعيان ٤ : ٣٩٥ - ٣٩٧ ، وسير النبلاء ٢٠ : ٥٢٢ - ٥٢٣ •

(٧) لعل هذا القول في كتاب " خير البِشَر بخير البَشَر " • لابن ظفر ،واظنه غير مطبوع إن لم يكن مفقودا ، والذي ذكره ابن خلكان •

=

....

= (٨) هو بُليد قرب البيت المقدس ، المشهور أن عيسى – عليه السلام – ولد به،وقيل هو بالخاء المعجمة ، وقيل لغتان . مراصد ١ : ٢٣٨ .

(٩) هكذا في ك و ط زيادة " قرية " وليست في أ ، واثباتها أولى .

(١٠) انظر معجم البلدان ٣ : ١٧١ .

(١١) العيص : هو ابن اسحاق بن ابراهيم – عليهم السلام – ، وأمه : رفقا بنت بتويل ، وأخوه التوأم يعقوب ، والعيص أكبرهما ، وقد ولدا وعمر اسحاق ٦٠ سنة ، وزوجته هي : نسمة بنت عمه اسماعيل ، وقد ولدت له الروم بن عيص ، وكل بني الأصفر من ولده ، وهو أحب من يعقوب الى أبيه،وكان صاحب صيد . الكامل ١ : ٤٦ و ٧١،وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٦٤٩.

(١٢) انظر سفر التكوين الأصحاح السادس والثلاثين ٨ : ٩ ، والعهد القديم ٥١ .

وعلى هذا ، فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا ، جبل حراء (١) الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه ، ومنه كان نزول أول الوحى على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحوله من الجبال ، جبال كثيرة ، حتى قد قيل : ان بمكة اثنى عشر ألف جبل (٢) . وذلك المكان يسمى فاران ، الى هذا اليوم ، وفيه كان ابتداء نزول القرآن (٣) .

---

(١) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال ، ويقابله جبل ثبير وحراء أرفع منه : معجم البلدان ٢ : ٢٣٣ .

(٣) فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور ـ يعتكف ـ في كل سنة شهرا في حراء ، فجاور في تلك السنة التي ابتدأ نزول القرآن عليه في شهر رمضان . انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢٥٢ .

(٢) بحثت عن مصدر لهذه المعلومة ، فلم أصل الى شيء .

والبرية التي بين مكة ، وطور سينا تسمى برية فاران ، ولايمكن أحدا أن يدعى أنه - بعد المسيح - نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولابعث نبي. فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو سبحانه - ذكر هذا في (١) التوراة على الترتيب الزماني ، فذكر انزال التوارة ، ثم الانجيل ، ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهداه .

وقال في الأول : جاء أو (٢) ظهر ، وفي الثاني : أشرق ، وفي الثالث : استعلن . وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر ، أو ماهو أظهر من ذلك ،ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس زاد (٣) به النور والهدى . وأما نزول القرآن . فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ، ولهذا قال : واستعلن من جبال فاران ،فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها ، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين ، كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت (٤) في مشارق الأرض ومغاربها ، ولهذا سماه الله سراجا منيرا ، وسمى الشمس سراجا وهاجا (٥) .

والخلق يحتاجون (٦) إلى السراج المنير ، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج، فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت ، وكما قيل (٧) : قد يَنْضَرّون (٨) به بعض الأوقات . وأما السراج المنير . فيحتاجون إليه كل وقت ، وفي كل مكان ، ليلا ونهارا ،سرا وعلانية .

---

(١) في ط (بالتوراة) .

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ بالعطف ،وما أثبتناه أرجح .

(٣) في ط (ازداد) .

(٤) في ك و ط (استعلنت) .

(٥) الوهاج : الحار المضطرم الاتقاد . البحر المحيط ٨ : ٤١١ .

(٦) في ك و ط (محتاجون) .

(٧) في ك و ط (بل قد) بدلا من (وكما قيل) .

(٨) في ك و ط (يتضررون) .

وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " زويت (١) لي الأرض ، (٢) مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ لي منها " (٣) .

وهذه الأماكن الثلاث أقسم الله بها في القرآن في قوله – تعالى – :

﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون * فما يكذبك بعد بالدين * اليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ (٤)

فأقسم بالتين والزيتون ، وهو الأرض المقدسة الذي (٥) ينبت فيها ذلك ، ومنها بعث المسيح ، وأنزل عليه فيها الانجيل ، وأقسم بطور سنين (٦) ، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى ، وناداه من واديه الأيمن من (٧) البقعة المباركة من الشجرة ، وأقسم بالبلد الأمين . وهي مكة ، وهو (٨) البلد الذي أسكن أبراهيم ابنه اسماعيل وأمه ، وهو الذي جعله الله حرما آمنا ، ويُتَخَطَّف الناس من

---

(١) زويت : جمعت وقبضت . ترتيب القاموس ٢ : ٤٩٦ .
(٢) في ك و ط زيادة " فرأيت " .
(٣) الحديث رواه مسلم عن ثوبان بالفظ : " إن الله تعالى زوى لي الأرض ، حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوي لي منها ... " الحديث . كتاب الفتن ... ، باب هلال هذه الأمة بعضهم ببعض ، ٤ : ٢٢١٥ (٢٨٨٩) ورواه أبو داود بنحوه ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، ٤ : ٩٧ (٤٢٥٢) . والترمذي ، كتاب الفتن ، باب ماجاء في سوال النبي – صلى الله عليه وسلم – ثلاثا في أمته ، ٤ : ٤٧٢ (٢١٧٦) وابن ماجه بلفظ : " زويت لي الأرض ، حتى رأيت مشارقها ومغاربها ... وقيل لي : إن ملكك إلى حيث زوى لك ..." أبواب الفتن ، باب مايكون من الفتن ، ٢ : ٣٦٨ (٤٠٠٠) والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم ، ٤ : ٤٤٩ . ورواه أحمد عن شداد بن أوس ، ٤ : ١٢٣ .
(٤) سورة التين كاملة .
(٥) في ط (التي) .
(٦) في ك و ط (سينا) .
(٧) في ك و ط (في) .
(٨) سقطت (هو) من ك و ط .

حولهم (١) ، خلقا وأمرا ، قدرا وشرعا ، فإن ابراهيم حرمه ودعا لأهله ، فقال : ﴿ ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (٢) وقال - تعالى - : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة (٣) للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود * وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال : ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ (٤) .

فأخبر الله - تعالى - أن ابراهيم دعا الله بأن يجعل مكة بلدا آمنا ، واستجاب الله دعاء (٥) ابراهيم وذكر ذلك في غير موضع (٦) ، وبها بنى ابراهيم البيت كما قال - تعالى - : ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْن لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٧) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (وجعله آمنا) .

(٢) سورة ابراهيم : ٣٧. وقد سقطت واو (وقال) من ط .

(٣) مثابة ، أي مرجعا للناس يقبلون عليه من كل جانب . صفوة التفاسير ١ : ٩٣ .

(٤) سورة البقرة : ١٢٥ - ١٢٦.

(٥) في ط (الدعاء) .

(٦) سقطت عبارة (وذكر ذلك في غير موضع) من ك و ط .

(٧) سورة البقرة : ١٢٧ - ١٢٩. وفي ك و ط زيادة : " وقد استجاب الله دعاء ابراهيم ، فبعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وذكر ذلك في غير موضع " .

وقال - تعالى - : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (١) وقال - تعالى - : ﴿ لايلاف قريش * ايلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (٢)، وقال - تعالى - : ﴿ وقالوا : إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ (٣)، وقال - تعالى - : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ (٤)

---

(١) سورة آل عمران : ٩٦ - ٩٧ .

(٢) سورة قريش كاملة .

(٣) سورة القصص : ٥٧ .

(٤) سورة العنكبوت : ٦٧ .

(٤) في ك و ط زيادة : " وقال - تعالى - : ﴿ وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ، أن لاتشرك بي شيئا، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج ، يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها ، وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ (سورة الحج : ٢٦ - ٢٩) وقال - تعالى - ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ، والشهر الحرام والهدى والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات والأرض ، وأن الله بكل شيء عليم ﴾ (المائدة : ٩٧) . .

فقوله – تعالى – : ﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين ﴾ (١) اقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة ، التي ظهر فيها نوره وهداه ، وأنزل فيها (٢) الثلاثة ، التوراة ، والانجيل ، والقرآن • كماذكر الثلاثة في التوراة بقوله :"جاء الله من طور سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران (٣) " •

ولما كان مافي التوراة خبرا عنها ، أخبر بها على ترتيبها الزماني ، فقدم الأسبق فالأسبق • وأما القرآن ، فإنه أقسم بها تعظيما لشأنها ، وذلك تعظيم (٤) لقدرته – سبحانه – وآياته ، وكتبه ، ورسله • فأقسم بها على وجه التدريج ، درجة بعد درجة ، فختمها بأعلى (٥) الدرجات • فأقسم أولا ، بالتين والزيتون ، ثم بطور سينا ، ثم بمكة ، لأن أشرف الكتب الثلاثة ، القرآن ، ثم التوراة ، ثم الانجيل ، وكذلك الأنبياء • فأقسم بها على وجه التدريج ، كما في قوله : ﴿ والذاريات ذروا (٦) * فالحاملات وقرا * فالجاريات يسرا * فالمقسمات أمرا ﴾ (٧) فأقسم بطبقات المخلوقات ، طبقة بعد طبقة ،فأقسم بالرياح الذاريات ، ثم بالسحاب الحاملات للمطر ، فإنها فوق الرياح ،

---

(١) سورة التين : ١ – ٣ •

(٢) في ك و ط زيادة : (كتبه) •

(٣) سفر التثنية ، الاصحاح الثالث والثلاثون ، ١ – ٣ العهد القديم : ٣٦٢ •

(٤) هكذا في ك و ط ، ولم ترد (تعظيم) في أ وقد أثبتناها من ك و ط من أجل استقامة المعنى •

(٥) رسمت في أ و ك (باعلا) وقد أثبتنا مافي ط ، حسب الرسم الاملائي الحديث • المفرد العلم في رسم القلم : ١٤١ •

(٦) الذاريات : هي الرياح الذي تذروا التراب فتفرقه ، وتحمل الرمال من مكان إلى مكان • صفوة التفاسير ٢٦ : ٢٥١ •

(٧) سورة الذاريات : ١ – ٣

ثم بالجاريات يسرا . وقد قيل : إنها السفن (١) ، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب (٢) المذكورة في قوله : ﴿ فلا أقسم بالخنس (٣) الجوار الكنس ﴾ (٤) ، فسماها جواري ، كما سمى الفُلك جواري في قوله : ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ (٥) والكواكب فوق السحاب .

ثم قال : ﴿ فالمقسّمات أمرا ﴾ ، وهي الملائكة ، التي هى أعلا درجة من هذا كله (٦) .

وماذكر ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين ، من تربية اسماعيل في برِّية "فاران" فهكذا هو في التوراة ، قال فيها : " وغدا ابراهيم ،فأخذ الغلام ، وأخذ خبزا وسقاء من ماء ، ودفعه إلى هاجر ، وحمله عليها ، وقال لها : إذهبي ، فانطلقت هاجر ، فضلت (٧) في برية سَبْع (٨) ، ونفد (٩) الماء الذي كان معها ، فطرحت الغلام تحت شجرة ،وجلست في مقابلته على مقدار رمية بسهم (١٠) ، لئلا تبصر الغلام حين يموت ، ورفعت صوتها بالبكاء ، وسمع الله

---

(١) وهو قول الأكثر . انظر جامع البيان للطبري ٢٦ : ١٨٧ — ١٨٨ .

(٢) انظر البحر المحيط ٨ : ١٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٧ : ٣٩١ .

(٣) التي تخنس نهارا وتختفي عن البصر ، جمع خانس . والتي تغيب يقال : كنس : إذا دخل الكِنَاس ، وهو المكان الذي تأوي إليه الظباء . صفوة التفاسير ٣٠ : ٥٢٤ .

(٤) سورة التكوير : ١٥ — ١٦.

(٥) سورة الشورى : ٣٢.

(٦) البحر المحيط ٨ : ١٣٣ .

(٧) أي ضاعت . مختار : ٣٨٣ .

(٨) هي برية من أرض فلسطين بالشام كما قال ياقوت في معجمه ٣ : ١٨٥ واستعمال هذه الكلمة هو من تحريف اهل الكتاب — حيث ان من الواضح أنها برية مكة (فاران) كما هو ثابت لدينا نحن المسلمين.

(٩) في ط (نفذ) . ونفد : أي فني وذهب . ترتيب القاموس ٤ : ٤١١ .

(١٠) في ط (سهم) بدون باء .

صوت الغلام ، فدعا ملك الله هاجر ، وقال لها : مالك ياهاجر ؟ لاتخشّ فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو ، فقومي فاحملي الغلام ، وشُدِّي يدك (١) به ، فإني جاعله لأمة عظيمة • وفتح الله عينيها (٢) فبصرت بئر ماء ، فسقت الغلام وملأت سقاءها ، وكان الله مع الغلام ، فربى وسكن في برية " فاران (٣) " •

---

(١) في ك و ط (يديك) بالتثنية •

(٢) في ك و ط (عينها) بالافراد •

(٣) في الترجمة الحالية هكذا : " فبكر ابراهيم صباحا ، وأخذ خبزا وقربة ماء ، وأعطاهما لهاجر ، واضعا اياهما على كتفها والولد ، وصرفها ، فمضت وتاهت في برية بئر سبع ،ولما فرغ الماء من القربة : طرحت الولد تحت احدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد ، فجلست مقابلها ، ورفعت صوتها وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك ؟ ياهاجر ، لاتخافي ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملي الغلام وشدي يدك به ، لأني سأجعله لأمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران ••• " • سفر التكوين ، الاصحاح الحادي والعشرون، ١٤ – ٢١ العهد القديم : ٢٩ •

فهذا خبر الله في التوراة أن إسماعيل ربي وسكن في برية فاران ، بعد أن كاد يموت من العطش ، وأن الله سقاه من بئر ماء . وقد علم بالتواتر ، واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربى بمكة ، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت ، فعلم أن أرض مكة (١) ، فاران (٢) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (من) .

(٢) بعد هذا في ك و ط زيادة بمقدار صفحة وهي قوله : " والله - تعالى - قد أخبر في القرآن - في غير موضع - بكون اسماعيل كان بمكة ، فقال عن الخليل : ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ، عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات ، لعلهم يشكرون ﴾ سورة ابراهيم : ٣٥ - ٣٧ . وقال - تعالى - : ﴿ وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال إني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي؟ قال لاينال عهدي الظالمين * وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ - إلى أن قال عز وجل[1] - ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، انك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

---

(١) لم ترد هذه الاشارة لا في ك ولا ط ، إنما اتبعت الآية رقم : ١٢٥ بالآية رقم ١٢٧ مباشرة .

وهذه البشارة (١) في التوراة لهاجر باسماعيل ، وقول الله : " إني جاعله لأمة عظيمة ، ومعظمة جدا جدا ، وإن هاجر فتحت عينها ، فرأت بئر ماء فدنت منها (٢) " إلى آخر الكلام (٣) .

وفي موضع آخر قال عن اسماعيل : " إنه يجعل يده فوق (٤) يدي الجميع (٥) " .

ومعلوم باتفاق الأمم ، والنقل (٦) أن اسماعيل تَّربى بأرض مكة ، فعلم أنها " فاران " ، وأنه هو وابراهيم بنيا البيت (٧) الذي مازال محجوجا

---

(١) في ك و ط زيادة : (التي) .

(٢) في ك و ط زيادة : (وملأت المزادة ، وشربت وسقت الصبي ، وكان الله معها ومع الصبي ، حتى تربى ، وكان مسكنه في برية فاران) .

(٣) ونصه في الترجمة الحالية : " وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ... " سفر التكوين ، الاصحاح السابع عشر ، ٢٠ العهد القديم : ٢٤ . وبقية النص هو من النص المذكور منذ قليل .

(٤) في ك و ط (أيدي) .

(٥) ونصه كما يلي : (... وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه (اسماعيل) ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون انسانا وحشيا - أي بَّريا - يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته يسكن .. " سفر التكوين ، الاصحاح السادس عشر ، ١٢ - ١٣ العهد القديم : ٢٣ .

(٦) في ك و ط زيادة : (المتواتر) .

(٧) في ك و ط زيادة : (الحرام) .

من عهد ابراهيم ، تحجه العرب وغير العرب من الأنبياء وغيرهم ، كما حج اليه موسى بن عمران ، ويونس بن مَتَّى ، كما في الصحيح من رواية ابن عباس : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مر بوادي الأزرق (١) ، فقال : " أي واد هذا ؟ " ، فقالوا : هذا وادي الأزرق ، فقال : " كأني أنظر إلى موسى – صلى الله عليه وسلم – هابطا من الثنية (٢) ، واضعا أصبعيه في أذنيه ، له جؤار (٣) الى الله عز وجل ، بالتلبية (٤) ، مارا بهذا الوادي " قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية ، فقال : " أي ثنية هذه ؟ " قالوا : هرشىٰ (٥) ، فقال : " كأني أنظر الى يونس على ناقة حمراء ، عليه جبة صوف ، خطام ناقته ليف خُلبة (٦) ، مارا بهذا الوادي ملبيا " . وفي رواية : " أما موسى فرجل آدم (٧) ،

---

(١) في ك و ط زيادة : (بين مكة والمدينة) .

(١) هو بلفظ اللون ، وهو خلف قرية "أَمَجَ" بينه وبين مكة ميل واحد . فتح الباري ٣ : ٤١٤ . ولقد عجبت من " ياقوت " – رحمه الله – حيث مر على ذكر هذا الوادي بقوله : وادي الأزرق بالحجاز " هكذا دون أي تفصيل ! معجم البلدان ١ : ١٦٨ .

(٢) الثنية ، هي : الطريق في الجبل . انظر ترتيب القاموس ١ : ٤٢٤ .

(٣) جأر – كمنع – جَأْرًا وجُؤارًا : رفع صوته بالدعاء وتضرع ، واستغاث. المصدر السابق : ١ : ٤٣٢ .

(٤) في ط (في التلبية) .

(٥) في ك و ط (هو شيء) .

(٥) هي ثنية في طريق مكة ، قريبة من الجحفة ، يرى منها البحر ، ولها طريقان فكل من سلك واحدا منها أفضى به إلى موضع واحد . معجم البلدان ٥ : ٣٩٧ .

(٦) الخُلْبة : هو الليف ، وروى بتنوين ليف ، وروى باضافته إلى خلبة ، فمن نون جعل خلبة بدلا أو عطف بيان . صحيح مسلم بشرح النووي ٢ : ٢٣٠ ليحيى ابن شرف الحزامي الحواربي الشافعي النووي – ٦٧٦ هـ دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م . أو هو الحبل الصلب الرقيق . ترتيب القاموس ٢ : ٨٨ .

(٧) آدم : اسمر . مختار : ١٠ .

جعد (١) على جمل أحمر مخطوم بخلبة (٢) " .

ولما بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٣) أوجب حجه على كل أحد ، فحجت اليه الأمم من مشارق الأرض ومغاربها . والبئر الذي شرب منها اسماعيل وأمه ، هي بئر زمزم (٤) ، وحديثها مذكور في صحيح البخاري (٥) ، عن ابن عباس ،

---

(١) في ط (جعل) .

(١) الجعد : المراد به جعودة البدن وهو اجتماعه واكتنازه ، وليس المراد جعودة الشَّعر . مختار الصحاح : ١٠ . وصحيح مسلم ت : عبد الباقي ، ١ : ١٥١ . هامش ٦ .

(٢) في ك و ط زيادة : (ليف) .

(٢) الحديث رواه مسلم بلفظ : سرنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين مكة والمدينة فمر بنا بواد فقال : " أي واد هذا ؟ فقالوا : وادي الازرق . فقال : " كأني انظر إلى موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود ـ أحد رجال الإسناد ـ " واضعا صبعيه في أذنيه ، له جؤار إلى الله بالتلبية ، مارا بهذا الوادي " قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية ، فقال : " اي ثنية هذه " ؟ قالوا : هرشئ و لفت . فقال : " كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة ، مارا بهذا الوادي ملبيا " . والرواية جزء من حديث آخر يلي هذا الحديث المذكور . مسلم ، كتاب الايمان ، باب الاسراء ... ، ١ : ١٥٢ ـ ١٥٣ (١٦٦) وفي رواية البخاري عن ابن عباس : " ... وأما موسى فرجل جعد ، على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كاني أنظر اليه إذا انحدر في الوادي يلبي " كتاب اللباس ، باب الجعد ، ١٠ : ٣٥٧ (٥٩١٣) من فتح الباري .
وروا ابن ماجه ، أبواب المناسك ، الحج على الرحل ، ٢ : ١٥٥ (٢٩٢٣) .

(٣) لم ترد الجملة الدعائية لا في أ و لا ك .

(٤) هي البئر المباركة المشهورة بالمسجد الحرام بمكة ـ زادها الله شرفا ـ ، وقد كانت في زمن اسماعيل ـ عليه السلام ـ ، وطوتها السيول ، وتطاولت عليها الأيام ، فلم يبق لها أثر ، فأتى عبد المطلب فأمر بحفرها ، ودُل على موضعها ، فاستخرجها ووجد فيها غزالين من ذهب وأسيافا فضرب الغزالين صفائح على باب الكعبة ، وبقيت لسقاية الحاج ، واختص بها العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ مراصد الاطلاع ٢ : ٦٦٩ ـ ٦٧٠ .

(٥) في ك و ط زيادة (عن سعيد بن جبير) .

قال : أول ما اتخذ النساء المنطق (١) من قبل أم اسماعيل ، اتخذت منطقا ليُعَفِّي أثرها على سارة (٢) .

ثم جاء بها ابراهيم ، وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم ، في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، (٣) ووضع عندها جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء . ثم قَفَّى (٤) ابراهيم منطلقا فتبعته أم أسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ،ليس فيه انس ولاشيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل

---

(١) المِنْطَق : هو النِّطاق ، وهو مثل ازار فيه تِكَّة - رباط - تلبسه المرأة وقيل : هو حبل تشد به المرأة وسطها للمهنة ، أو هو ماشَدَدت به وَسْطَك. المصباح : ٦١١ .

(٢) وكان السبب في ذلك : أن سارة كانت وهبت هاجر لابراهيم فحملت منه باسماعيل ،فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقا فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة . ويقال : إن ابراهيم شفع فيها ، وقال لسارة : حللي يمينك بان تثقبي أذنيها وتخفضيها - أي تختنيها - فكانت أول من فعل ذلك . وقد لايثبت ذلك السبب . انظر فتح الباري ٦ : ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٢) هي بنت هاران عم ابراهيم - عليه السلام - وهو ملك حران توفيت بالشام ولها ١٢٧ سنة ، وقيل : بارض الجبابرة من بلاد كنعان . وهي اصغر من ابراهيم بعشر سنوات و " سارة " اسم عبراني معناه : أميرة واصله " ساراي". الكامل ١ : ٧٠ البداية والنهاية ١ : ١٥٠ قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٤٣ .

(٣) في ك و ط زيادة : (فوضعها هناك) .

(٤) قفا : من القفاء أي ولاها قفاه ذاهبا عنها .

لايلتفت اليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : "نعم " قالت : اذا لايضيعنا (١) ثم رجعت . فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية (٢) ، حيث لايرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهذه الدعوات ، فقال : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم)(٣)- حتى بلغ -(يشكرون ﴾.

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد (٤) مافي السقاء وعطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى (٥) ، انطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر ، هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي ، رفعت طرف درعها (٦) ، ثم سعت سعى الانسان المجهود (٧) ، حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ونظرت ، هل ترى من أحد ؟ فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات .

---

(١) في ك و ط زيادة : (وفي لفظ : " وتبعته أم اسماعيل حتى بلغوا كداء ، نادته من وراء يا ابراهيم إلى من تتركنا ؟ قال : " إلى الله "! قالت : رضيت بالله " .

(٢) في ك و ط (البيت) .

(٣) سورة ابراهيم : ٣٧ .

(٤) في ط (نفذ) .

(٥) في ك و ط زيادة : (أو قال يتلبط) .

(٦) درع المرأة : قميصها . مختار : ٢٠٣ .

(٧) من ظهرت عليه آثار المشقة . انظر المصدر السابق : ١١٤ .

قال ابن عباس : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" فلذالك سعى الناس بينهما " . فلما أشرفت (١) المروة سمعت صوتا ، فقالت : صه (٢) ، تريد نفسها ، (٣) فسمعت ـ أيضا ـ فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غَوَاث (٤) ،فإذا هي بالملك (٥) عند موضع زمزم ، فبحث بعَقِبه (٦) ، ـ أو قال : بجناحه ـ ،حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا ، (٧) تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف . قال ابن عباس : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " يرحم الله أم اسماعيل ، لو (٨) تركت زمزم (٩) لم تغرف من الماء ، لكان عينا معينا (١٠) " .

---

(١) في ك و ط زيادة : (على) وانظر ترتيب القاموس ٢ : ٧٠٢ .

(٢) بفتح الصاد وسكون الهاء وبكسرها مُنَونة ، كانها خاطبت نفسها ، فقالت لها : اسكتي . انظر مختار : ٣٧٢ .

(٣) في ك و ط زيادة : (ثم سمعت) قبل : (سمعت ـ أيضا ـ) .

(٤) بفتح أوله وضمه وهو العون والنضرة . فتح الباري ٦ : ٤٠٢ والمصباح ٤٥٥ .

(٥) في رواية " فإذا جبريل " وللطبري عن علي بإسناد حسن : فناداها جبريل فقال : من انت ... " . فتح الباري ٦ : ٤٠٢ .

(٦) العقب : موخر القدم . المصباح : ٤١٩ .

(٧) في ك و ط زيادة : (وجعلت) .

(٨) في ك و ط زيادة : (أو قال : لو) .

(٩) في ك و ط زيادة : (زمزم) .

(١٠) أي ظاهرا جاريا على وجه الأرض . فتح الباري ٦ : ٤٠٢ .

قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : " لاتخافوا (١) الضيعة ، فإن ههنا بيت الله ، يبني (٢) هذا الغلام وأبوه ،وإن الله لايضيع أهله ". وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول ، فتأخذه عن يمينه وشماله (٣) " وذكر تمام الحديث (٤) .

---

(١) في ط (لاتخافي) .

(٢) في ط (يبنيه) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفّون : النَّسلان في المشي ،٦ :٣٩٦ – ٣٩٨ (٣٣٦٤) من فتح الباري .

(٤) في ك و ط بقية الحديث وهي:"فكانت كذلك ، حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم – أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريقكداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرا عايفا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ،لعهدنا بهذا الوادي ، ومافيه ماء ، فأرسلوا جَرِيًّا أو جريين ، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء ،فأقبلوا . قال : وأم اسماعيلعند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ؟ ولكن لاحق لكم في الماء ، قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " فألفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الأنس ، فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام ، وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زَوَّجوه أمرأة منهم ، وماتت أم أسماعيل . فجاء أبراهيم بعدماتزوج اسماعيل ، يطالع تركته فلم يجد ، فسأل امرأته فقالت : خرج يبتغى لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : بِشَرٍّ نحن في ضيق وشدة ، فشكت اليه . قال : " إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له ، يُغَيِّر عتبة بابه " . فلما جاء اسماعيل

=

....

= كأنه آنس شيئا ،فقال : " هل جاءكم من أحد " ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنّا في جهد وشدة .قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ، وقال : " تغير عتبة بابك " ، قال : ذاك أبي ، قد أمرني أن أفارقك ، الحقى بأهلك فطلقها . ثم تزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم ماشاء الله ، ثم أتاهم بعد ، فلم يجده . فدخل على امرأته فسألها عنه ،فقالت : خرج يبتغى لنا . قال : كيف أنت ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله . فقال :ماطعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال :"اللهم بارك لهم في اللحم والماء " . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - " ولم يكن لهم يومئذ حب ،ولو كان لهم ، دعالهم فيه " قال : فهما لايخلو عنهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه . قال : "فإذا جاء زوجك ، فاقرئي عليه السلام ،ومريه أن يثبت عتبة بابه". فلما جاء اسماعيل قال : " هل أتاكم من أحد " ؟ قالت : نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة ،وأثنت (في ك " فغسلت ") عليه ،فسألني عنك ، فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير . قال : " فأوصاك بشيء" ؟ قالت : نعم، هو يقرأ عليك السلام ويقول لك : " أن تثبت عتبة بابك " .قال :" وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك " . ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له ، تحت

=

....

= دوحة قريبا من زمزم . فلما رآه ، قام اليه ، فصنع كما يصنع الولد بالوالد ، والوالد بالولد . ثم قال : يا اسماعيل ، إن الله أمرني " ، قال : " فاصنع ما أمرك (في ط زيادة "ربك") قال: " وتعينني " ؟ قال : " وأعينك " .قال : " فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها قال : فعند ذلك (في ك طمست جملة : قال فعند ذلك) رفعا القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة ، وابراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان: " ... ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم " سورة البقرة : ١٢٧. قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان :

﴿ ... ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ .

وكانت بئر زمزم قد عميت (١) ، ثم أحياها عبد المطلب (٢) ، جد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وصارت السقاية (٣) في ولده في العباس وأولاده (٤) ، يسقون منها ، ويسقون أيضا الشراب الحلو ، والشرب من ذلك سنة (٥) .

---

(١) استعار الشيخ المؤلف وصف العمى للبئر ، كناية عن الخفاء والانطماس ، والعلاقة : عدم الاهتداء . انظر المصباح : ٤٣١ .

(٢) هو شيبة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان . وفيه العمود والشرف ، ولم يبق لهاشم عقب الا من عبد المطلب فقط ، وأمه سلمى بنت عمرو النجاري . وأولاده : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب - عبد العزى - والزبير ، والمقوّم ، والحارث ، وحمزة ، والعباس ، وبنين غيرهم ، وأربع بنات ، كان وسيما ، مديد القامة ، وتوفي على الكفر - خلافا للشيعة - وله ١٢٠ سنة ، وكان قد عمي ، وذلك بعد عام الفيل بثمان سنين ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمان - أيضا - . جمهرة أنساب العرب : ١٢ - ١٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١ : ١٧٨ ، والكامل ١ : ٩ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٨١ .

(٣) هى مصدر من (سقى) قال الحسن : كانت السقاية بنبيذ الزبيب . التفسير الكبير ١٥ : ١٣ م ٨ .

(٤) هو أبو الفضل ، العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وامه نتيلة بنت جناب ، وهو أسن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسنتين ، شهد بيعة العقبة وكان مشركا ، وأسر يوم بدر ، وهو آخر المهاجرين ، واستسقى به عمر فسقاهم الله - تعالى - وأخصبت الأرض ، توفى بالمدينة ، سنة ٣٢ هـ ، وكان طويلا أبيض جميلا بَضّاً - أي لين الجسد ، رقيق الجلد ، ممتلىء - ذا ضفيرتين . وأولاده الذكور هم : الفضل وعبيد الله وعبد الله ، وقثم ، وعبد الرحمن ومعبد والحارث وكَثِير وعون وتمام ، وهو أصغرهم . وقد كُفّ بصر العباس آخر عمره . أسد الغابة ٣ : ٦٠ - ٦٣ - ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٩٨ .

(٥) والدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبو ذر : " انها مباركة . انها طعام طُعْم " . رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر - رضى الله عنه - ، ٤ : ١٩٢٢ (٢٤٧٣) ، وروى ابن عباس أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : " ان آية ما بيننا وبين المنافقين لايتضلعون من زمزم " . قال في الزوائد : "هذا إسناد صحيح ورجاله موثقون" ، وعن جابر قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " زمزم لما شرب له " قال السيوطي : والمعتمد تصحيحه . والحديثان رواهما ابن ماجه ، أبواب المناسك ، الشرب من زمزم ٢ : ١٨٩ ، (٣٠٦١ - ٣٠٦٢)

والله تعالى – قال في إسماعيل : " إني جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جدا جدا "(١) . وهذا التعظيم المؤكد بـ " جدا جدا " يقتضي أن يكون تعظيما مبالغا فيه(٢) . فلو قدر أن البيت الذي بناه لايحج اليه أحد ، وأن ذريته ليس منهم نبي(٣) ، كما يقوله كثير من(٤) أهل الكتاب ، لم يكن هناك تعظيم مبالغا فيه جدا جدا(٥) ، إذ أكثر مافي ذلك أن يكون له ذرية . ومجرد كون الرجل له نسل وعقب ، لايعظم به الا إذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله .

وكذلك قوله " أجعله لأمة عظيمة " إن كانت تلك الأمة كافرة ،لم تكن عظيمة ، بل كان يكون أبا لأمة كافرة ، فعلم أن هذه الأمة العظيمة ، كانوا مؤمنين ، وهؤلاء يحجون البيت ، فعلم أن حج البيت مما يحبه الله ويأمر به . وليس في أهل الكتاب الا المسلمون ، فعلم أنهم الذين فعلوا مايحبه الله ويرضاه ، وأنهم وسلفهم الذين كانوا يحجون البيت ، أمة أثنى الله عليها ،

---

(١) انظر سفر التكوين ، الاصحاح السابع عشر ، ٢٠ العهد القديم : ٢٤ .

(٢) سقطت من ك و ط (فيه) .

(٣) في ك و ط (شيء) .

(٤) في ك و ط (كفرة) .

(٥) في ك و ط (بجدا) .

وشرفها ، وأن اسماعيل عظمه الله جدا جدا ، بما جعل في ذريته من الإيمان والنبوة ، وهذا هو ، كما امتن الله على نوح وابراهيم بقوله : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ...﴾ (١) وقال في الخليل : ﴿ ... وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ... ﴾ (٢) .

فعلم بذلك أن في (٣) اسماعيل وذريته معظمون عند الله ممدوحون ، وأن اسماعيل معظم جدا جدا ، كما عظم الله نوحا وابراهيم ، وإن كان ابراهيم أفضل من اسماعيل . لكن المقصود أن هذا التعظيم له ولذريته : إنما يكون إذا كانت ذريته معظمة على دين حق ، وهؤلاء يحجون إلى هذا البيت ، ولايحج اليه بعد مجيء محمد غيرهم . ولهذا لما قال الله (٤) - تعالى - (٥) : ﴿ ... ولله على الناس حج البيت ... ﴾ (٦) . فقالوا : لانحج ، فقال : ﴿ ... ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (٧) . و- ايضا - فهذا التعظيم المبالغ فيه ، الذي صار به ولد اسماعيل فوق الناس ، لم يظهر الا بنبوة محمد ، فدل ذلك على أنها حق ومبشر (٨) به .

---

(١) سورة الحديد : ٢٦ .

(٢) سورة العنكبوت : ٢٧ . وفي ك و ط زيادة : " ولما قال في نوح : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ سورة الصافات : ٧٧ . كان في ذريته أهل الإيمان كلهم " .

(٣) في أ (ولما قال في) .

(٤) في ك و ط زيادة : " قال - تعالى - : ﴿ ... ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ...﴾ سورة آل عمران : ٨٥ . قالت اليهود أو بعض أهل الكتاب : " فنحن مسلمون " .

(٥) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم .

(٦) في ط زيادة قوله تعالى : ﴿ ... من استطاع اليه سبيلا ﴾ .

(٧) سورة آل عمران : ٩٧ .

(٨) في ك و ط (مبشر) بدون عطف .

(٨) في أ (مبشرا) بالنصب والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

* فهذا نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - لانعت المسيح ، فهو الذي بعث بشريعة قوية ، ودق ملوك الأرض وأممها ، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته ، من مشارق الأرض ومغاربها ، وسلطانه دائم ، لم يقدر أحد أن يزيله ، كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها * .

ومثل هذا بشارة أخرى بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، من كلام " شمعون "(١) بما رضوه من ترجمتهم ، وهو : " جاء الله بالبينات من جبال فاران ، وامتلأت السماء(٢) والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته(٣) " .

* فهذا تصريح بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، الذي جاء بالنبوة من جبال "فاران" وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته .

---

* مابين النجمتين سقط من ك و ط ، وهو بمقدار ثلاثة أسطر .

(١) اسم عبراني معناه (سماع) ، وهو أحد الحواريين ، أصحاب - عيسى - عليه السلام - ، وهو الذي أخذه اليهود ، فلما قالوا له عن المسيح جحد وقال : ما أنا بصاحبه فتركوه ، وفعلوا ذلك ثلاثا ،وحبس في عهد ملك الروم " قلوديوس بن طيبار يوس"، ثم خلص شمعون من الحبس ، وسار إلى انطاكية ، فدعا الى النصرانية ، ثم سار إلى رومية ، فدعا أهلها - أيضا - ،فاجابته زوجة الملك ، وسار إلى البيت المقدس ، واخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها ، وكانت في أيدي اليهود فأخذتها وردتها إلى النصارى ، وقد حصل أن أرسل عيسى - عليه السلام - اثنين من الحواريين إلى ملك انطاكية ، فضربهما وحبسهما ، فبعث المسيح شمعون لينصرهما ، فدخل البلد متنكرا ، ثم توصل إلى اطلاق الحواريين ، وآمن الملك وقومه بدعوة شمعون . وقيل بل أجمع الملك وقومه على الكفر وقتل الرسل . أنظر الكامل ١ : ١٨٢ و ١٨٦ و ٢١١ -٢١٢

(٢) في ك و ط (السموات) بالجمع .

(٣) ونصه في الترجمه الحالية :"الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران، سلاه ، جلاله غطى السماوات والأرض ، امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته" . سفر حبقوق ،الاصحاح الثالث ٣ - ٤ ، العهد القديم : ١٠٤٦ .

ولم يخرج أحد قط ، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته (١) * مما يسمى " فاران " (٢) سوى محمد صلى ـ الله عليه وسلم ـ • والمسيح لم يكن بأرض فاران ألبته • وموسى إنما كُلِّمَ من الطور ، والطور ليس من أرض فاران وإن كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران ، فلم ينزل الله فيها التوراة ،وبشارات التوراة قد تقدمت بجبل الطور ، وبشارة الانجيل (٣) بجبل (ساعير) •

ومثل هذا كما (٤) نقل في (٥) نبوة (حبقوق) (٦) أنه قال : جاء الله من التيمن (٧) ، وظهر القدس (٨) على جبال (فاران) وامتلأت الأرض من تحميد (أحمد) وملك بيمينه رقاب الأمم ، وأنارت الأرض لنوره ، وحملت خيله في البحر (٩) •

---

(١) مابين النجمتين بمقدار سطرين أو أكثر سقط من ك •

(٢) في ك و ط (فإن) •

(٣) سقطت جملة (بجبل الطور ، وبشارة الانجيل) من أ واثباته أجود •

(٤) في ك و ط (ماء) •

(٥) في ك و ط (عن) •

(٦) اسم عبري معناه " يعانق " ،أوربما اسم نبات حديقة ، وهو نبي في يهوذا ، ويستفاد من المزمور المنسوب له أنه كان من سبط لاوي •وأنه أحد المغنين في الهيكل • قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢٨٧ •

(٧) اسم عبري معناه : اليمنين أو الجنوبي أو الصحراء الجنوبية • المصدرالسابق :٢٢٨

(٨) القدس : يراد به موضع ظهور مجده ـ تعالى ـ للشعب. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٧١٨ •

(٩) انظر سفر حبقوق ، الاصحاح الثالث ، ٣ ـ ٨ ، العهد القديم : ١٠٤٦ •

ومن ذلك مافي التوراة [١] التي بأيديهم في السفر الأول منها ، وهي خمسة أسفار في الفصل التاسع في قصة هاجر ، لما فارقت سارة وخاطبها المَلَك [٢] فقال : " ياهاجر من أين أقبلت وإلى أين تريدين " .فلما شرحت له الحال قال : ارجعي فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لايُحْصَوْنَ ، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا تسميه [٣] اسماعيل ، لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك ، وولدك يكون وحشي [٤] الناس ، ويكون يده فوق الجميع ، ويد الكل به ، ويكون [٥] على تَخوم [٦] جميع اخوته [٧] .

---

(١) التوراة : لفظ عبراني معناه : التعليم والشريعة ، وهو الكتاب الذي أنزله الله على موسى – عليه السلام – ويطلق – تجوزا – على مجموع كتب العهد القديم والكتب الملحقة بها وهى ٣٩ سفرا.انظر مقارنة الأديان:اليهودية : ٢٣٨ – ٢٤٠ د . أحمد شلبي ، ط ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٨م ، والبحر المحيط ٢ : ٣٧٠ .

(٢) وهو المِلاك وجمعه ملائكة ، والكلمة الأصلية في كل من العبرانية واليونانية المترجمة بملاك يراد بها رسول ، حيث تشير إلى اناس لا إلى أرواح سماوية،غير أنه في أكثر الأماكن يشار بها إلى أرواح خادمة مرسلة للخدمة من أجل العتيدين ... قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٩٢٠.

(٣) في ك (سميته) وفي ط (تسميته) .

(٤) في الترجمة الحالية: وأنه يكون انسانا وحشيا " . في الموضع المذكورهنا.

(٤) في ط : (وحي) .

(٥) في ك و ط زيادة : (مسكنه) .

(٦) التخوم : هو صف من الأشجار أو كومة من الحجارة توضع على زوايا الحقل . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢١٣ .

(٧) انظر سفر التكوين ، الاصحاح السادس عشر ١١ – ١٢ ، العهدالقديم : ٢٣.

قال المستخرجون لهذه البشارة : معلوم أن يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن فوق أيدي بني اسحاق ، بل كان في بني اسحاق النبوة والكتاب ، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب ، فلم يكن لبني اسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى ، وكانوا مع موسى (١) أعز أهل الأرض ، لم يكن لأحد عليهم يد ، ثم (٢) مع (يوشع) بعده إلى زمن داود ، وملك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله ، وسُلط عليهم بعد ذلك (بخت نصر) ، فلم يكن لبني اسماعيل عليهم يد (٣) ، ثم بعث المسيح وخَرَّب بيت المقدس الخراب الثاني (٤) ، حيث أفسدوا في الأرض مرتين ، ومن حينئذ زال ملكهم وقَطّعهم الله في الأرض أمما ، وكانوا تحت حكم الروم والفرس (٥) لم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم ، فلم يكن لولد اسماعيل سلطان على أحد من الأمم ، لا أهل الكتاب ولا الأميين ، فلم يكن يد ولد اسماعيل فوق الجميع ، حتى بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي دعا به ابراهيم واسماعيل حيث قالا (٦) : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك انت العزيز الحكيم (٧) ﴾ .

---

(١) لم يرد اسم (موسى) في أ . وقد أثبتناه من ك و ط .

(٢) سقطت (ثم) من أ .

(٣) في ك و ط (أمر) .

(٤) وكان ذلك في سنة ٧٠ ميلادية ، حيث أخذ القائد " تيطس " الروماني المدينة ، وأحرق الهيكل ، وباع كثيرين من شعبها في السبي ، عندما ثار اليهود على روما . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٣٥ .

(٥) في ك وط زياد (والقبط و).

(٦) في أ (قال) والاولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) سورة البقرة : ١٢٩.

فلما بعث ، صار (١) يد ولد اسماعيل فوق الجميع ، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم ، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم ، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين . فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة " وتكون يده فوق الجميع ، ويد الكل به " وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر .

فإن قيل : هذه بشارة بملكه وظهوره ؟ . قيل : الملك ملكان ، ملك ليس فيه دعوى نبوة ، وهذا لم يكن لبني اسماعيل على الجميع ، وملك صدر عن دعوى نبوة . فإن كان مدعي النبوة كاذبا ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي اليّ ولم يوح اليه شيء ﴾ (٢) ، وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم ، وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يَدَّعَ نبوة ك (بختنصر) و (سنجاريب) .

ومعلوم أن الاخبار بهذا لايكون بشارة ، ولاتفرح سارة وابراهيم بهذا ، كما لو قيل : يكون جبارا طاغيا ، يقهر الناس على طاعته ، ويقتلهم ،ويسبى حريمهم ، ويأخذ أموالهم بالباطل " فإن الاخبار بهذا لايكون بشارة ،ولا يسَرّ (٣) المخبَر بذلك ، وإنما يكون بشارة تسره إذا كان ذلك (٤) يعدل،وكان علوه محمودا لااثم فيه ، وذلك في (٥) مدعي النبوة لايكون الا وهو (٦) صادق لا كاذب .

---

(١) في ك و ط (صارت) .

(٢) سورة الأنعام : ٩٣ .

(٣) في ط (بشر) .

(٤) أي صاحب السلطان من ولد اسماعيل .

(٥) في ك و ط (من) .

(٦) سقطت (وهو) من أ .

فصل

(بشارة من الزبور وتفسيرها)

وقال داود في الزبور في قوله: " سبحوا الله تسبيحا جديدا، وليفرح بالخالق من أصطفى الله له [1] أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على [2] مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين [3]، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه [4] ".

وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد ـ صلى الله عليه وسلم [5] ـ وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة، في أذانهم للصلوات الخمس، وعلى الأماكن العالية، كما قال جابر

---

(١) في ك (من) بدلا من (له).

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ (عن)، و (على) أولى وأظهر.

(٣) مفردة شفرة: وهي حد السيف. ترتيب القاموس ٢ : ٧٢٩ .

(٤) وهو في الترجمة الحالية من سفر المزامير. المزمور التاسع والأربعين بعد المائة وهو تسع فقرات، ونصه:" هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحته في جماعة الأتقياء، ليفرح أسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا أسمه برقص، بدف وعود ليرنموا له، لأن الرب راض عن شعبه، يُجَمِّل الودعاء بالخلاص، ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم، ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب، كرامة هذا الجميع أتقيائه، هللويا." العهد القديم : ٧٣٦ .

(٥) ليس في أ الجملة الدعائية.

ابن عبد الله: « كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ علونا كَبَّرنا ، وإذا هبطنا سَبَّحنا ، فوضعت الصلاة على ذلك » رواه أبو داود وغيره (١) ، وفي الصحيحين عن ابن عمر(٢) قال: « كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا قفل من الجيوش ، أو السرايا ، أو الحج ، أو العمرة . إذا أوفى على ثنية أو فَدْفَد(٣) . كبر ثلاثا ، ثم قال : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده"(٤) .

---

(١) في ك و ط : (البخاري) .

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا سافر ، ٣ : ٣٣ (٢٥٩٩) وإسناده معضل ، كما نقل عبد القادر الأرناؤوط عن ابن علان عن الحافظ في (أمالي الأذكار) . أنظر جامع الأصول ٢ : ٥٧١ – ٥٧٢ (١٠٥٠) .

(٢) في أ سَقْط في حدود صفحة ، يبدأ من هنا ، حيث جاء فيها بعدها جملة : (... عن النبي – صلى الله عليه وسلم –) ، ثم أشار بعد هذا الى وجود سقط ينوي إثباته في الهامش بهذا الرمز ⌐ ولكنه لم يثبت شيئا ، وقدر رجّحنا أنه الموجود في ك و ط ، حيث جاء فيها : وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ، بدل قوله في أ : وفي الصحيحين عن ابن عمر ...) ، وسأشير الى نهاية السقط في موضعه القادم – ان شاء الله – .

(٣) الفدفد : هو الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع ، وقيل هو الفلاة التي لا شيء فيها ، وقيل غليظ الأرض ذات الحصى ، وقيل : الجَلَد من الأرض – أي الصلبة المستوية المتن – في ارتفاع ، وجمعه : فدافد . صحيح مسلم بشرح النووي ٩ : ١١٣ م ٥ .

(٤) رواه مسلم ، واللفظ له ، كتاب الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره ، ٢ : ٩٨ (١٣٤٤) ، ورواه البخاري ، كتاب العمرة ، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو ، ٣ : ٦١٨ – ٦١٩ (١٧٩٧) من فتح الباري .

وفي صحيح البخاري عن أنس قال : " صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن معه بالمدينة - الظهر أربعا ، والعصر بذي الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء (١)، حمد الله وسبح وكبر ، ثم أَهَلَّ بعمرة وحج (٢)" وذكر الحديث .

وعن أبي هريرة : أن رجلا قال : يارسول الله ، إني أريد أن أسافر فأوصني . قال : " عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٣)" . فلما أن ولّى الرجل قال : "اللهم أطوله البعد (٤)، وهَوِّن عليه السفر" رواه الإمام أحمد (٥) والترمذى (٦) والنسائي (٧).

---

(١) البيداء اسم لأرض ملساء ، بين مكة والمدينة ، وهي إلى مكة أقرب . تُعَدُّ من الشرق أمام ذي الحليفة . معجم البلدان ١ : ٥٢٣ .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الحج ، باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال ... ، ٣ : ٤١١ (١٥٥١).

(٣) الشرف : هو المكان العالي . ترتيب القاموس ٢ : ٧٠٠ .

(٤) طوى الله البعد لنا : قرَّبه . ترتيب القاموس ٣ : ١١٤ .

(٥) المسند للأمام أحمد ، ٢ : ٣٣١ و ٤٤٣ .

(٦) كتاب الدعوات باب ٤٦ ، ٥ : ٥٠٠ (٣٤٤٥) وقال :" هذا حديث حسن".

(٦) هو محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى صاحب الجامع ، أحد الأئمة ، ثقة حافظ ، من الطبقة الثانية عشرة ، مات سنة ٢٧٩ هـ ، تقريب ٢ : ١٩٨ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٢٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٧٠ - ٢٧٧ .

(٧) طلبت الحديث عند النسائي في السنن الكبرى فلم أعثر عليه .

(٧) ورواه الحاكم في المستدرك ، كتاب الجهاد ، التكبير على كل شرف في السفر ، ٢ : ٩٨ ، وقال :" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، و رمز له الذهبي (م). أي بالموافقة .

(٧) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبدالرحمن النَّسائي - بفتح النون - قرية بخراسان - ويقال أيضا : النسوي ، الحافظ صاحب السنن ، مات سنة ٣٠٣ هـ ، وله ٨٨ سنة . تقريب ١ : ١٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٤ : ١٢٥ ، وطبقات الحفاظ : ٣٠٦ .

وروى ابن ماجه [١] منه [٢] " أوصيك بتقوى الله ، والتكبير على كل شرف [٣]" ، وروى أبو داود وغيره باسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وجيوشه إذا علوا شرفا [٣] كبروا ، وأذا هبطوا ، سبحوا "[٤].

وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم ، عيد الفطر ، وعيد النحر: في الصلاة والخطبة ، وفي ذهابهم إلى الصلاة [٥] ، وفي أيام (منى) [٦] الحجاج ، وسائر أهل الأمصار [٧] يكبرون عقيب الصلوات فامام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير [٨].

---

(١) هو أبو عبد الله ، محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني ، صاحب السنن ، أحد الأئمة ، حافظ صنف السنن والتفسير والتاريخ ، مات سنة ٢٧٣ هـ ، وله ٦٤ سنة . سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٧٧ - ٢٨١ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٢٧٩ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٢٠ .

(٢) في ط (عنه) .

(٢) سنن ابن ماجه ، أبواب الجهاد ، باب فضل الحرس والتكبير ، ٢ : ١٣٠ (٢٧٩٧) وقد قال الترمذي : هذا حديث حسن عندما خرجه برقم ٣٤٤٥ .

(٣) في ك رسم بدلا من (شرفا) هذا الرسم (الثنا) .

(٤) رواه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا سافر ، ٣ : ٣٣ (٢٥٩٩) ، رواه البخاري بمعناه ، عن جابر - رضي الله عنه - وعن ابن عمر ، كتاب الجهاد والسير ، باب التسبيح إذا هبطوا، وباب التكبير إذا علا شرفا ، ٦ : ١٣٥ (٢٩٩٣ - ٢٩٩٥) من الفتح ، وأخرجه الإمام أحمد بمعناه - أيضا - كما في المسند ٤ : ٤٠٢ ، ورواه الدارمي في سننه كتاب الاستئذان ، باب ما يقول عند الصعود والهبوط ، ٢ : ٢٨٨ .

(٥) في ك و ط زيادة : (موضع) .

(٦) " منى " في دَرَج (طريق) الوادى الذى ينزله الحاج ، ويرمي فيه الجمار من الحرم ، سمي بذلك لما يُمنى (يراق) فيه من الدماء ، وحَدُّه من مهبط العقبة الى وادي مُحَسِّر ، وعليه أعلام منصوبة ، وهو في داخل الحرم،وبينه وبين مكة ثلاثة أميال . أنظر مراصد الأطلاع ٢ : ١٣١٢ - ١٣١٣ .

(٧) مفرده : مصر وهو المدينة . مختار الصحاح : ٦٢٥ .

(٨) في ط (الحمد والتكبير) .

وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب : أنه كان يكبر (١) بمنى ، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره ، فيسمعهم أهل الأسواق فيكبرون ، حتى تَرْتَجّ (٢) منى تكبيرا (٣).

(٤) وكان ابن عمر وابن عباس يخرجان إلى السوق أيام العشر ، فيكبران ، ويكبر الناس بتكبيرهما (٥). ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم (٦) ، كما كان نبيهم يقول عند الذبح : ﴿ بسم الله والله أكبر (٧) ﴾

---

(١) في ك و ط زيادة : (في قبة).

(٢) ترتج : أي تضطرب وتتحرك ، وهي مبالغة في اجتماع رفع الأصوات . فتح الباري ٢ : ٤٦٢ .

(٣) رواه البخاري معلقا ، كتاب العيدين ، باب التكبير أيام منى ... ، ٢ : ٤٦١ - ٤٦٢ . من فتح الباري ، قال ابن حجر : وصله سعيد بن منصور من رواية عبيد بن عمير ، ووصله أبو عبيد من وجه آخر بلفظ التعليق ، ومن طريقه البيهقي .

(٤) في ك و ط زيادة : (وقال).

(٥) أخرجه البخاري تعليقا ، كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق ٢ : ٤٥٧ - ٤٥٨ . من فتح الباري ، قال ابن حجر : لم أره - أي هذا الأثر - موصولا عنهما ، وقد ذكره البيهقي - أيضا - معلقا عنهما ، وكذا البغوي .

(٦) القرابين : جمع قربان : وهو ما يتقرب به الى الله -تعالى- ، والهدي ما أهدى الى مكة ، والضحايا : جمع أضحية : وهو ذبح بهيمة الأنعام ، في وقت مخصوص . تقربا الى الله - سبحانه - وأصل تسميتها من الضُّحى وهو أول النهار . انظر ترتيب القاموس ٣ : ٥٧٩ و ١٤-١٥ و ٤ : ٤٩٤ وأنظر الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ١ : ٤٧٠-٤٧٥ لأبي محمد ، موفق الدين ، عبد الله بن قدامة المقدسي - ٦٢٠ هـ ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

(٧) رواه البخاري ، كتاب الأضاحي ، باب التكبير عند الذبح ، ١٠ : ٢٣ (٥٥٦٥) بمعناه ، ورواه مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب استحباب التضحية .. ، ٣ : ١٥٥٦ (١٩٦٦).

ويكبرون اذا رموا الجمار [١]، ويكبرون على [٢] الصفا والمروة ، ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن [٣] ، وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير ما يسرونه.

قال – تعالى – لما ذكر صوم رمضان الذى يقيمون له عيد الفطر –: قال – تعالى [٤] –: ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾[٥] [٦] ولما ذكر الهدى الذى يُقَرَّبُ في عيد النحر ، وهو يوم الحج الأكبر قال –: [٧]﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ﴾ [٨] والنصارى يسمون عيد المسلمين " عيد الله أكبر " [٩] لظهور التكبير فيه ، وليس هذا لأحد من الامم: [١٠] أهل الكتاب ، ولا غيرهم – غير المسلمين – وإنما كان موسى يجمع بني اسرائيل

---

(١) الجمار : مفردها جمرة ، ومعناها الحصاة ، وهي موضع رمي الجمار بمنى بمكة – شرفها الله – تعالى – . أنظر معجم البلدان ٢ : ١٦٢.

(٢) في ط (عند).

(٣) الركن : هو الركن الشرقي .. موضع الحجر الأسود عند باب الكعبة المعظمة. أنظر المصدر السابق ٤ : ٤٦٤ .

(٤) ليس في ط (قال تعالى).

(٥) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٦) في ك و ط زيادة : (قال).

(٧) البدن : الإبل السمينة ، سميت بدنا لبدانتها وضخامة أجسامها ، وشعائر الله : أى من أعلام الشريعة ، وصواف : أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن . ووجبت جنوبها : أى سقطت على الأرض بعد نحرها ، وهو كناية عن الموت ، والقانع : المتعفف ، والمعتر : السائل . صفوة التفاسير ١٧ : ٢٩٠ .

(٨) سورة الحج : ٣٦ – ٣٧ .

(٩) في ط (الأكبر).

(١٠) في ك و ط زيادة : (لا).

بالبوق [(١)]، والنصارى لهم [(٢)] الناقوس [(٣)].

وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة ، فإنما هو شعائر [(٤)] المسلمين ، فإن الأذان شعار المسلمين ، وبهذا يظهر تقصير [(٥)] من فسر ذلك بتلبية الحجاج .

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أنه كان إذا أراد الإغارة إن سمع أذانا أو رأى مسجدا وإلا أغار [(٦)] " .

وفي لفظ مسلم " كان يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الأذان ، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار " ، فسمع رجلا يقول : الله أكبر الله أكبر ، فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " على الفطرة " ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقال : " خرجت من النار " [(٧)] .

---

(١) البوق : آلة موسيقية على هيئة القرن ، كانوا ينفخون فيها في الأعياد ، وفي الأعلام بالحرب ، وما أشبه ذلك . وكانت أبواق الكهنة من الفضة . وعندهم عيد الأبواق : وهو أول يوم من أكتوبر (تشرين الأول) ، وسمته الحاخامية : يوم ميلاد العالم ، وفيه كانوا يبوقون بالأبواق ، إلا اذا وقع العيد يوم السبت . أنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٩٥ .

(٢) في ك و ط (شعارهم) .

(٣) هو الذى يضربه النصارى لأوقات صلاتهم : خشبة كبيرة طويلة ، وأخرى قصيرة ، واسمها الوبيل . ترتيب القاموس ٤ : ٤٢٦ .

(٤) في ك و ط : (شعار) .

(٥) هكذا في ط ، و قد سقطت من أ و ك (تقصير) ولا يستقيم الكلام بدونها فلذلك أثبتناها .

(٦) رواه البخاري بمعناه ، كتاب الأذان ، باب ما يحقن بالأذان من الدماء ، ٢ : ٨٩ (٦١٠) من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الامساك عن الأغارة ... ، ١ : ٢٨٨ (٣٨٢) .

(٦) سقطت الألف من (أغار) في أ ، وقد صوبناها من الصحيح ، وفي ك و ط : إذا غزا أقواما لم يغز حتى يصبح ، فإذا سمع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار بعدما يصبح " .

(٧) هذا اللفظ ليس في أ ، وقد أثبتناه من ك و ط ، وهو عند مسلم في كتاب الصلاة ، باب الامساك عن الاغارة ... ، ١ : ٢٨٨ (٣٨٢) .

*وكذلك قوله : " بأيديهم سيوف ذات شفرتين " وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد ، وقوله : " يسبحونه على مضاجعهم " بيان لنعت المؤمنين ،الذين يذكرون الله ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويصلي (١) أحدهم قائما ، فان لم يستطع فقاعدا ، فان لم يستطع ، فعلى جنب ، فلا يتركون ذكر الله في حال ، بل يذكرونه حتى في هذه الحال ، ويصلون في البيوت على المضاجع (٢) . بخلاف أهل الكتاب .

والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله – تعالى – : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴿ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ (٣) وقوله : ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ (٤) .

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله (٥) قال : " كنا جلوسا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذ نظر (٦) القمر ليلة البدر فقال :" إنكم

---

* في ك و ط زيادة : " وعن عصام المزني قال : كان النبي – صلى الله عليه وسلم – اذا بعث السرية يقول :" اذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مناديا فلا تقتلوا أحدا " . رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه " .

(١) في ك و ط زيادة (الفرض) .

(٢) كلمة (المضاجع) منطمسة في ك .

(٣) سورة الروم : ١٧ – ١٨ .

(٤) سورة طه : ١٣٠ .

(٥) هو : ابن جابر – وهو الشَّليل – ابن مالك بن نصر بن ثعلبة ، ينتهي نسبه الى أنمار بن إراس ، أبو عمرو ، وقيل : أبو عبد الله ، البجلي ، أسلم قبل وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأربعين يوما ، وكان حسن الصورة وروي عن عمر " جرير يوسف هذه الأمة " . مات في قَرْقيسياء سنة ٥١ هـ . أسد الغابة ١ : ٣٣٤ . سير أعلام النبلاء ٢: ٥٣٠ – ٥٣٧ .

(٦) في ك و ط زيادة (الى) .

ستروون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون [١] في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة [٢] قبل غروبها فافعلوا * ثم قرأ قوله تعالى : * فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها * [٣] ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * [٤] وهذا معنى قول داود : سبحوا الله تسبيحا جديدا [٥]، والتسابيح التي شرعها الله جديدا: كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديدا. ولما أقامها جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " هذا وقتك ، ووقت الأنبياء قبلك " [٦].

فكان الأنبياء يسبحون في هذه الأوقات ، كما يدل [٧] التسبيح المقدم ، والتسبيح الجديد [٨] كما يدل عليه سائر الكلام . ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارى ، لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة ، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، لينتقم الله بهم من الأمم ، بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين مع الأمم ، [٩] لم يكونوا يجاهدونهم بالسيف ، بل النصارى قد تعيب من يقاتل الكفار بالسيف .

---

(١) تُضَامون : أي لا يحصل لكم ضيم حينئذ ، وروى-بفتح أوله والتشديد- من الضم ، والمراد نفي الأزدحام . فتح الباري ٢ : ٣٣ .

(٢) سقطت كلمة (صلاة) الثانية من ك و ط .

(٣) ما بين النجمتين لم يرد في ك و ط .

(٤) سورة طه : ١٣٠ .

(٥) في ك و ط زيادة : (يعنى) .

(٦) رواه أبو داود بلفظ : " يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك .. .. " كتاب الصلاة ، باب في المواقيت ، ١ : ١٠٧ (٣٩٣) ، والترمذي بلفظ أبي داود ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في مواقيت الصلاة ... ، ١ : ٢٧٨ - ٢٨٠ (١٤٩) قال أبو عيسى :"حديث ابن عباس حديث حسن صحيح". وأصل الحديث في الصحيحين عند البخاري برقم (٥٢١) بلفظ : " بهذا أمرت ... وعند مسلم برقم (٦١٠).

(٧) في ك و ط (وذلك هو).

(٨) في ك و ط: زيادة (للمسلمين).

(٩) في ك و ط (ولم .. ..).

ومنهم من يجعل هذا من معايب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [1] وأمته ، ويغفلون ما [2] عندهم من أن [3] الله أمر موسى بقتال الكفار ، فقاتلهم بنو أسرائيل بأمره ، وقاتلهم يوشع [4] ، وداود وغيرهما من الأنبياء ، وأبراهيم الخليل قاتل ، لدفع الظلم عن أصحابه .

---

(١) ليس في أ الجملة الدعائية .

(٢) في ك و ط (عما) .

(٣) في أ كرر الناسخ (أن) مرتين .

(٤) ويقال : هوشع ، وهو اسم عبري معناه : الخلاص ، وهو ابن نون بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليهم السلام ـ وأهل الكتاب يقولون : يوشع ابن عم هود . وهو فتى موسى المشار اليه في القرآن الكريم في سورة الكهف : ٦٠ ـ ٦٢ ، وقد تولى أمر بني أسرائيل بعد موسى وهارون مدة ٢٧ سنة ، ومات وله ١٢٦ سنة . أنظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٤٣٥ ـ ٤٤٢ ، والبداية والنهاية ١ : ٣١٩ ـ ٣٢٥ ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٠٥ .

فصل

(بشارة أخرى من الزبور)

(١) وقال داود في مزاميره – وهي الزبور –:
من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد ، فتقلد (٢) – أيها الجبار – بالسيف ، لأن البهاء لوجهك ، والحمد الغالب عليك ، أركب كلمة الحق وسمة التأله (٣)، فأن ناموسك وشرائعك مقرونة (٤) بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك (٥).

---

(١) في ك و ط زيادة : (قالوا).

(٢) تقلد السيف : وضع سيفه في علبته ووضعها على أحد منكبيه. ترتيب القاموس ٣ : ٦٧٤ .

(٣) سمة التأله : أي طريق التنسك والتعبد. مختار الصحاح : ٢٣ و ٣١٢ .

(٤) في ك و ط (لهيبة).

(٥) نص الترجمة الحالية : " فاض قلبي بكلام صالح ، متكلم أنا بانشائي للملك ، لساني قلم كاتب ماهر ، أنت أبرع جمالا من بني البشر ، أنسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على فخذك – أيها الجبار – ، جلالك وبهاءك ، وبجلالك أقتحم ، أركب من أجل الحق والدعة والبر ، فتريك يمينك مخاوف ، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون". سفر المزامير المزمور الخامس والأربعين : ١ – ٥ العهد القديم : ٦٧٢ .

قالوا [١] : فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود ، سوى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الذى خرت الأمم تحته ، وقرنت شرائعه بالهيبة ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - " نصرت بالرعب مسيرة شهر " [٢]. وقد أخبر داود أن له ناموسا وشرائع ، وخاطبه بلفظ الجبار ، أشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله ، بخلاف المستضعف المقهور.

وهو - صلى الله عليه وسلم - نبى الرحمة ، ونبى الملحمة [٣] . وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين . بخلاف من كان ذليلا للطائفتين ، من النصارى المقهورين مع الكفار ، أو كان عزيزا على المؤمنين من اليهود ، بل كان مستكبرا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا.

---

(١) في أ (قال) ، وقد أثبتنا ما في ك و ط لأن المقصود هم : العلماء .

(٢) رواه البخاري ، كتاب التيمم ، باب حدثنا عبد الله بن يوسف ... ، ١ : ٤٣٥ - ٤٣٦ (٣٣٥) من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المقدمة ١ : ٣٧٠ (٥٢١) ولفظه : " نصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر " .

(٣) المَلْحَمَة : القتال . المصباح : ٥٥١ .

فصــل

(بشارة ثالثــة مــن داود ـ عليه السلام)

قالوا : وقال داود في مزمور له : " إن ربنــا عظيم محمود جدا " [١] وفي ترجمته [٢] : " إلهنــا قدوس [٣] ، ومحمد قد عمّ الأرض كلها فرحا ". قالوا : فقد نص [٤] داود على أسم محمد وبلده ، وسماها قرية الله ، وأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها .

---

(١) في الترجمة الحالية : " رنموا للرب ، باركوا أسمه ، بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه ، حدثوا بين الأمم بمجده .. بين جميع الشعوب بعجائبه . لأن الرب عظيم وحميد جدا ". سفر المزامير ، المزمور السادس والتسعون ٢ ـ ٤ . العهد القديم : ٧٠٤ .

(٢) في ك و ط (ترجمة) .

(٣) القدوس : هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لايليق به ، وقيل : هو الذي كثرت بركته . تفسير الخازن بذيل صحائف البيضاوي ٦ : ٢٤٣ .

(٤) النَّصُ على الشيء : التعيين عليه . ترتيب القاموس ٤ : ٣٨٢ .

قلت : قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو ، وروى أنه[١] عبد الله بن سلام[٢] " أخبرنا ببعض صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوراة " فقال : " انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن "[٣]. وذكر صفته موجودة في نبوة أشعياء ، وليست موجودة في نفس كتاب موسى[٤].

وتقدم أن لفظ التوراة ، يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب[٥] لا يخصون بذلك كتاب موسى .

---

(١) سقطت (أنه) من أ .

(٢) في ك و ط زيادة : (في غير البخاري) .

(٢) تقدم ص : ٢٣٥ ، والرواية عن عبد الله بن سلام ، أخرجها الدرامي ، باب صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الكتب ... ، ١٠ : ٥ والبيهقي الدلائل ، ١ : ٣٧٦ .

(٢) هو الأسرائيلي ، أبو يوسف ، حليف بني الخزوج ، قيل كان أسمه (الحصين) فسماه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : عبد الله ، مشهور ، له أحاديث وفضل . مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ ، تقريب ١ : ٤٢٢ . وأسد الغابة ٣ : ١٦٠ .

(٣) سفر أشعياء ، الأصحاح الثاني والأربعون ، ١ ـ ٢٠ ، العهد القديم: ٨٢٢ وفيه :"هُوَذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه ، فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته"... الخ .

(٤) كتاب موسى : هي سفر التكوين ، والخروج ، واللاويين ، والعدد ، والتثنية ـ هذه الأسفار الخمسة وتسمى (الناموس) ـ فيما يظن ـ وهي في أول العهد القديم : ٧ ـ ٢٦٣ . وأنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٤٢٢ .

(٥) في ك و ط زيادة : (وكذلك ما يوجد كثيرا من قول كعب الأحبار وغيره . ممن ينقل عن أهل الكتاب :" قرأت في التوراة " انما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب)

وإذا كان هذا معروفا عندهم ، في التوراة والأنجيل [١] ، يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند أهل الكتاب ، يتناول [٢] ذلك كتاب موسى ، وزبور داود ، وصحف سائر الأنبياء ، سوى الأنجيل ، فإنه ليس عند أهل الكتاب ، وإنما هو عند النصارى خاصة .

وأما سائر كتب الأنبياء ، فالأُمَّتان تَقِرُّ بها [٣] ويؤيد ذلك أن الله كثيرا ما يَقْرن [٤] في القرآن بين التوراة والأنجيل وبين القرآن [٥]، وإنما يذكر الزبور مفردا ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ آلم الله لا اله الا هو الحي القيوم [٦]﴾ نَزَّلَ عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والأنجيل ﴿ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ... ﴾ [٧] وقوله : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والأنجيل والقرآن ... ﴾ [٨] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأنجيل .. ﴾ [٩] وأهل الكتاب [١٠] يجدونه مكتوبا في الكتب التي بأيديهم ، وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة .

---

(١) في ك و ط زيادة : « وقد خوطبوا بهذه اللغة ، فإن قوله ـ تعالى ـ في القرآن : ﴿ يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأنجيل ﴾ .

(٢) في ك و ط : (فيتناول) .

(٣) في ط (يقران بها) .

(٤) يَقْرن : يجمع بين شيئين . المصباح : ٥٠٠ .

(٥) كلمة (بين القرآن) لم ترد في ك و لا ط .

(٦) هذه الآية الكريمة لم ترد في أ ، واثباتها أولى .

(٧) سورة آل عمران : ١ ـ ٤ .

(٨) سورة التوبة : ١١١ .

(٩) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(١٠) في ك (القرآن) .

فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب ، فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب . ومعلوم أن الله أراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب ، واقامة الحجة بذكره فيها. فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر وأظهر عندهم ، كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى . فإذا حمل لفظ التوراة في هذا على جنس الكتب ، كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين ، كان هذا في غاية البيان والمدح للقرآن والكتب المتقدمة ، وتصديق بعضها بعضا.

وقد أمرنا أن نؤمن بما أوتي النبيون مطلقا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (١) وقال : ﴿ ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... ﴾ (٢) والزبور ذَكَره مفردا في موضعين من القرآن في قوله : ﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾ (٣) وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ (٤) فذكره مفردا.

وذَكَر كتاب موسى بهذه الاضافة ، لا بلفظ التوراة في غير موضع فقال:

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٣) سورة النساء : ١٦٣ .

(٤) سورة الأسراء: ٥٥ .

﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه (١) ومن قبله كتاب موسى أماما ورحمة أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ... ﴾ (٢) وقال : ﴿ قل أرأيتم أن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني أسرائيل على مثله ، فآمن واستكبرتم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الى قوله (٣) : ﴿ ... ومن قبله كتاب موسى أماما ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾ (٤) وقال - تعالى - : ﴿ وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء قل : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ... ﴾ (٥).

---

(١) أي وجاء شاهد من الله وهو ما أوحاه الى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد - طلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين - ولهذا قال ابن عباس وغيره : انه جبريل-عليه السلام - . وعن علي و غيره : هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وكلاهما قريب في المعنى . لأن كلا من جبريل ومحمد - عليهما السلام - بلغ رسالة الله - تعالى - ، فجبريل الى محمد ، ومحمد الى الأمة . تفسير القرآن العظيم ٤ : ٢٤٥ .

(٢) سورة هود : ١٧ .

(٣) هكذا في ك و ط ، ولم ترد في أ ، وأثباتها أولى حيث لم ترد الآية رقم ١١ .

(٤) سورة الأحقاف : ١٠ و ١٢ .

(٥) سورة الأنعام : ٩١ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن ﴾ [1].
واذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب الذي [2] عند أهل الكتابين [3] جميعا ، والزبور [4] وغيره داخل في هذا الأسم [5]، وكان ظهور أسمه ونعته في التوراة ، ووجودهم ذلك فيما عندهم ، وتكرره في غاية القوة ، وكان معرفتهم لذلك كما يعرفون أبناءهم واضحا بينا ، [6] ان قدر [7] هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يكتم منها شيء بل هي باقية كما كانت .

---

(١) أي آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه ، تماما كاملا جامعا لجميع ما يحتاج إليه في شريعته ، جزاء على أحسانه في العمل . وقيامه بأوامر الله وطاعته . تفسير القرآن العظيم ٣ : ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(١) سورة الأنعام : ١٥٤ .

(٢) في و ط (التي).

(٣) في ك و ط (الكتاب)

(٤) لم ترد كلمة (الزبور) في ط .

(٥) في ك و ط بدون عطف .

(٦) هنا عطف بالواو في ك و ط .

(٧) في ك و ط زيادة : (أن).

فصل

(بشارة رابعة من داود ـ عليه السلام ـ)

وقالوا : قال داود في مزموره « لترتاح البوادي وقراها ، ولتَصِرْ [1] أرض (قيذار) [2] مروجا [3] ، وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل [4] الجبال بحمد الرب ، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر » [5].

[6] فلمن البوادي من الأمم سوى أمة محمد ، ومَنْ (قيذار) ، سوى ابن أسماعيل جد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومَنْ سكان الكهوف وتلك الجبال سوى العرب ؟

---

(١) في ك (لتنصر).

(٢) هو ابن أسماعيل بن أبراهيم ، خليل الرحمن ـ عليهما السلام ـ وأمه : السيدة بنت مُضَاحن بن عمرو الجُرْهمي ، وله من الأخوة أحد عشر هم : نابت وأدبيل ومبشا ومسمع ودما وماس وأدد وطور ونفيس وطما وقيدمان . ومن نابت وقيدر نشر الله العرب . تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣١٤ .

(٣) المروج : مفرده : مرج، وهو الموضع ترعى فيه الدواب . ترتيب القاموس ٤ : ٢٢٢ .

(٤) مفردها : قُلَّة : وهي أعلى الجبل . مختار الصحاح : ٥٤٩ .

(٥) وجدناه في سفر آشعيا ، الأصحاح الخامس : ٢٦ ـ ٢٨ ، والأصحاح الرابع والخمسون : ١ ـ ١٧ . العهد القديم : ٧٨٧ و ٨٢٥ ـ ٨٢٦ . بالمعنى في الترجمة الحالية .

(٦) في ك و ط زيادة : (قالوا).

فصل

(بشارة خامسة من داود ـ عليه السلام)

(١) قال داود في مزمور له " ويحوز (٢) من البحر الى البحر ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، ويخر (٣) أهل الجزائر بين يديه ، ويلحس أعداؤه التراب ، ويسجد له ملوك الفرس ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويرأف بالمساكين والضعفاء ، ويُصَلَّى عليه ويبارك في كل حين " (٤).

---

(١) في ك و ط زيادة : (قالوا وقال).

(٢) في ك وط (يجوز) بالجيم.

(٣) في ك و ط (بحر).

(٤) في الترجمة الحالية ما نصه : " ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض ، أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب ، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تَقْدُمَة . ملوك شبا وسباء يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له ، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين ، إذ لا معين له . يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف ، يفدى أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه ، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا . يُصَلى لأجله دائما . اليوم كله يباركه ". سفر المزامير ، المزمور الثاني والسبعون ، ٨ ـ ١٥ ، العهد القديم : ٦٨٨ .

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته ، لا على المسيح. فإنه[1] حاز من البحر الرومي[2] إلى البحر الفارسي[3]، ومن لدن الأنهار، بجيحون وسيحون[4]، إلى منقطع الأرض بالمغرب[5]، كما قال : " زويت لي الأرض، مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازُوِيَ لي منها[6] ".

وهو يُصلى عليه ويبارك في كل حين . في كل صلاة في الصلوات الخمس وغيرها ، يقول كل من أمته : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد . فيُصلى عليه ويُبارك .

---

(١) في ك و ط (فإن محمدا).

(٢) ويسمى (بحر المغرب) تطل عليه بلاد المغرب ومصر والشام من جهة الجنوب وبلدان الأندلس وغيرها من جهة الشمال حتى يتصل ببلاد رومية " قسطنطينية " ، ويسمى الآن (البحر الأبيض المتوسط) . أنظر مراصد الأطلاع ١ : ١٦٦ .

(٣) هو شعبة من بحر الهند الأعظم ، وحده من البر من نواحي مكران إلى عَبّادان ، وهو فوهة دجلة التي تصب فيه ، أول سواحله من جهة البصرة إلى بليدة تسمى " المحورة " في طرف جزيرة عبادان ، وهو الآن " الخليج العربي " وعليه الساحل الشرقي لبلادنا. أنظر مراصد الأطلاع ١ : ١٦٦ .

(٤) في ك و ط (كسيحون وجيحون) .

(٤) جيحون : هو وادي خراسان ، وعليه مدينة اسمها (جيحان) ينسب اليها مخرجه من جبل يقال له آيو ساران ، يتصل بناحية السند والهند وكابل ، وهو عدة أنهار تجتمع فيه ، ويمر بعدة بلاد حتى يتصل إلى خوارزم ، ثم يصب في بحيرة باسم هذا البلد. و " سيحون " نهر مشهور بما وراء النهر ، قرب " خُجَنْد " بعد " سمرقند " وهو يجمد في الشتاء ثلاثة أشهر ، حتى تمشي على جليده القوافل في حدود بلاد الترك . أنظر المصدر السابق ١ : ٣٦٥ و ٢ : ٧٦٤ .

(٥) هو آخر حدود أفريقية من المغرب إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط ــ ومنقطع الشيء حيث ينتهي اليه طرفه. أنظر المصدر السابق ٣ : ١٢٩٣ و المصباح : ٥٠٤ .

(٦) أنظر تخريج الحديث ص : ٢٨٥ .

ومنه [١] خرت أهل الجزائر بين يديه ، أهل جزيرة العرب ، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة ، وأهل جزيرة قبرص [٢] ، وأهل جزيرة [٣] الأندلس [٤].

وخضعت له ملوك الفرس ، فلم يبق منهم الا من أسلم أو أدّى [٥] الجزية عن يدوهم صاغرون . بخلاف ملوك الروم ، فإن فيهم من لم يسلم ويؤدى الجزية فلهذا خص ملوك فارس ، ودانت [٦] له الأمم ، التي [٧] تعرفه وتعرف أمته ، كانت إما مؤمنة به ،أو مسلمة له منافقة ، أو مهادنة مصالحة ، أو خائفة منهم . وأنقذ الضعفاء من الجبارين .

وهذا بخلاف المسيح ، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن ، ولا حازوا [٨] ما ذكر ، ولا صُلّيَ عليه وبورك عليه في اليوم والليلة ، فإن القوم يدّعون إلهيته [٩].

---

(١) في ك و ط (وقد).

(٢) بالصاد أو السين ، وهي جزيرة كبيرة ، شرق البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) ، وهي تعد الثالثة في الكِبَر ، والثانية في القيمة التاريخية والاقتصادية بجانب صقلية . مراصد ٣ : ١٠٦٣ ودائرة معارف وجدي ٧ : ٦٠٣ .

(٣) في ك و ط (جزائر).

(٤) الأندلس : أسم أطلقه المسلمون العرب على كل شبه حزيرة أسبانيا بطريق التغليب ، وهي بلاد كبيرة فيها عامر وغامر (صحراء) ، يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر ... . مراصد ١ : ١٢٣ . ودائرة معارف وجدي ١ : ٦٥٧ .

(٥) في أ (الراوي) وهو خطأ نسخي ظاهر.

(٦) دانت : ذلت وطاعت . ترتيب القاموس ٢ : ٢٤٢ .

(٧) في ك و ط زيادة : (فعامة الأمم). وليس في ك (التي).

(٨) في ك و ط (جازوا) بالجيم.

(٩) في ك و ط (فإن النصارى يدعون الهية المسيح) وفيها بعد ذلك زيادة: (فلا يصلون عليه ، وإنما يصلون له).

فصل

(شهادة من سفر أشعياء ": راكب الحمار وراكب الجمل ")

وقالوا (١) ـ في نبوة أشعياء ـ: قال أشعياء: " قيل (٢) لي قم نظارا ، فانظر ماذا ترى ، فقلت : أرى راكبين مقبلين (٣): أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصحابها للمنحر " (٤).

قالوا: فراكب الحمار هو المسيح ، وراكب الجمل هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار.

وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سقطت أصنام بابل (٥).

---

(١) في أ (وقال : وفي) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) في ك و ط (فقيل).

(٣) في أ (مقبلة).

(٤) في الترجمة الحالية ما نصه: " لأنه هكذا قال لي السيد: أذهب أقم الحارس ، ليخبر بما يرى ، فرأى ركابا أزواج فرسان ، ركاب حمير. ركاب جمال . فأصغى اصغاء شديدا ، ثم صرخ كأسد : أيها السيد ، أنا قائم على المرصد دائما في النهار ، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهو ذا ركاب من الرجال ، أزواج من الفرسان . فأجاب وقال : سقطت بابل ، وجميع تماثيل الهتها المنحوتة ، كسرها إلى الأرض ". سفر أشعياء ، الأصحاح الحادي والعشرون ، ٦ ـ ٩ ، العهد القديم: ٨٠١ .

(٥) سقطت (أصنام) من ك و ط . وجاءت (بابل) في ط هكذا (يابل).

فصل

(بشارة الكتب المتقدمة بالمسيح وبمحمد ، وأنذارها بالدجال)

ومما ينبغي أن يعرف : أن الكتب المتقدمة بشَّرَتْ بالمسيح ، كما بشرت بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكذلك أنذرت بالمسيح الدجال .

والأمم الثلاثة : المسلمون واليهود والنصارى ، متفقون على أن الأنبياء أنذرت بالمسيح الدجال ، وحذرت (١) منه كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح : " ما من نبي الا وقد أنذر أمته المسيح الدجال ، حتى نوح أنذره (٢) أمته وسأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لأمته : إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه : (ك ف ر) ، يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ " (٣).

والأمم (٤) الثلاثة متفقون على أن الأنبياء بشروا بمسيح من ولد داود. فالأمم الثلاثة متفقون على الاخبار بمسيح هدى ، من نسل داود ، ومسيح ضلالة ، وهم متفقون على أن مسيح الضلالة لم يأت بعد (٥)، ومتفقون على أن مسيح الهدى سيأتي ـ أيضا ـ (٦).

---

(١) في أ (وحذرته) والهاء زائدة نسخا ـ بلا شك ـ .

(٢) في ك و ط (أنذر).

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم من عدة روايات ، كتاب الفتن ... ، باب ذكر ابن صياد ، وباب ذكر الدجال وصفته وما معه ، ٤ : ٢٢٤٥-٢٢٤٩ ، (١٦٩ و ٢٩٣٣) بلفظ : (كاتب وغير كاتب). وأصله عند البخاري ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، ١٣ : ٩-٩١ (٧١٢٧-٧١٣١) من فتح الباري .

(٤) في أ (فالأمم).

(٥) في ك و ط زيادة : (وسيأتي).

(٦) سقطت (أيضا) من ك و ط .

ثم المسلمون (١) والنصارى متفقون على أن مسيح الهدى ، هو عيسى ابن مريم ، واليهود ينكرون أن يكون هو عيسى بن مريم مع اقرارهم بأنه من ولد داود.

قالوا : " لأن المسيح المبشر به تؤمن به الأمم كلها " (٢) وزعموا أن المسيح بن مريم إنما بعث بدين النصارى ، وهو دين ظاهر البطلان (٣).

والنصارى تقر (٤) بأن المسيح مسيح الهدى بعث ، ومقرون (٥) بأنه سيأتي مرة ثانية ، لكن يزعمون أن هذا الاتيان الثاني هو يوم القيامة ، ليجزى الناس بأعمالهم ، وهو - في زعمهم - هو الله ، والله الذى هو اللاهوت (٦) يأتي في ناسوته ، كما زعموا أنه جاء قبل ذلك .

---

(١) في ك و ط زيادة : (واليهود).

(٢) وهو كما في سفر المزامير " وتسجد قدامك كل قبائل الأمم " ، المزمور الثاني والعشرون ، ٢٧ ، العهد القديم : ٦٥٨ .

(٣) في ك و ط زيادة : " ولهذا إذا خرج المسيح الدجال أتبعوه ، فيخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان . ويسلط المسلمون على اليهود ، فيقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر : " يا مسلم هذا يهودي ورائي ، تعال فاقتله " كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ".

(٤) في ط (يقرون).

(٥) في ك و ط (يقرون) بالياء .

(٦) يقصدون بكلمة (لاهوت) ذات الرب - سبحانه - . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٨٢٠ .

وأما المسلمون ، فآمنوا بما أخبرت به الأنبياء على وجهه ، وهو موافق لما أخبر به خاتم الرسل ، حيث قال في الحديث الصحيح : " يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، واماما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية " (١).

وأخبر في الحديث الصحيح : أنه إذا خرج مسيح الضلالة الأعور الكذاب ، نزل عيسى بن (٢) مريم على المنارة البيضاء (٣) شرقي (٤) دمشق ، بين مهرودتين (٥) ، واضعا يديه على منكبي ملكين ، فإذا رآه الدجال انماع ، كما ينماع الملح في الماء ، فيدركه فيقتله بالحربة (٦)، عند باب لُدّ الشرقي (٧)، على بضع عشرة خطوات منه " (٧). وهذا تفسير قوله

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى .. ، وفي أوله : " والذى نفسي بيده ... " ٦ : ٤٩٠ (٣٤٤٨) من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب الايمان ، باب نزول عيسى ... ١ : ١٣٥ (١٥٥) .

(٢) في ك و ط : (ابن) وهي في أثناء السطر .

(٣) وهي أحدى منائر القبة المعروفة بقبة النسر في مسجد دمشق ، وهي الكبرى ولها منارتان غيرها ، وقد كانت " ديدبانا " للروم ، وأقرت على ما كانت عليه ، وصيرت منارة . معجم البلدان ٢ : ٤٦٧ .

(٤) في ط (شرفي) بفاء موحدة قبل الياء وهو خطأ مطبعي .

(٥) في ك و ط : بالذال المعجمة و " المهرودتين " : بالذال المعجمة أو الدال المهملة - وجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين ، والأكثر بالمهملة - : هي ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران ، وقيل هي شقتان ، والشقة : نصف الملاءة . صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٦٧ م ٩ .

(٦) هي آلة حرب . ترتيب ١ : ٦١ .

(٧) لُدّ . قرية قرب بين المقدس من نواحي فلسطين . معجم البلدان ٥ : ١٥ .

(٨) أخرجه مسلم بنحوه ، كتاب الفتن ... ، باب ذكر الدجال ... ، ٤ : ٢٢٥٠- ٢٢٥٣ (٢١٣٧) .

ـ تعالى ـ: ﴿ وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ﴾ (١) أي يؤمن بالمسيح قبل أن يموت ، حين نزوله إلى الأرض ، وحينئذ لا يبقى يهودي ولا نصراني ، ولا يبقى دين إلا دين الاسلام ، وهذا موجود في نعته عند أهل الكتاب .

ولكن النصارى ظنوا (٢) مجيئه بعد قيام القيامة ، وأنه هو الله ، فغلطوا في ذلك ، كما غلطوا في مجيئه الأول ، حيث ظنوا أنه هو الله . واليهود أنكروا مجيئه الأول ، وظنوا أن الذي بُشِّرَ به ليس (٣) أياه ، وليس هو الذي يأتي آخرا ، وصاروا ينتظرون غيره ، وإنما هو بعث اليهم أولا فكذبوه ، وسيأتيهم ثانيا ، فيؤمن به كل من على وجه الأرض ، من يهودي ونصراني (٤)، إلا من (٥) قتل أو مات ، ويظهر كذب هؤلاء الذين كذبوه ، ورموا أمه بالفرية ، وقالوا : إنه ولد زنا . وهؤلاء الذين غَلَوْا فيه ، وقالوا : إنه الله .

ولما كان المسيح ـ عليه السلام ـ نازلا في أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، صار بينه وبين محمد من الاتصال . ما ليس بينه وبين غير محمد ، ولهذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح : " إن أولى الناس بابن مريم لأَنَا ، إنه ليس بيني وبينه نبي " (٦). وروى " كيف

---

(١) سورة النساء : ١٥٩ .

(٢) في ك و ط زيادة : (أن ذلك).

(٣) في ك و ط زيادة : (هو).

(٤) في أ (ونصارى) وهو خطأ نسخي .

(٥) (الا) سقطت من ط .

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله : " وأذكر في الكتاب مريم ... " ، ٦ : ٤٧٧ (٣٤٤٢) من فتح الباري بلفظ : " أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد عَلاّت ، ليس بيني وبينه نبي ". رواه مسلم بلفظ البخاري ، وبلفظ آخر ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤ : ١٨٣٧ (٢٣٦٥) ، ورواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء ... ،٤ : ٢١٨ (٤٦٧٥) والمستدرك ، كتاب التاريخ ، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم ... ،٢ : ٥٩٢ ، ورواه أحمد في المسند ٢ : ٣١٩ و ٤٣٧ .

تهلك أمة أنا في أولها ، وعيسى في آخرها " (١). وهذا مما يظهر به مناسبة أقترانهما ، فيما رواه أشعياء ، حيث قال : " راكب الحمار وراكب الجمل " .

---

(١) هذه الرواية ذكرها ابن الأثير ، جامع الأصول ٩ : ٢٠٢ من زيادة رُزين عن أنس بن مالك بلفظ " لن تهلك أمة أنا أولها ، ومهديها أوسطها والمسيح آخرها " . وقد حكم عليها الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، ٥ : ٣٦ . تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، دمشق - بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م ، حيث نقلها السيوطي عن أبي نعيم في كتابه " أخبار المهدي " عن ابن عباس .

فصل

(بشارة أشعياء بشأن مكة)

قالوا : وقال أشعياء النبي ـ عليه السلام ـ متنبيا[١] على مكة ـ شرفها الله ـ : " ارفعي إلى ما حولك بصرك ، فستبتهجين وتفرحين من أجل أن الله يصير إليك ذخائر البحر [٢] ، وتحج اليك عساكر الأمم ، حتى يعم بك قطر الابل الموبَلة [٣] ، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، ويأتيك أهل سبأ [٤]، ويسير إليك أغنام فاران ، ويخدمك رجال مأرب " [٥]يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مأرب بن أسماعيل .

---

(١) في ك وط (مثنيا) .

(٢) في ك وط (البحرين).

(٣) الموبَلة : المثقلة . ترتيب ٤ : ٥٦٧ .

(٤) أرض باليمن ، مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام ، تفرق أهلها في البلاد ، وصار كل قوم منهم إلى جهة ، لما جاءهم سيل العرم ، كما في القرآن الكريم . مراصد ٢ : ٦٨٧ .

(٥) نص الترجمة الحالية : " ارفعي عينيك حواليك ، وانظري ، قد أجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك ، يأتي بنورك من بعيد ، وتُحمل بناتك على الأيدي ، حينئذ تنظرين وتنبهرين ، ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تحول اليك شروة البحر ، ويأتي إليك غنى الأمم ، تغطيك كثرة الجمال بُكْران مديان ، وعيفة كلها تأتي من شبأ ، تحمل ذهبا ولبانا ، وتبشر بتسابيح الرب ، كل غنم قيدار تجتمع إليك ، كباش نبايوت تخدمك ". سفر أشعياء ، الأصحاح الستون ، ٤ ـ ٧ ، العهد القديم : ٨٤٠ .

قالوا : فهذه الصفات كلها حصلت بمكة ، فحملت اليها ذخائر البحرين ، وحج اليها عساكر الأمم ، وسيقت اليها أغنام فاران - الهدايا والأضاحي - و (فاران) هي البرية الواسعة التي فيها مكة ، وضاقت الأرض عن قطرات الابل المؤبلة الحاملة للناس وأزوادهم اليها ، وأتاها أهل سبأ ، وهم أهل اليمن .

فصل

(بشارة ثالثة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء النبي [١] صلى الله عليه وسلم [٢] معلناً باسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إني جعلت أمرك [٣] يا محمد ، ياقدوس الرب [٤]، اسمك موجود من الأبد " [٥]. قالوا : فهل بقي بعد ذلك لزائغ مقال ، أو لطاعن مجال ؟ وقول أشعياء : إن اسم محمد موجود من الأبد ، موافق لقول داود الذي حكيناه : أن اسمه موجود قبل الشمس [٦].

وقوله " يا قدوس الرب " يعني يا من طهره الرب ، وخلصه من [٧] بشريته واصطفاه لنفسه .

---

(١) في ط (النبي).

(٢) في أ (عليه السلام).

(٣) في ك و ط زيادة : (محمدا).

(٤) قدوس الرب : أي ما يُكَرَّس لله من شخص أو شيء . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٧١٨ .

(٥) تتبعت سفر (أشعياء) كله ، وبحثت في غيره فلم أهتد لشيء ولعلي أجده أو أُدل عليه من جهة طالب علم ناصح.

(٦) وأقول في مسألة عزوه كما قلت في النص الذي قبله .

(٧) في ك و ط زيادة : (شوائب).

فصل

(شهادة رابعة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء ـ وشهد لهذه الأمة بالصلاح والديانة ـ " سأرفع علما لأهل الأرض بعيدا ، فيصفر لهم من أقاصي الأرض ، فيأتون سراعا "[(١)].

والنداء ، هو ما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من التلبية في الحج [(٢)]، وهم الذين جعلوا لله الكرامة ، فوحدوه وعبدوه ، وأفردوه بالربوبية ، وكسروا الأصنام ، وعطلوا الأوثان . والعلم المرفوع : هو النبوة . وصفيره ، دعاؤهم إلى بيته ومشاعره ، فيأتونه سامعين مطيعين .

---

(١) ونصه في الترجمة الحالية بالعربية :" فيرفع راية للأمم من بعيد ، ويَصْفر لهم من أقصى الأرض ، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعا . ليس فيهم رازح ولا عاثر ، لا ينعسون ولا ينامون ، ولا تنحل حزم أحقائهم ، ولا تنقطع سيور أحذيتهم ، الذين سهامهم مسنونة ، وجميع قسيهم ممدودة ، حوافر خيلهم تحسب كالصوان ، وبكراتهم كالزوبعة ، لهم زمجرة كاللبوة ، ويزمجرون كالشبل ، يُهِرون ويمسكون الفريسة ، ويستخلصونها ولا منقذ ، يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر ، فإن نُظِر إلى الأرض فهو ذا ظلام الضيق ، والنور قد أظلم بسحبها". سفر أشعياء ، الأصحاح الخامس : ٢٦ ـ ٣٠ العهد القديم : ٧٨٧ .

(٢) أنظر ما رواه البخاري ، كتاب الحج ، باب التلبية ، ٣ : ٤٠٨ (١٥٤٩ ـ ١٥٥٠) ، وما رواه مسلم ، كتاب الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها ، ٢ : ٨٤١ ـ ٨٤٣ ، (١١٨٤) .

فصـــل

(بشـارة خامسـة من أشـعيـاء)

قالوا : وقال أشعياء النبي - والمراد مكة شرفها الله - تعالى -[١]: « سيري واهتزي أيتها العاقر ، التي لم تلد[٢] ، وانطقي بالتسبيح ، وافرحي إذ لم تحبلي ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي[٣]. - يعني بأهله بيت المقدس ، ويعني بالعاقر مكة شرفها الله - لأنها لم تلد قبل نبينا - عليه الصلاة والسلام -[٤]. ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس ، لأنه بيت للأنبياء ، ومعدن الوحي ، فلم تزل تلك البقعة ولادة .

---

(١) ليس في أ كلمة التقديس .

(٢) في ط (تلدي).

(٣) تقول الترجمة الحالية : « ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد ، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لان بني المستوحشة أكثر من بني ذات الامل قال الرب ، أوسعي مكان ضجتك ، ولتبسط شقق مساكنك ، لا تمسكي ، أطيلي أطنابك وشددي أو تادك ، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ، ويعمر مدنا خربة » . سفر أشعياء ، الأصحاح الرابع والخمسون ، ١ - ٣ ، العهد القديم : ٨٣٥ .

(٤) في ك و ط (عليه السلام).

فصل

(بشارة سادسة من آشعيا)

قالوا : وقال أشعياء النبي ، - ونص على خاتم النبوة - : " وُلِدّ لنا غلام ، يكون عجبا وبشرا ، والشامة [١] على كتفيه [٢] ، أركون السلام ، اله جبار ، وسلطانه سلطان السلام ، وهو ابن عالمه ، يجلس على كرسي [٣] داود " [٤].

قالوا : الأركون ، هو العظيم بلغة الأنجيل ، والأراكنة المعظمون . ولما أبرأ المسيح مجنونا من جنونه ، قال اليهود : " إن هذا لا يخرج الشياطين من الآدميين الا بأركون الشياطين " يعنون عظيمهم. وقال المسيح في الأنجيل : " إن أركون [٥] العالم يدان " [٦] يريد اما ابليس أو الشرير العظيم الشر من الآدميين ، وسماه الها على نحو قول التوراة " إن الله جعل موسى الها لفرعون " [٧] أي حاكما عليه ومتصرفا فيه ، وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه : " إنكم الهة " [٨].

---

(١) المقصود بالشامة : خاتم النبوة - كما ذكر المؤلف - وهي لغة : أثر أسود في البدن وفي الأرض . ترتيب القاموس ٢ : ٧٨٨ .

(٢) في ط (كنفيه) بالنون .

(٣) سقطت (كرسي) من أ ، وقد أثبتناها من ك و ط .

(٤) نص الترجمة الحالية : " لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى أسمه عجيبا ، مشيرا ، الها قديرا ، أبا أبديا ، رئيس السلام ، لنمو بأسة وللسلام لانهاية ، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر ، من الآن إلى الأبد ، غيرة رب الجنود تصنع هذا " سفر أشعياء ، الأصحاح التاسع ، ٦ - ٧ ، العهد القديم : ٧٩٠ .

(٥) في ك و ط زيادة : (هذا).

(٦) انظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الرابع عشر : ٣ - ٣١ ، العهد الجديد : ١٤٣ .

(٧) سفر الخروج ، الأصحاح السابع : ١ العهد القديم : ٧٩ .

(٨) مزامير داود ، المزمور الثاني والثمانون : ٦ العهد القديم : ٦٩٦ .

فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ووصفه بأخص علاماته وأوضحها ، وهي شامته ، فلعمري [١] لم تكن الشامة لسليمان ، ولا للمسيح ، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود ، يعني أنه سيرث بني أسرائيل ، نبوتهم وملكهم ، ويبتزهم [٢] رياستهم .

---

(١) اللام في (لعمري) لام الابتداء ، والعمر :- بفتح العين وضمها -: البقاء ، والزموا الفتح القسم ، ويجوز حذف اللام ، وقال أبو الهيثم : لعمرك : لدينك الذي يعمر ، وأنشد :

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان

أي عبادتك الله . وقال ابن الأعرابي : عمرت ربي : أي عبدته ، فعلى هذا لعمري : لعبادتي . وقال بعض أصحاب المعاني : لا يجوز أن يضاف الى الله ، لأنه لا يقال : لله - تعالى - عُمْر ، وإنما يقال هو أول أزلي ، وكأنه يوهم أن العَمْر لا يقال الا فيما له انقطاع ، وليس كذلك ، العَمْر والعُمْر : البقاء .

وقد روى ابن جرير بإسنادين أن ابن عباس يعتبر هذا قسما ، ثم روى بإسناده عن النخعي قال : " كانوا يكرهون أن يقول الرجل لعمري يرونه كقوله : وحياتي ". قلت : وهذا لا يخفى - قطعا - على الشيخ المؤلف - ويظهر أنه لم يجد ذلك ثابتا عن ابن عباس والنخعي ، أو أن رجح خلاف ما ذهبنا اليه ، بما لديه من أدوات الترجيح . أنظر البحر المحيط ، ٥ : ٤٦٢ وجامع البيان للطبري ١٤ : ٤٤ .

(٢) أي يستلبهم . مختار الصحاح : ٥٠ .

فصل

(بشارة سابعة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء في وصف أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ستمتلئ البادية والمدن من أولاد قيدار ، يسبحون ، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة ، ويسبحونه في البر والبحر ". (١) (٢) وقيدار ، هو ابن أسماعيل باتفاق الناس (٣) ، وربيعة ومضر من ولده (٤)، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مضر (٥).

وهذا الأمتلاء والتسبيح (٦) ،لم يحصل لهم الا بمبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٧).

---

(١) نص الترجمة الحالية : " غنوا للرب أغنية جديدة ، تسبيحة من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون من البحر وملؤه ، والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار ، لتترنم سكان سالع ، من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجدا ، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر ، الرب كالجبار يخرج ، كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه". سفر أشعياء ، الأصحاح الثاني والأربعون ، ١٠ ـ ١٣ ، العهد القديم : ٨٢٣ .

(٢) في ك و ط زيادة : (قلت).

(٣) أنظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣١٤ ، والكامل ١ : ٧١ ، والبداية والنهاية ١ : ١٩٣ و ٢ : ١٨٤ .

(٤) أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٢٢٢ .

(٥) أنظر جمرة أنساب العرب : ١٢ .

(٦) في ك و ط زيادة : (في البر والبحر).

(٧) في ك و ط زيادة : (والتسبيح : الصلوات الخمس ، وقد جعلت لهم الأرض مسجدا وطهورا ، فهم يصلون الخمس في البر والبحر).

فصـــل

(بشـارة ثـامنــة من آشـــعيـاء)

قالوا : وقـال أشـعيـاء ــ والمراد مكـة ــ : " أنـا رسـمتك على كفي ، وسـيأتيك أولادك سـراعا ، ويخـرج عنك من أراد أن يخيفك ويخونك [١]، فـارفعي بصـرك إلى ما حولك ، فإنهم سـيأتونك ويجتمعون اليك ، فتسـمى باسـمى إني أنـا الحي ، لتلبسـي [٢] الحلل ، وتزينـي بـالاكليل [٣]، مثل العروس ، ولتضيقن خرابـاتك [٤] مـن كثرة سـكانك والداعين فيك ، وليهابَنّ كل من ينـاوك ، وليكثرن أولادك حتى تقول : من رزقني [٥] هؤلاء كلـهم؟ وأنـا وحيـدة فريدة ، يرون رقوب [٦]، فمن ربى لـي هـوّلاء ، ومن تكفل لي بهم " [٧] ؟

---

(١) في ك و ط : (يخـربك)٠

(٢) في أ (لـتلـبس) والأصـوب مـا أثبتنـاه من ك و ط ٠

(٣) هو شـبه عصابـة للرأس تزين بالجوهـر ، ويسـمى التـاج اكليـلا٠ مختـار الصحاح : ٥٧٧ ٠

(٤) الخرابـات : المواضع ٠ مختـار : ١٧١ ٠

(٥) في ط (يقول من رزق)٠

(٦) الرّقَوب : الذي لا يولـد لـه ٠ مصبـاح : ٢٣٤ ٠

(٧) أنظر سـفر أشـعيـاء ، الأصحاح الرابع والخمسين : ١ –١٧ ، العهـد القديـــم: ٨٣٥ – ٨٣٦ ٠

قالـــوا : وذلك ايضـاح من أشـعيـاء بشـأن الكعبة ، فـهي التي ألبســـها اللـه الحلل الديبـاج الفـاخـرة ، ووكل بخدمتـها الخلفـاء والملوك ، ومكة : هي[1] التي ربـا [2] اللـه لـها الأولاد من حجاجهـا ، والقـاطنين بـها . [3] وذلـك أن مكـة هي التي أخـرج عنـها كل من أراد أن يخيفـهـا ويخربـها ، فلـم تزل عزيـزة مكرمـة محرمـة ، لـم يهنـهـا أحـد من البشـر قط ، بل أصحـاب الفيل [4] لمـا قصدوها ، عذبـهم اللـه العـذاب المشـهور ، ولـم تـزل عـامـرة محجوجـة ، مـن لـدن إبراهيم الخليـل .

بخـلاف بيت المقدس ، فـإنـه قـد أخـرب مـرة بعـد مـرة ، وخـلا من السكان، واسـتولى العـدو عليـه وعلى أهـلـه ، وكذلك إخبـاره بإهانـة كل من يناويـها: هـو للكعبـة دون بيت المقدس كما [5] قـال-تعالى-: ﴿ ... ومن يـرد فيه بإلحاد بظـلم نذقـه من عـذاب أليم ﴾ [6].

---

(١) في ك (وهي).

(٢) في ط (بـارك).

(٣) في ك و ط زيـادة : (قلـت).

(٤) أصحاب الفيل : هم أبرهـة الأشـرم ، ملك اليمن ، وجيشـه الذي غزا البيـت الحرام لتخريب الكعبة ، والفيـل أسمه (محمود) بعثه النجاشـي ملك الحبشـة لأبرهة ، فـأهلكهم اللـه بالحجارة التي تحملـها الطيور ، بعد أن رفض الفيـل المذكور مهاجمـة الكعبـة ، ولـم يفلح تعذيبـهم لـه بالقيام بتلك المهمـة . أنظر تفسـير القرآن العظيم ، سـورة الفيل ، ٨ : ٥٠٣-٥٠٦ .

(٥) في ك و ط زيـادة : (كمـا).

(٦) سـورة الحج : ٢٥ .

والحجاج بن يوسف (١) كان معظما للكعبة لم يَرُمْها بمَنْجَنِيق (٢)، وإنما قصد ابن الزبير (٣) خاصة (٤). وأما كثرة أولادها، وهم الذين يحجون إليها (٥) ويستقبلونها في صلاتهم، فهم أضعاف أولاد بيت المقدس.

---

(١) هو ابن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب بن قسي - وهو ثقيف - الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، وأمه: الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، مات مريضا مسلطا عليه الزمهرير سنة ٩٥ هـ، وشهد مرضه الحسن البصري، وله ٥٤ سنة. وفيات الأعيان ١: ٢٩-٥٤ (١٤٩)، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٤٣ (١١٧).

(٢) بفتح الميم وكسرها: آلة ترمى بها الحجارة وهي معربة، أصلها فارسي، مأخوذة من (جه، نيك) أي أنا ما أجودني، يجمع على منجنيقات، ومجانق، ومجانيق. ترتيب القاموس ٤: ٢٨٦.

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، أبو بكر، وأبو خبيب، كان أول مولود في الأسلام بالمدينة من المهاجرين، تولى الخلافة تسع سنين، قتل في ذي الحجة سنة ٧٣ هـ في مكة. تقريب التهذيب ١: ٣٠٥.

(٤) أي لم يقصدها لذاتها لما رماها بالمنجنيق.

(٥) في ك و ط (أو).

فصل

(بشارة تاسعة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء ـ حاكيا عن الله ـ تعالى ـ " اشكر حبي [1] وابني أحمد [2]" . فسماه الله حبيبا وسماه ابنا ، وداود ابنا ، غير أن الله خصه عليهم بمزية فقال : " حبي [3] ابني اشكره " فتعبد أشعياء بشكر [4] محمد ، ووظّف [5] عليه وعلى قومه شكره واجلاله ، ليتبين قدره ومنزلته عنده . وتلك منقبة [6] لم يؤتها غيره من الرسل.

وقال أشعياء : " إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد " [7]. وهذا افصاح من أشعياء باسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَلْيُرِنَا أهل الكتاب نبيا نصّت الأنبياء على أسمه صريحا ، سوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) في ك و ط (حبيبي).

(٢) تتبعت سفر أشعياء فما وجدت هذه العبارة ولا قريبا منها.

(٣) في ك و ط (حبيبي)

(٤) في ط (الشكر).

(٥) في ط (ووجب) وقد جاء في أ و ك (ووضف) بالضاد ، وصححناها من المعجم.

(٥) وظف : من الوظيفة : وهي ما يقدر للانسان في كل يوم من طعام أو رزق . مختار : ٧٢٨ .

(٦) في ك و ط (منزلة).

(٦) المنقبة : الفعل الكريم . المصباح : ٦٢٠ .

(٧) أنظر سفر أشعياء ، الأصحاح السادس والستون ، ١٢ ، العهد القديم : ٨٤٦ .

فصل

(بشارة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - من حبقوق)

قالوا : وقال حبقوق - وسمى محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صريحا [(١)] مرتين في نبوته -: « إن الله جاء من التيمن ، والقدوس من جبل [(٢)] فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتلأت الأرض من حمده ، شعاع منظره مثل النور ، يحوط بلاده بعزه ، تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده ، قام فمسح [(٣)] الأرض ، فتضعضعت [(٤)] له الجبال القديمة ، وانخفضت الروابي ، وتزعزعت [(٥)] ستور أهل مدين » [(٦)].

---

(١) سقطت من ك (صريحا) ومن ط (وسلم - صريحا).

(٢) في ك و ط : (جبال)

(٣) في ك و ط : (فأم فسيح - هكذا).

(٤) من تضعضع ؛ أي خضع وذل وافتقر . ترتيب ٣ : ٢٦ .

(٥) الزعزعة : تحريك الريح للشجرة ونحوها ، أو كل تحريك شديد. ترتيب ٢ : ٤٥٢ .

(٦) في ك و ط زيادة : (ولقد حاز المساعي القديمة).

(٦) نص الترجمة الحالية : « الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبال فاران ، سِلاه ، جلاله غطى السماوات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور ، له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته ، قدامه ذهب الوباء ، وعند رجليه خرجت الحمى ، وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ، ودكت الجبال الدهرية ، وخسفت آكام القدم ، مسالك الأزل له ، رأيت خيام كوشان تحت بَلِيَّة ، رجفت شقق مديان » سفر حبقوق ، الأصحاح الثالث ، ٣ - ٧ ، العهد القديم : ١٠٤٦ .

ثم قال : « زجرك في الأنهار [١]، واقدام [٢] صوامك في البحار ، ركبت الخيول ، وعلوت [٣] مراكب الايفاد [٤] ، وستنزع [٥] في قسيك [٦] أعراقا [٧] ونزعا ، وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواء ، ولقد رأتك الجبال فارتاعت ، وانحرف عنك شوّبوب [٨] السيل ، وتغيرت المهاوي تغيرا [٩] ورعبا ، رفعت أيديها وجلا وخوفا ، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك [١٠]، وتدوّخ الأرض غضبا [١١]، وتدوس الأمم

---

(١) زجرك في الأنهار : من زجرت البعير حتى ثار ومضى . اللسان : ٤ : ٣١٩ مادة : زجر.

(٢) في ك (واختدام) وفي ط (واختتام).

(٣) في ط (وعلوق).

(٤) في ك و ط (الايفاد). والايفاد : الإشراف والارتفاع . ترتيب ٤ : ٦٣٦ .

(٥) في ك و ط (وسينزع).

(٦) في ك : (قيسيك) ، وهو جمع قوس وهو آلة الرمي . أنظر ترتيب ٣ : ٧١٤.

(٧) من أعرق في الدلو : إذا جعل الماء فيها دون الملء . ترتيب ٣ : ٢٠٥ .

(٨) الشوّبوب : الدّفْعَة من المطر . ترتيب ٢ : ٦٦١ .

(٩) في ط : (تعبرت المهاوي تعبرا).

(٩) المهاوي : الجبناء . ترتيب ٤ : ٥٤٨ .

(١٠) النيازك ، هي : الرماح القصيرة . ترتيب ٤ : ٣٥٧ .

(١١) في ط : (غصبا).

زجرا [١]، لأنك ظهرت بخلاص أمتك ، وانقاذ تراث آبائك "[٢].

قالوا : وهذا تصريح بمحمد ، ومن رام [٣] صرف نبوة حبقوق هذه عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد رام ستر [٤] النهار ، وحبس الأنهار ، وأنّى يقدر على ذلك ؟! وقد سماه باسمه مرتين ، وأخبر بقوة أمته ، وسير المنايا أمامهم ، واتباع جوارح الطير [٥] آثارهم. وهذه النبوة لا تليق الا بمحمد ، ولا تصلح الا له ، ولا تدل الا عليه. فمن حاول صرفها عنه ، فقد حاول ممتنعا. [٦] وقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن ، وهي ناحية مكة والحجاز ، فإن أنبياء بني اسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء من ناحية اليمن ، وجبال فاران هي جبال مكة ـ كما قد تقدم بيان ذلك ـ ، وهذا مما لا يمكن النزاع فيه.

---

(١) الزجر : النهي والمنع. مختار الصحاح : ٢٦٩.

(٢) بقية الأصحاح المتقدم كما في الترجمة الحالية : " ... هل على الأنهار حمي يارب ، هل على الأنهار غضبك ، أو على البحر سخطك ، حتى أنت ركبت خيلك مركباتك ، مركبات الخلاص ، عريت قوسك تعرية ، سباعيات سهام كلمتك . سلاه ، شققت الأرض أنهارا ، أبصرتك ففزعت الجبال ، سيل المياه طما ، أعطت اللجة صوتها ، رفعت يديها إلى العلاء ، الشمس والقمر وقفا في بروجهما ، لنور سهامك الطائرة ، للمعان برق بحدك ، بغضب خطرت في الأرض ، بسخط دست الأمم ، خرجت لخلاص شعبك ، لخلاص مسيحك ، سحقت رأس بيت الشرير ، معريا الأساس حتى العنق ، سلاه ، ثقبت بسهامه رأس قبائله ، عصفوا لتشتيتي ، ابتهاجهم كما لأكل المسكين في الخفية ، سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة " سفر حبقوق ، الأصحاح الثالث ، ٨ـ١٥ ، العهد القديم : ١٠٤٦.

(٣) رام الشيء : طلبه . مختار ٢٦٤.

(٤) في ك (سير).

(٥) جوارح الطير والسباع : ذوات الصيد. المصدر السابق : ٩٨.

(٦) في ك و ط زيادة : (قلت).

وأما امتلاء السماء من بهاء أحمد ، بأنوار (١) الايمان والقرآن التي ظهرت منه ، ومن أمته . وامتلاء الأرض من حمده وحمد أمته في صلواتهم ، فأمر ظاهر ، فإن أمته هم الحمادون ، لابد لهم من حمد الله في كل صلاة و (٢) خطبة ، ولا بد لكل مُصَلٍّ في كل ركعة من أن يقول: " الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ... " (٣). فإذا قال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله : حمدني عبدي ، فإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : أثنى عليَّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال : مجدني (٤) عبدي (٥).

فهم يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد ، ويختمونها بالتحميد واذا رفعوا رؤسهم من الركوع ، يقول امامهم : سمع الله لمن حمده، ويقولون (٦) جميعا : ربنا ولك الحمد ، ويختمون صلاتهم بتحميد ، يجعل (٧) التحيات له والصلوات والطيبات ، وأنواع تحميدهم لله (٨) مما يطول وصفه .

---

(١) في ك و ط (فأنوار).

(٢) في ك و ط زيادة : (كل).

(٣) سورة الفاتحة : ١ - ٣ .

(٣) لا أتصور أن أحدا يمكن أن يفهم من كلام الشيخ المؤلف هنا : أنه يمكن الاقتصار على ما أورده الشيخ من سورة الفاتحة . ولا أعلم أحدا قال به من كافة المذاهب ، ولكن الشيخ ذكر الجزء وأراد الكل .

هذا (ويجب قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصحيح من المذهب (أي الحنبلي) ، وهذا مذهب مالك والأوزاعي والشافعي . وعن أحمد : أنها لا تجب الا في ركعتين من الصلاة ، ونحوه : عن النخعي والثوري وأبي حنفية ... ، وعن الحسن : أنه إن قرأ في ركعة واحدة أجزاه ... وعن مالك : أنه إن قرأ في ثلاث أجزاه ، لأنها معظم الصلات) . المغني لابن قدامة ١: ٤٨٥.

(٤) التمجيد : التعظيم والثناء . ترتيب ٤ : ٢٠٤ .

(٥) هذا جزء من حديث قدسي ، رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ... ١، : ٢٩٦ (٣٩٥). ورواه مالك في الموطا ، كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الأمام ... ١، : ٨٤ . ورواه أبو داود برقم (٨٢١) والترمذي برقم (٢٩٥٣) والنسائي ٢ : ١٣٥ .

(٦) في ك (يقولوا). (٧) في ك و ط : (بتحميده ، بجعل).

(٨) في ك و ط (تحميدهم فيه والثناء عليه).

فصل

(بشارة من حزقيال)

قالوا : وقال حزقيال [١] ـ وهو يهدد اليهود ، ويصف لهم أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
" وإن الله مظهرهم [٢] عليكم ، وباعث فيهم نبيا ، ومنزل عليهم كتابا ، ومملكهم رقابكم ، فيقهرونكم [٣] ويذلونكم بالحق ، ويخرج رجال بني [٤] قيدار في جماعات الشعوب ، معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين ، محيطون [٥] بكم ، وتكون عاقبتكم إلى النار، نعوذ بالله من النار " [٦].

[٧] وذلك أن رجال بني قيدار ، هم (ربيعة)

---

(١) في ك و ط (دانيال).
(١) حزقيال : أسم عبري ، معناه : الله يقوى ، وهو أحد أنبياء بني اسرائيل، ابن بوزي ، ولد ونشأ بفلسطين ، وعاش في السبي ٨ سنوات ، وكان من تلاميذ "أرميا" ولا يعرف أين ومتى وكيف مات . وسفره يقع بين مراثي أرميا ودانيال في العهد القديم العربي . وهناك ملك لبني اسرائيل أسمه (حزقيا) بدون لام ، هو الذي حارب سنجاريب وانتصر عليه . البداية والنهاية ١ : ٣٢ ـ ٣٣ . وأنظر سفر حزقيال ، العهد القديم: ٩٢٦-٩٨٨ .
(٢) في ك و ط (يظهرهم).
(٣) في ك و ط (يقهرونكم).
(٤) سقطت (بني) من ك و ط .
(٥) في ك و ط (فيحيطون).
(٦) أنظر سفر حزقيال ، الأصحاح العشرين : ٤٥-٤٩ ، العهد القديم : ٩٤٩ .
(٧) في ك و ط زيادة : (قلت).

و (مضر) أبناء عدنان [١]، وهما جميعا من ولد قيدار بن أسماعيل ، والعرب كلهم من بني عدنان ، وبني قحطان . فعدنان - أبو ربيعة - ومضر وأنمار من ولد أسماعيل ، باتفاق الناس [٢]. وأما قحطان ، فقيل : هم من ولد أسماعيل ، وقيل : هم من ولد هود [٣]. ومضر ولد الياس بن [٤] مضر [٥]، وقريش ، هم من ولد الياس بن مضر. وهوازن مثل عقيل [٦] ، وكلاب [٧]، وسعد بن بكر ، وبنو نمير [٨]، وثقيف وغيرهم ، هم من ولد الياس بن مضر.

---

(١) عدنان : من سلالة أسماعيل بن أبراهيم - عليه السلام ، وقد كره الأمام مالك - رحمة الله - رفع النسب الى ما بعد عدنان ، ولم يكرهه غيره كأبن أسحاق والبخاري وغيرهما ، قال ابن عبد البر : والذي عليه الأئمة في هذا الشأن في نسب عدنان ، قالوا : عدنان بن أدد بن مقوم ابن ناحور بن يترح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن أسماعيل بن أبراهيم الخليل - عليهما السلام - . البداية والنهاية ٢ : ١٩٣-١٩٥ .

(٢) أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٢٢٢ و ١٦ . والبداية والنهاية ٢ : ١٥٦ .

(٣) أنظر المصدرين السابقين ، والمواضع - نفسها - .

(٤) في ط (ابن) وليست في أول السطر .

(٥) أتفقت جميع النسخ على زيادة : (والياس بن مضر) بحيث تكون العبارة هكذا : (ومضر ولده الياس بن مضر ، والياس بن مضر وقريش هم من ولد الياس بن مضر) ، والذي يظهر لي أن تلك الزيادة ليست في محلها ، وربما تكون من النساخ .

(٦) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . جمهرة أنساب العرب : ٢٢٥ و ٢٧٣ و ٢٩٠ .

(٧) هم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . المصدر السابق : ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٨٢ .

(٨) هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وأولاده : ضنة وكعب وعامر والحارث . المصدر السابق : ٢٧٨ .

وهـؤلاء انتشـروا في الأرض ، فاسـتولوا على أرض الشـام والجزيرة ومصـر والعـراق وغيرهـا ، حتى إنهم لما سـكنوا الجزيـرة بين الفرات (١) ودجلة (٢) ، سـكنت (٣) مضـر في حـران (٤) وما قرب منها ، فسـميت ديار مضر ، وسـكنت ربيعة في الموصل (٥) وما قرب منها ، فسـميت ديار ربيعـة (٦).

---

(١) رسمت في أ : (الفراة) ، وهـو النهر المعروف وأسمه بالفارسية "فالاذروذ" وهو يخرج من بلاد قاليقلان ثغور ارمينية حتى ينتهي إلى نهر دجلة ثم إلى البحر الحبشي (الخليج العربي) . أنظر مراصد الأطلاع ٣ : ١٠٢١ ، ومروج الذهب ١ : ١٠٣ .

(٢) دجلـة : هـو النهـر العظيم المشـهور الذي يشق بغداد ثم المدائن ثم إلى واسط ثم يصب في البطائح ثم البحـر (الخليج العربي) وطوله ١٢٠٠ كلم . أنظر مراصد ٢ : ٥١٥ ودائرة معارف وجدي ٤ : ١٨ .

(٣) في أ (فسـكنت) .

(٤) مدينة قديمة بين الرهـا والرقـة ، وهي مهاجـر الخليل – عليه السـلام – وكانت منازل الصابئة من الحرانيين . مراصد ١ : ٣٨٩ .

(٥) كانت مدينة مشـهورة عظيمة ، باب العراق ، ومفتاح خراسان ، سـميت الموصل لأنهـا وصلت بين الجزيرة والعراق ، أسـست قديما ، وهي على طرق دجلـة ، وفي وسـطها قبر النبي (جرجيس) – عليه السلام . معجم البلدان: ٥ : ٢٢٣ .

(٦) في ك و ط زيـادة :"وقال (تنزل الملائكة على خيل) ، وهـذا ممـا تواترت بـه الآثـار ، أن الملائكـة كانت تنزل على الخيل البيض ، فإنهـا نزلت يوم (بدر) لنصـر النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمتـه ، ونزلت يوم الأحـزاب ، وأحاطت ببني قريظـة".

فصل (١)

(بشارتان من دانيال)

وقال دانيال - عليه السلام - وذكر محمد رسول الله (٢) - صلى الله عليه وسلم - باسمه، فقال: " ستنزع في قِسيك (٣) اغراقا، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء " (٤).

---

(١) كَتَب البسملة الشريفة قبل كلمة (فصل) في ط، حيث أن هذا الموضع هو أول الجزء الرابع من طبعة (الكردي)، والذي تبعه فيه (المدني) في طبعته - أيضا - ولم أجد لذلك التقسيم (الفني) أي أثر في أ ولا أكسفورد، بخلاف ك، حيث جاء فيها بعد هذا الموضع بصفحة تقريبا أشارة إلى بداية الجزء، وسأذكرها في موضعها - ان شاء الله - تعالى -.

(٢) لم ترد جملة (رسول الله) في ك ولا ط.

(٣) في ك (قيسيك) بزيادة ياء بعد القاف.

(٤) النص الذي وجدته في الترجمة الحالية: " كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي. ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض ". سفر دانيال، الأصحاح السابع، ١٣ - ١٤، العهد القديم ١٠٠٠.

فهذا تصريح بغير تعريض (١) ، وتصحيح ليس فيه تمريض (٢).

فإن نازع في ذلك منازع فليوجد لنا (٣) آخر ، اسمه محمد ، له سهام تنزع ، وأمر مطاع لا يدفع .

وقال دانيال النبي – أيضا – حين سأله بَخْتَ نَصَّر ، عن تأويل روّيا (٤) رآها ، ثم نسيها : « رأيت أيها الملك صنما عظيما ، قائما بين يديك ، رأسه من ذهب ، وساعداه من الفضة ، وبطنه وفخذاه من النحاس ، وساقاه من الحديد ، ورجلاه من الخزف (٥) ، ورأيت حجرا لم تقطعه يد انسان ، قد جاء وصك (٦) ذلك الضم فتفتت وتلاشى ، وعاد رفاتا ، ثم نسفته الرياح ، فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملاء الأرض كلها ، فهذا ما رأيت أيها الملك ؟ »

---

(١) التعريض : ضد التصريح ، يقال : عَرَّض لفلان وبفلان : إذا قال قولا وهو يعنيه ، ومنه المعاريض في الكلام ، وهي التورية بالشيء عن الشيء ، وفي المثل النبوي : « إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب » أي سعة . مختار الصحاح : ٤٢٥ ، وفتح الباري ١٠ : ٥٩٤ ، وقال : "هذا لفظ حديث أخرجه المصنف – أي البخاري – في الأدب المفرد ، والطبري في التهذيب ، والطبراني في "الكبير" ورجاله ثقات ... وللمصنف في الأدب المفرد ... عن عمر قال : اما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب ؟ ".

(٢) التمريض : التوهين ، خلاف التصحيح الذي هو البراءة من كل عيب . أنظر ترتيب القاموس ٢ : ٧٩٩ و ٤ : ٢٢٩ .

(٣) هكذا في ط (فليوجد لنا) وفي أ و ك (فليوجدنا) والأولى ما أثبتناه من ط .

(٤) الرّؤيا : ما يرى في المنام . مختار الصحاح : ٢٢٨ .

(٥) الخزف : كل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخارا . ترتيب ٢ : ٥٠ .

(٦) صكه : أي ضربه شديدا بعريض،أو عام . المصدر السابق ٢ : ٨٣٨ .

فقال بَخْتَ نَصَّر : صدقت فما تأويلها ؟

قال دانيال : « أنت الرأس الذي رأيته من الذهب ، ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة ، وهما دونك ، ويقوم بعدهما مملكة أخرى هي دونهما [1]. وهي شبه [2] النحاس ، والمملكة الرابعة : تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شيء. فأما الرّجلان التي رأيت من خزف . فمملكة ضعيفة ، وكلمتها متشتتة [3]. وأما الحجر الذي رأيت قد صلك ذلك الصنم العظيم ففتته ، فهو نبي يقيمه الله ، اله السماء والأرض ، من قبيلة بشريعة قوية ، فيدق جميع ملوك الأرض ، وأممها حتى تمتلئ منه الأرض ومن أمته ، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى أنقضاء الدنيا ، فهذا تعبير روّياك أيها الملك » [4].

[5] فهذا [6] نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا نعت [7] المسيح ، فهو الذي بعث بشريعة قوية ودق [8] جميع ملوك الأرض وأممها ، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وسلطانه [9] دائم لم [10] يقدر أحد أن يزيله ، كما زال ملك اليهود ، وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها [11].

---

(١) في ك و ط (دونها) بدون ميم.

(٢) هكذا في أ (شبه) وفي ك و ط (التيتشبه).

(٣) في ك بدل هذه الكلمة رمز غير معروف ، وفي ط (سحيقة).

(٤) هكذا أورده الشيخ المؤلف مختصرا ، وأنظر نص الترجمة الحالية ، سفر دانيال ، الأصحاح الثاني بكامله ، العهد القديم : ٩٩٠ ـ ٩٩٢ .

(٥) في ك و ط زيادة : (قلت).

(٦) في ك و ط (بعث).

(٧) في ك و ط (بعث).

(٨) في ك و ط (دون).

(٩) في ك و ط (وسلطانهم) بالجمع.

(١٠) في ك و ط (لا).

(١١) في ط (وأوساطها).

فصل

(بشارة ثالثة من دانيال)

وقال دانيال النبي - أيضا - [(١)]: سألت الله وتضرعت أليه أن يبين لي ما يكون من بني اسرائيل ، وهل يتوب عليهم ، ويرد اليهم ملكهم ، ويبعث فيهم الأنبياء [(٢)]* أو يجعل ذلك في غيرهم ؟ قال دانيال [(٣)]: فظهر لي الملك ، في صورة شاب حسن الوجه ، فقال : السلام عليك يا دانيال ، أن الله - تعالى - [(٤)] يقول : " ان بني أسرائيل أغضبوني وتمردوا علي ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم الى الجهل ، ومن بعد الصدق الى الكذب ، فسلطت عليهم بخت نصر ، فقتل رجالهم ، وسبى ذراريهم ، وهدم بيت مقدسهم [(٥)]، وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعده بهم ، وأنا غير راض عنهم ، و لا مقيلهم [(٦)] عثراتهم [(٧)]، فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن [(٨)] العذراء البتول ، فأختم [(٩)] عليهم عند ذلك [(١٠)] باللعن والسخط ، فلا يزالون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة [(١١)] حتى أبعث

---

(١) في ك و ط زيادة : (وقالوا) .

(٢) من النجمة الى آخر هذا الموضع - النجمة الأخرى ، أي الى قوله : في ك بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي ، ليس في ك ، وهو بمقدار صفحة .

(٣) قال دانيال) ليست في ط

(٤) ليس في ط كلمة التقديس . (٥) في ط (مسجدهم) .

(٦) في ط (عثرات) بدون الضمير المتصل .

(٧) من أ قال البيع : اذا فسخه . ترتيب ٣ : ٧٢٦ .

(٨) في أ (بن) بدون ألف . (٩) في ط (واختم) بالواو .

(١٠) في ط (ذلك عليهم باللعن) . (١١) المسكنة : الخضوع والذل . ترتيب ٢:٥٨٩ .

نبي بني اسماعيل الذي بشرت به هاجر ، وأرسلت اليها ملاكي فبشرها [١] وأوحى [٢] الى ذلك النبي ، وأعلمه الأسماء [٣] ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره [٤] ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسري به الي ، وأرقيه من سماء الى سماء حتى يعلو فأدنيه ، وأسلم عليه، وأوحي اليه ، ثم أرده الى عبادي بالسرور والغبطة [٥] ، حافظا لما استودع ، صادعا [٦] بما أمر ، يدعو الى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ [٧] ولا غليظ ولا صخاب في [٨] الأسواق ، رؤوف بمن والاه ، رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه ، فيدعو قومه الى توحيدي وعبادتي ، ويخبرهم بما رأى من آياتي ، فيكذبونه ويؤذونه [٩].

* قال الناقل لهذه البشارة : قالوا : * [١٠] ثم سرد دانيال قصة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرفا حرفا [١١] ، مما [١٢] أملاه

---

(١) في ط (وبشرها) بالواو .

(٢) في ط (وأوحى) بالواو .

(٣) هكذا في ك و ط ، وفي أ (السيما) والأصوب ما في ط ، ولهذا أثبتناه .

(٤) ضمير الأنسان : قلبه وباطنه . المصباح : ٣٦٤ .

(٥) الغبطة : حسن الحال . المصباح : ٤٤٢ .

(٦) في ط (صادقا فيما) .

(٧) الرجل الفظ : الشديد الغليظ القلب ، اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه . المصباح : ٤٧٨ .

(٨) في ط (بالأسواق) .

(٩) أنظر سفر دانيال ، الأصحاح التاسع بكامله ، العهد القديم : ١٠٠٣-١٠٠٤

(١٠) ما بين النجمتين سقط من ط .

(١١) سقطت (حرفا حرفا) من ط .

(١٢) في ط (بما) .

عليه الملك ، حتى وصل (١) آخر أيام أمته بالنفخة (٢) وانقضاء الدنيا ، ونبوته كثيرة (٣) ، وهي (٤) الآن في أيدي (٥) النصارى ، واليهود يقرأونها (٦).

* (٧)ومهما وصفنا مما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها ، واتصال مملكتهم بالقيامة — (٨) قلت : فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح، والبشارة بمحمد — صلى الله عليه وسلم — ، وفيها من وصف محمد وأمته بالتفصيل — (٩) ما يطول وصفه ، وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق ،

---

(١) في ط (أوصل).

(٢) النفخة : قيل هي النفخ في كل صورة إنسان فتحيا ، والصواب أن النفخ: هو في الصور ، والمراد به القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل — عليه السلام — ، وقد ورد في حديث اسناده فيه ضعيف : أن النفخ في الصور يكون ثلاث مرات ، الأولى : نفخة الفزع ، والناس أحياء ، وتطول هذه النفخة ، وترتج الأرض ، ثم نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث . تفسير القرآن العظيم ٣ : ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٣) سقطت (نبوته كثيرة) من ط ، والمقصود بها : السفر المنسوب اليه ، من العهد القديم.

(٤) في ط (وهذه البشارة).

(٥) في ط (عند اليهود والنصارى).

(٦) في ط زيادة : (ويقولون : لم يظهر صاحبها بعد).

(٧) من هذه النجمة بداية سقط من ط ، وسأشير الى نهايته — بأذنه — تعالى — .

(٨) من هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.

(٩) نهاية الجملة الأعتراضية.

كما ذكر ذلك العلماء ، منهم أبو العالية : ذكر أنهم لما فتحوا (تُسْتَر)(١) وجدوا دانيال ميتا ، ووجدوا عنده مصحفا. *(٢)

قال أبو العالية : أنا (٣) قرأت ذلك المصحف ، وفيه صفتكم (٤) ولحون كلامكم (٥)، وكان أهل الناحية _ (٦) اذا اجدبوا (٧) كشفوا عن قبره ، فيسقون (٨)، فكتب أبو موسى (٩) في ذلك الى عمر بن الخطاب ، فكتب اليه عمر :" أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ، وادفنه بالليل في واحد منها ،

---

(١) تُسْتَر : تعريب (شوشتر) كانت أعظم مدينة بخوزستان ، وبها قبر البراء بن مالك الأنصاري _ رضي الله عنه _ ، وكان يُعمل بها ثياب وعمائم فائقة. معجم البلدان ٢ : ٢٩-٣٠ .

(٢) الى النجمة نهاية السقط من ط .

(٢) المصحف : بضم الميم وكسرها _ ، هو ما جمعت فيه الصحف ، مختار: ٣٥٧ .

(٣) في ط (فأنا).

(٤) في ط زيادة (وأخباركم وسيرتكم).

(٥) لحن الكلام : فحواه ومعناه . مختار : ٥٩٥ .

(٦) أي أهل (تستر) وما جاورها ، والناحية : الجهة. ترتيب ٤ : ٣٨٨ .

(٦) في ط زيادة (يعني أرض السوس ، حيث دانيال مدفون بها).

(٧) في أ (أجذبوا) بالذال المعجمة ، والنقطة تحريف ، وفي ط (أجديوا).

(٨) ورد شيء مشابه لهذا بشأن أبي أيوب الأنصاري في ص: ١٤٥ (طبع المدني) وقد قام الشيخ : على صبح المدني بالتعليق عليه تعليقا جيدا ، وسأعرض له في موضعه _ باذن الله _ تعالى _ .

(٩) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضّار الأشعري ، صحابي مشهور ، أمَّره عمر ثم عثمان ، وهو أحد الحكمين بصفين ، مات سنة ٥٠ هـ وقيل بعدها. أسد الغابة ٣ : ٢٦٣ - ٢٦٥ ، وتقريب التهذيب ١ : ٤٤١ .

لئلا يفتتن (١) الناس به" (٢).

---

(١) الإفتتان : الضلال والإضلال والاثم . ترتيب ٣ : ٤٤٧ .

(٢) أخرجه البيهقي بمعناه في الدلائل ، باب صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة والانجيل ... ، ١ : ٣٨١ - ٣٨٢ . ورجال اسناده مُوثَّوقون وهم ، أبو عبد الله الحاكم ، عن أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار العُطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن أبي خلدة : خالد بن دينار ، عن أبي العالية - رُفَيْع بن مهران .

(٢) ما بعد هذا زيادة في ط فقط بمقدار صفحة من قوله : (فصل قالوا: قال كعب) . ثم أتفقت الزيادة مع ك في قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي) فقط .

وهذه هي الزيادة بتمامها (فصل . قالوا: قال كعب - وذكر صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة ، ويريدبها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة - : " أحمد عبدي المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، يعفو ويغفر ، مولده بكّا ، وهجرته طابا ، وملكه بالشام ، وأمته الحامدون ، يحمدون ، الله على كل نجد ، ويسبحونه في كل نزلة ، ويغضون أطرافهم ، ويأتزرون على أنصافهم ، وهم رعاة الشمس ، ومؤذنهم في جو السماء ، وصفهم في الجهاد والصلاة سواء ، رهبان بالليل ، أسد في النهار ، لهم دويّ كدويّ النحل ، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كُنَاسة " . فصل . قالوا : قال ابن الزناد : حدثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن عمر بن حفص ، وكان من خيار الناس ، قال : " كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الاسلام . فيها اسم الله وقوله الحق ، وقول الظالمين تبار ، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ، يتّزرون على أوساطهم ، ويرصدون أطرافهم ، ويخوضون البحور الى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة " . =

. . . .

فصل . قالوا : قال أشعياء - وذكر قصة العرب - فقال : " ويدوسون الأمم دياس البيادر ، وينزل البلاء بمشركي العرب ، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة ، وقسيٍّ موترة من شدة الملحمة " ، وهذا إخبار عما طرأ بعبدة الأوثان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر ، ويوم حنين ، وفي غيرها من الوقائع .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي [1].

---

(١) والى هنا تنتهي الزيادة في ط أولا ثم في ك .

فصـــل (١)

(مـــا نقــــــل مــن بشارات المســــيح بمحمد ، والتعليــق المفصل عليهـــا)

قالوا : وقال يوحنا الانجيلي (٢): قال يسوع (٣) المسيح - في الفصل الخامس عشر من إنجيلـــه - " آن الفارقليط (٤) روح الحق الذي يرسلـــه أبي ، هو يعلمكـــم كل شيء " (٥).

---

(١) ليس في ك كلمة (فصل) وفي ك و ط زيادة : (في كلمة الإنجيـــل وتفسيرها).

(٢) ويسمى : التلميذ الحبيب أو (يوحنا الشيخ) . أو (الرسول) وهو ابـــن زبدي ، من بيت صيدا في الجليل ، وأمه سالومة. وقد أتخذ مهنـــة الصيد حرفة ، وكان أحد الرسل الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح ليكونوا رفقاءه الخصوصيين وهم بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وله في العهد الجديد خمسة أسفار منسوبة اليه ، مات في (أفسس) سنة ٩٨ م. قامـــوس الكتاب المقدس (عندهم) : ١١٠٨ - ١١١٠ .

(٣) يسوع : هذه هي الصيغة العربية للاسم العبري (يشوع) وهو اسم لشخصين في العهد الجديد ، ومعنى الاسم : (يهوه مخلص) : الأول هو : المســيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - والمسيح لقبه ويسوع اسمه الشخصي . والثاني : يهودي مسيحي يدعى : (بسطس) ، وكان عاملا مع بولـــس ورفيقا له في رومية. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٦٦ .

(٤) كلمة عبرانية معناها : أحمد - صلى الله عليه وسلم - وقد كتبتهـــا - النصارى - بفتح الفاء - وهي بكسرها - ليكون معناها : المحامــــي والمؤيد والشفيع والنائب عن غيره ... وهكذا ، وقد جاء بدل هـــذه الكلمة في الترجمات الحالية كلمة (المُعَزِّي). أنظر أثبات نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - : ١٦٦ لأحمد بن الحسين الزيدي - ٤٢١ هـ ت خليل الحاج ، المكتبة العلمية ، بيروت ، وإظهار الحق : ٥٤٠ هامش رقم (٣٢) د. أحمد السقا.

(٥) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح ١٤ ، ٢٦ ، العهد الجديد ١٤٣ .

وقال يوحنا ـ التلميذ [١] ـ أيضا ـ عن المسيح ، أنه قال لتلاميذه : " ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر ، يثبت معكم الى الأبد ، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه ، لأنهم لم يعرفوه ، ولست أدعكم أيتاما لأني سآتيكم عن قريب " [٢].

وقال يوحنا [٣]: قال المسيح : " من يحبني يحفظ كلمتي ، وأبي يحبه ، واليه يأتي ، وعنده يتخذ المنزل ، كلمتكم بهذا لأني عندكم مقيم ، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلت لكم ، أستودعتكم سلامي [٤]، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع ، فاني منطلق وعائد اليكم ، لو كنتم تحبوني . كنتم تفرحون بمضيي الى الأب ، فان أنتم ثبتم في كلامي ، وثبت كلامي فيكم ، كان لكم كل ما تريدون ، وبهذا يمجد أبي " [٥]. وقال ـ أيضا ـ : " اذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله ، روح الحق الذي من أبي ، هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى اذا كان تؤمنوا به ، ولا تشكوا فيه " [٦]. وقال ـ أيضا ـ : " ان خيرا لكم أن أنطلق ، لأني ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فاذا انطلقت أرسلته اليكم ، فهو يوبخ [٧] العالم على الخطيئة [٨]، وان لي كلاما كثيرا ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن اذا جاء روح الحق ذاك [٩]

---

(١) هو يوحنا الأنجيلي السابق ـ نفسه ـ ، وهذا لقب آخر له.

(٢) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الرابع عشر ، ١٥ ـ ١٩ ، العهد الجديد ١٤٣ .

(٣) هو الانجيلي والتلميذ نفسه.

(٤) في ك و ط (وأمي).

(٥) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الخامس عشر ، ٣ ـ ١٤ ، والسادس عشر ٥ ـ ١٦ . العهد الجديد ، ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٦) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الخامس عشر ، ٢٦ـ٢٧ ، العهد الجديد : ١٤٤. وهو بمعناه .

(٧) وبخته : لُمْتُه وعَنَّفْتُه وعتبت عليه ، وقال الفارابي : عيرته. المصباح : ٦٤٦ .

(٨) في أ (الخطبة) هو تحريف. (٩) في ك و ط زيادة : (الذي).

يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب " (١). وقال يوحنا الحواري (٢): قال المسيح : " ان أركون العالم سيأتي وليس لي شيء " (٣).

وقال مَتّى التلميذ : قال المسيح : " ألم يقرأوا أن الحجر الذي أرذله (٤) البناءون ، صار رأسا للزاوية (٥) من عند الله ، كان هذا - وهو عجيب في أعيننا - ومن أجل ذلك أقول لكم : ان ملكوت (٦) الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى ، تأكل ثمرها ، ومن سقط على هذا الحجر ينشرح ، وكل من سقط هو عليه يمحقه " (٧).

وقال يوحنا التلميذ - في كتاب رسائل التلاميذ ، المسمى بفراكسيس - : " يا أحبابي (٨)، اياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن مَيِّزُوا الأرواح التي من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء فكان (٩) جسدانيا ، فهي من عند الله ، وكل روح لا تؤمن (١٠) بأن يسوع المسيح جاء ، وكان جسدانيا ، فليست من عند الله ، بل من المسيح الكذاب، الذي سمعتم به ، وهو الآن في العالم " (١١).

---

(١) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح السادس عشر ، ٧ - ١٤ ، العهد الجديد: ١٤٥ . وهو بمعناه .

(٢) هو يوحنا المذكور - سابقا - نفسه .

(٣) بحثت عن هذا النص في مضانه فلم أعثر عليه .

(٤) الأرذل : الدون الخسيس ، أو الرديء من كل شيء . ترتيب القاموس ٢ : ٣٢٩

(٥) سميت زاوية البيت لأنها جمعت قطرا منه . المصباح : ٢٦٠ .

(٦) الملكوت : العز والسلطان . ترتيب ٤ : ٢٨٢ .

(٧) يمحقه ، يبطله ويمحوه . المصدر السابق ٤ : ٢٠٩ .

(٧) أنظر انجيل متى ، الأصحاح الحادي والعشرين ، ٤٢ - ٤٤ ، العهد الجديد: ٣٣ - ٣٤ ، وانجيل لوقا ، الأصحاح العشرين : ١٧ - ١٨ ، العهدالجديد:١٠٩

(٨) في ك و ط (يا أخاي) . (٩) في ك و ط (وكان) بالواو .

(١٠) في ك و ط (يؤمن).

(١١) أنظر رسالة يوحنا الأولى ، الأصحاح الرابع ،١-٣ ، العهد الجديد: ٣٢٨ .

وقال شمعون الصفا [١]، رئيس الحواريين - في كتاب فراكسيس - " انه قد حان أن يبتدئ الحكم من بيت الله ابتداء " [٢].

قلت : وهذا اللفظ ، لفظ الفار قليط ، في لغتهم ذكروا فيه أقوالا: قيل : انه الحماد ، وقيل : انه الحامد ، وقيل : انه المعز ، وقيل: انه الحمد ، ورجح هذا طائفة ، وقالوا : الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم انه الحمد ، والدليل عليه قول يوشع : " من عمل حسنة تكون له فار قليط جيد - أي حمد جيد - وقولهم المشهور في [٣] تخاطبهم : فار قليط ، وفار قليطان ، وما زاد على الجميع - أي حمد - ومِنْه كما نقول نحن: يدٌ ومِنَّة [٤]. ومن قال : معناه المخلص ، فيحتجون بانها كلمة سريانية ، ومعناها : المخلص ، وقالوا : هو مشتق من قولنا : " راوف " [٥] ويقال بالسريانية " فاروق " فجعل فارق . قالوا : ومعنى " ليط " كلمة تزاد والتقدير كما يقال في العربية : رجل هو ، وحجر هو ، وبدر هو ، وذكر هو. قالوا : وكذلك [٧] يزاد في السريانية " ليط " .

---

(١) هو شمعون المذكور ص : ٣٠٤ .

(٢) بحثت في سفر شمعون في العهد الجديد ، فلم أهتد اليه .

(٣) في ك و ط (مخاطبتهم).

(٤) في ك و ط (يقول تحويد ومنه) وبعدها زيادة : (هنا رويده يأتي بعد قوله : وواحد منها بقي عبرانيا) وقد وقفت طويلا أمام هذه العبارة حتى تمكنت - بحمد الله - من حَلِّها .

(٥) هكذا "راوق" راء فألف فواو فقاف وفي ك (زار) وفي ط (حار) وفي أكسفورد (فاروق).

(٦) في ك و ط (يراد منها التثبت).

(٧) في ك و ط (يراد) بالراء المهملة .

والذين قالوا : هو المعز ، قالوا : هو في لسان اليونان [١]، المعز.

ويعترض على هذين القولين بأن [٢] المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية ، بل عبرانية [٣]. ويجاب عنه بأنه تكلم بالعبرانية ، وتُرجم عنه بلغة أخرى ، كما أَمْلوا أحد الأناجيل باليونانية [٤]، والآخر بالرومية [٥]، وواحد [٦] بقي عبرانيا. * [٧] وأكثر النصارى على أنه المخلص ، والمسيح نفسه يسمونه المخلص ، وفي الانجيل الذي بأيديهم أنه قال : " اني لم آت لأزين العالم ، بل لأخلص العالم " [٨] والنصارى يقولون في صلاتهم لقد ولدت لنا مخلصا " * .

---

(١) هكذا في ك و ط وفي أ (اليوناني) وما في ك و ط أولى .

(٢) في ط (يان).

(٣) العبرانية : لغة اليهود ، ويقال : عبرية . وهي من اللغات الشريفة ، أنزل بها الله التوراة والإنجيل . ترتيب القاموس ٣ : ١٣٩ ، ودائرة معارف وجدي ٦ : ٨٩ .

(٤) في ك و ط زيادة (وآخر بالسريانية).

(٥) الرومية : هي اللغة المنسوبة الى جيل من ولد الروم من عيصو . أنظر ترتيب القاموس ٢ : ٤١٦ .

(٦) في ك وط زيادة (منها).

(٧) ما بين النجمتين ـ والذي يقارب الأسطر الثلاثة ـ ليس في ك ولا ط .

(٧) أنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٦٨ ، وراجع الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) جـ ١ م ٢ : ٥٠١-٥٠٣ . وأنظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : ٥٦ .

(٨) أنظر انجيل متى ، الأصحاح التاسع عشر : ٢٣-٢٦ ، العهد الجديد : ٢٠ ، بما يقارب معناه .

وقد اختلف فيه ، فمن [١] النصارى من قال : هو روح نزلت على الحواريين ، وقد يقولون : انه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ، ففعلت الآيات والعجائب ، ولهذا يقول من خبر [٢] أحوال النصارى : انه لم ير أحدا منهم يحسن تحقيق مجيء هذا الفار قليط الموعود به.

منهم من يزعم أنه المسيح نفسه ، لكونه جاء بعد الصلب [٣] بأربعين يوما ، وكونه قام من قبره [٤]. وتفسيره بالروح باطل ، وأبطل منه تفسيره بالمسيح لوجوه :

منها : أن روح القدس مازالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب : أن روح القدس نزلت على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال - تعالى - : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد[٥] الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ... ﴾ [٦].

---

(١) هكذا في ك و ط ، وفي أ (عن) والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٢) خَبَر : أي علم ، والاسم من الخُبْر. مختار الصحاح : ١٦٨ .

(٣) في ك (أربعين).

(٣) الصَّلْب:هو تعليق الأنسان على صليب تنفيذاً لحكم القتل فيه ، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين بهذا الصليب ، أو بصورة أفضع وذلك بتسمير أجزاء الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية ، وكانت هذه الطريقة معروفة لدى أمم كثيرة . أنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٥٤٥ .

(٤) في أ كتب الناسخ جملة : (وهذا ضعيف) ثم شطبها.

(٥) حاد الله ورسوله ؛ أي يعادون الله ورسوله ويخالفون أمرهما. صفوة التفاسير ، ٢٨ : ٣٤٣ م ٣ .

(٦) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٦) بروح منه ؛ أي نصره وتأييده ، لأن به يحيا أمرهم . المصدر السابق ، ٢٨ : ٣٤٤ م ٣ .

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين ـ قال : [(١)] " اللهم أيده بروح القدس " [(٢)] وقال : " ان روح القدس معك مازلت تنافح [(٣)] عن نبيه " [(٤)].

واذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فار قليطا دل على أن الفار قليط أمر غير هذا [(٥)]. ـ وأيضا ـ فمثل هذه مازالت يؤيدبها الأنبياء والصالحون [(٦)] وما بشر به المسيح أمر عظيم ، يأتي بعده أعظم من هذا . ـ وأيضا ـ فانه وصف الفار قليط بصفات لا تناسب هذا ، وإنما تناسب رجلا يأتي بعده نظيرًا له ، فإنه قال : " إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فار قليطا آخر ، يثبت معكم الى الأبد " [(٧)]. فقوله : (فار قليطاً آخر) دل على أنه ثان لأول كان قبله ، ولم يكن معهم في حياة المسيح الا هو ، لم تنزل عليهم روح ، فعلم أن الذي يأتي بعده نظيرًا له [(٨)] ، ليس أمرًا معتادًا يأتي للناس .

---

(١) سقطت (قال) من ك و ط .

(٢) هذه الرواية للبخاري ، كتاب الصلاة ، باب الشعر في المسجد ،١ : ٥٤٨ . (٤٥٣) من فتح البخاري.ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان إبن ثابت ـ رضي الله عنه ـ ،٤:١٩٣٢ (٢٤٨٥).

(٢) روح القدس : المراد به هنا جبريل ـ عليه السلام ـ . فتح البـاري ١ : ٥٤٨ .

(٣) تنافح : أي تكافح وتخاصم . ترتيب ٤ : ٤١٠ .

(٤) هذه الرواية أخرجها مسلم بلفظ : " ان روح القدس لا يزال يؤيدك ، ما نافحت عن الله ورسوله " . كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان ... ، ٤ : ١٩٣٥-١٩٣٦ (٢٤٩٠).

(٥) في ك و ط (هذه) بالتأنيث .

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (والصالحين) وهو سائغ اذا كان البناء للفاعل والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٧) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الرابع عشر ، ١٥ ـ ١٦ ، العهد الجديد ١٤٢ .

(٨) أي مثيله . مختار : ٦٦٦ .

و ـ أيضا ـ فانه قال : (يثبت معكم الى الأبد) وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم [١] الى آخر الدهر . ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته ، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره ، فعلم أن الفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد. وهذا يبين أن [٢] الثاني صاحب شرع [٣] (لاينسخ) بخلاف الأول . وهذا انما ينطبق على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

و ـ أيضا ـ فانه أخبر أن هذا الفارقليط الذي أخبر به ، يشهد له ، ويعلمهم كل شيء ، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح ، وأنه يوبخ العالم على خطيئته [٤] فقال : (والفارقليط الذي يرسله أبي ، هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلت لكم) [٥]. وقال : (اذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله ، [٦] هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه) [٧].

وقال : (ان خيرا لكم أن أنطلق ، لأني ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فاذا انطلقت أرسلته اليكم ، فهو يوبخ العالم على الخطيئة ، وأن لي كلاما كثيرا ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن اذا جاء روح الحق ، ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عند نفسه [٨]، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبر [٩] بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب) [١٠].

---

(١) في أ (معكم) .

(٢) هكذا في ك و ط زيادة : (هذا).

(٣) هكذا في ك و ط ، وفي الأصل بياض بمقدار كلمة ، ولعلها ما ثبت في ك و ط .

(٤) في ك و ط(الخطيئة) بالتعريف .

(٥) تقدم عزوه في ص : ٣٦٥ .

(٦) في ط ـ فقط ـ بالعطف (وهو) وفيها ـ أيضا ـ سقطت ألف (أرسله).

(٧) تقدم عزوه في ص : ٣٦٦ .

(٨) في ك و ط (من عنده).

(٩) في ك و ط (يخبركم).

(١٠) أنظر انجيل يوحنا ، الإصحاح السادس عشر ، ٧-١٤ ، العهد الجديد : ١٤٥ .

فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح ، لا تنطبق على شيء في قلب بعض الناس ، لا يراه أحد ولا يسمع كلامه ، وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ، ويعلمهم كل شيء ، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ، ويوبخ العالم على الخطيئة ، ويرشد الناس الى جميع الحق ، وهو لا ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبرهم بكل ما يأتي ، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين .

وهذا لا يكون ملَكا لا يراه أحد ، ولا يكون هدى ولا علما في قلب بعض الناس ، بل لا يكون الا انسانا عظيم القدر ، يخاطب الناس بما أخبر به المسيح ، وهذا لا يكون إلا بشرا رسولا ، بل يكون أعظم من المسيح ، بين أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح[1] ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتي وبما يستحقة الرب ، حيث قال : [2] (ان لي كلاما كثيرا ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن اذا جاء روح الحق ، ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بما [3] يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب)[4] .

وهذه الصفات لا تنطبق الا على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك أن الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات ، وعن ملائكته ، وعن ملكوته ، وعن ما أعده الله في الجنة لأوليائه ، وفي النار لأعدائه ، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل ، ولهذا قال علي [5] ـ رضي الله عنه ـ : (حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله ؟) [6]

---

(١) في ك و ط زيادة (من خطاب الناس في أمور عظيمة لا تحملها عقول أولئك).

(٢) في ك و ط زيادة : واو العطف .

(٣) في ك و ط (بكل).

(٤) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح السادس عشر ، ١٢ ـ ٢٤ ، العهد الجديد: ١٤٥

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (عليه السلام) وما في ك و ط أولى،ولهذا أثبتناه .

(٦) رواه البخاري معلقا ، كتاب العلم ، باب من خصَّ بالعلم قوما دون قوم.. ، ١ : ٢٢٥ ، من فتح الباري ، وليس فيه (ودعوا ما ينكرون) ولكن قال ابن حجر : وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له ... (ودعوا ما ينكرون) أي يشتبه عليهم فهمه ، وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج .

وقال ابن مسعود : (ما من رجل يحدث قوما [1] بحديث لا يبلغه [2] عقولهم ، الا كان فتنة لبعضهم)[3]. وسأل رجل ابن عباس عن قوله - تعالى : ﴿ خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ... ﴾[4] قال :"ما يؤمنك أن لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت؟[5]، وكفرك بها تكذيبك بها"[6]. فقال لهم المسيح - عليه السلام - : (إن لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله) ، وهو الصادق المصدوق في هذا ، لهذا ليس في الانجيل من صفات الله ، وصفات ملكوته ومن صفات اليوم الآخر الا أمور مجملة ، وكذلك التوراة . ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا أمور مجملة ، مع أن موسى كان قد مَهَّد الأمر للمسيح ، ومع هذا فقد قال لهم المسيح : (ان لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله) ، ثم قال : (ولكن اذا جاء روح الحق ، ذلك الذي يرشدكم الى جميع الحق) وقال : (انه يخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم بجميع ما للرب) .

فدل هذا على أن هذا الفار قليط ، هو الذي يفعل هذا دون المسيح . وكذلك كان محمد - صلى الله عليه وسلم - أرشد الناس الى جميع الحق ، حتى أكمل الله له الدين ، وأتم به النعمة ، ولهذا كان خاتم الأنبياء ، فانه

---

(١) في ك و ط (حديثا).

(٢) في ك و ط (تبلغه).

(٣) رواه مسلم بمثله ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، ١ : ١١ (٥) ، كما أخرجه في كتاب جامع بيان العلم وفضله : ١٣٤ ، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي - ٤٦٣ هـ ، ط ١ ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر .

(٤) سورة الطلاق : ١٢ .

(٥) في أ زيادة : (أي لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت) ويظهر أنها تصرف من الناسخ.

(٦) هذه مجموع روايتين أخرجهما ابن جرير في جامع البيان ٢٨ : ١٥٣ .

لم يبق شيء يأتي به غيره ، وأخبر محمد - صلى الله عليه وسلم - بكل ما يأتي من أشراط (١) الساعة ، والقيامة ، والحساب (٢)، والصراط (٣) ، ووزن الأعمال ، والجنة وأنواع نعيمها ، والنار وأنواع عذابها ، (٤) ولهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار ، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة ، لا (٥) توجد لا في التوراة ولا في الانجيل ، وذلك تصديق قول المسيح : (إنه يخبر بكل ما يأتي).

---

(١) أشراط : علامات ، مفرده : شَرَط ، من باب ضرب . أنظر ترتيب ٢ : ٦٩٧ .

(٢) الحساب : كناية عن المجازاة على الأعمال ، اذ كانت ناشئة عنه .وقيل: كناية عن العلم ، وقيل : عن القبول ، وقيل : عن القدرة والوفاء. أنظر البحر الميحط ٢ : ١٠٧ .

(٣) الصراط - في اللغة - : الطريق الواضح ، وفي الشرع : جسر ممدود على متن جهنم ، يرده الأولون والآخرون ، فهو قنطرة بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت جهنم . وهل هناك صراطان أو صراط واحد ؟ رجح السيوطي أنه صراط واحد ، والقنطرة:هي طرف الصراط مما يلي الجنة - نسأله - تعالى - دخولها. أنظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقد الفرقة المرضية ٢ : ١٨٩ - ١٩٠ لمحمد بن أحمد السفاريني - ١١٨٨ هـ ، ط ٢ ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ .

(٤) في ك و ط (فلهذا) بالفاء .

(٥) هكذا في ك و ط بالتاء ، وأما في أ فبالياء والأول أولى .

ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة ، كما قال : (بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصابعه [(١)] ، السبابة والوسطى) [(٢)]. وكان اذا ذكر الساعة ، علا صوته ، وأحمر وجهه ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش [(٢)]. وقال : (اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) [(٣)].

---

(١) في ط ـ فقط ـ (بأصبعيه).

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ... ، ١١ : ٣٤٧ (٦٥٠٣ ـ ٦٥٠٥) بنحوه ، من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب الفتن ... ، باب قرب الساعة ، ٤ : ٢٢٦٨ ـ ٢٢٦٩ (٢٩٥٠ ـ ٢٩٥١) بنحوه. والترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في قول النبي ... ، ٤ : ٤٩٦ (٢٢١٣ ـ ٢٢١٤) بنحوه ، وأبن ماجه ، باب أشراط الساعة ، ٢ : ٣٨٩ (٤٠٨٩) بنحوه.

(٢) رواه النسائي ، كتاب صلاة العيدين ، باب كيف الخطبة ، ٣ : ١٨٨-١٨٩ ، بنحوه ، وأصله عند مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٢ (٨٦٧) بلفظ : (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ..).

(٣) بعد هذا في أ جملة (وقال انما مثلي ومثلكم) وفوقها اشارة الى سقط ، ولكن لا يوجد تتمة في الهامش.

(٣) سورة سبأ : ٤٦.

(٣) الحديث أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الشعراء ، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، ٨ : ٥٠١ (٤٧٧٠) من فتح الباري ، رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله ـ تعالى ـ : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، ١ : ١٩٣ (٢٠٨).

وقال : (أنا النذير العُرْبان) [1].

فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يأت [2] به نبي من الأنبياء ، كما نعته به المسيح حيث قال : (إنه يخبركم بكل ما يأتي) ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الأنبياء قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [3]، فضلا عن أن يوجد [4] شيء نزل [5] على قلب بعض

---

(١) رواه البخاري بمثله ، كتاب الرقاق ، باب الأنتهاء عن المعاصي ، ١١ : ٣١٦ ، (٦٣٨٢) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمته ... ، ٤ : ١٧٨٨ (٢٢٨٣).

(١) النذير العريان : رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة فقطع يده ويد امرأته ، فانصرف الى قومه فحذرهم ، فضرب به المثل في تحقيق الخبر ، وقيل : بل الأصل فيه : أن رجلا لقي جيشا فسلبوه وأسروه ، فانفلت الى قومه فقال : اني رأيت الجيش فسلبوني ، فرأوه عريانا فتحققوا صدقه ، لأنهم كانوا يعرفونه ، ولا يتهمونه في النصيحة ، ولا جرت عادته بالتعري ، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن ، فضرب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه ولما جاء به ـ مثلا بذلك ، لما أبداه من الخوارق والمعجزات ، الدالة على القطع بصدقه ، تقريبا لأفهام المخاطبين مما يألفونه ويعرفونه. فتح الباري ١١ : ٣١٦ ـ ٣١٧ .

(٢) في ك و ط (يخبر).

(٣) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٤) في أ و ك زيادة (عن) ويبدو أنها ليست في محلها.

(٥) في ك و ط (ينزل).

الحواريين [١]. و ـ أيضا ـ فقال : (ويعرفكم جميع ما للرب) فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله . وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات ، وما له من الحقوق ، وما يجب من الأيمان به ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، بحيث يكون ما يأتي به جامعا لكل ما يستحقه الرب .

وهذا لم يأت به أحد غير محمد ، حيث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة ، هذا كله. ومعلوم أن ما نزل على الحواريين ، لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه ، بل ما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون ، وهذا الفار قليط الثاني جاء بأعظم مما جاء به المسيح.

و ـ أيضا ـ ، [٢] فالمسيح قال : (اذا جاء الفار قليط الذي أرسله أبي ، هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه) [٣]. فبين أنه اخبرهم [٤] به ليؤمنوا [٥] به اذا جاء ولا يشكوا [٦] فيه ، وأنه يشهد له ، وهذه صفة من بشر به المسيح .

---

(١) يقول د . القس لبيب مشرقي :" ان الذي أضفى صفة القانونية على أسفار العهد القديم هم كتّاب الأسفار أنفسهم ، وقد شعروا وهم يكتبون بدافع من الروح القدس أنهم يكتبون قوانين الحياة للشعب ، ثم أظهرت محتويات ما كتبوه صحة رأيهم وصوابه ، فقد كان ما كتبوه قانونا الهيا حقا. وهناك رأي آخر يقول : ان الذي أعطى صفة القانونية لهذه الأسفار هم الكتاب المقودون بالروح القدس ، ومعهم قادة الذين من اليهود والمسيحيين ، الذين قبلوا هذه الأسفار بإرشاد الروح القدس ـ أيضا ـ ، وقد ذكر الكاتب المذكور ما يشابه ذلك بالنسبة للعهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٦٧ ـ ٤٦٨ . هذا قصارى ما لدى أهل الكتاب من قيمة علمية لكتابهم : ظنون ومشاعر وآراء بشرية .

(٢) في ك و ط زيادة (ان) . (٣) سبق عزو هذا النص ص : ٣٦٦ .

(٤) في ك و ط (أخبركم).

(٥) في ك و ط (لتؤمنوا) .

(٦) في ك و ط (تشكوا).

ويشهد للمسيح كما قال ـ تعالى ـ ﴿ واذ قال عيسى بن مريم يـا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي أسمه أحمد ... ﴾ (١).

وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة ، ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة الا محمد ـ (٢) صلى الله عليه وسلم ـ ، فانه أنذر جميع العالم (٣)، من أصناف الناس ، ووبخهم على الخطيئة : من الكفر والفسوق والعصيان ، وبخ (٤) جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم ، ووبخ المجوس ، وكانت مملكتهم أعظم الممالك ، ووبخ أهل الكتابين : اليهود والنصارى ، وقال في الحديث الصحيح عنه : "إن الله نظر الى أهل الأرض ، فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا (٥) من أهل الكتاب " (٦). لم يقتصر على مجرد الأمر والنهي ، بل وبخهم وقَرَّعهم (٧) وتهددهم.

---

(١) سورة الصف : ٦ .

(٢) في ط (محمدا) بالنصب ، وهو عربي جيد ، والأرجح عند البصريين والكوفيين الإتباع ، إما على البدل أو عطف النسق. أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

(٣) في ك و ط (العالمين).

(٤) في ك و ط (ووبخ).

(٥) مقتهم : من المقت ، وهو أشد البغض ، والمراد بهذا المقت والنظر : ما قبل بعثة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل . شرح النووي لصحيح مسلم ١٧ : ١٩٧ ـ ١٩٨ م ٩ .

(٦) رواه مسلم ، كتاب الجنة ... ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ٤ : ٢١٩٧ (٢٨٦٥). وأخرجه الأمام أحمد في مسنده ٤ : ١٦٢ .

(٧) من التقريع : وهو التعنيف . مختار : ٥٣١ .

و ـ أيضا ـ فأنه أخبر أنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع . وهذا اخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه ، ليس هو شيئا تعلمه من الناس ، أو عرفه باستنباطه ، وهذه خاصة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأن المسيح ومن قبله من الأنبياء ، كانوا يتعلمون من غيرهم ، مع ما كان يوحى اليهم فعندهم علم غير ما يسمعونه من الوحي.

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ينطق الا بما يسمعه من الوحي ، فهو مبلغ لما ارسل به ، وقد قيل له : ﴿ ... بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس .. ﴾ (١) فضمن الله له العصمة اذا بلغ رسالاته ، فلهذا أرشد الناس الى جميع الحق ، وألقى الى الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء القاءه ، خوفا أن يقتلوه ، كما يذكرون عن المسيح وغيره .

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده ، وأنهم لا يطيقون حمله . وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم ، اذا أخبرهم بحقائق الأمور . ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيده الله تأييدا لم يؤيده لغيره ، فعصمه من الناس ، حتى لم يخف من شيء يتوله ، وأعطاه من البيان والعلم ، ما لم يؤته غيره ، فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقائق الغيب ، ما ليس في كتاب غيره .

وأيد أمته تأييدا أطاقت (٢) به حمل ما ألقاه إليهم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حُمّلوا التوراة ، ثم لم يحملوها ، ولا كأهل الأنجيل الذين قال لهم المسيح : (ان لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمله) (٣). ولا ريب أن أمة محمد أكمل عقولا ،

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

(١) أي يمنعك من أن ينالوك بسوء . وهذا وعد من الله بالحفظ والكلاءة . صفوة التفاسير ٦ : ٣٥٥ .

(٢) أي قدرت عليه . المصباح : ٣٨١ .

(٣) في ك و ط زيادة : (وروي أن المسيح قال " جئتكم بالأمثال وهو يجيئكم بالتأويل).

وأعظم إيمانا ، وأتم تصديقا وجهادا. ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم.

وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم ، قال - تعالى - ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴿ لا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فأنصرنا على القوم الكافرين ﴾ (١).
وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ان الله قال :" قد فعلت"(٢).

و أيضا فانه أخبر عن الفار قليط أنه يشهد له ، وأنه يعلمهم كل شيء ، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح ، ومعلوم أن هذا لا يكون الا اذا شهد له شهادة يسمعها الناس ، لا يكون هذا شيئا في قلب طائفة قليلة. ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فانه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق ، حتى سمع شهادته له عامة أهل الأرض ، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عما افترته (٣) عليه اليهود ،وعما غلت (٤) فيه النصارى ، فهو الذي شهد له بالحق . ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم : " ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود " .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الله - سبحانه - لم يكلف الا ما يطاق ، ١ : ١١٦ (١٢٦) .

(٣) أي أختلفت عليه من الكذب . أنظر ترتيب القاموس ٣ : ٤٨٦ .

(٤) من غلا في الأمر غلوا : اذا جاوز حده . المصدر السابق ٣ : ٤١٤ .

وجعل الله أمة محمد شهداء على الناس ، يشهدون [١] عليهم بما علموه من الحق ، اذ كانوا وسطا [٢] عدلا [٣] ، لا يشهدون بباطل ، فان الشاهد لا يكون الا عدلا [٤] بخلاف من جار في شهادته ، فزاد على الحق أو نقص منه ، كشهادة اليهود والنصارى في المسيح .

و - أيضا - فان معنى الفار قليط ، ان كان هو الحامد أو الحمّاد أو الحمد أو المعز ، فهذا الوصف ظاهر في محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنه وأمته ، الحمادون ، الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح [٥] خطبته ، ومفتاح صلاته . ولما كان حمادا جوزي بوصفه ، فان الجزاء من جنس العمل ، فكان اسمه محمدا وأحمدا [٦] . وأما محمد فهو على وزن مكرم ومُعَظّم ومقدس [٧] ، وهو الذي يحمد حمدا كثيرا مبالغا فيه [٨] ، ويستحق ذلك ، فلما كان حمادا

---

(١) في أ و ك (يشهدوا) والصواب ما أثبتناه من ط .

(٢) فسرت (وسطا) بعدة تفاسير ، فقيل : عدولا ، وقد تظاهرت به عبارة المفسرين ، قال أبو حيان : " وقد روى ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... واذا صح ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجب المصير في تفسير الوسط اليه " وأقول : نعم قد ثبت ذلك عند البخاري مرفوعا كما رواه في كتاب الأعتصام ، باب : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " ... ، ١٣ : ٣١٦ ، من فتح الباري ، قال الحافظ ابن حجر :"هو مرفوع من نفس الخبر ، وليس بمدرج من بعض الرواة كما وَهَم فيه بعضهم ." فتح الباري ٨ : ١٧٢ . وانظر البحر المحيط ١ : ٤٢١.

(٣) العدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم. ترتيب القاموس ٣ : ١٧١ .

(٤) هكذا في ك و ط وقد سقطت جملة (الا عدلا) من أ حيث أثبتناها من ك وط .

(٥) مفتاح الشيء وفاتحته : أوله . ترتيب ٣ : ٤٤٣ .

(٦) ليس في أ كلمة (أحمد) وقد أثبتناها من ك و ط ، حيث أن سياق الكلام ناقص بدونها .

(٧) سقطت كلمة (مقدس) من ك و ط .

(٨) في أ جاء اسم الجلالة المعظم بدل كلمة (فيه) .

لله (١) ، كان محمدا ، وفي شعر حسان بن ثابت :

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد (٢)

وأما أحمد ، فهو أفعل التفضيل : أي (٣) هو أحمد من غيره ، أي أحق بأن يكون محمودا أكثر من غيره ، يقال هذا أحمد من هذا ، أي هذا أحق بأن يحمد من هذا ، فيكون فيه تفضيل له على غيره في كونه محمودا (٤). فلفظ (محمد) يقتضي فضله في الكمية ، ولفظ (أحمد) يقتضي (٥) فضله في الكيفية . ومن الناس من يقول : أحمد ، أي أكثر حمدا من غيره . فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد.

وقال من رجح ، أن معنى الفار قليط في لغتهم هو الحمد ـ كما تقدم ـ : فاذا (٦) كان كذلك فهو ما جاء في القرآن : ﴿ ... ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ... ﴾ (٧) قالوا : ولا شك عندهم أنه اسم مشتق من الحمد ، مثل ما نقول في لغتنا : ضارب ومضروب . وأما من فسره بالمعز ، فلم يعرف ـ قط ـ نبي أعز أهل التوحيد لله والإيمان كما أعزهم محمد ، فهو أحق باسم المعز من كل إنسان .

---

(١) في ك و ط (فلما كان أحمد).

(٢) شق له : من الشق وهو نصف الشيء ، أو الناحية من الشيء . ليجله : أي ليعظمه ، من الجلال . أنظر مختار الصحاح : ٣٤٣ و ١٠٧ .

(٢) البيت من ثاني الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك ، والقصيدة لحسان يمدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولها :

أغر عليه للنبوة خاتم   من الله مشهود يلوح ويشهد

والبيت المذكور ليس لحسان ، وانما هو لأبي طالب ، وقد ضمنه حسان شعره. شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : ٧٨ ، وضعه وضبطه عبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية بمصر ، ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٩ م . والسيرة النبوية لابن كثير ، ١ : ٢١١ .

(٣) سقطت (أي) من أ و ط .   (٤) في ك و ط (محمدا).

(٥) في أ بياض بمقدار كلمة ، وظاهرٌ أن ما أثبتناه من ك و ط هو المقصود.

(٦) في ك و ط (واذا) وقد كانت العبارة مستغلقة تماما.

(٧) سورة الصف : ٦ .

وأمـا معنى المخلِّص ٠ فهـو أيضـا ظاهـر فيـه ، فـان المسـيح هـو المخلص الأول ، كما ذُكِـر في الإنجيل ، وهـو معروف عنـد النصـارى أن المسـيح ـ صلوات الله عليـه ـ (١) سـمي مخلِّصـا ، فيكون المسـيح هـو الفـار قليط الأول ، وقـد بشـر بفـار قليط آخـر ، فـانـه قـال : " وأنـا أطلب من الآب أن يعطيكـم فـار قليطا آخـرا ، يثبت معكم إلى الأبـد (٢) " فهـذه (٣) بشـارة بمخلـص ثـان يثبت معهم الى الأبـد ، والمسـيح هـو المخلص الأول ٠ وأما ما ينـزل في القلوب ، فلم يسـمـه أحـد مخلصـا ، ولا فـار قليطـا ، فـلا (٤) يجـوز أن يفسـر كـلام المسـيح الا بلغتـه ومعانيـه المعروفـة (٥) ، التي خاطب بهـا ، وكذلك سـائر الأنبيـاء ، بـل (٦) وسـائر النـاطقين ٠

وقـد وصـف هـذا المخلِّص الثـاني بـأنـه يثبت معهم الى الأبـد٠ ومحمـد هـو المخلص الـذي جـاء بشـرع بـاق الى الأبـد ، لا ينسـخ٠ و ـ أيضـا ـ فـان في الإنجيل ٠ إنجيل يوحنـا ، أن المسـيح قـال : "(٧) أركـون العالم سـيأتي ، ولـيس لـي شـيء " (٨).

---

(١) في ك و ط زيـادة : (قـد)٠

(٢) سـبق عـزو هـذا النص ص : ٣٧١ ٠

(٣) في ك (فهـذ) هكذا ، وفي ط (فهـذا)٠

(٤) في ك و ط (ولا)٠

(٥) في ك و ط زيـادة : (في لغته)٠

(٦) (بل) زيـادة من ك و ط ، واثباتها جيـد٠

(٧) في ك و ط زيـادة (إن)٠

(٨) ونصـه في الترجمـة الحاليـة : " لا أتكلم معكم كثيـرا ، لأن رئيـس هـذا العالم يـأتي ، ولـيس لـه في شـيء " انجيل يوحنـا ، الأصحاح الرابع عشـر ٣٠ ، العهـد الجديـد : ١٤٣ ٠

وقد ذكروا أن الأركون بلغتهم العظيم [١] القدر ، والأراكنة ، العظماء ، وقد كانوا يقولون عن المسيح : (ان أركون الشياطين يعينه) أي عظيم الشياطين . وهو من افتراء اليهود على المسيح. فقول المسيح - عليه السلام - : " أركون العالم " انما ينطبق على عظيم العالم ، وسيد العالم ، وكبير العالم. وقد أخبر أنه سيأتي ، فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح أو أحدا مثله . ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم ، غير محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا من بشارة المسيح به .

وقد سئل - صلى الله عليه وسلم - : ما كان أول أمرك ؟ قال : " دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور ، أضاءت له قصور الشام " [٢].

وبالجملة ، فمعلوم باتفاق أهل الأرض [٣]، أنه لم يأت بعد المسيح من ساد العالم ، باطنا وظاهرا ، وانقادت له القلوب والأجساد ، وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته ، في جميع الأعصار ، وأفضل الأقاليم شرقا وغربا [٤]، غير محمد ، فان الملوك يطاعون ظاهرا لا باطنا ، ولا يطاعون بعد موتهم ، ولا يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ، ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة ، بخلاف الأنبياء.

---

(١) في ط (عظيم).

(٢) في ك و ط زيادة : (ببصرى).

(٢) مسند الإمام أحمد ٥ : ٢٦٢ ، وأورده الهيثمي وقال :"رواه أحمد باسانيد ، والبزار والطبراني بنحوه ... وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان ." مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ . وأخرجه ابن إسحاق،كما في السيرة لابن هشام ١ : ١٧٥ .

(٣) في ك و ط زيادة : (والاضطرار).

(٤) في ك و ط زيادة : (أحد).

ومحمد [١] أظهر دين الرسل قبله ، وصدقهم ، ونوه بذكرهم وتعظيمهم ، فبه آمن بالأنبياء والرسل ، قبل [٢] موسى والمسيح وغيرهما أمم عظيمة ، لولا محمد لم يؤمنوا بهم. ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب ، كانوا مختلفين فيهم [٣] كاختلاف أهل الكتاب في المسيح ، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما ، بما هو معروف عندهم. وأيضا فانه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه ، مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم.

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدق المسيح في أخباره ، بانه أركون العالم ، فقال : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر . آدم فمن دونه تحت لوائي ، أنا خطيب الأنبياء اذا وفدوا ، وامام الأنبياء اذا اجتمعوا ».[٤]

وهو صاحب لواء الحمد ، وهو صاحب المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون يوم القيامة ، فهو سيد العالمين حقا ، وهذا مطابق لقول المسيح : « انه أركون العالم » فهو أركون الآخرين في الدنيا والآخرة ، وهو أركون الأولين والآخرين في الآخرة.

---

(١) سقطت واو العطف في ط .

(٢) في ك و ط (مثل).

(٣) في ك و ط (فيه).

(٤) أورد الشيخ هذا الحديث بالمعنى ، وهو من عدة روايات ، في سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٥ : ٥٨٥ ـ ٥٨٨ . الحديث رقم (٣٦١٠) وقال :" هذا حديث حسن غريب ." ورقم (٣٦١٣). وقال :" هذا حديث حسن". ورقم (٣٦١٥) وقال :" هذا حديث حسن صحيح". ورقم (٣٦١٦) وقال :"هذا حديث غريب".

وقول المسيح : « ان أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء » تضمن الأصلين : اثبات الرسول ، واثبات التوحيد ، وأن الأمر كله لله ، وهو تحقيق شهادة : أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله. وقول المسيح : « ليس لي شيء » تنزيه له مما نسب اليه من الربوبية [١]، وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق ، قال الله ـ تعالى ـ لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ... ﴾ [٢] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي ... ﴾ [٣] وقال : ﴿ قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا (أي ملجأ وملاذا [٤]) الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [٥] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ﴾ [٦].

---

(١) الربوبية : نسبة الى الرب ـ على غير قياس في اللغة ـ والمقصود: هو اشراك المسيح في بعض صفات الرب ـ سبحانه ـ من قبل النصارى. أنظر ترتيب القاموس ٢ : ٢٨٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٢٨ .

(٣) سورة الأنعام : ٥٠ .

(٤) أنظر البحر المحيط ٨ : ٣٥٣ .

(٥) سورة الجن : ٢١ ـ ٢٣ .

(٦) سورة الأعراف : ١٨٨ .

و – أيضا – ففي نبوة أشعياء أنه وصف محمدا بأنه أركون السِّلم (١)، والسِّلم (٢) والسلام : الاسلام (٣)، فهو يبين أنه سيد دين الاسلام. ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الاسلام ، لكن لم يظهر هذا الدين واسمه ، وانتشر ذكر (٤) دين الاسلام في الأرض ، كما ظهر لمحمد ، فمحمد أركون الاسلام الذي يجمع كل خير وبر ، كما أن ابليس أركون الشر ، قال – تعالى – : عن نوح : ﴿ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ﴾ فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (٥). فهذا نوح : أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض ، يَذْكُر أنه أُمر أن يكون من المسلمين .

---

(١) وهو في الترجمة الحالية كما يلي : " أيها العطاش جميعا ، هلموا الى المياه ، والذي ليس له فضة ، تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا ، لماذا تَزِنون فضة لغير خبز ، وتعبكم لغير شبع ، استمعوا الي استماعا ، وكلوا الطيب ، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم ، أميلوا آذانكم ، وهلموا الي ، اسمعوا فتحيا أنفسكم ، أقطع لكم عهدا أبديا ، مراحم داود الصادقة ، هو ذا قد جعلته شارعا للشعوب ، رئيسا وموصيا للشعوب " سفر أشعياء ، الإصحاح الخامس والخمسون : ١ – ٥ ، العهد القديم : ٨٣٦ .

(٢) في ك بدون واو .

(٣) في أ سقطت كلمة (الاسلام) ، وهي ضرورية لاستقامة المعنى ، وفي ك بعطف (الاسلام) وهو خلل أيضا ، ولذلك أثبتنا ما في ط .

(٤) في ك و ط (ذكره من بينهم).

(٥) سورة يونس : ٧١ – ٧٢ .

(٥) أجمعوا أمركم وشركاءكم : أي فاعزموا أمركم وادعوا شركاءكم ، ودبروا ما تريدون لمكيدتي . غمة : مستورا. اقضوا الي : أنفذوا ما تريدونه في أمري . تنظروني : تؤخرون . أنظر صفوة التفاسير ١١ : ٥٩٢ م ١ .

وقالت السحرة – لما أسلموا – وأراد فرعون قتلهم – : ﴿ ... ربنا أفرغ علينا صبرا [١] وتوفنا مسلمين ﴾ [٢]، وقال : ﴿ أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ... ﴾ [٣]، وقال : ﴿ واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون ﴾ [٤].

فان قيل : فقد سمى المسيح الفار قليط روح الحق ، وسماه روح القدس . وقال – تعالى – عن أبراهيم : ﴿ ومن يرغب عن ملة أبراهيم الا من سفه نفسه [٥] ولقد أصطفيناه في الدنيا [٥] وأنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ ووصى بها أبراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴾ [٥]، ﴿ وقال موسى لقومه يا قوم أن كنتم آمنتم بالله فعليه

---

(١) أي : أفض علينا صبرا يغمرنا . صفوة التفاسير ٩ : ٤٦٥ م ١ .

(٢) سورة الأعراف : ١٢٦ .

(٣) سورة المائدة : ٤٤ .

(٤) سورة المائدة : ١١١ .

(٤) في ك و ط زيادة قوله – تعالى – ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول ، فأكتبنا مع الشاهدين ﴾ سورة آل عمران : ٥٢ – ٥٣ .

(٥) سفه نفسه : أي أستخف نفسه وأمتهنها ، أصطفيناه في الدنيا : أي أخترناه من بين سائر الخلق بالرسالة والنبوة والأمامة . صفوة التفاسير ١ : ٩٦ م ١ .

(٥) سورة البقرة : ١٣٠ – ١٣٢ .

توكلوا ان كنتم مسلمين ﴾ (١) وقالت بلقيس (٢): ﴿ رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (٣).

(٤)
قيل : قد قال يوحنا في كتاب ، أخبار الحواريين المسمى (افراكيس) : " يا أحبابي ، اياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح تؤمن (٥) بأن يسوع المسيح قد جاء ، فكان جسدانيا (٦) فهي من عند الله ، وكل روح لا تؤمن بأن المسيح (٧) جاء ، وكان (٨) جسدانيا ، فليست من عند الله ، بل من المسيح الكذاب

---

(١) سورة يونس : ٨٤ .

(٢) هي بنت السيرح وهو الهدهاد ـ وقيل شراحيل ـ بن ذي جدن بن السيرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كان أبوها من أكابر الملوك . ويقال إنه تزوج بأمرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن ، واسمها تلقمة ، ويقال لها: بلقيس ، وردت قصتها مع سليمان ـ عليه السلام ـ في سورة النمل . قيل : ان سليمان تزوجها،وقيل : بل زوجها بملك همدان ، وقيل إن بلقيس ماتت قبل سليمان ، وأنه دفنها بتدمر وأخفى قبرها . البداية والنهاية ٢ : ٢١ ـ ٢٤ . والكامل ١ : ١٣٣ .

(٣) سورة النمل : ٤٤ .

(٤) في ك و ط (يومين).

(٤) سألت د. صابر طعيمة عن هذا الأسم ، فأفادني : أنه ربما كان مأخوذا من كلمة (فريز) الآرامية ، والتي تعني : الصفاء والنقاء ، ومن ذلك سميت طائفة (الفريسيون) من النصارى بعد ما حورت الكلمة قليلا . مكالمة هاتفية يوم ١٤٠٦/٦/٢٥ هـ .

(٥) في ك و ط (يؤمن).

(٦) أنظر مادة (جسد) في قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢٦٠-٢٦١ .

(٧) في ك و ط زيادة : (قد).

(٨) في ط (فكان).

الذي هو الآن في العالم » (١).

واذا كان كذلك علم أن الروح - عندهم - يتناول النبي المرسل - من البشر - ، وجبريل الذي نزل بالوحي على محمد ، هو روح القدس ، وهو روح الحق كما قال - تعالى - : ﴿ قل نَزَّلَه روح القدس من ربك بالحق ... ﴾ (٢)، وقال : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ على قلبك ... ﴾ (٣) وقال : ﴿ ... من كان عدوا لجبريل فانه نَزَّلَه على قلبك باذن الله ... ﴾ (٤)، وهذا الروح انما جاء بمجيء محمد ، والكلام الذي نزل به ، هو الذي بلَّغه محمد ، ولهذا قال الله - تعالى - : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ... ﴾ (٥) فاصطفى الله جبريل من الملائكة ، واصطفى محمدا من البشر ، ولهذا يضاف (٦) القول الذي هو القرآن الى قول (٧) هذا تارة (٨)، والى قول (٧) هذا تارة ، كما قال - تعالى - : ﴿ انه لقول رسول كريم ﴾

---

(١) نص الترجمة الحالية : « أيها الأحباء : لاتصدقوا كل روح . بل امتحنوا الأرواح ، هل هي من عند الله ؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم ، بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله ، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح ، الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم ». رسالة يوحنا الأولى ، الأصحاح الرابع ، ١ - ٣ ، العهد الجديد : ٣٢٨ .

(٢) سورة النحل : ١٠٢ .

(٣) سورة الشعراء : ١٩٣ - ١٩٤ .

(٤) سورة البقرة : ٩٧ .

(٥) سورة الحج : ٧٥ .

(٦) في ك و ط (يشير).

(٧) في ك و ط (نزول) ، وفي أ كتب كلمة (نزول) ثم شطبها وأبدلها بـ (قول).

(٨) التارة : الحين والمرة. ترتيب ١ : ٣٨٥ .

ذي قوة عند ذي العرش مكين (١) ﴾ مطاع ثم أمين ﴾ (٢) فهذا الرسول هنا جبريل : وقال - تعالى - في (٣) الآية الأخرى : ﴿ انه لقول رسول كريم ﴾ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ تنزيل من رب العالمين ﴾ (٤) فهذا الرسول هنا محمد ، وأضافه الى كل منهما بلفظ الرسول : لتضمنه أنه بلغه عن مُرْسِله ، لم يقل :"انه لقول ملك ، ولا نبي" بل كفَّر من قال : إنه قول البشر ، كما ذكر (٥) ذلك عن الوحيد (٦) ، وقد قال - تعالى - في القرآن : ﴿ ... قد أنزل الله إليكم ذكرا ﴾ رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ... ﴾ (٧) ومعلوم أن الرسول نفسه لم يُنْزَل (٨) بل أبدل الرسول من الذكر لأن الرسول جاء بالذكر.

ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل أمورا (٩) متلازمة ، يلزم من ثبوت واحد ، ثبوت الآخرين ، ومن الايمان بواحد الايمان بالآخرين ، فيلزم من كون القرآن حقًا : كون جبريل ومحمد حقا ، وكذلك يلزم من كون محمد حقا : كون جبريل والقرآن حقا ، ويلزم من كون جبريل حقا : كون القرآن ومحمد حقا.

---

(١) أي عظيم المكانة شريف المنزلة. أنظر البحر المحيط ٨ : ٤٣٤ .

(٢) سورة التكوير : ٢٠ - ٢١ .

(٣) ليس في ك ولا ط (الآية).

(٤) سورة الحاقة : ٤٠ - ٤٣ .

(٥) الضمير المستتر هنا يعود الى الباري - عز وجل - .

(٦) الوحيد : هو المشار اليه في قوله - سبحانه - : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ سورة المدثر : ١١ . وهو الوليد بن المغيرة ، وذلك في دار الندوة لمشركي أهل مكة. أنظر جامع البيان للطبري ٢٩ : ١٥٦-١٥٨ .

(٧) سورة الطلاق : ١٠ - ١١ .

(٨) في ط (ينزله) بالهاء.

(٩) في أ (أمور) بغير النصب . والصحيح ما أثبتناه من ك و ط .

ولهذا جمع الله بين الايمان بالملائكة (١) ﴿ والكتب والرسل في مثل قوله ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... ﴾ (٢) فتعليم محمد وتذكيره وشهادته هو تعليم روح القدس وروحه ، والأخبار بأن المَلَك ينطق على لسان البشر ، أو الجني ينطق على لسان البشر : كثير ، كما في حديث ابن عمر " كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر " (٣) ، ويقال : ما ألقى هذا على لسانك الا الشيطان " ويكون مع هذا البشر ينطق بقدرته واختياره ،

---

(١) من هنا سقط من ك و ط بمقدار صفحتين أو أكثر .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٣) رواه الأمام أحمد في المسند ١ : ١٠٦ ، عن وهب السوائي قال : خطبنا علي - رضي الله عنه - فقال : مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها ؟ فقلت : أنت يا أمير المؤمنين ! قال : لا ، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنه - وما يبعد أن السكينة كانت تنطق على لسان عمر - رضي الله عنه - ، وقال الهيثمي في الزوائد ٩ : ٦٦-٦٧ وعن طارق بن شهاب قال :"كنا نتحدث أن السكينة تنزل على لسان عمر"، رواه الطبراني ورجاله ثقات . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:" ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه " ، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن صالح ، كاتب الليث ، وقد وثق ، وفيه ضعف ، وأخرجه أحمد - أيضا - عن علي - رضي الله عنه -: " ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ". وذلك من طريقين ، أحدهما حسن ، والآخر صحيح . فضائل الصحابة : ٣٥٨ (٥٢٣ - ٥٢٤) لأحمد بن حنبل - ٢٤١ هـ ت : محمد عباس ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

ليس هو كالمصروع (١) الذي يتكلم الجني على لسانه وهو لا يدري ما يقول ، فلهذا يقال : هذا قول الرسول البشري ، وهو قول الرسول الملكي ٠

ويقال : الفار قليط روح الحق وروح القدس يشهد لي وهو يعلمكم ، وهو يذكركم ، ونحو ذلك ، فان الفار قليط يتضمن ذكر جبريل ومحمد جميعا ، وقول أحدهما هو قول الآخر ، ومعروف في اللغة بدل الاشتمال كقوله : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام (٢) قتال فيه، قل: قتال فيه ... ﴾ (٢)

والشهر : ليس هو نفس القتال ، لكن لما أشتمل على القتال أبدل أحدهما من الآخر ، وقوله : ﴿ ... قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا .. ﴾(٣) ومن هذا النمط (٤) أبدل الرسول من الذكر لأشتماله عليه ، وهذا: الثاني أشتمل على الأول ، والرسول البشري كان الرسول الملكي يتصل به في الباطن ، فيثقل عليه الوحي حين ينزله ٠

---

(١) الصّرع : صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ٠ وصرع من الأخلاط الرديئة ٠ والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه ٠ وأما صرع الأرواح : فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ، ويعترفون بان علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها ، وقد نص على ذلك "بقراط " في بعض كتبه ٠ زاد العاد في هدي خير العباد ٣ : ٨٤ لمحمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ـ ٧٥١ هـ ط ١ المطبعة المصرية بمصر ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م ٠

(٢) سورة البقرة : ٢١٧ ٠

(٢) الألف واللام في كلمة (الشهر) للعهد ، وهو شهر رجب ـ اتفاقا ـ ويحتمل أن تكون للجنس فيراد به الأشهر الحرام : وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ٠ وسميت حرما لتحريم القتال فيها ٠ أنظر البحر المحيط ٢ : ١٤٥ ٠

(٣) سورة الطلاق : ١١ ٠

(٤) النمط : يطلق أصطلاحا على الصنف والنوع ٠ المصباح : ٦٢٦ ٠

وفي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – أن الحارث بن هشام (١) قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ قال : " أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وَعَيْت (٢) ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني ، فأعي ما يقول ، قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه (٣) ليتفصد (٤) عرقا " (٥).

والفصم : الفك والفصل من الأمور اللينة (٦)، كما قال : " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد أستمسك بالعروة الوثقى لا أنفصام لها والله سميع عليم " (٧).

---

(١) هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبو عبد الرحمن القرشي ، المخزومي ، وهو أخو أبو جهل ، شهد بدرا كافرا فانهزم ، وعُيِّرَ بفراره ذلك ، وأسلم يوم الفتح ، وأجارته أم هاني ، وخرج الى الشام مجاهدا أيام عمر بأهله وماله حتى استشهد يوم اليرموك سنة ١٥ هـ . أسد الغابة ١ : ٤٢٠ .

(٢) أي حفظته وعرفته . جامع الأصول ١١ : ٢٨٢ .

(٣) الجبين : ناحية الجبهة ، من محاذاة النزعة (موضع انحسار الشعر عن جانبي الجبهة) الى الصدغ (ما بين العين الى أصل الأذن) ، وهما جبينان ، عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين . المصباح المنير : ٩٠ .

(٤) مأخوذ من الفصد ، وهو قطع العِرْق لإسالة الدم . شبه جبينه بالعِرْق المفصود مبالغة في كثرة العرق . فتح الباري ١ : ٢١ .

(٥) الحديث رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب : حدثنا عبد الله بن يوسف ... ، ١ : ١٨ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب عرق النبي – صلى الله عليه وسلم – في البرد وحين يأتيه الوحي ، ٤ : ١٨١٦ (٢٣٣٣) بمعناه .

(٦) أنظر فتح الباري ١ : ٢٠ – ٢١ .

(٧) سورة البقرة : ٢٥٦ .

وبالقاف : هو الكسر الذي يكون في الأمور الصلبة .

فبين أن الملك حين ينزل الوحي عليه يتصل به ، ويلتبس به (١) ، ثم بعد ذلك ينفصل عنه وينفك عنه ، وهذا الأشتمال والأنفصال أبلغ من غيره ، فيحسن معه أن يكون ابدال أحدهما من الآخر أحسن من غيره . فيقال : هذا القرآن بلغه الرسول النبي ، وبلغه جبريل عن الله ، ونظائر هذا متعددة في جميع بشارات المسيح . يذكر أن الأب وهو في لغتهم : الله الذي يرسل الفار قليط . وفي بعضها قال : " أنا أطلب من الأب يعطيكم فار قليطا آخر ، يثبت معكم الى الأبد " ، وفي بعضها " والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء " فقد بين أن الله يرسله ، وأنه يطلب من الله أن يرسله .

وأما قوله : في بعض الألفاظ : " فاذا انطلقت أرسلته اليكم فيكون معناه : اني أرسله بدعاء أبي ، وطلبي منه أن يرسله . كما يطلب الطالب من ولي الأمر أن يرسل رسولا أو يولي نائبا أو يعطي أحداً ، ويقول : أنا أرسلت هذا ووليت هذا وأعطيت هذا ، أي : كنت سببا في ذلك . ومما ينبغي أن يعلم أن الله اذا قضى ما يُكوِّن الشيء فانه يقدر له أسبابا يكون بها ، ومن تلك الأسباب دعاء طائفة من عباده به ، فيكون في ذلك من النعمة في أجابته دعاء هذا وهذا وهذا .

ومحمد دعا به الخليل ـ عليه السلام ـ فقال : ﴿ ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٢) .

---

(١) هكذا (يلتبس به) . واللفظ الأنسب هنا (يتلبس) .

(٢) سورة البقرة : ١٢٩ .

مع أن الله قد قضى بأرساله وأعلن باسمه قبل ذلك ، كما قيل له يارسول الله ، متى كنت نبيا ؟ قال : (وآدم بين الروح والجسد) [١] وقال : (اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل [٢] في طينته)٠

---

(١) رواه الترمذي بمثله ، كتاب المناقب ، باب في فضل النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ٥ : ٥٨٥ (٣٦٠٩) قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن صحيح غريب ، من حديث أبي هريرة ، لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وفي الباب عن ميسرة الفجر"٠ ورواه أحمد في المسند ٤ : ٦٦ و ٥ : ٣٧٩ ٠ قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح ٠ مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ ٠

(٢) منجدل :أي ملقى بالجدالة وهي الأرض ٠ اللسان ١١ : ١٠٤ مادة : جدل ٠

(٣) رواه الامام أحمد في المسند ٤ : ١٢٧ - ١٢٨ ٠ من طرق بالفاظ ، كلها عن عرباض بن سارية بلفظ : (اني عبد الله لخاتم النبيين وان آدم ٠٠٠) الحديث ، وبلفظ (وخاتم) وبلفظ (اني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ٠٠٠) الحديث ، وأورده الهيثمي بلفظ (عند الله) بالنون ، وقال : رواه أحمد بأسانيد ، والبزار والطبراني بنحوه ٠٠٠ وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان ٠ مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ ٠ كما أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التاريخ ، ذكر أخبار سيد المرسلين ٠٠٠ ، ٢ : ٦٠٠ ، بلفظ (في أول الكتاب ٠٠٠) ، وقال :"هذا حديث صحيح الأسناد"، ووافقه الذهبي ٠

وهذا كما أن الله قضى بنصره يوم بدر ، ومن أسباب ذلك استغاثته بالله ، وكذلك بما يقضيه من انزال الغيث يكون من أسبابه دعاء عباده له ، ونظائره كثيرة. فلا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل محمدا ، ويكون هذا من أسباب ارساله ، لكن ابراهيم سأل في الدنيا ، فذكر الله ذلك ، بخلاف سؤال المسيح ، فانه كان بعد صعوده الى السماء.

فصل

(براهين قرآنية مستقلة، على نبوته - صلى الله عليه وسلم)

والقرآن - نفسه - قد بين من آيات نبوته وبراهين رسالته أنواعا متعددة، مع اشتمال كل نوع على عدد من الآيات والبراهين، مثال ذلك: اخباره لقومه بالغيب الماضي، الذي لا يمكن بشرا أن يعلمه، إلا أن يكون نبيا، أو يكون ممن تلقاه عن نبي. وقومه يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر ولا من أهل الكتاب ولا غيرهم. وهذا نوعان:

منه: ما كان يسأله عنه المشركون وأهل الكتاب، لينظر هل هو نبي أم لا ؟.

وكان قومه يرسلون الى أهل الكتاب، البعيدين عنهم، مثل من كان بالمدينة وغيرها من أهل الكتاب، يطلبون منهم ما يسألونه عنه، فيرسلون اليهم ليسألوه عن ذلك، ويمتحنون بذلك هل هو نبي أم لا ؟.

ومنه: ما كان الله يخبره به ابتداء، ويجعله علما وآية لنبوته، وبرهانا لرسالته، مع ما في ذكر هذه القصص من الاعتبار لأمور أخرى، فكان كل من هذين (١) النوعين دليلا وعبرة على نبوته، من طريقين، فكان دليلا وعبرة على نبوته من جهة اخباره بالغيب، الذي لا يعلمه الا نبي، وكانت عبرة بما فيها من أحوال المؤمنين والكافرين، التي توجب اتباع سبيل المؤمنين، الذين اتبعوا مثله، وتَجنُّب سبيل الكافرين، الذين خالفوا مثله، وحكم الشيء

---

(١) رسمها هكذا (هذى) وقد صوبتها .

حكم نظيره . فاذا كان من كان مثله ومثل من اتبعه سعيدا ، وحال من خالف مثله ومثل من اتبعه شقيا ، كان في هذا دلالة وعبرة توجب اتباعه وتنهى عن مخالفته ، وهذا - أيضا - دليلا (١) على نبوة من قبله من الأنبياء (٢) من وجهين : من جهة أنه أخبر بمثل ما أخبروا به ، من غير مواطأة (٣) بينهم وبينه ، ولا تشاعر (٣) ، لم يأخذوا عنه ، ولم يأخذ عنهم .

---

(١) هكذا ، وربما يكون هذا خطأ نحويا ، أو على توجيه بعيد . وأن تكون (دليل) بالرفع أقرب .

(١) الى هنا انتهى السقط من ك و ط الذي بمقدار صفحتين أو أكثر.

(٢) في ك و ط زيادة : (من جهة أنهم أخبروا به قبل أن يبعث بسنين كثيرة ، فكان الأمر كما أخبروا ، وهذا آية لنبوتهم . واخبارهم بنبوته دليل على نبوته ، فصار ما في الكتب المتقدمة من خبره دليلا على نبوة من قبله وعلى نبوته . وكما أن إخباره هو - أيضا - عنهم - مع بعد العهد - خبرا لم يتعلمه من بشر ، دليلا على نبوته ، وقد أخبر بنبوتهم ، فثبتت نبوته ونبوتهم - صلى الله عليهم أجمعين - . الجهة الثانية :) ويتفقان مع أ من هنا في قوله (أنهم أخبروا عنه) .

(٣) المواطأة : - على الأمر - أي الموافقة . والتشاعر : من : أشعره فشعر ، أي أدراه فدرى . مختار الصحاح : ٧٢٧ و ٣٣٩ .

وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصّلة ، يمتنع الاتفاق عليها عادة الا بتواطيء فاذا لم يكن تواطؤ وتشاعر ، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة ، علم أن كلا من المخبِرَيْن صادق ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ﴾ (١) ، وقص قصته في السورة الى أن قال : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (٢) * وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وما تسألهم عليه من أجر ، ان هو الا ذكر للعالمين * وكأين من آية (٣) في السمٰوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ ، الى قوله : ﴿ قل : هذه سبيلي ، أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين * وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ، من أهل القرى ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى اذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾

---

(١) سورة يوسف : ٠٧

(٢) يمكرون ؛ أي عندما تآمروا على أخيهم واحتالوا عليه وعلى أبيه . أنظر صفوة التفاسير ١٣ : ٦٩ .

(٣) أي كم من العلامات الدالة على وجود الله ـ جل وعلا ـ ووحدانيته الكائنة في السمٰوات والأرض ، كالشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والأشجار ، وسائر ما فيهما من العجائب . المصدر السابق والموضع نفسه .

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب (١) ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٢) وقال - تعالى - : ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ (٤) وقال :

﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم (٥) كانوا من آياتنا عجبا ﴾ (٥)

وقال - تعالى - لما قص قصة نوح من سورة هود ، وهي أطول

---

(١) أي عضة وتذكرة لأولي العقول النيرة . و(ما كان حديثا يفترى)، أي ما كان هذا القرآن أخبارا تروى أو أحاديث تختلق . المصدر السابق ١٣ : ٧٠ .

(٢) سورة يوسف : ١٠٨ - ١١١ .

(٣) سورة الكهف : ٨٣ .

(٤) سورة الاسراء : ٨٥ .

(٥) سورة الكهف : ٩ .

(٥) بقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له : الرقيم ، ويزعم بعضهم : أنهم ببلاد الروم . قالوا : هو لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا . والكهف المذكور الذي فيه أصحاب الكهف : بين عمورية ونيقية ، وبينه وبين طرسوس مسيرة عشرة أيام أو أكثر - (حسب سير القدماء) - وروى عن ابن عباس : أصحاب الرقيم سبعة ، وأسماؤهم : يمليخا ، مكسلينا ، مشلينا ، مرطونس ، دبريوس ، سرابيون ، افستطيوس . واسم كلبهم : قطمير ، واسم ملكهم دقيانوس ، واسم مدينتهم التي خرجوا منها ، أفسس ، ورستاقها (ناحيتها) : الرس . واسم الكهف : الرقيم ، وقيل غير ذلك في أسمائهم . أنظر معجم البلدان ٣ : ٦٠ - ٦١ .

ما قصد في قصة نوح (١) : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ، ان العاقبة (٢) للمتقين ﴾ (٣) فذكر - سبحانه - أن هذا الذي أوحاه اليه (٤) من أنباء الغيب ، ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا . فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك ، لا من أهل الكتاب ، ولا من غيرهم ، وهو لم يعاشر (٥) الا قومه ، وقومه يعلمون ذلك منه ، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ، ويعلمون - أيضا - أنه هو لم يكن تعلم ذلك ، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم ، وهم لا يعلمون ذلك ، صار هذا حجة على قومه ، وعلى من بلغه خبر قومه . ومثل (٦) ما أخبرهم عن قصة آدم ، وسجود الملائكة له ، وتزيين ابليس له حتى أكل من الشجرة ، وهبط هو وزوجه (٧) ، وأخبرهم عن قصة (٨) نوح (٩) ، ومكثه فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده .

---

(١) في ك (ما قصه في القرآن من قصة نوح) وفي ط (ما قصه الله في القرآن من قصة نوح) .

(٢) العاقبة : آخر كل شيء . ترتيب القاموس ٣ : ٢٦٨ .

(٣) سورة هود : ٤٩ .

(٤) هكذا في ط ، وفي أ و ك (إليك) وضمير الغيبة أنسب نظرا لما بعده .

(٥) يعاشر : أي يخالط . مختار : ٤٣٤ .

(٦) في ك و ط زيادة : (هذا) .

(٧) في ط (زوجته) .

(٨) سقطت كلمة (قصة) من ك و ط .

(٩) في ك و ط زيادة (ودعاؤه على قومه) .

وأخبرهم عن قصة الخليل ، وما جرى له مع قومه ، والقائد في النار ، وذبح ولده ، ومجيء الملائكة اليه في صورة ضيفان(١) ، وتبشيره باسحاق ويعقوب ، وذهاب الملائكة الى لوط ، وما جرى للوط مع قومه ، واهلاك الله مدائن قوم لوط ، وقصة إسرائيل (٢) مع بنيه ، كقصة يوسف وما جرى له بمصر ، وقصة موسى مع فرعون ، وتكليم الله اياه مرة بعد مرة ، وآياته كالعصا واليد البيضاء ، والقمّل والضفادع والدم ، وفلق (٣) البحر ، وتظليل الغمام (٤) على بني إسرائيل ، واطعامهم المنّ (٥) والسلوى ، وانفجار الماء من الحجر اثنى عشر عينا لسقيهم ، وعبادتهم العجل ، وقتل بعضهم بعضا لما تاب الله عليهم ، وقصة البقرة ، ونتق الجبل فوقهم (٦) ، وقصة داود ، وقتله لجالوت (٧) ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم (٨) وهم ألوف حذر الموت ،

---

(١) جمع : ضيف ، مثل : ضيوف ، وهم الذين ينزلون بدار غيرهم ٠ أنظر مختار : ٣٨٦ ٠

(٢) في ك و ط (يعقوب) ٠

(٣) الفلق : من باب ضرب ، هو الشق ، مختار : ٥١١ ٠

(٤) الغمام : السحاب الأبيض ، الواحدة : غمامة ٠ ظللوا به ليقيهم حر الشمس ٠ تفسير القرآن العظيم ١ : ١٣٤ ٠

(٥) المن : الظاهر ــ والله أعلم ــ أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك ، مما ليس فيه عمل ولا كد ٠ والسلوى : طائر مثل الحمام ٠ المصدر السابق ١ : ١٣٨ ٠

(٦) أي رفعته الملائكة فوق رؤوسهم ٠ المصدر السابق ٣ : ٤٩٩ ٠

(٧) هو ملك العمالقة ، قتله داود ــ عليه السلام ــ ،حيث قذفه في القتال بأحجار معه ،فوقع الحجر بين عينيه ،فثقب رأسه فقتله ، ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره فانهزم عسكر جالوت ــ باذن الله ــ ٠ أنظر الكامل ١ : ١٢١ ــ ١٢٤ ٠

(٨) سقطت (من ديارهم) من أ ٠

فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، وقصة الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه ، وغير ذلك من أحوال بني اسرائيل .

الى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى (١) ، وعيسى بن مريم ، وأحوال المسيح وآياته ، ودعائه لقومه ، والآيات التي بعث بها ، وتفاصيل ذلك ، وذكر قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين ، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار ، مفصلة مبينة بأحسن بيان ، وأتم معرفة ، مع علم قومه ، الذين يعرفون أحواله ، من صغره الى أن ادّعى النبوة : أنه لم يتعلم هذا من بشر ، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك ، لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم .

فكان هذا من أعظم (٣) الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله ، ومثل هذا الغيب لا يعلمه الا نبي ، أو من أخذ عن نبي ، فاذا لم يكن هو (٤) أخذه عن نبي ، تعيّن أن يكون نبيا .

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر ، من طرق :

---

(١) يحيى - نبي الله ،عليه السلام - : وهو الذي يسمونه (يوحنا المعمدان) لأنه كان يعمد الناس - أي يطهرهم عندما يخطئون ثم يتوبون - وذلك بنهر الأردن ، وطريقة هذا التعميد مجهولة الآن ، ويحيى هو الذي عمد المسيح بنهر الأردن عند النبوة كما يذكر أهل الكتاب في كتابهم . أنظر انجيل مرقس،الاصحاح الأول : ١ - ١١ العهد الجديد : ٤٧ ومواضع أخرى في انجيل متى ولوقا ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٦٣٧-٦٣٨ ، وما كتبه د. أحمد السقا في كتابه : يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية ، ط ١ ، دار التراث العربي ، القاهرة ١٣٩٩هـ والبداية والنهاية ٢ : ٥٢ - ٥٥ .

(٢) في ك و ط (كان) .

(٣) في ك و ط (عظيم) .

(٤) في ك و ط زيادة : (قد) .

أحدها : أن قومه المعادين له ، الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته ، مع كمال علمهم - لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر - لطعنوا عليه [(١)] بذلك وأظهروه ، فانهم - مع علمهم - بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح [(٢)] فيه ، يمتنع أن لا يقدحوا فيه ، ويمتنع أن لا يظهر ذلك .

الثاني : أنه قد تواتر عن قومه أنهم كانوا يقولون : انه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك .

الثالث : أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عداوته لهم [(٣)] ، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ، ولو أظهروا ذلك ، لنقل ذلك وعرف ، فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقله [(٤)] .

الرابع : أنه حين بعث ، كان الناس إما مشركا ، وإما كتابيا ، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا اليه . وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين - من قريش وغيرهم - لم يكونوا يعرفون هذه القصص ، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها ، فهم أول من دعاهم الى دينه فعادوه وكذبوه ، فلو كان فيهم من علمه ، أو يعلم أنه تعلّم من غيره ، لأظهر ذلك .

الخامس : أن مثل هذا لو كان ، فلابد أن يعرفه - ولو خواص الناس - ، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك ، وكان ذلك يشيع ،

---

(١) أي ضربوه ووخزوه بالقول . أنظر ترتيب القاموس ٣ : ٧٩ .

(٢) القدح : الطعن . المصدر السابق ٣ : ٥٦٧ .

(٣) أي بعد قيام دولته وعلو شأنه وامتناعهم عن الاستجابة لدعوته .

(٤) في ط فقط (نقلها) .

ولو تواصوا بكتمانه ، كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية (١) ، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه ، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن ، كما عرف في مثل ذلك (٢) .

فكيف ، وكان أخص أصحابه ، وأعلمهم بحاله ، أعظمهم محبة وموالاة ؟ بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر ، فان خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن .

---

(١) في ك و ط (نظائر ذلك) .

(٢) وهم الذين يزعمون أن لظواهر آيات القرآن بواطن ، والمراد بها : غير ما عرف من معانيها في اللغة ، فرفعوا الشريعة كليا . ويسمون (القرامطة) ، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة ، أتباع الفلاسفة ، من الفرس الذين يعتقدون نبوة (زراد شت) و (مزدك) ، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون الى الباطل من جهتهم لأنهم أقل الناس عقولا ، ويقال لهم (الاسماعيلية) لانتسابهم الى اسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق ، وانتسابهم - أيضا - الى قرمط بن الأشعث البقار ، فلذلك سمو بالقرامطة ، وهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض ، فلذلك سمو بالباطنية ، ويقال لهم - أيضا - : الجرمية والبابكية والمحمرة والتعليمية ، والسبعية ، ومن دولهم (قلعة شاهدر) ، وصاحبها : أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، سنة ٥٠٠ هـ وهي بالقرب من أصبهان ، و (قلعة ألموت) وصاحبها الحسن ابن الصباح الرازي الذي مات سنة ٥١٨ هـ . أنظر البداية والنهاية ١١ : ٦١ - ٦٢ ، والكامل ٨ : ٢٤٢ و ٣١٧ ، واللباب في تهذيب الانساب ١ : ١١٠ .

فانه علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة ، وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق ، يعلمون (١) أنه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا ، وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا .

علم الناس ما علمه قومه (٢) أن هذا (٣) أنبأه به الله ، وكان هذا من أعلامه (٤) وآياته وبراهينه ، وهذا مما يبين (٣) الله في القرآن أنه من آياته ، وأنه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم ، وفرط (٥) عداوتهم له ، لم يمكن أحدا منهم أن يقول له : بل فينا من كان يعلم ذلك ، وأنت كنت تعلم ذلك ، وقد تعلمته منا أو من غيرنا . فكان اقرارهم بعدم علمه وعلمهم ، مع فرط عداوتهم له ، آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك .

ولهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة ، كانوا كلهم يعلمون كذبه ، واذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعرفون (٦) أن هذا كذب ظاهر عليه ، كما كان بعضهم يقول : إنه مجنون ، وبعضهم يقول : إنه كاهن . وبعضهم يقول : إنه ساحر . وبعضهم يقول : إنه (٧) ، تعلمه من بشر . وبعضهم يقول : أضغاث أحلام .

---

(١) في ك و ط (يخبرون) .

(٢) في ك و ط زيادة : (من) .

(٣) في ك و ط زيادة : (إنما) .

(٣) في ك و ط (بيّن) .

(٤) جمع علامة وهي السّمة . ترتيب القاموس ٣ : ٣٠٢ .

(٤) في ط (إعلامه) بكسر الهمزة .

(٥) من أفرط في الأمر : اذا جاوز فيه الحد ، يقال : إياك والفرط في الأمر . مختار الصحاح : ٤٩٩ .

(٦) في ك و ط (يعترفون) .

(٧) في ك و ط زيادة : (معلّم) .

فحكى الله أقوالهم (١)، مبينا لظهور (٢) كذب من قال ذلك ، وأنه قول ضال حائر ، قد بهره حال الرسول فحار فلم يدر ما يقول ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان (٣) على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ الذي له ملك السملوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديرا ﴾ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا (٣) ﴾ وقال الذين كفروا إن هذا الا إفك (٣) افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا (٣) ﴾ وقالوا أساطير (٣) الأولين اكتتبها (٣) فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ قل أنزله الذي يعلم السر في السملوات والأرض انه كان غفورا رحيما ﴾ (٤) فأخبر عمن قال ذلك ، وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب ، فان هذه القصص المذكورة في القرآن ، لم يكن بمكة من يعرفها ، فضلا عن أن يمليها كما قال : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ... ﴾ (٥) وقال : ﴿ ... ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا .... ﴾ ولهذا قال :﴿ (٧) أنزله الذي يعلم

---

(١) أي نقله . ترتيب ١ : ٦٨٦ .

(٢) في ك و ط (ظهور) .

(٣) الفرقان : القرآن ، لأنه الفارق بين الحق والباطل ، والنشور : بعث الأموات . الإفك : الكذب . والزور : البهتان . أساطير : أحاديث خرافة . اكتتبها : أمر أن تكتب له . أنظر صفوة ١٨: ٣٥٤.

(٤) سورة الفرقان : ١ ـ ٦ .

(٥) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(٦) سورة هود : ٤٩ .

(٧) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : (قل) .

السر في السموات والأرض ...﴾[١] ، فأخبر أن هذا من عِلْم من يعلم السر ، اذ كان البشر لا يعلمون ذلك إلا من جهة أخبار الأنبياء ، وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء .

ثم ذكر ما اقترحوه[٢] فقال : ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾ أو يلقى اليه كنز[٣] أو تكون له جنة[٤] يأكل منها وقال الظالمون : ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ﴾[٥] ، أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال ، حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهورا لا يخفى على الناظر ، ولهذا قال : (... فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) اذ كان ظاهرا أن هذا ضلال عن طريق الحق ، فلا يستطيع الضال عن طريق الحق[٦] اليه سبيلا .

وقال - تعالى - : ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾[٧]

---

(١) سورة الفرقان : ٦ .

(٢) الاقتراح : ارتجال الكلام ، واستنباط الشيء من غير سماع . ترتيب القاموس ٣ : ٥٨٤ .

(٣) الكنز : الذهب والفضة ، أو المال المدفون . المصدر السابق ٣: ٨٧ .

(٤) الجنة : الحديقة ذات النخل والشجر . المصدر السابق ١: ٥٤٣ .

(٥) سورة الفرقان : ٧ - ٦ .

(٦) سقطت كلمة (الحق) من ك .

(٧) الرجيم : من الرجم : وهو القتل ، وأصله الرمي بالحجارة . مختار : ٢٣٦ .

إنه ليس له سلطان [1] على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه [1] . والذين هم به مشركون * وإذا بدلنا آية مكان آية ـ والله أعلم بما ينزل ـ قالوا : إنما أنت مفتر ، بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي [2] ، وهذا لسان عربي مبين * [3] ، فأخبر عما افتراه بعضهم ، من قوله : إنما يعلمه هذا [4] القرآن بشر .

---

(١) سلطان : أي تسلط وقدره . يتولونه : أي يطيعونه ويتخذونه لهم وليا . صفوة التفاسير ١٤ : ١٤٣ .

(٢) أي لسان الذي يزعمون أنه علّمه ، وينسبون اليه التعليم . المصدر السابق ، والموضع نفسه .

(٣) سورة النحل : ٩٨ ـ ١٠٣ .

(٤) في جميع النسخ (هدى) وهي بالتأكيد اسم اشارة (هذا) مشار به الى القرآن ولكن على طريقة الاملاء القديمة من كتابة الألف الممدودة بألف لينة ، ـ ولو أحيانا ـ .

وكان بمكة مولى أعجمي لبعض قريش قيل : إنه مولى لبني الحضرمي (١) ، والنبي لا يحسن أن يتكلم (٢) بلسان (٣) العجمي ، وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا الكلام (٤) العربي . فلما قالوا : انه افترى هذا (٥) القرآن ، وأنه علمه اياه بشر ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ... لسان الذي يلحدون .... ﴾ : أي يضيفون اليه هذا التعليم ، وينسبونه اليه ، وعبّر عنه بلفظ (٦) الالحاد ، لما فيه من الميل ، فقال (٧) : لسان هذا الشخص الذي قالوا : إنه يعلمه القرآن ، لسان أعجمي ، وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم الى رجل عربي ، بل الى هذا لأعجمي ، لكونه كان (٨) يجلس ـ أحيانا ـ الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وذلك الأعجمي لا يمكنه (٩) التكلم بهذا الكلام العربي ، بل هو أعجمي ، ومحمد لا يعرف بالعجمية ،

---

(١) هو جبر الرومي النصراني ، غلام لبعض بني الحضرمي ، وقيل اسمه : يعيش ، وقيل : بلعام . وقيل : كانا غلامين روميين ، يقرآن كتابا لهما بلسانهما . أنظر تفسير القرآن العظيم ٤ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .

(٢) سقطت (يتكلم) من أ و ك فاثبتناها من ط ، وط تحتاج الى (أن) قبل (يتكلم) ليستقيم السبك .

(٣) في ط (باللسان) .

(٤) في ك و ط (اللسان) .

(٥) في ك (هدي) وفي ط (هدى) .

(٦) أي أعرب عنه وأبان وأفصح . ترتيب ٣ : ١٣٨ و ١٨١ .

(٧) هنا محذوف مقدر من عبارة الشيخ هي: (ما معناه) ، على طريقة ابن جرير الطبري في تفسيره .

(٨) في ك و ط زيادة (ربما) .

(٩) في ك و ط (أن يتكلم) .

لكن غاية ذاك الأعجمي ـ كعبد بني الحضرمي ـ : أن يعرف قليلا من كلام العرب ، الذي يحتاج اليه في العادة ، مثل الألفاظ التي يحتاج اليها في غالب الأوقات ، كلفظ الخبز ، والماء ، والسماء ، والأرض ، ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من (١) القرآن .

فبيّن ـ سبحانه ـ ظهور كذبهم فيما افتروه ، ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة من (٢) تعلمه أنباء الغيب ، من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك ، وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد ، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه قال قولا يخفى بطلانه ، بل ما يظهر كذبه لكل أحد .

فتبيّن أنه لم يمكنهم أن يقولوا : إنه تعلم أخبار الغيوب من أحد . وهذه القصة : قصة نوح ـ لا سيما قصته (٣) في سورة هود كما تقدم ـ لا يعلمها إلا نبي أو من تلقاها عن نبي . فاذا عرف أنه لم يتلقاها (٤) عن أحد علم أنه نبي ، ولهذا قال ـ تعالى ـ في آخرها : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (٦) والقول في سائر القصص ، كالقول فيها .

---

(١) في ط و ك زيادة : (سور) .

(٢) في ك و ط (في) .

(٣) في ك و ط زيادة : (المستوفاة) .

(٤) في ط (ينقلها) .

(٥) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس .

(٦) سورة هود : ٤٩ .

وكما قال ـ في سورة يوسف ـ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ (١) ، وقال ـ في سورة آل عمران ، لما ذكر قصة زكريا ومريم ـ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ (٢) ، وقال ـ في قصة موسى ـ : ﴿ وما كنت بجانب الغربي (٣) إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين * ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا (٤) في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين * وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ..... ﴾ (٥) الآية .

والانسان إنما يعلم مثل هذا بمشاهدة أو خبر ، فنبه بقوله : (وما كنت لديهم) على أنه (٦) إنما علمت ذلك بإخبارنا وإيحائنا إليك وإعلامنا لك بذلك ، إذ كان معلوما عند كل من عرفه : أنه لم يسمع ذلك من بشر ، وانه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك .

وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ، ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون ﴾ (٧) ؟ بين بذلك أن

---

(١) سورة يوسف : ١٠٢ .

(٢) سورة آل عمران : ٤٤ .

(٣) هو جانب الجبل الغربي ، الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيه ، على شاطئ الوادي . تفسير القرآن العظيم ٦ : ٢٥٠ .

(٤) أي مقيما . المصدر والموضع السابق .

(٥) سورة القصص : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٦) في ك و ط (أنك) .

(٧) سورة يونس : ١٦ .

تلاوته عليهم هذا الكتاب ، وإدراؤهم : أي إعلامهم به ، هو بمشيئة الله وقدرته (١) ، لا من تلقاء نفسه ، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي (٢) إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ..... ﴾ (٣) الآية .

فبيّن أنه لبث فيهم عمرا من قبله ، وهو لا يتلو شيئا من ذلك ، ولا يعلمه (٤) ، ولا يعلمهم به فليس الأمر من جهته ، ولكن من جهة الله ، الذي لو شاء ما تلاه عليهم ، ولا أدراهم به ، وتلاوته (٥) عليهم وإدراؤهم به هو من الإعلام بالغيوب الذي لا يعلمها إلا نبي ، وبيّن أن ذلك من الإرسال (٦) الذي يحبه الله (٧) ويرضاه ، لا من الكوني الذي قدره (٨) ، وهو لا يحبه ولا يرضاه ، كإرسال الشياطين ولهذا كان (٩) يعرضون عليه أن يصير ملكا عليهم ،

---

(١) في ك و ط (قبل هذا) .

(٢) أي من قبل نفسي . صفوة التفاسير ١١ : ٥٧٧ .

(٣) سورة يونس : ١٥ ـ ١٦ .

(٤) سقطت (ولا يعلمه) من ك و ط .

(٥) في أ : (تولاته) وهو خطأ نسخي بحت .

(٦) في ك و ط زيادة : (الديني) .

(٧) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم .

(٨) في ك و ط زيادة : (وقضاه) .

(٩) في ك و ط (كانوا) .

وأن يعطوه حتى يكون من أغناهم ، وأن يزوجوه ما شاء من نسائهم فيقول : (لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر ، لم أستطع أن أدعه)[١] وهذه الثلاث هي مطلوب النفوس من الدنيا (السلطان ، والمال ، والنساء) فيعرض[٢] عن قبول الدنيا التي هي غاية أماني طالبها ، ويبيّن[٣] أنه لا يقدر على أن يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن كادوا ليفتنونك[٤] عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ﴾ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم[٤] شيئا قليلا ،إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات[٥] ثم لا تجد لك علينا نصيرا ، وإن كادوا ليستفزونك من الارض ، ليخرجوك منها ، وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ﴾

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير بمعناه ج ٤ ، ق ١ : ١٥ .
وأخرجه الطبراني بمعناه ـ أيضا ـ في الأوسط والكبير ، وأبو يعلى ـ بمعناه ـ أيضا ـ ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، كما قال الهيثمي في المجمع ٦ : ١٤ ـ ١٥ . وأخرجه البيهقي في الدلائل ـ بمعناه ـ أيضا ـ ٢ : ١٨٧ ، وهو في السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٢) في ك (فعرض) ، وفي ط (فأعرض) .

(٣) في ك و ط (وبين) .

(٤) أي يصرفونك . تركن إليهم : تميل إليهم وتسايرهم على ما طلبوا . صفوة التفاسير ١٥ : ١٧١ .

(٥) أي لضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . يستفزونك : يخرجونك من أرض مكة بمكرهم وإزعاجهم . المصدر والموضع السابق.

سنة[1] من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾[2] بيّن - سبحانه - أنهم كادوا[3] أن يمنعوه بكل طريق ، فإن الإنسان إنما يتم عمله بإرادته وقدرته . فمع الادارة الجازمة ، والقدرة التامة يجب وجود المقدور ، وإذا تعذر أحدهما امتنع . فطلبوا تغيير إرادته ليركن إليهم فيغير ما أوحى إليه ، فعصمه الله وثبّته .

ثم طلبوا تعجيزه بأن يستفزوه ويخرجوه ، حتى يعجز عن تبليغ رسالة[4] ربه ، ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة ، أسوة من[5] تقدمه من الرسل ، فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمة ، أخرج نبيها منها[6] ، ثم أهلكها ، لا يهلكها وهو بين أظهرها ، كما قال - تعالى - : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ وهذا بعد قوله : ﴿ واذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ﴾[7] قال - تعالى - :﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾[8] فلما خرج من بينهم بالهجرة أتاهم الله بعذاب أليم يوم (بدر) وغيره .

---

(١) أي طريقة وعادة . تحويلا : تبديلا أو تغييرا . المصدر والموضع السابق .

(٢) سورة الاسراء : ٧٣ - ٧٧ .

(٣) في ك و ط (طلبوا) .

(٤) هكذا في ك و ط ، وفي أ (رسالته) ، وما في ك و ط أصح فلهذا أثبتناه .

(٥) في ط - فقط - (بمن) .

(٦) في ك و ط (من بينها) .

(٧) سورة الأنفال : ٣٢ - ٣٣ .

(٨) سورة الأنفال : ٣٢ .

فقوله : ﴿ إن كادوا ليفتنونك... ﴾ (١) إشارة إلى سعيهم في إفساد إرادته ، وقوله : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض.... ﴾ (٢) إشارة إلى سعيهم في تعجيزه .

وقال - تعالى - : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ (٣) ، بيّن - سبحانه - من حاله ما يعلمه العامة والخاصة ، وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه ، متواتر عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس : أنه كان أميا لا يقرأ كتابا ، ولا يحفظ (٤) كتابا من الكتب ، لا المنزلة ولا غيرها ، ولا (٦) يقرأ شيئا مكتوبا ، لا كتابا منزلا ولا غيره ، ولا يكتب بيمينه كتابا ولا ينسخ شيئا من كتب الناس ، لا المنزلة ولا غيرها (٥) .

ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقينا وحفظا ، وإما أن يأخذ من كتابه ، وهو لم يكن يقرأ شيئا من الكتب من حفظه ، ولا يقرأ مكتوبا . والذي يأخذ من كتاب غيره ، إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه ، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ .

وقال - تعالى - : ﴿ و(٧)إنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ،

---

(١) سورة الاسراء : ٧٣ .

(٢) السورة السابقة : ٧٦ .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(٤) في ك و ط (يخط) . وما في اكسفورد موافق لما في أ .

(٥) في ط (غيره) .

(٦) في ط بدون عطف .

(٧) سقطت الواو من ط .

على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ، وإنه لفي زبر الأولين (١) ، أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (٢) ﴾

إلى قوله : ﴿ وما تنزّلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون ، فلا تدع مع الله إلٰها آخر . فتكون من المعذبين ، وانذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل : إني بريء مما تعملون ، وتوكل على العزيز الرحيم ، الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين ، إنه هو السميع العليم ، هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ، والشعراء يتبعهم الغاوون (٣) ، الم تر أنهم في كل واد يهيمون (٣)، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (٤) ﴾

---

(١) أي كتب الأنبياء السابقين . صفوة ١٩ : ٣٩٥ م ٢ .

(٢) سورة الشعراء : ١٩٢ – ١٩٧ .

(٣) أي الضالون . يهيمون : أي يسلكون في المديح والهجاء كل طريق ، يمدحون الشيء بعد أن ذموه ، ويعظمون الشخص بعد أن احتقروه . أىّ منقلب ينقلبون : أيّ مرجع ؟ وأيّ مصير ؟ يرجعون اليه ويصيرون اليه ؟ فإن مرجعهم الى العقاب ، وهو شر مرجع ، ومصيرهم الى النار وهو اقبح مصير . المرجع السابق ١٩ : ٣٩٧ – ٣٩٨ م ٢ .

(٤) سورة الشعراء : ٢١٠ – ٢٢٧ .

فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ ، وقال : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ (١) ، وعلماء بني إسرائيل (٢) : يعلمون ذكر إرسال محمد ، ونزول الوحي عليه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ... الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ..... ﴾ (٣) وقال : ﴿ ... والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ (٥) وقال : ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ (٦) ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر .

فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته ، وعرشه وملائكته ، وخلقه السموات والأرض وغير ذلك ، بمثل ما أخبرت به الرسل قبله . وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وبالعدل والصدق ، والصلاة والزكاة . ونهى عن الشرك والظلم والفواحش ، كما أمرت ونهت الرسل قبله .

والسّور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة ، التي اتفقت عليها الرسل ، التي لابد منها ، وهي الاسلام العام ، الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينا غيره .

---

(١) سورة الشعراء : ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٢) سقطت من أ جملة (وعلماء بني اسرائيل) فأثبتناها من ك و ط .

(٣) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(٤) سورة الأنعام : ١١٤ .

(٤) ليس في أ الا كلمة (فلا) وهي ليست في ك ولا ط ، وقد أتممنا الآية مراعاة لما في أ .

(٥) سورة القصص : ٥٢ .

(٦) السورة السابقة : ٥٣ . وقد فصل الشيخ المؤلف بين الآيتين ، مع تجاورهما في المصحف من أجل التنبيه على المعنى الموجود في كل آية منهما ، أو لأي سبب آخر .

وأما السّور المدنية ، ففيها (١) هذا ، وفيها ما يختص به محمد - صلى الله عليه وسلم - من الشرعة والمنهاج . فإن دين الأنبياء واحد ، كما ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (إنا - معشر الأنبياء - ديننا واحد) (*) قال الله (٢) - تعالى - ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (٣) ، وقال - تعالى - : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا ، إني بما تعملون عليم * وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٤) ، وقال - تعالى - : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه ، واتقوه ،

---

(١) في أ (فيها) .

(٢) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم .

(*) رواه البخاري بلفظ : (... والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد) ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم .. ﴾ ، ٦ : ٤٧٨ (٣٤٤٣) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى - عليه السلام ٤٠ : ١٨٣٧ (٢٣٦٥) بمثله .

(٣) سورة الشورى : ١٣ .

(٤) سورة المؤمنون : ٥١ - ٥٣ .

وأقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرّقوا دينهم (١) ، وكانوا شيعا (١) ، كل حزب بما لديهم فرحون * (٢) .

وأما الشرعة والمنهاج ، فقد قال عن أهل التوراة والإنجيل والقرآن : * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * (٣) وقال : * ولكل أمة جعلنا منسكا (٤) ، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر (٥) ، كذلك سخرناها لكم ، لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ....* (٦) إلى قوله : * لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ...* (٧) ،

وأما القبلة : فلم يجعل ما ابتدعه أهل الكتاب من القبلة ، فلذلك قال : * ولكل وجهة هو موليها .... * (٨) لم يقل : إنا جعلنا لكل وجهة ، كما قال في المنسك والشرعة والمنهاج ، وقال - تعالى - : *وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى * (٩)

---

(١) فرقوا دينهم ; أي بدلوه وغيروه ، وآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض . شيعا : فرقا ، كل فرقة منها تزعم أنها على شيء . تفسير القرآن العظيم ٦ : ٣٢٣ .

(٢) سورة الروم : ٣٠ - ٣٢ .

(٣) سورة المائدة : ٤٨ .

(٤) أي مكانا للذبح تقربا إلى الله . صفوة التفاسير ١٧ : ٢٨٩ .

(٥) القانع : المتعفف . والمعتر : السائل . المصدر السابق ١٧ : ٢٩٠ .

(٦) أي لن يصل إليه - تعالى - شيء من لحومها ولا دمائها ، ولكن يصل إليه التقوى منكم بامتثال أوامره ، وطلبكم رضوانه . المصدر والموضع السابق .

(٧) سورة الحج : ٣٤ - ٦٧ .

(٨) سورة البقرة : ١٤٨ .

(٩) سورة طه : ١٣٣ .

فانه إذا أتاهم ببيان ما في الصحف الأولى ، مع علمهم بأنه لم يعاشر أحدا من أهل الصحف الأولى ، ولا استفاد منهم علما ، كان هذا من أعظم الآيات من الله .

وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته ، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله ، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة ، كابن سينا وأمثاله : (إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية أو العقل الفعال) ويقولون : (إن النفس أو العقل ، هو اللوح المحفوظ وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء) ، ويقولون : (النبوة مكتسبة ، لأن هذه صفتها) ويقولون : (إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية) ، وزعموا (١) أنها اللوح المحفوظ ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض ، فتكون عالمة بما يحدث في الأرض ، لأن العلم بالسبب ، يوجب العلم بالمسبب (٢) . فإن هذا مبني على مقدمات باطلة (٣) ، قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر .

---

(١) في ك و ط (ويزعمون) .

(٢) راجع ما كتبه (دي بور) في كتابه : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، وخاصة الباب الرابع من كتابه المذكور : ١٧٦ وما بعدها ، ثم ما كتبه عن فلسفة ابن سينا – بالأخص – : ٢٥٣ – ٢٦٨ ، ترجمة د. أبي ريده. وكذلك ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل ٢ : ١٧٣ – ٢٠١ من مسائل الإلهيات عند ابن سينا .

(٣) راجع ما كتبه الشيخ المؤلف في فساد مذهب الفلاسفة من كتابه القيم درء تعارض العقل والنقل ٨ : ١٦١ وما بعدها . وفي مواضع أخرى منه . وكتاب النبوات – له أيضا – : ١٦٨ وما بعدها . دار الفكر ، بيروت .

منها : إثبات العقل الفعال . ومنها : دعواهم أنه لا سبب للحوادث إلا حركة الفَلَك . ومنها : أن المحرك له هو النفس . ومنها : اتصال نفوسنا بتلك النفس .

والمقصود – هنا – أن هذا لو كان حقا فإنما يفيد علما بالمستقبل الذي تكون الحركة الحاضرة سببا له . أما ما قد مضى (١) بمئين أو ألوف من السنين فليس شيء من حركات الفلك – حين مبعث الرسول – كان سببا له ، وإنما تكون الحركة الموجودة في زمانه سببا للمستقبل ، لا للماضي، وحينئذ فلا يكون تحريك النفس للفلك سببا للعلم بهذه الأمور ، ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ ، بل القرآن المجيد في لوح محفوظ ، وهو في أم الكتاب ، وهو (٢) : ﴿ في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون ﴾ (٣) وأخبر – سبحانه – أنه : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٤) وقال – في آية أخرى – : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ (٥) وقال في موضع آخر : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله ..... ﴾ (٦)

---

(١) في ك و ط زيادة : (قبل ذلك) .

(٢) سقطت : (وهو) من ك و ط .

(٣) مكنون : مصون ومحفوظ . المطهرون : الملائكة ، الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث . أنظر صفوة ٢٧ : ٣١٥ .

(٣) سورة الواقعة : ٧٨ – ٧٩ .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٣ .

(٥) سورة النحل : ١٠٢ .

(٦) سورة البقرة : ٩٧ .

وقال : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين (١) * مطاع ثمّ أمين (٢) * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين (٣) * وما هو على الغيب بضنين (٤) * وما هو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون (٥) * إن هو إلا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم (٦) * ﴾ وقال – تعالى – : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (٧) فذكر أنه قول رسول اصطفاه من الملائكة ، نزله به على رسول اصطفاه من البشر ، فقال : ﴿ إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض

---

(١) أي صاحب مكانة رفيعة ، ومنزلة سامية عند الله – جل وعلا – صفوة التفاسير ٣٠ : ٥٢٥ .

(٢) أي مطاع هناك في الملأ الأعلى ، تطيعه الملائكة الأبرار ، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الأنبياء . المصدر والموضع السابق .

(٣) أي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى جبريل – عليه السلام – على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح ، ورسول الله على الأرض ، وهذه هي الرؤية الأولى ، وذلك في أوائل البعثة ، في الأبطح بمكة . أنظر تفسير القرآن العظيم ٧ : ٤٢٠ .

(٤) أي متهم أو بخيل ، قرئت متواترة بالضاد والظاء . المصدر السابق ٨ : ٣٦٢ .

(٥) فأين تذهبون : أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم للقرآن مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه جاء من عند الله – عزل وجل – المصدر والموضع السابق .

(٦) سورة التكوير: ١٩–٢٨. وقد زاد في ك و ط الآية الباقية وهي قوله – تعالى –: ﴿ وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ .

(٧) سورة الحج : ٧٥ .

(٧) أي يختار رسلا من الملائكة ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحي إلى أنبيائه ،ويختار رسلا من البشر لتبليغ شرائع الدين لعباده ،والآية رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر . صفوة التفاسير ١٧ : ٢٩٩ .

الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين (٢) * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وانه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم * (١) فنزه كلا من الرسولين عما قد يشتبه به .

نزه المَلَك أن يكون شيطانا ، ونزه البشر أن يكون شاعرا أو كاهنا ، وبيّن برهان ذلك وآيته ، فقال : * وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون * (٣) فبين أنه ما يصلح لهم النزول به ، بل هم منهيون عن ذلك ، وهم ممتنعون عن ذلك ، لا يريدونه (٤) ، لمنافاته لمقصودهم ، وأنهم لو أرادوا (٥) لعجزوا عن ذلك ، فلم يستطيعوه ، اذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من

---

(١) سورة الحاقة : ٤٠ - ٥٢ .

(٢) هو نياط القلب : وهو العرق الذي القلب معلق فيه ، أو هو القلب ومراقه (ما سفل من البطن فما تحته) وما يليه . تفسير القرآن العظيم ٨ : ٢٤٥ .

(٣) سورة الشعراء : ٢١٢ .

(٣) أي بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله ، لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا ، في مدة إنزال القرآن على رسوله ، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه ، لئلا يشتبه الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده ،وحفظه لشرعه ، وتأييده لكتابه ولرسوله . المصدر السابق ٦ : ١٧٥ .

(٤) هكذا في ط ، وفي آ (يريدونهم) وفي ك (لا يريدوه) وما أثبتناه أصوب .

(٥) في ك و ط زيادة : (ذلك) .

الملأ الأعلى ، وهم إنما يقدرون (١) على أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه ، وذلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريدا له قادرا عليه .

فبيّن بقوله : ﴿ ... وما ينبغي لهم .... ﴾ : أنهم لا يريدون تنزيله وبقوله : ﴿ ... وما يستطيعون ﴾ : أنهم عاجزون عن تنزيله . أما (٢) كونهم لا يريدون ، فلأنه لا ينبغي لهم ، (وينبغي) (٣) : مضارع بغى يبغي : أي طلب وأراد ، فالذي لا ينبغي للفاعل ، هو الذي لا يطلبه ولا يريده ، إما لكونه ممتنعا من ذلك ، أو لكونه ممنوعا منه . والشيطان إنما يريد الكذب والفجور ، لا يريد الصدق والصلاح .

وما جاء به الرسول ، مناقض لمراد الشياطين غاية المناقضة ، فلم يحدث في الأرض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من إرسال محمد ، فنزول (٤) القرآن عليه . فيمتنع أن تفعل الشياطين ما لا يريدون إلا نقيضه ، وهم - أيضا - ممنوعون من ذلك بحيث لا يصلح لهم ذلك ولا يتأتى منهم ، كما أن الساحر لا ينبغي له أن يكون نبيا . والمعروف بالكذب والفجور لا ينبغي له - مع ذلك - أن يكون نبيا (٥) ، ولا أن يكون حاكما ولا شاهدا ولا مفتيا ، إذ الكذب والفجور يناقض مقصود (٦) الحكم والشهادة والفتيا ، فكذلك ما في طبع الشيطان (٧) من ارداة الكذب والفجور يناقض أن تتنزل بهذا الكلام ، الذي هو في غاية

---

(١) هكذا في ك و ط (يقدرون) ، وفي أ (يقدروا) والأصح ما في ك و ط .

(٢) في ط زيادة واو .

(٣) في أ (مطاوع) ، والظاهر أنه تحريف من الناسخ .

(٤) في ك و ط (ونزول) .

(٥) في ك و ط (رسولا) .

(٦) في ك و ط (مقتضى الرسالة والحكم) .

(٧) في ك و ط (الشياطين) .

الصدق والعدل ، لم يشتمل على كَذبة (١) واحدة ، ولا ظلم لأحـد .

ثم قال : (... وما يستطيعون) فإنهم عن سمع هذا الكلام لمعزولون ، بما حرست به السماء من الشهب ، كما قال - عن الجن - : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ (٢) وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وأن السماء (٣) حرست حرسا لم يعهده الناس قبل ذلك ، ورأى الناس ذلك بأبصارهم ، فكانوا قد عاينوا ما أخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمى بها لطرد الشياطين ، فعزلوا بذلك عن سمع الملأ الأعلى ، وكان ما عاينه الكفار - (٤) من الرمي الشديد العام - الذي انتقضت به العادة المعروفة من (٥) رمي الشهب - (٦) دليلا على سبب خارق للعادة ، ولم يحدث - اذ ذاك - في الأرض أمر لم تجر به العادة الا ادعاءه للرسالة ، فلم يعرف قبله (٧) من نزل عليه الكلام كنزوله عليه . اذ كان موسى - عليه السلام - إنما أنزلت عليه التوراة مكتوبة (٨) ، لم

---

(١) كَذبة : بنصب الكاف ، حيث أنه اسم مرّة ، ولو كان اسم هيئة لكسرت . انظر أوضح المسالك ، الى الفية ابن مالك : ٤٤٠ .

(٢) سورة الجن : ٨ - ٩ .

(٣) في ك و ط زيادة : (حين مبعثه) .

(٤) بداية جملة اعتراضية .

(٥) في ك و ط (في) بدلا من (من) .

(٦) نهاية الجملة الاعتراضية .

(٧) في ك و ط زيادة : (ولا بعده) .

(٨) والدليل قوله - تعالى - : ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ... ﴾ الآية . سورة الأعراف : ١٤٥ .

تنزل عليه منجمة (١) مفرقة ، ملقاة إليه حفظا ، حتى تحتاج السماء الى حراستها عن استراق سمعها • والزبور تابع لشرع التوراة ، وكذلك الإنجيل فرع على التوراة • لم ينزل كتاب مستقل (٢) إلا التوراة والقرآن كما قال - تعالى - : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ (٢) ولهذا يقرن - سبحانه - بين التوراة والقرآن كثيرا كما في قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ••••• ﴾ الى قوله : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه •••• ﴾ (٣) وقال : ﴿ أفمن كان على بيّنة من ربه ، ويتلوه شاهد منه (٤) ، ومن قبله كتاب موسى ، إماما ورحمة (٥) ،

---

(١) أي نجما بعد نجم ، وكانت تنزل منه الآية والآيتان • اللسان ١٢ : ٥٦٩ •

(٢) سورة القصص : ٤٩ •

(٢) في ط (مستقبل) •

(٣) الأنعام : ٩١ - ٩٢ •

(٤) أي ويتبعه شاهد من الله ، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة • ولهذا قال ابن عباس وغيره : إنه جبريل - عليه السلام - وقال علي وغيره : هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وكلاهما قريب في المعنى ، لأن كلا من جبريل ومحمد - صلوات الله عليهما - بلّغ رسالة الله - تعالى - ، فجبريل إلى محمد ، ومحمد إلى الأمة • تفسير القرآن العظيم ٤ : ٢٤٥ •

(٥) أي أنزله الله إلى تلك الأمة إماما لهم ، وقدوة يقتدون بها ، ورحمة من الله بهم ،فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن ولهذا قال - تعالى - :﴿ ••• أولئك يؤمنون به ••••• ﴾ • المصدر السابق ٤ : ٢٤٦ •

أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ...... ﴾(١)

قال(٢) سعيد بن جبير وغيره :"والأحزاب(٣) هي الملل كلها(٤) "، قال :"وهذا تصديق قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :(والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) وقرأ هذه الآية(٥) : ﴿ .... ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ...﴾ ".

---

(١) سورة هود : ١٧ .

(٢) في ط : (وقال) .

(٣) في ك و ط بدون عطف .

(٤) جامع البيان ، ت : شاكر ، ١٥ : ٢٧٩ - ٢٨١ . قال شاكر : (هذه الآثار عن سعيد بن جبير ، والتي روى فيها الخبر مرسلا ، رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٢ ، موصولا مرفوعا من حديث ابن عباس ، وذلك من طريق عبدالرزاق ، عن معمر ، عن أبي عمرو البصري ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي .

(٥) سورة هود : ١٧ .

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ، ١ : ١٣٤ (١٥٣) بمعناه . وأخرجه الحاكم ، ٢ : ٣٤٢ وأورده الهيثمي وقال :"رواه الطبراني ... وأحمد"، ٨ : ٢٦١ - ٢٦٢ . وهو في المسند للإمام أحمد ، ٤ : ٣٩٦ و ٤ : ٣٩٨ . وكلهم بمعناه .

وقالت الجن : ﴿ .... إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ...﴾ (١) ، وقال النجاشي – لما سمع القرآن – : (إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة (٢) واحدة (٣)) .

– وأيضا – (٤) فكان معروفا عندهم إخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع ، فلما رأوا أن السماء قد حرست حرسا شديدا خلاف العادة ، علموا أن الشياطين منعوا استراق السمع ، وعلمت الجن ذلك كما تقدم ، وقد قالت الجن : ﴿ وأنّا لمسنا السماء ، فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ﴾ وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأحقاف : ٣٠ .

(١) في ك و ط زيادة : (الآية) .

(٢) المشكاة : الكوّة (الفتحة) غير النافذة . قال الكلبي :"وهو حبشي معرب". النهر الماد من البحر المحيط بهامش البحر المحيط ، كلاهما لأبي حيان ، ٦: ٤٥٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١: ٢٠١ – ٢٠٣ و ٥ : ٢٩٠ – ٢٩١ . قال الهيثمي :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع". المجمع ٦ : ٢٧ .

(٤) في ك و ط زيادة : (وقال ورقة بن نوفل للنبي – صلى الله عليه وسلم – يا ابن أخي هذا هو الناموس ، الذي كان يأتي موسى) .

(٥) سورة الجن : ٨ – ٩ .

(٥) في ك و ط زيادة قوله – تعالى – : ﴿ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض ؟ أم أراد بهم ربهم رشدا ؟ ﴾ .

وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب ، وهذا[(١)] أمر خارق للعادة ، حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم ، حتى نظروا ، هل الرمي بالكواكب التي في الفَلَك أم الرمي بالشهب ؟ فلما رأوا أنه بالشهب ، علموا أنه لأمر حدث[(٢)] . وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك، حتى سمعت القرآن ، فعلموا[(٣)] أنه كان لأجل ذلك[(٤)] .

---

(١) سقطت (هذا) من أ و ك ، وقد أثبتناها من ط لأنها ضرورية لاستقامة الأسلوب .

(٢) أنظر ما رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وما رواه البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) في ك و ط (فعلمت) .

(٤) في ك و ط زيادة بمقدار صفحة أو أكثر كما يلي : (كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال:"انطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا لأمر حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث . فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ، ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلقوا نحو تهامة الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : * ... إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد ، فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا * فأنزل الله على نبيه : * قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن ..... * . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : =

....

= (كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة ، فيزيدون فيها عشرا ، فيكون ما سمعوا حقا وما زادوه باطلا ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك • فلما بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمى بشهاب يحرق ما أصاب • فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث ، فبث جنوده فاذا هم بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض".

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن السدى : زعم أن السماء لم تكن تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر • فكانت الشياطين قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر ، حتى لما بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا رُجموا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء • لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم ، فقال لهم ، عبدياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر الطائف ، أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم النجوم ،فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها ، فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعني محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ) وإن أنتم لم تروها ، فقد هلك أهل السماء • فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم • وفزعت الشياطين في تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها ، فأتوه فشم ، فقال : صاحبكم بمكة ، فبعث سبعة نفر من جن نَصِيْبِيْن قدموا مكة ، فوجدوا نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ، ثم أسلموا فأنزل الله ـ عز وجل ـ شأن أمرهم على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ)•

وهذا من أعلام النبوة ودلائلها .

وقبل زمان البعث(*) وبعده ، كان الرمى خفيفا ، لم تمتلئ به السماء ، كما ملئت حين نزول القرآن ، وقال(١) - تعالى - : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ ﴾ . تنزل على كل أفاك أثيم ﴿ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾(٢) والأفاك : الكذاب . والأثيم : الفاجر(٣) ، كما قال : ﴿ لنسفعن بالناصية(٤) ﴾ ناصية كاذبة خاطئة ﴾(٥) قال(٦) في الحديث المتفق على صحته : (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى(٧) الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن(٨) الفجور يدعو(٩) إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب

---

(١) في ك و ط (وقوله) .

(٢) سورة الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٦ : ١٨٣ .

(٤) لنسفعن بالناصية : أي لنأخذن بالناصية ، والمراد بها جميع الشخص : أي سحبا إلى النار، وقيل : هو من سفعته النار والشمس : إذا غيرت وجهه إلى حال شديد ، وقال التبريزي : قيل : المراد لنسوّدن وجهه ، من السفعة : وهي السواد ، وكَفَت (أي الناصية) من الوجه لأنها في مقدمته . البحر المحيط ٨ : ٤٩٥ .

(٥) سورة العلق : ١٥ - ١٦ .

(٦) في ك و ط (وقال) بالواو العاطفة .

(٧) في ك و ط زيادة : (النبي - صلى الله عليه وسلم -) .

(٨) سقطت (إن) من ط .

(٩) في ك و ط : (يهدي) .

(*) هكذا في سائر النسخ (البعث) و (المبعث) أنسب .

عند الله كذابـــــا) (١) .

فالشياطين تنزل على من يَحصُل مقصودها بنزولها عليـــه ، وهو المناسـب لها في الكذب والفجور (٢) . فأما الصادق البار ، فلا يحصل به مقصـــود الشياطين ، فإن الشيطان لا يطلب الصدق والبر ، وإنما يطلب الكـــذب والفجـــور .

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصـــادق الأمين ، لم تُجَرب عليه كَذبـــةٌ واحدة . ولما جاءه الروح بالوحى لـــم يخبر بخبر واحد كذب ، لا عمدا ولا خطأ .

ومن تنزلت عليه الشياطين لابد أن يخبر بالكذب ، فإن الشياطين يلقـــون إليهم السمع ، ولا يلقون اليهم ما سمعوه على وجهه ، بل يكذبون فيـــه كثيرا . اذ كان أكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلـــون به عليهم . (٣) والشياطين وان كان كلهم كاذبا ، فليس كل من ألقـــى

---

(١) الحديث رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ... ﴾ وما ينهى عن الكذب ، ١٠ : ٥٠٧ (٦٠٩٤) من فتح الباري ، بمثله ، ورواه مسلـــم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب .... ، ٤:٢٠١٢-٢٠١٣ (٢٦٠٧) بمثله ، ورواه الموطأ معلقا ، كتاب الكلام ، بـــاب ما جاء في الصدق والكذب ، ٢:٩٨٩ . بمثله . وأبـــو داود ، كتاب الأدب ، باب في التشديد في الكذب ، ٤ : ٢٩٧ (٤٩٨٩) بمثله ، والترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فـــي الصدق والكذب ، ٤ : ٣٤٧ (١٩٧١) بمثله ـ أيضا ـ .

(٢) في ك و ط (والإثم) .

(٣) في ك و ط (فإن) .

السمع يكذب فيما يلقيه ، بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه ، ولكن أكثرهم يكذبون[(١)] ، والذي يصدق منهم مرة يكذب مرات ، والذي ينزل عليه الشياطين أفاك أثيم[(٢)] .

فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه المَلَك[(٣)] ، والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم ، فرق بيّن[(٤)] يعرف بأدنى معرفة بحال الاثنين . ولما كان الكاهن الذي يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الأمور الغائبة ، بيّن - سبحانه - أن هذا يكون - وإن صدق في بعض الأخبار - كاذبا فاجرا ، والذي يأتيه[(٥)] بالكذب ، فلا يشتبه بمن لا يكذب ولا يفجر ، وهذا مما يبين أن النبي لا يكون إلا بارا معصوما أن يُصِر على ذنب .

---

(١) في ك و ط زيادة (ولو مرة) .

(٢) في ك و ط زيادة : (وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - ، فتذكر الأمر قضى في السماء ، فيسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) .

(٣) في ك و ط زيادة : (الكريم) .

(٤) في ك و ط (مبين) .

(٥) في ك و ط زيادة : (أيضا يأتيه) .

فصل (١)

(الدلائل القاطعة عند أهل مكة، على صدق الرسول ونبوته)

وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة ، مازالوا معترفين بصدقه - صلى الله عليه وسلم - ، وأنهم لم يجربوا عليه كذبا ، بل ومعترفين بأن مايقوله ليس بشعر ولاكهانة ، وأنه ليس بساحر. وكانوا في أول أمره يرسلون الى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب ، يسألونهم عنه ، لأن مكة لم يكن بها ذلك ، ففي الصحيحين عن ابن عباس : أن أبا سفيان بن حرب حدثه قال : " انطلقت إلى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال : فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلى - إلى هرقل ، قال : وكان دِحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصْرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هِرَقل . فقال هرقل : هل هينا أحد من قوم هذا الرجل ، الذي يزعم أنه نبي ؟ قالوا : نعم. قال فدعيت في نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان فقلت أنا . فأجلسوني بين يديه ، وأجلسوا أصحابي خلفي ، فدعا بترجمانه ، فقال : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فان كذبني فكذبوه ، قال فقال (٢) : وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر على كذب لكذبت عليه . ثم قال لترجمانه : سله (٣) كيف حسبه (٤) فيكم؟

---

(١) سقطت (فصل) من ك .
(٢) في ك و ط (قال أبو سفيان) .
(٣) رسمت في أ هكذا : (ساله) .
(٤) في ك و ط (نسبه) .

قال : قلت : هو فينا ذو حسب (١) ، قال : فهل كان في آبائه من ملك ؟ قلت : لا. قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ قلت : لا . (٢) " وذكر باقي الحديث :

وفي الصحيحين (٣) عن عبد الله بن مسعود ، حديث سعد بن معاذ (٤) ، لما قال لأمية (٥) : إنهم قاتلوك (يعني النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه) وفزع منه لذلك ، وقال لامرأته ذلك ، فقالت : والله مايكذب محمد . وقال هو – في رواية أخرى – : والله مايكذب محمد ، وعزم أن لايخرج خوفا من هذا ، وقال : والله لاأخرج من مكة . وأراد التخلف عن بدر ، حتى قال له أبو جهل : إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادي تخلفوا معك.

---

(١) في ط (نسب) .

(٢) رواه البخاري بمعناه ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان ... ، ١ : ٣١ – ٣٣ (٧) . من فتح الباري . ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل ... ، ٣ : ١٣٩٣ (١٧٧٣) .

(٣) هذا ظن من الشيخ المؤلف – رحمه الله – وصوابه : " الصحيح " .

(٤) هو ابن النعمان الأنصاري الأشهلي ، أبو عمرو ، سيد الأوس ، شهد بدرا ، واستشهد من سهم أصابه بالخندق ، ومناقبه كثيرة . تقريب التهذيب ١ : ٢٨٩ ، وسير .. النبلاء ١ : ٢٧٩ – ٢٩٧ .

(٥) هو ابن خلف بن وهب بن حذافة الجمحي ، من جبابرة قريش ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، بل مات كافرا في وقعة بدر ، قتله رجل من الأنصار من بني مازن سنة ٢ هـ . انظر السيرة لابن هشام ٢ : ٣٧١ .

فقال : أما إذ غلبتني فلأَشترينّ أجود بعير بمكة - وذكّرته امرأته بقول سعد ، فقال : ما أريد أن أكون معهم إلا قريبا."(١)

---

(١) القصة رواها البخاري ، كتاب المغازي ، باب ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - مَنْ يُقْتل ببدر ، ٧ : ٢٨٢ (٣٩٥٠) من فتح الباري . ورواها الامام أحمد في المسند ٥ : ٣٠٣ ت : أحمد شاكر ، ورواها البزار وفيها أنه نزل على عتبة بن ربيعة . قال الهيثمي :"رواه البزار ورجاله رجال الصحيح". المجمع ٦ : ٧٢ - ٧٣ .

(١) جاءت هذه الرواية في ك و ط هكذا : قال : " انطلق سعد فنزل على أمية بن خلف ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام ، فمر بالمدينة ينزل على سعد ، فقال لسعد : انتظر ، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس ، انطلقتَ فطفت ، فبينما سعد يطوف ، إذا أبو جهل . فقال : من هذا الذي يطوف بالبيت ؟ فقال : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه ؟ قال : نعم ، فتلاحيا بينهما ،فقال أمية لسعد : لاترفع صوتك على أبي الحكم ، فإنه سيد أهل الوادي" ثم قال سعد : والله لان منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن مُتَّجرك بالشام ، قال : فجعل أمية يقول لسعد : لاترفع صوتك ، وجعل يمسكه ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك ، فإني سمعت محمداً- صلى الله عليه وسلم - يزعم أنه قاتلك ، قال : اياي ؟ قال : نعم ، قال : والله مايكذب محمد إذا حدث ، فرجع الى امرأته فقال : اما تعلمين ماقال أخي اليثربي ؟ قالت : وماقال ؟ : قال زعم أن محمدا يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله مايكذب محمد . قال : فلما خرجوا إلى (بدر) وجاء الصَّرِيخ ، قالت له امرأته : أما ذكرت ماقال لك اخوك اليثربي ؟ قال : وأراد أن لايخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي ، فسر يوما أو يومين ، فسار معهم فقتله رسول الله " .

وفي رواية أنه قال : والله مايكذب محمد ، وعزم أن لايخرج خوفا من هذا ، حتى قال له أبو جهل : إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك . فقال : أما إذا غلبتني فلأشترين أجود بعير بمكة . وذكرته امرأته بقول سعد ، فقال : ما أريد أن أكون معهم إلا قريبا .

وكذلك ماذكره أهل المغازي وغيرهم أن أُبَيّ[1] بن خلف[2] لما بلغه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : أنا أقتله ، ثم طعنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فخدشه ، وجعل أصحابه يُجَزعونه ويقولون : إنما هو خدش وليس بشيء ، فقال : والله لو كان بمضر لقتلهم ، أليس قال : " لأقتلنك "[3] .

وعن مجاهد[4] قال : قال مولاي السائب بن أبي السائب[5] : كنت فيمن بنى البيت ،

---

(١) في ط (أمية) .

(٢) هو ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو ، قتله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيده يوم أحد سنة ٣ هـ وقد مات بموضع يقال له : سَرِف – على ستة أميال من مكة – والمشركون قافلون (راجعون) به إلى مكة . انظر السيرة لابن هشام ٣ : ٨٩ و ١٣٥ .

(٣) السيرة لابن هشام ٣ : ٨٩ ، والمغازي للواقدي ١ : ٢٥٢ ، والبداية والنهاية ٤ : ٢٣ و ٣٢ .

(٤) هو ابن جبر المكي ، أبو الحجاج المخزومي المقري ، مولى السائب بن أبي السائب ، قال ابن حبان : مات سنة ١٠٢ أو ١٠٣ وهو ساجد ،بمكة وكان مولده سنة ٢١ هـ . تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٢ – ٤٤ .

(٥) في جميع النسخ (السائب بن يزيد) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه ، أما السائب بن يزيد فهو مولى عطاء من فوق . أسد الغابة ٢ : ١٧٠.

(٥) واسم أبي السائب صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وقيل اسم أبي السائب " نميلة " وكان شريك النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل المبعث بمكة ، وقيل غيره ، وقد اختلف في إسلامه ، والراجح أنه من المؤلفة قلوبهم ، وممن حسن إسلامه منهم. وهو مولى مجاهد بن جبر من فوق . المصدر السابق ، ٢ : ١٦٣ – ١٦٤ .

وان قريشا اختلفوا في الحَجَر (١) ، حين أرادوا أن يضعوه ، حتى كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف ، فقالوا : اجعلوا بينكم أول رجل يدخل (٢) من الباب ، فدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين. فقالوا : يامحمد قد رضينا بك (٣) .

---

(١) وهو الحَجر الأسود ، ويقال له : الركن . لأنه مبني في الركن . السيرة لابن هشام ١ : ٢٠٩ .

(٢) سقطت كلمة (يدخل) من أ ، وأثبتناها من ك و ط .

(٣) انظر المصدر السابق ١ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ . ورواه الامام أحمد في المسند بمعناه ، ٣ : ٤٢٥ قال الهيثمي :"رواه أحمد ، وفيه هلال بن خباب وهو ثقة ، وفيه كلام ، وبقية رجاله رجال الصحيح". المجمع ٣ : ٢٩١ ـ ٢٩٢. وقال في موضع آخر :"وهو ثقة". المجمع ٨ : ٢٢٩ .

(٣) في ك و ط زيادة بمقدار نصف صفحة كالتالي : " وقال ابن اسحاق في قصة بناء البيت ، واختلاف قريش فيمن يضع الحجر ، وإنهم مكثوا على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان عامئذ أسن قريش كلهم ، قال : يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا ، فكان أول داخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد جاء ، رضينا . هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " هَلُم ثوبا " فأُتي به ، فأخذ الركن (يعني الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده ، ثم قال : " ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا " ، ففعلوا . حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين).

وعن عقيل بن أبي طالب (١) قال : "جاءت قريش إلى أبي طالب ، فقالوا له : إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا وناديا (٢) ، ويسمعنا مايؤذينا ، فإن رأيت أن تكفه (٣) عنا فافعل . قال : فقال لي : ياعقيل ، التمس ابن عمك . قال : فأخرجته من كيس من أكياس شِعب أبي طالب ، فأقبل يمشي ، حتى انتهى إلى أبي طالب ، فقال له : يا ابن أخي ، والله ماعلمت إن كنت لي مطيعا وقد جاءني قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم ، فتسمعهم مايؤذيهم ، فإن رأيت أن تكف عنهم ؟ قال فحلق ببصره إلى (٤) السماء فقال: " والله ماأنا بأقدر على أن أدع مابعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار " فقال أبو طالب : إنه — والله — ماكذب قط ، فارجعوا راشدين ، رواه البخاري في تاريخه (٥) ، وأبو زرعة في الدلائل (٦) ، ورواه ابن اسحاق قريبا من هذا اللفظ وقال : " فأخرجته من حِفْش (٧) — وهو بيت صغير — وقال فيه : فظن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن قد بدا لعمه ، وأنه خاذله ومُسْلِمه ، وضعف عن القيام معه ، فقال : " ياعم لو وُضِعَت الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، ماتركت هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك في طلبه " (٨) .

---

(١) هو : ابن عبد مناف بن عبد المطلب ، القرشي الهاشمي . ابن عم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يكنى أبا يزيد ، أسلم قبل الحديبية ، وهاجر سنة ٨ هـ وشهد غزوة مؤته . ومات في خلافة معاوية سنة ٦٠ هـ وقيل بعدها . أنظر أسد الغابة ٣ : ٥٦٠ — ٥٦٣ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٩ .

(٢) النادي : هو المجلس ينُدو (يجلس) فيه من حواليه ولايسمى ناديا حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا عنه لم يكن ناديا . والجمع : الأندية هذا رأي صاحب التهذيب ، والراجح أن النادي : مُجْتَمع القوم وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله . انظر لسان العرب ١٥ : ٣١٧ ، مادة : ندي .

(٣) في ك وط (يكف)

(٤) في ك و ط (نحو) .

(٥) التاريخ الكبير للبخاري ، مجلد ٧ ، القسم الأول من الجزء الرابع من: ٥٠ — ٥١ بمثله .

(٦) لم يذكر فؤاد سزكين لابي زرعة الرازي غير كتاب الزهد فقط . تاريخ التراث العربي ، م ١ ، ج ١ : ٢٨٢ ، والاعلام ٤ : ١٩٤ .

(٧) انظر ترتيب القاموس ١ : ٦٧٢ .

(٨) السيرة لابن هشام ، ١ : ٢٨٤ — ٢٨٥ بمعناه .

وفي الصحيحين عن عبد الله (١) بن الصامت قال : قال أبو ذر (٢) :
خرجنا من قومنا غفار (٣) ، وكانوا يحلون الشهر الحرام ، فخرجت أنا وأخي
أُنيس (٤) وأمنا (٥) ، فنزلنا على خال لنا ، فأكرمنا وأحسن الينا ، فحسدنا
قومه ، فقالوا : إنك إذا خرجت عن أهلك خالف اليهم أنيس ، فجاء خالنا
فثنا (٦) علينا الذي قيل له ، فقلت له : أما مامضى من معروفك فقد كدرته
ولاجماع لك فيما بعد. فقربنا صِرمتنا (٧) ، فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا
بثوبه (٨) يبكي ، وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة ، فنافر (٩) أنيس رجلا (١٠) عن

---

(١) هو الغفاري البصري ، قال العجلي : بصري تابعي ثقة ، وذكره البخاري في (التاريخ) الأوسط،في فصل من مات بين السبعين إلى الثمانين ، وهو من الطبقة الثالثة . تهذيب التهذيب ٥ : ٢٦٤ .

(٢) هو الغفاري ، الصحابي المشهور ، اسمه : جندب بن جنادة على الأصح ، تقدم اسلامه وتأخرت هجرته ، فلم يشهد بدرا ، ومناقبه كثيرة جدا ، مات سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان – رضى الله عنهما – . تقريب التهذيب ٢ : ٤٢٠ ، وسير النبلاء ٢ : ٤٦ – ٧٨ .

(٣) هم بطن ضخم ، وهم ينتسبون إلى غفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَد بن عدنان . انظر جمهرة انساب العرب : ١٨٦ و ١٨٠ و ١٢ .

(٤) هو ابن جنادة الغفاري ، وقد اختلف في نسبه اختلافا كثيرا . الاصابة ١ : ١٥٧ .

(٥) لم اقف لأم أبي ذر على ترجمة .

(٦) خالف : أي ذهب كل واحد إلى خلاف ماذهب اليه الآخر وهو ضد الاتفاق . ومرادهم : أن أنيس يريد بهم الفساد . ثنا : من الثني،وهو الأمر يعاد مرتين . المصباح : ١٧٩ و ٨٧ .

(٧) كدرتَه : أي أزلتَ صفاءه . لاجماع لك : أي لن نجتمع بك بعد هذا . الصِّرمة : هي الناقة التي لالبن لها . انظر المصدر السابق ١ :١٠٩ و ٢ : ٥٢٧ . واللسان ١٢ : ٣٣٧ مادة : صرم.

(٨) في ك و ط : (ثوبه) .

(٩) نافر : اي غالب . ترتيب ٤ : ٤١٢ .

(١٠) سقطت (رجلا) من أ .

صرمتنا وعن مثلها ، فأتينا (١) الكاهن (٢) فخير أنيسا ، فأتى بصرمتنا ومثلها معها • قال : وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقىٰ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثلاث سنين • قلت : لمن ؟ قال : لله • قلت : فأين توجه ؟ قال : أتوجه حيث يوجهني ربي ، أصلي عشاء ، حتى إذا كان من آخر الليل أُلقيتُ كأني خِفَاء (٣) ، حتى تعلوني الشمس • فقال أنيس : ان لي حاجة بمكة فاكفني • فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث (٤) على (٥) ، ثم جاء فقلت : ماصنعت ؟ قال : لقيت رجلا بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرسله • قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر • وكان أنيس أحد الشعراء ، قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة (٦) ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء ، فما يلتئم (٧) على لسان أحد يقرى (٨) بعدي أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون • قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر (٩) ، قال : فأتيت مكة فضعُفت (١٠) رجلا منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابيء ؟

---

(١) في ك و ط :(فأتيا) •
(٢) انظر هامش رقم ٦ •

(٣) الخفاء : هو الكساء الذي يغطى به السقاء (القربة) • مختار : ١٨٣
(٣) في ط (خفا)
(٤) في أ و ط (فرات) والصواب ما أثبتناه من ك •
(٥) أي أبطأ علي اللسان ٢ : ١٥٧ مادة : ريث •
(٦) الواحد منهم : كاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار • المصدر السابق ١٣ : ٣٦٣ ، مادة (كهن)•
(٧) يلتئم ، من الملاءمة ، وهي الموافقة ، أي لايتوافق مع الشعر على لسان أي شاعر • انظر اللسان ١٢ : ٥٥٨ ، مادة : لوم •
(٨) سقطت (يقرى) من أ •
(٩) في ك و ط زيادة :"قال : نعم ، وكن على حذر من أهل مكة ، فانهم قد سبقوا له وتجهموا " •
(١٠) في ط : (فضفت) وهو تحريف ، ومعنى : استضعفته : أي وجدته ضعيفا فألقيت عليه السؤال • انظر المصدر السابق ٩ : ٢٠٣• مادة : ضعف •

فأشار الى فقال : الصابئ ،فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَرة (١) وعظم حتى خررت مغشيا على..." وذكر الحديث وصفة إسلامه – رضى الله عنه – بلفظ مسلم (٢) .

وفي حديث البخاري عن ابن عباس : أن أبا ذر أرسل أخاه وقال : اعلم لي علم هذا الرجل ، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني ، فانطلق الآخر حتى قدم مكة ، وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاما ماهو بالشعر .

فقال : ماشفيتني (٣) فيما أردت ، فتزود وحمل شَنة (٤) له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ..." وذكر تمام الحديث (٥) .

وعن جابر بن عبد الله (٦) قال : قال الملأ (٧) وأبو جهل : لقد عَلَيْنا أمر محمد ، فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر ، فأتاه فكلمه ،وأتانا (٨) ببيان من أمره .

---

(١) كان يقال للرجل اذا أسلم في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – (صبأ) عنوا أنه : خرج من دين الى دين ، المدرة : واحدة المدر ، وهو قطع الطين اليابس ، المصدر السابق ١ : ١٠٧ مادة صبا ، و ٥ : ١٦٢مادة :مدر.

(٢) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب اسلام ابي ذر ... ، ٧ :١٧٣ (٣٨٦١) من فتح الباري ، بمعناه . ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل ابي ذر ، ٤ : ١٩١٩ (٢٤٧٣) .

(٣) أصل استعمال الشفاء في البرء من المرض ، ثم نقل من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس . اللسان ١٤: ٤٣٧ . مادة : شفى .

(٤) أي قربة خَلَقٌ (بالية) صغيرة . ترتيب ٢ : ٧٦٦ .

(٥) سبق تخريجه في الحديث الذي قبله .

(٦) هو ابن عمرو بن حرام ، الأنصاري ثم السَّلمي ، صحابي ابن صحابي ، غزا تسعة عشرة غزوة ، ومات بالمدينة بعد السبعين وله ٩٤ سنة . تقريب التهذيب ١ : ١٢٢ ، وسير ... النبلاء ٣ : ١٨٩ – ١٩٤ .

(٧) هم أشراف القوم ، سمو بذلك لملاءتهم ،بمايلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي ، أو لأنهم يملأون العيون أبهة والصدر هيبة ، والجمع " أملاء" المصباح : ٥٨٠

(٨) في ك و ط (فأتانا) .

قال(١) عتبة بن ربيعة(٢) : والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر ،وعلمت من ذلك علما ، فما يخفى عليّ إن كان كذلك . فأتاه فلما خرج اليه قال أنت ـ يامحمد ـ خير أم هاشم(٣) ؟ وأنت(٤) خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله(٥) ؟ فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا ؟ فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة ، فكنت رأسنا مابقيت . وان كان بك الباه(٦) ، زوجناك عشر نسوة تختار من اي بنات قريش شئت . وإن كان بك المال ، جمعنا لك ماتستغني به أنت وعقبك من بعد(٧) ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساكت لايتكلم ، فلما فرغ قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : * بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * ـ الى قوله ـ : (فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود(٨) * فأمسك عتبة على فيه ، وناشده(٩) بالرحم(١٠) أن يكف ، ورجع الى أهله ،

---

(١) في ط : (وقال) .

(٢) هو ابن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل مشركا ببدر سنة ٢ هـ ، قتله عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب ، قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلي . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٦ .

(٣) هو ابن عبد مناف بن قصى من كلاب أبو نضلة . وأمه : عاتكة بنت مرة بن هلال ، تولى السقاية والرفادة ، ومات بغزة وله ٢٠ سنة وقيل : ٢٥ سنة ، وهو أول من مات من بني عبد مناف ، وكان موسرا جوادا . الكامل ١ : ٢٦٧ و ٢ : ١٠ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢١٠و٢٥٣.

(٤) في ك و ط (أنت) .

(٥) أي والد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وأمه : فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم . مات وأم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حامل به . السيرة لابن هشام ١ : ١١٤ و ١٦٧ .

(٦) الباه : النكاح والجماع . انظر ترتيب ١ : ٣٤٥

(٧) في ك و ط (بعدك) .

(٨) سورة فصلت : ١ ـ ١٣ .

(٩) من (نَشَدتك) الله ، وبالله (أُنشدك) ذكّرتك به واستعطفتك ، أوسألتك به مقسما عليك . المصباح : ٦٠٥ .

(١٠) الرحم : موضع تكوين الولد ، ثم سميت القرابة والوُصْلَة من جهة الولاء (رَحِما) ، فالرحم : خلاف الأجنبي ، وهو أنثى في المعنيين . المصدر السابق : ٢٢٣ .

فلم يخرج الى قريش ، فاحتبس عنهم عتبة ، فقال أبو جهل : يامعشر قريش ، والله مانرى عتبة إلا قد صبأ (١) الى محمد وأعجبه طعامه ، وماذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا اليه ، فأتاه أبو جهل فقال : ياعتبة ماحبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد ، فغضب ، وأقسم أن لايكلم محمدا أبدا ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ماهو بشعر ولاكهانة ولاسحر : * بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته ...* الى قوله -: *... أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود * (٢) فأمسكت بفيه ، وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب " رواه أبو بكر أحمد بن مردوية (٣) ، في كتاب التفسير (٤) عن محمد بن فضيل (٥) عن الأجلح (٦) عن الذيال بن حرملة (٧) عنه ، ورواه يحيى

---

(١) في ط (صبى) .

(٢) سورة فصلت : ١ - ١٣ .

(٣) هو أحمد بن موسى بن مردويه بن فُوْرَك بن موسى بن جعفر الأُصبهاني ، أبو بكر . الحافظ المجود العلامة ، محدث أَصْبهان ولد سنة ٣٢٣ هـ ومات سنة ٤١٤ هـ . له كتاب التفسير الكبير والتاريخ والأُمالي والمستخرج على صحيح البخاري . سير أعلام النبلاء ١٧ : ٣٠٨ - ٣١١ .

(٤) لم يذكر د. سزكين شيئا عن تفسير ابن مردوية سوى قوله : " ومنه نقول في الاصابة لابن حجر ... " ثم ذكر مواضعها هناك . تاريخ التراث العربي ، م ١ ، ج ١ : ٤٦٣ (٣٠٣) .

(٥) محمد بن فضيل ، هو ابن غزوان بن جرير الضبي مولاهم ، أبو عبد الرحمن الكوفي ، صدوق عارف ، رمي بالتشيع ، من الطبقة التاسعة ، مات سنة ٢٩٥ هـ تقريب ٢ : ٢٠٠ : ٢٠١ ، وتهذيب ٩ : ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٦) الأجلح هو عبد الله بن حجيّة ، ويقال : معاوية ، الكندي ، أبوحجية ، ويقال ، اسمه يحيى ، والأجلح : لقب . وثقه ابن معين وغيره وضعفه آخرون ، مات سنة ١٤٥ هـ تهذيب ١ : ١٨٩ .

(٧) الذيال بن حرملة ، هو الأسدي ، كوفي ، وثقه ابن حبان ، قال ابن حجر: نسبه البخاري . تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة : ١٢٢ ، لأحمد إبن علي بن حجر العسقلاني - ٨٥٢ هـ دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٧) في ك و ط (الدبال) .

ابن معين (١) عن محمد بن فضيل ، ورواه أبو يعلى الموصلي (٢) في مسنده (٣) ، ورواه عبد بن حميد (٤) عن شيخ أبي يعلى ابن أبي شيبة (٥) .

وفي بعض الطرق : " ان كنت تزعم أن هؤلاء خيرا (٦) منك فقد عبدوا الآلهة . وإن كنت تزعم أنك خيرا (٧) منهم فتكلم حتى نسمع " ورواه ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد مولى لبني هاشم (٨) عن محمد بن كعب (٩) قال : حُدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا حليما .." وذكر الحديث إلى أن قال - : "لما جلس إليهم قالوا : ماوراءك يا أبا (١٠) الوليد ؟ قال : ورائي اني - والله - قد سمعت قولا ماسمعت بمثله قط ، والله ماهو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي ، (١١) خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه ،

---

(١) هو ابن عون الغطفاني ، مولاهم ، أبو زكريا البغدادي ، ثقة حافظ مشهور ، إمام الجرح والتعديل ، مات بالمدينة النبوية سنة ٢٣٣ هـ وله بضع وسبعون سنة . تقريب ٢ : ٣٥٨ .

(٢) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، الامام الحافظ ، الثقة ، محدث الجزيرة . شيخ الاسلام . ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفى سنة ٣٠٧ هـ أثنى عليه وعلى مسنده كثير من الأئمة . انظر سير أعلام النبلاء ١٤ : ١٧٣ - ١٨٢ ، وطبقات الحفاظ : ٣٠٩ .

(٣) مسند أبي يعلى بدأ في الآونة الأخيرة يخرج من عالم الكتب الخطية حيث قام كل من د . فالح الصغير والشيخ مسفر بن سعيد بن دماس والشيخ عبد الله بن حمود التويجري بالعمل على تحقيق أكثر المسند المذكور، على هيئة رسائل دكتوراه . ولعلهم أو بعضهم يكملونه ، وقد قامت إحدى دور النشر بنشر عدة أجزاء منه بشيء من التحقيق .

(٤) عبد بن حُمَيد هو ابن نصر الكِسّي ، أبو محمد ، قيل اسمه : عبد الحميد. ثقة ، حافظ ، مات سنة ٢٤٩ هـ تقريب ١ : ٥٢٩ ، وتهذيب ٦: ٤٥٥.

(٥) هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العَبْسي ، أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي ، ثقة ، حافظ شهير ، وله أوهام ، وقيل كان لايحفظ القرآن من الطبقة العاشرة . مات سنة ٢٣٩ هـ وله ٨٣ سنة . تقريب ٢ : ١٤، وسير النبلاء ١١ : ١٥١ - ١٥٤ .

(٦) في ط (خير) .

(٧) في ط (خير)

=

....

= (٨) ويقال : ابن أبي زياد ، ويقال : يزيد بن زياد بن أبي زياد ، المدني ، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، ويقال اسم أبي زياد : ميسرة ، ويقال : انهما اثنان • قال النسائي : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البخاري : لايتابع على حديثه • تقريب ٢ : ٣٦٤ ، وتهذيب ١١ : ٣٢٨ •

(٩) محمد بن كعب ، هو ابن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرظي المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ، من الطبقة الثالثة ، ولد سنة ٤٠ هـ قال البخاري : ان أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة ، مات سنة ١٢٠ هـ وقيل قبل ذلك • تقريب ٢ : ٢٠٣ ، وتهذيب ٩ : ٤٢٠ – ٤٢٢ •

(١٠) سقطت الف (أبا) من أ •

(١١) في ك و ط (واجعلوني) •

واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصيبه العرب (١) فقد كُفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . فقالوا : سحرك (٢) - والله - ياأبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي لكم ، فاصنعوا مابدا لكم (٣) . ثم ذكر شعر أبي طالب يمدح عتبة فيما قال (٤) .

---

(١) من رماه فاصابه . المصباح ١ : ٣٥٠ .

(٢) في ط : (أسحرك) .

(٣) السيرة لابن هشام ١ : ٣١٣ - ٣١٤ .

(٤) في السيرة لابن هشام لم يذكر الشعر بعد الرواية ، ولعل فيما يقصده الشيخ المؤلف قصيدة أبي طالب التي في السيرة ١ : ٢٩١ - ٢٩٩ وفيها قوله :

وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضا كالمخاتل

وكنت امرأ ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل

فعتبة لاتسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذي دغاول

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قدم ضماد (١) مكة وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الريح (٢) ، فسمع سفهاء من (٣) أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذا الرجل ، لعل الله أن يشفيَه على يدي ،قال: فلقيت محمدا ، فقلت : إني أرقي من هذه الريح ، وان الله يشفي على يدي من شاء، فهلم (٤) . فقال محمد (*) : " إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه (٥) ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلاهادي له ، أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن (٦) محمدا عبده ورسوله ، أما بعد"قال: فقال (٧) : أَعِدْ عَلَيَّ كلماتك هؤلاء . فأعادهن عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،ثلاث مرات ،فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر (٨) .

---

(١) ضماد : هو ابن ثعلبة الأزدي ، كان صديقا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجاهلية ، وكان رجلا يتطبب ويرقي ويطلب العلم ، أسلم أول الاسلام . أسد الغابة ٢ : ٤٣٨ .

(٢) المراد بالريح هنا : الجنون ومس الجن ، وفي غير رواية مسلم :"يرقى من الأرواح"، أي الجن ، سموا بذلك لأنهم لايبصرهم الناس ، فهم كالروح والريح . شرح النووي لمسلم ٩ : ١٥٧ . م ٣ .

(٣) ليس في ك و ط (من) .

(٤) هلم : تعال ، مختار : ٦٩٨ .

(٥) في ط زيادة (ونسترشده) .

(٦) في ك وط زيادة (أشهد) .

(٧) سقطت (قال) قبل (فقال) من ك و ط .

(٨) في أ (ناموس السحر) هكذا ، وفي ك و ط " قاموس البحر " وقد أثبتنا مافي متن صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٣ (٨٦٨) ومافي شرح النووي له ٦ : ١٥٧ م ٣ . قال النووي هنا : ضبطناه بوجهين : أشهرهما : ناعوس ـ بالنون والعين ، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا ، والثاني : قاموس ـ بالقاف والميم ـ وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم ،وقال القاضي عياض : أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها : قاعوس ـ بالقاف والعين ـ وفي غيرها : تاعوس ـ بالتاء المثناة فوق ـ وفي أخرى:ناعوس ـ بالنون والعين ـ وقاموس البحر ـ وسطه أولُجته أو قعره الأقصى .

(*) هكذا في سائر النسخ ، والذي في متن مسلم (رسول الله) .

قال : فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال : فبايعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " وعلى قومك " فقال : وعلى قومي ، الحديث (١) .

وعن ابن عباس . أن الوليد (٢) بن المغيرة جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ (٣) عليه من القرآن : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٤) قال : أعد ، فأعاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :" والله إن له الحلاوة ، وإن عليه لَطَلاوة (٥) ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق (٦) ، وما يقول هذا البشر".

وفي لفظ (٧) : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ عليه القرآن ، فكأنّه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل،فأتاه فقال :

---

(١) رواه مسلم بمثله ، كتاب الجمعة ، باب تخفيق الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٣ ـ ٥٩٤ (٨٦٨) .

(٢) هو ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس ، من قضاة العرب في الجاهلية ،ومن زعماء قريش ومن زنادقتها ، كان قد حرم الخمر في الجاهلية ، وضرب ابنه هشاما على شربها ، وأدرك الاسلام وهو شيخ هَرِم فعاداه وقاوم دعوته ، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وله ٩٥ سنة . انظر الأعلام ٨ : ١٢٢ لخير الدين الزِّركلي ـ ١٣٩٦ هـ ،ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

(٣) في ك و ط زيادة : (فقال إقرأ علي) .

(٤) سورة النحل : ٩٠ .

(٥) الطَّلاوة ـ بفتح الطاء وضمها ـ : الرونق والحسن والبهجة والقبول في النامي وغير النامي، والضم اللغة الجيدة . وهو الأفصح . انظر لسان العرب ١٥ : ١٤ مادة : طلي .

(٦) المغدق : المطر الكبار القطر . المصدر السابق ١٠ : ٢٨٣ مادة : غدق .

(٧) في ك و ط زيادة : (قال ابن عباس) .

ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : ولم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمدا لتعوض مما قِبَلَه . قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولا (١) يبلغ قومك أنك منكر لها (٢) وأنك كاره له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله (٣) مافيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه (٤) ولا بقصيده (٥) مني ،والله مايشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لَطَلَاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ،مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ومايعلى ، وإنه ليَحْطِم (٦) ماتحته . قال : لاترضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدَعْني حتى أفكر فيه . فلما فكر قال :

---

(١) في ك و ... (ولاتبلغ) بدل قوله : (قولا يبلغ) .

(٢) في ك و ط (منكر له) .

(٣) في ط (والله) .

(٤) الرَّجَز : ضرب من الشعر ، وزنه : مستفعلن ، ست مرات ، سمي بذلك لتقارب أجزائه وقلة حروفه . وزعم الخليل : أنه ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات ، وأثلاث ، والأُرجُوزة : القصيدة منه ، جمعه : أراجيز . ترتيب القاموس ٢ : ٣٠٦ .

(٥) هكذا في ط ، وفي آ و ك (قصيدة) وما أثبتناه أولى .

(٥) القصيد : ماتم شطر أبياته ، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعدا ، أو ستة عشر فصاعدا ، ترتيب ٣ : ٦٢٩ .

(٦) من الحَطْم ، وهو الكسر . ترتيب ١ : ٦٦٦

هذا سحر يؤثر ، يأثره عن غيره . فنزلت : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ (١)
رواه عبد الرزاق (٢) عن معمر (٣) عن أيوب (٤) عن عكرمة (٥) عنه (٦) .

وفي رواية أخرى " أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال : إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا (٧) فيه رأيا واحدا ولاتختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد بعضكم قول بعض ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس (٨) فقل ،

---

(١) سورة المدثر : ١١ .

(١) رواه ابن جرير في جامع البيان ٢٩ : ١٥٦ ، بنحوه .

(٢) عبد الرزاق ؛ هو ابن همام بن نافع الحِمْيَري ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ، الثقة ، الشيعي ، حافظ مصنف شهير ، عمي في آخر عمره فتغير ، مات سنة ٢١١ هـ وله ٨٥ سنة . سير .. النبلاء ٩ : ٥٦٣ – ٥٨٠ . تقريب ٢ : ٥٠٥ .

(٣) معمر ، هو ابن راشد الأزدي ، مولاهم ، البصري ، أبو عروة ، نزيل اليمن ، ثقة ثبت فاضل ، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا ، وكذا فيما حدث به بالبصرة ، مات سنة ١٥٤ هـ وله ٥٨ سنة . تقريب ٢ : ٢٦٦ ، وتهذيب ١٠ : ٢٤٣ .

(٤) أيوب ، هو ابن أبي تميمة – كيسان – السختياني ، أبو بكر البصري ، ثقة ثَبْت حجة ، من كبار فقهاء العُبَّاد . مات سنة ١٣١ هـ وله ٦٥ سنة ، تقريب ١ : ٨٩ ، وتهذيب ١ : ٣٩٧ .

(٥) عكرمة ، هو ابن عبد الله القرشي ، مولاهم ، أبو عبد الله ، المدني البربري الأصل ، الحافظ المفسر العلامة ، مات سنة ١٠٧ هـ سير .. النبلاء ، ٥ : ١٢ – ٣٦ ، وتقريب ٢ : ٣٠ ، وتهذيب ٧ : ٢٦٣ .

(٦) اي عن ابن عباس – رضى الله عنهما – .

(٦) تتبعت المصنف لعبد الرزاق فلم أوفق في العثور على هذا الحديث فيه .

(٧) أجمعوا ، أي اتفقوا ، من الإجماع . ترتيب ١ : ٥٣٠ .

(٨) هي كنية الوليد بن المغيرة .

وأقم لنا رأيا نقوم به • فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع ، فقالوا: نقول كاهن ، فقال : ماهو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو بزمزمة (١) الكهان • فقالوا : نقول مجنون • فقال : ماهو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه (٢) ولاتخالجه (٣) ولا وسوسته (٤) • قالوا : فنقول شاعر ، فقال : ماهو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه (٥) وقريضه (٦) ومقبوضه ومبسوطه (٧) ، فما هو بالشعر • قالوا : فنقول ساحر ، قال : فما هو بساحر قد رأينا السُّحار وسحرهم،فما هو بِنَفْثه ولاعَقْده (٨) • فقالوا : مانقول

---

(١) الزمزمة : الصوت البعيد له دوي ، وتراطن العلوج على أكلهم وهم صُمُّوت ، لايستعملون لسانا ولاشفة ، لكنه صوت تديره – أي العلوج – في خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض • ترتيب ٢: ٤٧٦ •

(٢) من الخُنَاق ، وهو داء أوريح يأخذ الناس والدواب في الحلوق • اللسان ١٠: ٩٢ مادة : خنق •

(٣) من تخلج المجنون في مشيته ، أي تجاذب يمينا وشمالا ، المصدر السابق ، ٢ : ٢٥٨ ، مادة : خلج •

(٤) من الوَسْوَسة وهي الصوت الخفي • المصدر السابق ٦ : ٢٥٤ مادة : وسس •

(٥) الهزج : كل كلام متدارك متقارب ، وبه سمي جنس من العروض • ترتيب ٤ : ٥٠٧ •

(٦) القريض : اسم عام للشعر • انظر مختار الصحاح : ٥٢٩ •

(٧) المقبوض : من القبض في زحاف الشعر ، وهو حذف الحرف الخامس الساكن من الجزء ، نحو النون في فعولن ،أينما تصرفت ، ونحو الياء من مفاعيلن ، وكل ماحذف خامسه فهو مقبوض ، وإنما سمى مقبوضا ليفصل بين ماحذف أوله وآخره ووسطه • والمبسوط : هو البسيط : جنس من العروض ، سمي به لانبساط أسبابه ،قال أبو اسحاق : انبسطت فيه الأسباب ، فصار أوله مستفعلن ، ففيه سببان متصلان في أوله • لسان العرب ٧ : ٢١٥ و ٢٦٠ ، مادة : قبض •و : بسط •

(٨) النفث والعقد : فعل السحرة ، عندما يعقدون عقدا في خيوط أو غيرها وينفثون عليها ويرقون الرقى السحرية • أنظر البحر المحيط ٨ : ٥٣١ •

يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لَغَدِق ، وإن فرعه لَجَنَى (١) ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ،وإن أقرب القول أن تقولوا : ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم ، لايمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره (٢) . فأنزل الله ـ تعالى ـ في الوليد بن المغيرة ، وذلك من قوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ الى قوله : ﴿ سأصليه سقر ﴾ (٣) ، وأنزل في النفر الذين كانوا معه ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أي أصنافا (٤) .

وروى ابن اسحاق ، عن شيخ من أهل مصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قام النضر بن الحارث (٥) فقال : " يامعشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمر ،ما ابتليتم (٦) بمثله ، لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم ،

---

(١) الجنى : على وزن الحصى ، وهو مايجنى من الشجر مادام غَضًّا . المصباح: ١١٢ .

(٢) انظر السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٨ .

(٣) سورة المدثر : ١١ ـ ٢٦ .

(٣) سبب النزول ، أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٠٧ ، وقال:"صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ :١٩٩ ـ ٢٠١ . وانظر لسان العرب ١٥ : ٦٨ مادة : عضا .

(٥) النضر بن الحارث : هو ابن علقمة بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ،يكنى: أبا قائد ، وكان أشد قريش في تكذيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأذى له ولأصحابه ، وكان ينظر في كتب الفرس ، ويخالط اليهود والنصارى ، أسره المقداد يوم بدر ، وأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بضرب عنقه فقتله علي بن أبي طالب صبرا بالأُثيل (واد بنواحي المدينة) أو بالصفراء سنة ٢ هـ . انظر السيره لابن هشام ٢ : ٣٦٧ ، والكامل ٢ : ٤٩ .

(٦) من الابتلاء ، وهو الامتحان . المصباح : ٦٢ .

وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب ،وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم : ساحر ، لا - والله - ماهو بساحر ، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم :كاهن ، لا والله ماهو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم (١) ، وقلتم : شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ، لقد روينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه (٢) ورجزه وقريضه ، وقلتم : مجنون، ، ولا - والله - ماهو بمجنون ، لقد رأينا المجنون ، فما هو بخنقه ولا تخليطه (٣) ، يامعشر قريش ، انظروا في شأنكم ، فإنه - والله - لقد نزل بكم أمر عظيم (٤) " . وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة (٥) .

---

(١) من سجع الرجل كلامه - كما يقال نظمه - : إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ، ولم يكن موزونا . المصباح : ٢٦٧ .

(٢) في ك و ط (مخرجه) .

(٣) من التخليط في الأمر ، أي الافساد فيه . اللسان ٧ : ٢٩٢ . مادة: خلط .

(٤) أورده ابن هشام في السيرة ١ : ٣٢٠ ، بمثله .

(٥) المصدر السابق ١ : ٣٢١ .

قال : وحدثني الزهري (١) قال : حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان ،والأخنس ابن شريق (٢) (٣) ، خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر ، تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لاتعودوا ،فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ماقال أول مرة ،ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة ، فعلوا كذلك ، ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لايعودوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق ، أخذ عصاه ، ثم أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني ياأبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . فقال : ياأبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها ، فقال الأخنس : وأنا ، والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : ياأبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبدمناف (٤) الشرف ،

---

(١) أي ابن اسحاق .

(٢) الزهري ، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته واتقانه ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة ، مات سنة ١٢٥ هـ ، أو قيل ذلك بسنة أو سنتين . تقريب ٢ : ٢٠٧،وسير .. النبلاء : ٥ : ٣٢٦ ـ ٣٥٠ .

(٣) اسمه : أُبَيّ بن عمرو بن وهب الثقفي أبو المغيرة أو أبو ثعلبة ، حليف بني زهرة بن كلاب ، قال ابن هشام : وانما سمي الأخنس لانه : خنس بالقوم يوم بدر ، وهو من بني عِلَاج ، وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة . وتنسب له أبيات في رثاء عثمان بن عفان نسبها اليه : سيف بن عمر . السيرة لابن هشام ٢ : ٢٠١ و ٣ : ٣٣٧ ، والبداية والنهاية ٧ : ١٩٦ .

(٤) هم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان . جمرة أنساب العرب : ١٢ ـ ١٤ .

أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، ثم إذا تجاثينا على الرُّكَب ، وكنا كفرسي رهان ،قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لانؤمن به ولا نصدقه أبدا "(١).

وكذلك روي عن المغيرة بن شعبة ، أن أبا جهل قال له مثل ذلك ،وقال: إني لأعلم أن مايقول حق ، ولكن بني قصى(٢) قالوا : فينا الندوة(٣) ، فقلنا : نعم . فينا الحجابة(٤).فقلنا : نعم.فينا السقاية(٥) . فقلنا : نعم . وذكر نحوه(٦) .

وقد كانوا يرسلون(٧) إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره - صلى الله عليه وسلم .

---

(١) السيرة لابن هشام ١ : ٣٣٧ . وقد أخرجها البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٠٦ عن ابن اسحاق بهذا الإسناد - أيضا -

(٢) هم بنو عبد مناف بن قصى بن كلاب ، وهم عمرو وهاشم ، والمطلب وعبدشمس ونوفل،وأولادهم.أنظر جمرة أنساب العرب : ١٢ : ١٤

(٣) من النادي ، وهو المجلس الذي يندو - أي يجتمع - اليه من حواليه ، ولذلك سميت دار الندوة بمكة ، كان إذا حدث بهم أمر نَدَوْ اليها ، فاجتمعوا للمشاورة ، فكان بنو قصى بمثابة رؤساء لمجلس الشورى أو (البرلمان) في مكة آنذاك . انظر معجم البلدان ٥ : ٢٧٩ .

(٤) أي حجابة الكعبة المعظمة ، وهي سدانتها وتولى حفظها ، وهم الذين بايديهم مفاتيحها . لسان العرب ١ : ٢٩٨ مادة " حجب " .

(٥) هي الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها ، ويسقى الحاج منه .اللسان ١٤ : ٣٩٢ مادة : سقي .

(٦) أخرجها البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٠٧ ، وقد أوردها ابن كثير في السيرة ١ : ٥٠٧ ، ولم يعلق على إسنادها .

(٧) في ط (يرسلونه) .

قال : محمد بن اسحاق : حدثني شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : " بَعَثَت قريش النضر بن الحارث ، وعُقْبة بن أبي معيط (١) إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : اسألوهم (٢) عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول (٣) ، وعندهم عِلْمُ ماليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود : "سلوه عن ثلاث ، نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل ، فالرجل متقول (٤) ، فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية (٥) ذهبوا في الدهر الأول ، ماكان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف (٦) ، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ماكان نبؤه . وسلوه عن الروح ، ماهو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره مابدا لكم". فأقبل النضر وعقبة ، حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد ،قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأَخْبَرُوهم بها . فجاؤا رسول الله

---

(١) هو ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتله عاصم ابن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف - صبرا (وهو مأسور) وذلك يوم بدر ، سنة ٢ هـ كافرا . ويقال : قتله على بن أبي طالب . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٢) سقطت الألف من (اسألوهم) في أ .

(٣) يقصدون التوراة .

(٤) أي متكذب وقائل قولا باطلا . انظر جامع البيان للطبري ٢٩ : ٦٦

(٥) جمع فتى ، وهو الشاب الحدث ، وهذا جمع قلة . وأما جمع الكثرة فهو (فتيان) . المصباح : ٤٦٢ .

(٦) صيغة مبالغة من (طاف) بالشيء ، أي استدار به . المصدر السابق : ٣٨٠ .

– صلى الله عليه وسلم – ، فقالوا : يامحمد : خبّرنا ، فسألوه عما أمروهم به . فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أخبركم ، وجاءه (١) جبريل من الله بسورة الكهف ، فيها خبر ماسألوه عنه ، من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، وقول الله : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وماأوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (٢) قال ابن اسحاق : بلغني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – افتتح السورة فقال : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ (٣) يعني محمداً ، أنك رسولي في تحقيق ماسألوه عنه من نبوته ﴿ ولم يجعل له عوجا قيما ﴾ أي أنزله قيما : أي معتدلا ،لا اختلاف فيه (٤) ،وذكر تفسير السورة الى قوله : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ (٥) أي وماقدروا من قدري ، وفيما صنعت من أمر الخلائق ، وماوضعت على العباد من حجتي ، ماهو أعظم من ذلك (٦) .

قال (٧) مجاهد: "ليس بأعجب من (٨) آياتنا ماهو أعجب من ذلك" (٩) .

---

(١) في ط (جاء) .

(٢) سورة الاسراء : ٨٥.

(٣) سورة الكهف : ١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥ : ١٩١ – ١٩٢ بالإسناد نفسه .

(٥) سورة الكهف : ٩.

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥ : ١٩٧ ، حدثنا ابن حميد ،قال: ثنا سلمة ، عن ابن اسحاق ، وذكره بنحوه .

(٧) في ك و ط زيادة : (قال) ثانية .

(٨) في ك و ط زيادة : (آياتنا) قبل قوله : (من آياتنا) .

(٩) السيرة لابن هشام ١ : ٣٢١ – ٣٢٤ ، وبعضه بمعناه . وقدأورد بعضه ابن كثير في تفسيره ، ٥ : ١٣٢ – ١٣٤ . وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٦٩ – ٢٧١ .

وفي تفسير العوفي (١) عن ابن عباس :"الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب، أفضل من شأن أصحاب الكهف" (٢) .

قلت (٣) : والأمر على ماذكره السلف ، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله ، فان مكثهم نياما لايموتون ، ثلاثمائة سنة ، آية دالة على قدرة الله ومشيئته ، وأنه يخلق مايشاء ، ليس كما يقوله أهل الالحاد . وهي آية على معاد الأبدان كما قال – تعالى – : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لاريب فيها... ﴾ (٤) وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم: هل تعاد الأرواح دون الأبدان .

وإخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بقصتهم من غير أن يُعَلِّمه بشر ، آية على نبوته ، فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة ، الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والإيمان برسوله (٥) ، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب ، بل من آيات الله ماهو أعجب من ذلك .

---

(١) العوفي : هو عطية بن سعد بن جنادة الجدلي ، الكوفي ، أبو الحسن تابعي شهير ، ضعيف ، صدوق ، يخطيء كثيرا ، كان شيعيا مدلسا ، من الطبقة الثالثة ، مات سنة ١١١ هـ تقريب التهذيب ٢ : ٤٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٧٩ .

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥ : ١٩٨ وأورده ابن كثير في تفسيره ٥ : ١٣٥ .

(٢) أخرجه ابن جرير ، في جامع البيان ١٥ : ١٩٨ ، حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، وذكره .

(٣) سقطت (قلت) من أ .

(٤) سورة الكهف : ٢١ .

(٥) في ط (رسله) .

وقد ذكر الله - تعالى - سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه (١) عنها ، ليعلموا (٢) : هل هو نبي صادق أم كاذب ؟ فقال - تعالى -: ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين.. ﴾ (٣) وقال : ﴿ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ﴾ الى قوله : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ الى قوله : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون - الى قوله (٤) ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون ؟ ﴾ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ، ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ماكان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٥)

وقال - تعالى - لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ (٦) أي يسألونك (٧) عن ذاك ، ويسألونك عن هذا .

---

(١) في ك (يسألوه)
(٢) في أ (ليعلموا) وهو تحريف نسْخي . (٣) سورة الكهف: ٨٣.
(٤) في ك و ط نقص في الآيات ، وسقطت كلمة (الى قوله) .
(٥) سورة يوسف : ٧ - ١١١ .
(٦) سورة الكهف : ٨٣ .
(٧) سقطت (عن) من ط .

والقرآن مملوء من اخباره عن الغيب الماضي ، الذي لايعلمه أحد من البشر، الا من جهة الأنبياء ، الذين أخبرهم الله بذلك ، ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة ، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة ، لايؤخذ خبرها قط الا عن نبي كموسى ومحمد ، وليس أحد ممن يدعى المكاشفات (١) ، لا من أولياء الله (٢) ، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك ، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم التي لايشركهم فيها غيرهم .

وأهل الملل متفقون على مادل عليه العقل الصريح ، من أن هذا لايعلم الابخبر نبي . فإذا كان محمد (٣) قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره من الأنبياء ، وأخبر بما يعلمونه ، مما لايعلمه أحد الا بالتعلم منهم ، وقد عرف أن محمدا لم يتعلم هذا من بشر ، كان هذا آية (٤) وبرهانا قاطعا على نبوته . ثم العلم بأن محمدا لم يتعلم هذا من بشر (٥) يحصل في حياته . أما قومه المباشرون له ، الخبيرون بحاله فكانوا (٦) يعلمون أنه لم يتعلم هذا من بشر ، فقامت عليهم الحجة بذلك ، وأما من لم يعرف حاله الابالسماع فيعلم ذلك بطرق :

---

(١) قال عماد الدين الأموي "... ومنها الكشف : وهو عبارة عن بيان مايستتر عن الفهم فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأي العين " . حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب،لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب ٢ : ٢٧٣.

(٢) أولياء الله ، أي المطيعون لله . المصباح : ٦٧٣ .

(٣) في أ و ك (محمدا) وقد صوبناه من ط .

(٤) في ك و ط زيادة : (بينة) .

(٥) في ك و ط (بوجوه) .

(٦) في ك و ط (وكانوا) .

منها : تواتر (١) أخباره ، وكيف كان ؟ من حين ولد ، إلى أن مات ، كما هي مستفيضة مشهورة (٢) متواترة ، يعلمها من كان (٣) له خبرة بذلك ، أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى ، فإن محمدا ظهر أمره ، وانتشرت أخباره ، وتواترت أحواله ، أعظم من جميع بني آدم ، فما بقى مادون هذا من أحواله يخفى على الناس ، فكيف مثل هذا ؟!

ومنها أنه (٤) أخبر في القرآن بما لايوجد عند أهل الكتاب ، مثل قصة هود ، وصالح ، وشعيب ، وبعض التفاصيل في قصة ابراهيم وموسى وعيسى ، مثل تكليم المسيح في المهد (٥) ، ومثل نزول المائدة ، فإن هذا لايعرفه أهل الكتاب ، ومثل إيمان امرأة فرعون وغير ذلك ، فيمتنع أن يقال : إن هذا تعلمه من أهل الكتاب ، وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك ، بل قد ، أراهم (٦) وغيرَهم آثار المنذَرين ، الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل ، كقوم عاد وثمود وغيرهم .

---

(١) الخبر المتواتر ، هو مانقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة ، بأن يكونوا جميعا لايمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره . تدريب الراوي ٢ : ١٧٦ .

(٢) قيل هما بمعنى واحد ، اي المستفيض والمشهور ، وهو الخبر الذي تزيد نَقَلَتُه على ثلاثة ، سمى بذلك لوضوحه أو لانتشاره . المصدر السابق ٢ : ١٧٣ .

(٣) سقطت (كان) من ك و ط

(٤) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٥) المهد : فراش الصبي . مختار الصحاح : ٦٣٨ .

(٦) في ك و ط (رأواهم) .

فيستدل الناس بالآثار الموجودة على صدق الرسل ، وعقوبة الله لمن يكذبهم . ويستدل قومه وغيرهم (١) على صدقه فيما أخبر به من هذه الأمور ، التي لم يتعلمها من أهل الكتاب ، بتصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه ، مع علمهم أنه لم يتعلم ذلك منهم (٢) ، ويكون هذا مما يدل على أنه لم يتعلم من أهل الكتاب شيئا (٣) ، كما قد يظنه بعضهم ، وذلك من الوجهين كما تقدم .

ومنها : أن أكثر قومه كانوا من أعظم الناس عداوة له ، وحرصا على تكذيبه والطعن فيه ، وبحثا عما به يقدحون فيه . فلو كان قد تعلم هذه الأخبار من بشر ، لكانوا يعلمون ذلك ، ويقدحون به فيه ، ويظهرونه ،ولكان هذا مما يظهر أعظم مما ظهر غيره . فلما لم يقع ذلك دل على أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به فيه ، مع علمهم بحاله ، ورغبتهم في القدح به (٤) . ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجود المقدور.فلما كان داعيهم تاما ، ولم يقدحوا ، علم أن ذلك لعجزهم . وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله : دليل على أنهم علموا أنه لم يتعلمه من بشر .

ومنها : أن يقال : مثل هذا لو وقع ، لكان من أعظم ماتتوفر الهمم (٥) والدواعي على نقله (٦) ، بل كان المتبعون له المؤمنون به ، إذا اطلعوا على ذلك فلا بد أن يشيعوه ويعلنوه ، فكيف المخالفون له المكذبون له ؟! فإن القوم المتفرقين الذين لم يتواطأوا ، كما لايجتمعون على تعمد الكذب ،فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك ، بل يجتهد الملوك والرؤساء في اخفاء مايبطنونه من أمر ملكهم الذي بنوه عليه ، ويُحَلِّفون أولياءهم على كِتمان

---

(١) في أ (وغيره) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .
(٢) في ك و ط زيادة : (ذلك) .
(٣) سقطت (شيئا) من ك و ط .
(٤) في ك و ط (فيه) .
(٥) من هم بالشيء ، يَهمُّ هَمّا : نواه وأراده وعزم عليه . اللسان ١٢ : ٦٢ مادة : همم .
(٦) في ك و ط زيادة كلمة : (ويشيع) .

ذلك ، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك ، ثم يظهر ذلك ، كما فعل القرامطة الباطنية (١) ، من أهل البحرين (٢) وبنى (*) عبيد الله بن ميمون القداح (٣)، وكما عرف الناس أن النصيرية (٤) لهم خطاب يسرونه إلى أوليائهم وإن لم يعلم أكثر الناس ماذلك الخطاب الذي يسرونه .

---

(١) هم من الاسماعيليه ،وهم أصحاب قِرمط ، وكان ظهوره سنة ٢٧٠ هـ ،وقيل ، إن قرمط اسم لقرية من قرى واسط ، منها (حمدان) الذي اخترع ماعليه القرامطة ، وهو قرمطي ، واتباعه كذلك ، وكان ظهوره فيها ، ومذهبهم: ان اسماعيل بن جعفر ، خاتم الأئمة ، وهو ـ في زعمهم ـ حي لايموت ، ويقولون باباحة المحرمات ـ قاتلهم الله ـ . انظر/التحفة الاثنى عشرية : ١٧.

(٢) البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل البحرين بالبصرة وعُمان من جزيرة العرب ، وعُمان : آخرها ومدينتها هَجَر ، وبينها وبين البصرة ١٥ يوما ، وبينها وبين عُمان مسيرة شهر . أي ٥٠٠ كلم في الأول و ١٠٠ كلم تقريبا وهي منطقة الأحساء حاليا . انظر مراصد الاطلاع ١ : ١٦٧ .

(٣) هم الفاطميون ـ الأدعياء الكذبة ـ ،والقداح ،هو أبو محمد ، المدعي أنه علوي ، وتلقب بالمهدي ، وقد اختلف في نسبه اختلافا كثيرا جدا ، حتى قيل : إن أباه يهودي ، صباغ بسلمية ، وإنما لقب بعبيد الله : زوج أمه ، الحسين بن أحمد بن ميمون القداح ، وقد بنى المهدية ،ومات بها سنة ٣٢٢ هـ ، وله ٦٣ سنة ، وكانت ولايته على أفريقية ٢٤ سنة ، ولما مات قام بأمر الخلافة من بعده ولده : أبو القاسم ، الملقب بالخليفه القائم بأمر الله ، وكتم موت أبيه لمدة سنة . انظرالبداية والنهاية ١١ : ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٤) هم أتباع (نصير) غلام علي بن أبي طالب ،الذين ألهوا عليا ـ رضى الله عنه ـ وعلى هذا فهم طائفة من غلاة الشيعة ،حيث زعموا أن الروح الالهية ظهرت في علي ـ رضى الله عنه ـ كما ظهر جبريل ـ عليه السلام ـ بصورة بشر ، وكما ظهر الشيطان بصورة انسان ، ويزعمون أن عليا يسكن السحاب ، ويرون التخميس والحجاب والباب ، وحب ابن ملجم ، وتناسخ الأرواح وتعظيم الخمر وشجرة العنب ، وبينهم الخطاب السري ، ويبيحون الزواج من البنات والأخوات والأمهات ، ويعتقدون بالاسم والمعنى والأيتام الخمسة . دراسات في الفرق : ٣٨ ـ ٤٦ ، د. صابر طعيمة ، مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(*) (بنى) معطوف على المجرور (أهل) .

لاسيما والذين آمنوا بمحمد واتبعوه – أولا – من المهاجرين ، كانـــوا مؤمنين به باطنا وظاهرا ، هجروا لأجله الأوطان والأهل والمال ، وصبروا على أنواع المكاره والأذى : طائفة (١) كبيرة ذهبت إلى الحبشة ، مهاجرة بدينها لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينه (٢) . وطائفة كانوا بمكة يُعذبون: هذا يقتل (٣) ، وهذا يخرج به إلى بطحاء مكة في الحر ، وتوضع الصخرة علــى بطنه حتى يكفر (٤) ، وهذا يمنع رزقه ويترك جائعا عريانا (٥) .

ثم انهم هجروا أحب البلاد اليهم ، وأفضلها عندهم مكة – أم القـــرى – إلى مدينة كانوا فيها محتاجين إلى أهلها ، وتركوا أموالهم بمكة، قـــال – تعالى – : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ،يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ﴾ (٦) وقـــال – تعالى – : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهـــم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ... ﴾ (٧) وقال – تعالى – : ﴿ ... فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيلي ، وقاتلوا ، وقتلوا ، لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثـــواب ﴾ (٩) وقوله (١٠) : ﴿... يخرجون الرسول واياكم ... ﴾ (١١) وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعا واختيارا ، قبل أن يؤمر أحد بقتال .

---

(١) في ك و ط (فطائفة) .

(٢) منهم : عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير – رضى الله عنهم – . السيرة لابن هشام ١ : ٣٤٤ .

(٣) كما قتلت سمية أم عمار بن ياسر . المصدر السابق ١ : ٣٤٢ .

(٤) في ك و ط زيادة : (فلا يكفر) وانظر المصدر السابق ١ : ٣٤٣ .

(٥) في ط (عربانا) وهو خطأ مطبعي .

(٦) سورة الحشر : ٠٨

(٧) سورة الحج : ٣٩ – ٤٠

(٨) في أ اتصلت الآية اللاحقة بالسابقة بدون فصل عند قوله : ﴿ ... من ديارهم ... ﴾

(٩) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(١١) سورة الممتحنة : ٠١ (١٠) في ك و ط : (وقال) .

فإنه مكث بمكة بضع عشرة سنة ، لايقاتل أحدا ، ولم يؤمر بقتال ، بل كان لايكره أحدا على الدين كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...) (١) وكانوا خلقا كثيرا ، ومعلوم أن الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصا ، قد جاء بدين لايوافقه عليه (٢) أحد ، وطلب منهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ، ويفارقوا دين آبائهم ، ويصبروا على عداوة الناس لهم وأذاهم ،ويهجروا (٣) لأجله ماترغب النفوس فيه ، من الأهل ، والمال ، والوطن وهو ـ مع ذلك ـ لم يعط أحدا منهم مالا ،ولاكان له مال يعطيهم إياه ، ولا ولى أحدا ولاية (٤) ، ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها،ولا آكره أحدا ولابقرصة في جلده ، فضلا عن سوط أو عصا ، أو سيف . وهو ـ مع ذلك ـ يقول عما يخبرهم به من الغيب:" الله أخبرني به ، لم يخبرني بذلك بشر (٥) " .

فلو كانوا ـ مع ذلك ـ يعلمون أنه تعلمه من بشر ، لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض . ويمتنع (٦) في جِبِلَّة (٧) بني آدم وفطرهم ، أن يعلموا أنه كاذب ، وأنه قد تعلم هذا من بشر ، وليس فيهم من يخبر بذلك ، مع أنهم كانوا كثيرين ، لايمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان ، بل ولاداعي لهم ، يدعوهم إلى ذلك . ويمتنع أن لايعلموا ذلك ، وهم بطانته (٨) المطلعون على أحواله ، وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين على حاله .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢) في ك و ط زيادة : (في زمانه) .

(٣) في ك و ط (هجروا) .

(٤) أي : لم يقلد أحدا عملا ولاحكما ولاامارة . انظر مختار الصحاح : ٧٣٧.

(٥) هذا معنى ماورد في الكتاب والسنة ، من إثبات نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإيحاء الله ـ تعالى ـ له ، ونفي تلقيه عن غيره ـ عز وجل ـ.

(٦) في ط (وتمتنع) .

(٧) أي خِلْقَة . مختار : ٩٢ .

(٨) هم ولَيِجَته وخواصه . مختار : ٥٧ .

والقرآن كان ينزل شيئا فشيئا ، لم ينزل جملة ، بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب ، بين الذين آمنوا به ، وباطنوه ، واطلعوا على أسراره ، وهو لايعلم شيئا من ذلك ، ثم يخبرهم به (١) ، وهم مطلعون على أمره ، خبرا بعد خبر ، وسؤالا بعد سؤال ، وهذا كان بمكة ، وليس بها أحد من علماء أهل الكتاب ، لا اليهود ولا النصارى ، ثم هاجر إلى المدينة وبها خلق كثير من اليهود : قينقاع (٢) والنضير (٣) وقريظة ، ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها ، أو أقل أو أكثر ، وهم - أيضا - يسألونه عن الغيوب التي لايعلمها إلا نبي ، فيخبرهم بها ، ويتلو عليهم ماسأله عنه المشركون من الغيب ، وماأخبرهم به ، ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه الله (٤) إليه ، ويبين أن الله أعلمه ذلك ، لم يعلمه إياه بشر ، فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى ، والطائفتان ليس فيهم من يقول : إن هذا تعلمه منا ، أو من إخواننا ، أو نظرائنا ، ولا انك قرأته في كتبنا ، مع أنه لو كان قد تعلم ذلك منهم ، لكان شيوخه منهم ، وشيوخهم إذا علموا أنه كاذب تعلمه منهم يمتنع أن يصدقوه باطنا وظاهرا ، بل تصديقهم الكتاب الأول ،وعلمهم يكذب من ادعى نزول كتاب ثان ، وقد تعلم منهم ، يدعوهم إلى أن يبينوا أمره ويظهروا كذبه ، ويقولوا للناس : تعلم منا ونحن أخبرناه بذلك. لاسيما مع مافعله باليهود ، من القتل والحصار والجلاء (٥) والسبي ،وغير ذلك .

---

(١) سقطت (به) من ط .

(٢) في ط (يهود بني قينقاع) .

(٣) الذي في ط تقديم (قريظة) على (النضير) .

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ ولا ك .

(٥) الجلاء : هو الخروج من البلد والإخراج - أيضا -.مختار : ١٠٨ .

وهذا لو وقع ، لكان من أعظم ماتتوفر الهمم والدواعي على نقله ، ينقله الموافق والمخالف . فلما لم يقل (١) ذلك أحد ، ولم ينقله أحد مع ما أظهره من الأخبار (٢) المتواترة ، التي علمها الخاص والعام ، بأن هذا مما أنبأني الله ، لم يخبرني به بشر ، كان هذا دليلا قاطعا بينا ،في أن هذه الأخبار الغيبية ، التي لايعلمها إلا نبي ، أعلمه الله بها ، أو من تعلمها من نبي : هي مما أنبأه الله به ، ولم يُعَلِّمه (٣) ذلك بشر ، وهذا من الغيب ، الذي قال الله فيه ، في السورة التي (٤) فيها استماع الجن للقرآن ، وإنذار قومهم به حيث قال : ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ۞ يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ۞ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة (٥) ولا ولدا ﴾ إلى قوله : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (٦) ۞ قل إنما أدعو ربي ، ولاأشرك به أحدا ۞ قل إني لاأملك لكم ضرا ولارشدا ۞ قل إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا (٦) ۞ الا بلاغا (٦) من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ۞ حتى إذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ۞ قل إن أدري أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربي أمدا (٧) ۞ عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا ، الا من ارتضى من رسول ، فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٧) ۞ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٨) ﴾ فقوله

---

(١) في ك و ط (ينقل)
(٢) في ك و ط زيادة : (المستفيضة) .

(٣) في ك و ط زيادة : (أعلمه الله بها) علاوة على العبارة الأولى المشابهة

(٤) في ك و ط زيادة : (ذكر) .

(٥) تعالى جدربنا : أي تعالت عظمة ربنا وجلاله . صاحبة : أي زوجة . صفوة التفاسير ٢٩ : ٤٥٨ .

(٦) لبدا : أي كاد يركب بعضهم بعضها من شدة الازدحام . ملتحدا : أي ملجأ ونصيرا . بلاغا : أي إلا إذا أبلغت رسالة ربي ، ونصحتكم وأرشدتكم ، فحينئذ يجيرني ربي من العذاب . المصدر السابق ٢٩ : ٤٦١

(٧) أمدا : أي بعيد له مدة طويلة . رصدا : أي ملائكة وحرسا . المصدر السابق ٢٩ : ٤٦١ - ٤٦٢ .

(٨) سورة الجن من ١ - ٣ ومن ١٩ - ٢٨ .

ـ تعالى ـ (١) : ﴿ ... فلا يظهر على غيبه (٢) ... ﴾ يبين أنه غيب يضاف اليه يختص به ، لايعلمه أحد إلا من جهته ، بخلاف مايغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم ، فإن هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض (٣) .

فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل ، وهي غير المسائل التي كان يسأل عنها وهو بمكة ، كما كان مشركوا قريش يرسلون الى اليهود بالمدينة ، يسألونهم (٤) عن محمد ، فيرسل (٥) اليهود بمسائل ، يمتحنون بها نبوته ، وذلك مثل مافي صحيح البخاري عن أنس قال : " جاء عبد الله بن سلام الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَقْدَمُه المدينة (٦) فقال : إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط (٧) الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، والولد ينزع (٨) الى أمه تارة والى أبيه (٩) . قال : " أخبرني جبريل آنفا " قال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ـ " أما أول أشراط الساعة : فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد حوت (١٠) . وأما الولد : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ، نزع الولد الى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه " فقال : أشهد أن لا اله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله " قال : يارسول الله : إن اليهود قوم بُهْت (١١) ، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك .

---

(١) ليس في ط كلمة التقديس .

(٢) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : (أحدا) .

(٣) في ك و ط زيادة : إتمام السورة الكريمة . ثم جاء بعدها : فهذه أنباء الغيب ، التي أوحاها إليه ، هي من الغيب الذي لايظهر الله عليه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ، يرصدون من يأتيه من إنسي وجني ، فيدفعونه ، ﴿... ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ...﴾

(٤) في أو ك (يسألوهم) والصواب ماأثبتناه من ط .

(٥) في أ (يرسلون) وفي ك (يرسلوا) والأولى ماأخترناه من ط .

(٦) مقدمه : وقت مجيئه من الهجرة الى المدينة . انظر مختار : ٥٢٤ .

(٧) أشراط : جمع شرط ، وهو : العلامة . ينزع : أي يذهب في الشبه .مختار : ٣٣٤ ـ ٦٥٤ .

=

....

= (٨) في ط زيادة : (تارة) مرة ثانية

(٩) الزيادة ، هي : القطعة المنفردة المعلقة في الكبد ، وهي في المطعم غاية في اللذة • فتح الباري ٧ : ٢٧٣ •

(١٠) في ك و ط (كبدالحوت) •

(١١) بُهْت : جمع بهيت ، وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب •

فجاءت اليهود ، فقال لهم النبي (١) ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أي رجل عبد الله فيكم ؟ " قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، وعالمنا وابن عالمنا . قال : " أرأيتم إن أسلم عبد الله " ؟ قالوا أعاذه (٢) الله من ذلك . فخرج اليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا : " شرنا وابن شرنا " وتنقصوه . قال (*) : فهذا ما كنت أخاف وأحذر (٣) .

وروى مسلم ـ في صحيحه ـ عن ثوبان قال : "كنت قائما عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء حَبْر من أحبار اليهود وقال (٣) : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ قال : قلت ألا تقول ، يا رسول الله ؟ قال : إنما سميته بإسمه الذي سماه به أهله . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن إسمي الذي سماني به أهلي محمد . فقال اليهودي : جئت أسألك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ينفعك شيء إن حدثتك " قال : أسمع بأذني ، فنكت (٤) بعود معه . فقال له : " سل " . فقال اليهودي : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " في الظلمة دون الجِسْر (٥) " قال : فمن أول الناس اجازة (٥) ؟ قال : " فقراء المهاجرين " . فقال اليهودي : فما تحفتهم (٥) حين يدخلون ؟ قال : " زيادة كبد نون (٦) " . قال : وما غذاؤهم على إِثْرِه ؟ قال : " ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها " . قال: فما شرابهم عليه ؟ قال:" من عين فيها تسمى سلسبيلا " . قال صدقت .

---

(١) في ك و ط (رسول الله) . (٢) أي عصمه . اللسان ٣:٤٩٩ مادة : عوذ .

(*) في ك و ط (فقال) . (٣) في ط (واحذره) .

(٣) رواه البخاري . كتاب مناقب الأنصار ، باب ، حدثني حامد بن عمر .. ، ٢٧٢:٧ (٣٩٣٨) من فتح الباري . وأخرجه الامام أحمد في المسند ١٠٨:٣ .

(٤) في أ (نكث) ، وقد أثبتنا ما في الصحيح .

(٥) أي الصراط . اجازة : أي عبورا وجوازا . تحفة : ما يخص به الرجل ويهدى اليه ويلاطف . شرح النووي لمسلم ٣ : ٢٢٧ .

(٦) أي الحوت ، وجمعه : نينان . المصدر والموضع السّابق .

قال : وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال : " ينفعك إن حدثتك " . قال : أسمع بأذني . قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : " ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا (١) باذن الله ، واذا علا مني المرأة (٢) مني الرجل آنثا باذن الله " فقال اليهودي : صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إنه سألني هذا الذي سألني عنه ، وما أعلم شيئا منه حتى آتاني به الله - تعالى - " (٣). وروى أبو داود الطيالسي (٤) ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام (٥) ، عن شَهْر بن حوشب (٦) ، عن ابن عباس قال : حضرت عصابة

---

(١) في ط (ذكرا) .
(٢) هكذا في ك و ط وقد سقطت كلمتا (مني المرأة) من أ فأكملناه منهما .
(٣) في ك و ط زيادة : " رواه عبد بن حميد في تفسيره عن أحمد بن يونس ، عن عبد الحميد ، عنه " .
(٣) مسلم ، كتاب الحيض ، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ... ١ :٢٥٢(٣١٥)
(٤) هو سليمان بن داود بن الجارود ، الفارسي ثم الأسدي ثم الزبيري ، مولى آل الزبير بن العوام ، الحافظ الكبير ، البصري ، صاحب المسند ، أثنى عليه كثير من الأئمة ، وأخذ عليه عدم التحديث من أصله - أي من كتاب - وأنه غَلَطَ في عدة أحاديث ، وقد استشهد به البخاري في موضع واحد من كتابه ، مات سنة ٢٠٤ هـ بعدما عمر طويلا . سير ... النبلاء ٩ : ٣٧٨ - ٣٨٤ ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٢٣ .
(٥) هو الفزاري المدائني ، صاحب شهر بن حوشب ، وثقه أبو داود ويحيى بن معين ، مات قبل سنة ١٧٠ هـ.سير ... النبلاء ٧ : ٣٣٤ - ٣٣٥ . وتقريب ١ : ٤٦٧ .
(٦) هو أبو سعيد الأشعري الشامي ، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، كان من كبار علماء التابعين ، قرأ القرآن على ابن عباس ، وثقه الامام أحمد والعِجْلي ويحيى بن معين ، مات سنة ١٠٠ هـ وله ٨٠ سنه.سير .. النبلاء ٤ : ٣٧٢ - ٣٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٣٦٩ .

من اليهود يوما الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يارسول الله ، حدثنا عن خِلال نسألك عنها ، لايعلمها إلا نبي . فقال : " سلوني عم شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذِمّة (١) الله ، وما أخذ يعقوب على بنيه (٢) ، إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقا ، لتتابعوني على الاسلام " . قالوا : لك ذلك . قال : " فسلوني عم شئتم " قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ": أخبرنا عن الطعام الذي حَرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزَّل التوراة . وأخبرنا عن ماء الرجل : كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكرا ، وكيف يكون الأنثى حتى يكون أنثى . وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم ومن وليك (٣) من الملائكة ؟ قال : " فعليكم عهد الله وميثاقه ، لئن أنا حدثتكم لتتابعوني " . فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق . قال . " أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل ـ يعقوب ـ مرض مرضا شديدا ، طال سقمه فيه ، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ، ليحرمن أحب الشراب اليه ، وأحب الطعام اليه ، وكان أحب الشراب اليه : البان الإبل ، وأحب الطعام اليه : لحوم الإبل " . قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم اشهد عليهم " . قال : " فأنشدكم بالله ، الذي لاإله إلا هو ، الذي أنزل التوراة على موسى : هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض ،وأن ماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما علا كان الولد والشبه له ـ بإذن الله ـ ".قالوا: اللهم نعم.فقال:" اللهم اشهد" قال:"أنشدكم بالله، الذي لا إله إلا هو، وأنزل التوراة على موسى،هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه".قالوا: اللهم نعم.قال (٤) :"اللهم اشهد" . قالوا : أنت الآن : حدثنا من وليك (٥) من

---

(١) ذمة : عهد . ترتيب ٢ : ٢٦٨

(٢) لعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقصد ماذكره ـ تعالى ـ : ﴿ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به ، إلا أن يحاط بكم ، فلما آتوه موثقهم،قال : الله على مانقول وكيل ﴾ يوسف : ٦٦.

(٣) في ك و ط (الأمي في التوراة ومن وليه) .

(٤) من أ (قالوا) وهو تحريف نسخي .

(٥) أي نصيرك . ترتيب ٤ : ٦٥٨ .

الملائكة ، فعندها نجامعك (١) أو نفارقك . قال : " وليي جبريل - عليه السلام - ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه " قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك قال : " فما يمنعكم أن تصدقوا (٢) ؟ "قالوا: إنه عدونا من الملائكة . فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ ... (٣) من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا (٤) ...﴾ إلى قوله : ﴿... فإن الله عدو للكافرين (٥) ﴾ .

ففي هذه الأحاديث أن علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ، كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها : لايعلمها إلا نبي : أي ومن تعلمها من الأنبياء ، فإن السائلين كانوا يعلمونها كما جاء - أيضا (٦) - : " لايعلمها إلا نبي أو رجل أو رجلان " .فكانوا (٧) يمتحنونه بهذه المسائل ، ليتبين: هل يعلمها ؟ وإذا كان يعلم مالا يعلمه إلا نبي كان نبيا . ومعلوم أن مقصودهم بذلك إنما يتم إذا علموا أنه لم يعلم (٨) هذه المسائل من أهل الكتاب ومن تعلم منهم . وإلا فمعلوم أن هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس ، لكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء .

---

(١) نجامعك : أي نجتمع بك ونتفق معك . أنظر المصدر السابق ١ : ٥٣٠ .

(٢) في ط (تصدقوا به) .

(٣) في ك و ط زيادة : (قل) .

(٤) في ك و ط زيادة : (لما بين يديه) .

(٥) سورة البقرة : ٩٧ - ٩٨ .

(٥) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ٣٥٦ (٢٧٣١). مصور عن الطبعة الأولى بحيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٢١ هـ ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق ببروت . وإسناد هذا الحديث رجاله موثقون ، كما مربنا في تراجمهم .

(٦) أي في الحديث السابق عند الطيالسي .

(٧) في ك و ط (وكانوا) .

(٨) في ك و ط (يتعلم) .

وهذا يبين أن هؤلاء السائلين له من أهل الكتاب ، كانوا يعلمون أن أحدا من البشر لم يُعَلِّمه (١) ماعند أهل الكتاب من العلم ، إذلو جوزوا ذلك عليه ، لم يحصل مقصودهم من امتحانه . هل هو نبي أم لا (٢) ؟ فإنهم إذا جوزوا أن يكون تعلم مالا يعلمه إلا نبي من أهل الكتاب ، كان من جنسهم ، فلم يكن في علمه بها (٣) وإجابتهم (٤) عنها دليلا (٥) على نبوته .

فلابد أن يكون هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من أهل الكتاب .
وهذا كان بالمدينة بعد أن أقام بمكة بضع عشرة (٦) سنة . وانتشر أمره ، وكذبه قومه ، وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه . فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب يتعلم منه ، أو لقي أحدا من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه ، لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين .

فتبين أنه كان معلوما عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئا من الغيب من بشر – لاسيما – ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب – وقد كذبهم وحاربهم – لأظهروا ذلك ، ولشاع في أهل الكتاب ، فكان (٧) إذا أجابهم ، قالوا : هذا تعلمته من فلان ، وفلان منا ، أو هذا علمكه بعض أهل ديننا وهذا كما كانوا يرسلون الى قومه ، من قريش ، ليسألوه عن مسائل ،ويقولون : ان أخبركم بهن فو نبي مرسل ، وإلا فهو متقول . ويقولون : سلوه عن مسائل لايعلمها الا نبي .

---

(١) في أ (جوزو) وهو نقص إملائي .
(٢) في ط (أولا) .
(٣) في ك و ط (علمهم بها) بدون (في) .
(٤) في ك و ط (أحاديثهم) .
(٥) في أ و ك (دليل) والأصوب ماأثبتناه من ط .
(٦) في ك و ط (عشر) .
(٧) في ك و ط (وكان) .

فهذا من أهل المدينة ، ومن قريش قومه ، يبين أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين على أنه لم يتعلم شيئا من ذلك من البشر ، إذ لوجوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ، ولم يجز أن يقولوا : لايعلمها إلا نبي ٠ فإنهم كانوا جميعا يعلمون أن من أهل الكتاب من يعلم (١) هذه المسائل ، وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء ، أو بخلاف ذلك ؟ ويعلمون أن من كان تعلمها (٢) من أهل الكتاب ، ومن تعلم منهم ، لايدل جوابه عنها على نبوته ، كما لو أجاب عن تلك المسائل بعض أهل الكتاب ، وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض (٣) المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب ، التي لايعلمها إلا نبي ، فإن ذلك لايدل على نبوته ، لأنه قد تعلم ذلك من الأنبياء ٠

فدل على أن مرادهم بقولهم : لايعلمها إلا نبي : أي لايعلمها ابتداء بدون تعليم من (٤) بشر إلا نبي ويدل على أن المشركين وأهل الكتاب ،كانوا جميعا متفقين على أنه لم يتعلم من بشر ، مع انتشار أخباره ٠ ومع اطلاع قومه على أسراره ، ومع ظهور ذلك ،لو وجد ، ومع أنهم لو جوزوا تجويزا أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن ، لم يجز أن يُستدل بها على نبوته ، فدل على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر ، لافي الباطن ، ولا في الظاهر ، وهذا طريق بين ، يدل على أنه لم يتعلم ذلك من بشر ،سوى الطرق المذكورة هنا ٠

---

(١) في ك و ط (تعلم) ٠

(٢) في ك و ط (يعلمها) ٠

(٣) زيادة اللام في (بعض) تدل على أن الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ يرى جواز تعدية الفعل بالجار ولو كان متعديا ، حيث أن الفعل (سأل) متوفرة فيه علامتا المتعدي وهما : صحة اتصاله بهاء ضمير غيرالمصدر ، وإمكان أن يبنى منه اسم مفعول تام ٠ انظر أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ٢٧٥ ٠
هذا مع احتمال أن تكون اللام زيادة نسخية ، بالرغم من اتفاق جميع النسخ عليها ، حتى نسخة أكسفورد ٠

(٤) ليس في ك و ط (من) ٠

فصل

(جلاء آيات النبوة وتنوعها وكثرتها)

ولما كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا إلى جميع الثقلين : جنهم وإنسهم ، عربهم وعجمهم . وهو خاتم الأنبياء ـ لانبي بعده ـ كان من نعمة الله على عباده، ومن تمام حجته على خلقه ، أن تكون آيات نبوته ، وبراهين رسالته ، معلومة لكل الخلق ، الذين بعث اليهم ، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ماليس عند هؤلاء .

وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية ، مايبين به أن القرآن حق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق (١) بعيد ﴾ سنريهم آياتنا في الآفاق (١) وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (٢) أخبر ـ سبحانه ـ أنه سيري عباده (٣) الآيات في أنفسهم ، وفي الآفاق ، حتى يتبين لهم أن القرآن حق ، فإن الضمير عائد إليه ، إذ هو الذي تقدم ذكره ، كما قال : ﴿ قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ (٤) والضمير في (كان) عائد إلى معلوم .

---

(١) شقاق : عداوة . الآفاق : أقطار السموات والأرض . شهيد : مطلع على كل شيء لاتخفى عنه خافية . صفوة التفاسير ٢٤ : ١٢٨ ـ ١٢٩

(٢) سورة فصلت : ٥٣ : ٥٤ .

(٣) في ك و ط (العباد) .

(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

يقول : أرأيتم إن كان القرآن من عند الله ، ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد • فإنه على هذا التقدير ، يكون الكافر (١) في شقاق بعيد ، قد شاق الله ورسوله ، ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق ، حيث كان في شِق (٢) ، والله ورسوله في شِق ، كما قال ــ تعالى ــ : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، (٣) وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون ﴾ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ (٤) بين أن من تولى عن ذلك ، لم يكن متبعا للحق قاصدا له ، فإن هذا الذي قلتموه ، لايتولى عنه من أهل الكتاب من قَصْدُه الحق ، وإنما يتولى عنه من قصده المشاقة والمعاداة ، لهوى نفسه ، وهذا يكفيك الله أمره •

---

(١) سقطت (الكافر) من أ•

(٢) أي جانب • ترتيب ٢ : ٧٣٨•

(٣) جمع سبط ، وهم القبيلة من اليهود • وهم أولاد يعقوب النبي ــ عليه السلام ــ وسموا بذلك من السَّبْط : وهو التتابع ، أو من السَّبَط : وهو الشجر، مفرده : سبطة ، شبهوا بالشجر لكثرتهم ، وعددهم اثنا عشر قبيلة من اثنى عشر ولدا ، هم أولاد يعقوب ، وهم ستة أشقاء : رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ، وأما يوسف وبنيامين ، وكذلك : دان ونفتالى ، وكذا : جاد وأشير فكل اثنان منهم شقيقان • ترتيب القاموس ٢ : ٥١٠ ، وسفر التكوين ، الاصحاح التاسع والعشرون : ٣١ ــ ٣٥ والاصحاح الثلاثون : ١ ــ ٢٤ العهد القديم : ٤٢ ــ ٤٣ • والبداية والنهاية ١ : ١٩٥ •

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ ــ ١٣٧ •

والقرآن إن كان من عند الله ، ثم كفر به من كفر ، فلا أحد أضل ممن هو في مثل حاله ، إذ هو في شقاق بعيد . وان قُدِّر أنه لم يعلم أنه حق ، فهو ضال . والشقاق قد يكون مع العناد ، وقد يكون مع الجهل ، فان الآيات إذا ظهرت ، فأَعْرَض عن النظر الموجب للعلم ، كان مشاقا ، ولهذا قال عقب (١) ذلك : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ... ﴾ (٢) فأخبر أنه سُيرى عباده من الآيات الأفقية والنفسية ، مايبين أنه حق ، ثم قال ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (٣) فان شهادته وحده كافية بدون ماينتظر من الآيات ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ .. قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب ﴾ (٤) وشهادته للقرآن ولمحمد ، تكون بأقواله التي أنزلها قبل ذلك على أنبيائه كما قال ـ تعالى ـ عن أهل الكتاب ـ : ﴿ .. ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ (٥) وتكون بأفعاله (٦) وهو مايحدثه من الآيات والبراهين ، الدالة على صدق رسله ، فإنه صدقهم بها فيما أخبروا به عنه ، وشهد لهم بأنهم صادقون .

والقرآن ـ نفسه ـ هو قول الله ، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول ، وانزاله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٧) واتيان محمد به هو آية وبرهان ، وذلك من فعل الله ، إذ (٨) كان البشر لايقدرون على مثله: لا (٩) يقدر عليه أحد من الأنبياء ، ولا الأولياء ولا السحرة ولاغيرهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١٠) ﴾ .

---

(١) في ك و ط (عقيب) .

(٢) سورة فصلت : ٥٤ .

(٣) سورة فصلت : ٥٤

(٤) سورة الرعد : ٤٣ .

(٥) سورة البقرة : ١٤٠ .

(٦) في ك وط زيادة : (وتكون بأقواله ، التي أنزلها على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإن القرآن نفسه آية بينة ، ومعجزة قاهرة) .

(٧) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٨) في أ (اذا) والأصوب مافي ك وط ، وهو ما أثبتناه .

(٩) في ط زيادة الواو (ولا) .

(١٠) سورة الاسراء : ٨٨.

(١٠) ظهيرا : اي معينا . ترتيب ٢ : ١٣٢ .

ومحمد – صلى الله عليه وسلم – أخبر بهذا في أول أمره، إذ كانت هذه الآية في سورة (سبحان)(1) وهي مكية، صَدَّرها(2) بذكر الاسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس. وقد أخبر خبرا وأكده بالقسم، عن جميع الثقلين، إنسهم وجنهم، أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لايأتون بمثله، بل يعجزون عن ذلك، وهذا فيه آيات لنبوته :

منها اقدامه على هذا الخبر العظيم، عن جميع الانس والجن، إلى يوم القيامة، بأنهم لايفعلون هذا، بل يعجزون عنه : (3) هذا لايقدم عليه من يطلب من الناس أن يصدقوه، إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك، اذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر، فيفسد عليه ماقصده، وهذا لايقدم عليه عاقل، مع أتفاق الأمم : المؤمن بمحمد، والكافر به، على كمال عقله ومعرفته وخبرته، اذ ساس العالم سياسة (4) لم يَسُسْهم أحد بمثلها.

ثم جَعْلُه هذا في القرآن، المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة، الذي يقرأ به في الصلوات، ويسمعه (5) العام والخاص، والولى والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر، والا لو كان شاكا في ذلك، لخاف أن يظهر كذبه عند خلق كثير، بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه، وهذا لايفعله من يقصد أن يصدقه الناس، فمن يقصد أن (6) يصدقه الناس، لايقول مثل هذا، ويظهره هذا الاظهار، ويشيعه هذه الاشاعة، ويخلده هذا التخليد، إلا وهو جازم عند نفسه بصدقه.

ولايتصور أن بشرا يجزم بهذا الخبر الا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق، إذ عِلْم العالِم بعجز جميع الانس والجن الى يوم القيامة، هو من أعظم دلائل كونه معجزا، وكونه آية على نبوته، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر، عند من سمع هذا الكلام، وعلم أنه من القرآن الذي أمر ببلاغه إلى جميع الخلق، وهو – وحده – كاف في العلم بأن القرآن معجز.

---

(1) هذه أول كلمة شريفة من سورة الاسراء، وانظر البرهان في علوم القرآن ١ : ٢٦٩ – ٢٧٢ لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي – ٧٩٤ هـ ت : محمد أبو الفضل أبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م.

(2) مثل : صدر النهار، أي أوله ومتقدمه. المصباح : ٣٣٥.

(3) في ط زيادة الواو (وهذا).

(4) وهي الأمر والنهي والادارة بصفة عامة. انظر ترتيب ٢ : ٦٤٦. وتجدر الاشارة هنا إلى كتاب الشيخ المنشور بعنوان : السياسة الشرعية، في اصلاح الراعي والرعية، ط ٤، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩م.

(5) في ك و ط (وسمعه).

(6) في ك (قصد)، وفي ط سقطت (يقصد أن)وجاءت في السطر الثاني، قبل كلمة (ويخلده).

دع ماسوى ذلك من الدلائل الكثيرة ، على أنه معجز ، مثل عجز جميع الأمم عن معارضته ، مع كمال الرغبة والحرص على معارضته . وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة . فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة علم عجز جميع الأمم عن معارضته ، وهذا برهان ثان (١) يعلم به صدق هذا الخبر وصدق هذا الخبر آية لنبوته ، غير العلم بأن القرآن معجز، فإن (٢) ذلك آية مستقلة لنبوته ، وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر، معلومة لكل أحد ، وهي من أعظم الآيات .

فإن كونه معجزا يعلم بأدلة متعددة ، والإعجاز فيه (٣) وجوه متعددة، فتنوعت دلائل اعجازه ، وتنوعت وجوه اعجازه ، وكل وجه من الوجوه ، هو دال على (٤) اعجازه وهذه جمل ، لبسطها تفصيل طويل ، ولهذا قال – تعالى – : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم ، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ (٥) فهو كاف في الدعوة والبيان ، وهو كاف في الحجة (٦) والبرهان .

---

(١) في ك (بان) وفي ط (بين) .

(٢) في ك و ط (فلذلك) بدون (فان) .

(٣) في ك و ط زيادة (من) .

(٤) في ك و ط (فهو دليل اعجازه) .

(٥) سورة العنكبوت : ٥٠ – ٥١ .

(٦) في ك و ط (الحجج) .

فصـــل (١)

(التحقيق في أسم المعجزة والآيــة والكرامــــة وإطلاقهـــــن)

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرة متنوعة ، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات) وتسمى (دلائل النبوة) ، و (أعلام النبوة (٢)) .

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء ، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودا في الكتاب والسنة ، وإنما فيه لفظ (الآية) و (البينة) و (البرهان) كما قال ـ تعالى ـ في قصة موسى ـ :﴿ .. فذانك برهانان من ربك ..﴾ (٣) في العصا واليد ، وقال الله (٤) ـ تعالى ـ في حق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٥) : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا اليكم نورا مبينا ﴾ (٦) وقد قال في مطالبة أهل الدعاوى الكاذبة بالبرهان : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٧) وقال ـ تعالى (٨) ـ : ﴿ أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٩) وقال : ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له به ، فإنما حسابه عند ربه ، إنه لايفلح الكافرون ﴾ (١٠) وقال ـ تعالى (١١) ـ : ﴿ ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴿ ونزعنا من كل أمة شهيدا ، فقلنا هاتوا برهانكم ، فعلموا أن الحق الله ، وضل عنهم ماكانوا يفترون ﴾ (١٢) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (في اظهار معجزاته) .

(٢) في ك و ط زيادة (ونحو ذلك) .

(٣) سورة القصص : ٣٢ .

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ .

(٥) لم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط .

(٦) سورة النساء : ١٧٤ . (٧) سورة البقرة : ١١١ .

(٨) لم ترد كلمةالتقديس في أ . (٩) سورة النمل : ٦٤ .

(١٠) سورة المؤمنون : ١١٧ . (١١) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(١٢) سورة القصص : ٧٤ ـ ٧٥ .

وأما لفظ (الآيات) فكثير في القرآن ، كقوله – تعالى – ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها (١) ، ومايمكرون إلا بأنفسهم، ومايشعرون ، وإذا جاءتهم آية قالوا : لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٢) وقوله – تعالى (٣) – : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات... ﴾ (٤) وقال – تعالى (٥) – : ﴿ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾ (٦) وقول فرعون له : ﴿ ... فأت به إن كنت من الصادقين ﴾ (٧) وقال قوم صالح له (٨) : ﴿ ... فأت بآية إن كنت من الصادقين. قال : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ (٩) وقال : ﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ (١٠) وقال المسيح : ﴿ قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص (١١) ، وأحيي الموتى – بإذن الله – ، وأنبئكم بماتأكلون وماتدخرون

---

(١) أي ليفسدوا فيها ويفسقوا . صفوة التفاسير ٨ : ٤١٦ م١ .
(٢) سورة الأنعام : ١٢٣ – ١٢٤ .
(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ .
(٤) سورة الاسراء : ١٠١ .
(٤) في ك وط زيادة : (... فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم ...).
(٤) ذكر الله – عز وجل – للآيات التسع لموسى – عليه السلام – لايقدح في ثبوت غير التسع من الآيات ، وقد عدّ أبو عبد الله الفخر الرازي منها ست عشرة آية ، مذكورة في القرآن الكريم ، ثم قال : (وقد اتفقوا على سبع منها ، وهى : العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وبقى الاثنان ، ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما ...). انظر التفسير الكبير للرازي ٢١ : ٦٥ .
(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ .
(٦) سورة النمل : ١٢ .
(٧) سورة الشعراء : ٣١ .
(٨) سقطت (له) من ك و ط .
(٩) سورة الشعراء : ١٥٤ – ١٥٥ .
(٩) أي تشرب ماءكم يوما ، ويوما تشربون أنتم الماء . صفوة التفاسير ١٩ : ٣٩١ .
(١٠) سورة الأعراف : ٧٣ .
(١١) أي أشفي الذي ولد أعمى ، كما أشفي المصاب بالبرص – باذن الله – . والبرص : بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج . المصدر السابق ٣ : ٢٠٣ وترتيب القاموس ١ : ٢٥٠ . وتسهيل المنافع : ١٨١ .

في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾(١) وقال في حق محمد :
﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴿ فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزؤن ﴾(٢) وقال :
﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر • وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾(٣)
وقال : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة(٤) أن يفقهوه وفي
آذانهم وقرا(٤) ، وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ، حتى اذا جاؤك يجادلونك ،
يقول الذين كفروا : إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾(٥) وقال ـ تعالى ـ :
﴿ وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا
نذير مبين ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك
لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾(٦) وقال : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾(٧) وقال ـ تعالى ـ(٨) ﴿ قد كان لكم آية في
فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم
رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾(٩)
وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لايرجون
لقائنا ائت بقرآن غير هذا أوبدله ، قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء
نفسي ﴾(١٠) وقال-تعالى-: ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات
والنذر عن قوم لايؤمنون ﴾(١١) وقال ـ لما ذكر قصص الأنبياء في سورة الشعراء ـ

---

(١) سورة آل عمران : ٤٩ •
(٢) سورة الأنعام : ٥•
(٢) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ سورة الشعراء : ١٩٧ •
(٣) سورة القمر : ١ ـ ٢ •
(٤) أكنة : أغطية • وقرا : ثقلا وصمما يمنع من السمع • صفوة ٧ : ٣٨٥ •
(٥) سورة الأنعام : ٢٥ •
(٦) سورة العنكبوت : ٥٠ ـ ٥١•
(٧) سورة فصلت : ٥٣•
(٨) لم ترد كلمة التقديس في أ •
(٩) سورة آل عمران : ١٣•
(١٠) سورة يونس : ١٥•
(١١) سورة يونس : ١٠١•

قال في آخر كل قصة : ﴿ ان في ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ (١) وقال : ﴿ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ﴾ – الى أن قال في آخرها – : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم ، اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ الى قوله : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنهامعرضون ﴾ (٢) وقال – تعالى – (٣) : ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ، فعجل لكم هذه ، وكف أيدي الناس عنكم، ولتكون آية للمؤمنين ﴾ (٤) وقال : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ (٥) .

وأما لفظ المعجز ، فانما يدل على أنه أعجز غيره ، كما قال – تعالى – ﴿ ... وماهم بمعجزين ﴾ (٦) وقال : ﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ... ﴾ (٧) . ومن لايثبت فعلا إلا لله ، يقول : المعجز هو الله ، وانما سمى غيره معجزا مجازا . وهذا اللفظ لايدل على كون ذلك آية ودليلا الا (٨) اذا فُسر المراد به ، وذُكر شرائطه ، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لايسمى معجزا الا ماكان للأنبياء فقط ، وماكان للأولياء ان أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة .

والسلف – كأحمد وغيره – كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ، ويقولون لخوارق الأولياء : انها معجزات ، اذا (٩) لم يكن في اللفظ مايقتضي اختصاص الأنبياء بذلك . بخلاف ماكان آية وبرهانا على نبوة النبي ، فان هذا يجب اختصاصه .

---

(١) سورة الشعراء : ٨ – ٩ و ٦٧ – ٦٨ و ١٠٣ – ١٠٤ و ١٢١ – ١٢٢ و ١٣٩ – ١٤٠ و ١٥٨ – ١٥٩ و ١٧٤ – ١٧٥ و ١٩٠ – ١٩١ .

(٢) معرضون أي لايفكرون فيها ولايعتبرون . صفوة ١٣ : ٦٩ ،

(٢) سورة يوسف : ٧ – ١٠٥ .

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(٤) سورة الفتح : ٢٠ . (٥) سورة المؤمنون : ٥٠ .

(٥) ربوة : أي مكان مرتفع من أرض بيت المقدس . ذات قرار ومعين : مستوية يستقر عليها ، وماء جار ظاهر للعيون . صفوة ١٨ : ٣١٠ .

(٦) سورة الزمر : ٥١ . (٧) سورة الشورى : ٣١ .

(٨) سقطت (الا) من ك و ط .

(٩) هكذا في جميع النسخ ، والذي يظهر لي أنها (اذ) .

وقد يسمون الكرامات آيات ، لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي ، فان الدليل مستلزم للمدلول (١) ، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول ، فكذلك ما كان آية وبرهانا وهو الدليل والعَلَم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي (٢) . وبسط هذا له موضع آخر (٣) .

والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - كثيرة متنوعة ، كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب (٤) ، وبينا أن من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط ، بل هي أنواع كثيرة ، لكن الآيات نوعان:
منها : مامضى وصار معلوما بالخبر ، كمعجزات موسى وعيسى .
ومنها : ماهو باق إلى اليوم ، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكالعلم والايمان الذي (٥) في أتباعه ، فإنه من أعلام نبوته ، وكشريعته التي أتى بها ، فإنها أيضا من أعلام نبوته ، وكالآيات التي يظهرها الله وقتا بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته (٦) ، ووقوع ما أخبر بوقوعه ، كقوله " لاتقوم الساعة (٧) حتى تقاتلوا الترك (٨) " وقوله: " لاتقوم الساعة حتى

---

(١) في ك (المدلول) وفي ط (للدلول) .

(٢) في ك و ط زيادة: "وقد يقال : إنهم سموها معجزات لأن كرامات الأولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه ، ولهذا سموها آيات-أيضا-،أو لأنها تعجز غيرهم ، وهي آية على صحة طريقهم " .

(٣) انظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ م ١ : ٤٠٩ ومابعدها . وانظر كتاب النبوات : ٢ - ١٤ و ٢٨ ومابعدها .

(٤) انظر كتاب النبوات : ٣٠ .

(٥) في ك و ط (اللذين) .

(٦) هكذا في ك و ط ، وفي أ زيادة : (به) ولا أرى لها محلا ممكنا .

(٧) هكذا في ك و ط ، وقد سقطت كلمة (الساعة) من أ .

(٨) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب قتال الترك ، ٦ : ١٠٤ (٢٩٢٨) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الفتن ... ،باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، ٤ : ٢٢٣٣ (٢٩١٢) .

تخرج نار من أرض الحجاز (١) تضيء لها أعناق الابل ببصرى " (٢) وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستماية (٣)، وشاهد الناس أعناق الابل ببصرى (٤).

وظهر (٥) دينه وملته بالحجة والبرهان، واليد والسنان (٦)، وَمَثَّلَ المثلات (٧) والعقوبات التي تحيق (٨) بأعدائه، وغير ذلك، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله، وغير ذلك.

---

(١) في ك و ط (بأرض).

(٢) رواه البخاري بمثله، كتاب الفتن، باب خروج النار، ١٣ : ٧٨ (٧١١٨) من فتح الباري، ومسلم، كتاب الفتن ...، باب لاتقوم الساعة حتى تخرج نار ...، ٤ : ٢٢٢٧ (٢٩٠٢) . وقد عجبت من قول ابن كثير : "تفرد به البخاري" يعني هذا الحديث. البداية والنهاية ٦ : ٢٥٣ . وقد استدرك وعزاه إلى مسلم - ايضاً - في النهاية ١ : ١٨ .

(٣) في ك و ط زيادة " في ضوء النار " .

(٤) وقد ظهرت في يوم الجمعة الخامس من جمادي الآخرة سنة ٦٥٤ هـ واستمرت شهرا، أواكثر، وكان هذا في شرقي المدينة، من ناحية وادي شظا، مقابل جبل أحد، وقد زلزلت المدينة بسببها، وسمع أهلها أصواتا مزعجة، قبل ظهورها بخمسة أيام، وقد شاهد غير واحد من الأعراب ببصرى صفحات أعناق إبلهم، كما نقل ذلك القاضي صدر الدين علي بن أبي قاسم التيمي الحنفي عن والده الشيخ صفي الدين. أحد مدرسي بصرى. وقد لجأ أهل المدينة في هذه الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها. انظر المصدر السابق ٦ : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٥) في ك و ط (وظهور).

(٦) هكذا في ك و ط، وفي أ (واللسان) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) المثلات : هي العقوبات لأمثال المكذبين. صفوة ١٣ : ٧٥ .

(٨) تحيق : من الحوق، وهو الاحاطة. ترتيب ١ : ٧٤١ .

فصـــل (١)

(بحـث فـي الإعجـاز القرآنـي)

والقرآن (٢) كلام الله ، وفيه الدعوة والحجة ، فله بـه أختصاص على غيره ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : " مامن نبي من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " (٣) . والقرآن يظهر كونه آية وبرهانا له من وجوه : جملةً وتفصيلا . أما الجملة ، فإنه قد عَلِمَت الخاصة والعامة من عامة الأمم ، علما متواترا أنه هو الذي أتى بهذا القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار ، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم .

والقرآن-نفسه- (٤) فيه تحدي الأمم بالمعارضة ، والتحدي هو أن يحدوهم : أي يدعوهم فيبعثهم (٥) الى أن يعارضوه، فيقال فيه : حداني على هذا الأمر : أي بعثني عليه ، ومنه سمى حادى العِيْس ، لأنه بحداه يبعثها على السير (٦) .

وقد يريد بعض الناس بالتحدى دعوى النبوة (٧) ، ولكن أصله الأول ، قال ـ تعالى ـ في سورة الطور : ﴿ أم يقولون تقوله بل لايؤمنون ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ (٨)

---

(١) سقطت (فصل) من أ ، وفي ك و ط زيادة : (في معجزات القرآن) .

(٢) في ط (القرآن) .

(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي .... ، ٩ : ٣ (٤٩٨١) من فتح الباري .

(٤) في ك و ط (والمتحدي) .

(٥) في ك و ط (ويبعثهم) بالواو بدلا من الفاء .

(٦) انظر اللسان ١٤ : ١٦٨ ، مادة : حدا .

(٧) في أ (دعوة) وما أثبتناه من ك و ط أصح .

(٨) سورة الطور : ٢٣ ـ ٢٤ .

فهنا قال : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ (١) في أنه تقوله ، فإنه إذا كان محمد قادرا (٢) على أن يتقوله ، كما يقدر الانسان على أن يتكلم بما يتكلم به ، من نظم ونثر ، كان هذا ممكنا للناس ، الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله .

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال ـ تعالى ـ : ﴿ أم يقولون افتراه (٣) ؟ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٣) ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ﴾ أم يقولون افتراه ؟ قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، ان كنتم صادقين ﴾ (٤) فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، هم وكل من استطاعوا من دون الله ، ثم تحداهم بسورة واحدة ، هم ومن استطاعوا قال : ﴿ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لااله الا هو ﴾ (٥) وهذا أصل دعوته ، وهو الشهادة بأنه لااله الا الله (٦) ، والشهادة بأن محمدارسول الله .

---

(١) سورة الطور : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) في ك و ط (قادرا) بالنصب . وفي أ (قادر) والصواب ما أثبتناه .

(٣) سورة هود : ١٣ .

(٣) أي اختلقه وأتى به من عند نفسه . انظر صفوة التفاسير ١٢ : ٩ .

(٤) سورة يونس : ٣٧ ـ ٣٨ .

(٥) سورة هود : ١٤ .

(٦) لم ترد جملة (الشهادة بان لااله الا الله) في ط ـ فقط ـ .

وقال - تعالى - : ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ (١) كما قال : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ (٢) : أي هو يعلم أنه منزل ، لايعلم أنه مفترى ، كما قال :﴿ وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ (٣) أي ماكان لأن يفترى ، يقول : ماكان ليفعل هذا . فلم ينف مجرد فعله ، بل نفى احتمال فعله ، وأخبر بأن مثل هذا لايقع ، بل يمتنع وقوعه ، فيكون المعنى : مايمكن ، ولايحتمل ، ولايجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله ، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق ، والمخلوق لايقدر على ذلك ، وهذا التحدى كان بمكة ، فإن هذه السور مكية (٤) ، سور يونس ، وهود ، والطور .

ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة ، فقال في (البقرة) وهي سورة مدنية : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ثم قال : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النّار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ (٥) فذكر أمرين :

أحدهما : قوله ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النّار.. ﴾ يقول: إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق ، فخافوا الله أن تكذبوه ، فيحيق بكم العذاب ، الذى وعد به المكذبين ، وهذا (٦) دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة ، بعد أن دعاهم بالحكمة ، وهو جدالهم بالتي هي أحسن .

---

(١) سورة هود : ١٤.

(٢) في ك و ط زيادة ﴿ .. وكفى بالله شهيدا ﴾ .

(٢) سورة النساء : ١٦٦ .

(٣) سورة يونس : ٣٧ .

(٤) قيل في تعريف المكي والمدني عدة تعريفات ، أشهرها : أن المكي : مانزل قبل الهجرة ، والمدني : مانزل بعد الهجرة وإن كان بمكة . وقد رجح الزركشي أن المكي : خطابُ المقصود به - أوجُل المقصود به - أهل مكة ... كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة . والتعريف الأول أظهر . انظر البرهان في علوم القرآن ١ : ١٨٧ - ١٩١ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣ - ٢٤.

(٥) في ك و ط زيادة : ﴿ .. أعدت للكافرين ﴾ .

(٦) في ط (هذا) .

والثاني : قوله ﴿ ... ولن تفعلوا ... ﴾ و (لن) لنفي المستقبل ، فثبت الخبر (١) أنهم فيما يستقبل من الزمان ، لايأتون بسورة من مثله ، كما أخبر قبل ذلك ، وأمره أن يقول في سورة (سبحان) ، وهي سورة مكية ، افتتحها بذكر الاسراء ، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر ، وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ، مايبين ذلك بقوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (٢) (٣) فعم بالخبر جميع الخلق معجزا لهم ، قاطعا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم ، لايأتون بمثل هذا القرآن ، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك ، وهذا التحدي والدعاء ، هو لجميع الخلق ، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن ، وعرفه الخاص والعام ، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ،ولا أتوا بسورة مثله ، ومن حين بعث ، وإلى اليوم ، الأمر على ذلك ، مع ماعلم من أن الخلق كلهم كانوا كفارا قبل أن يبعث ، ولما بعث إنما تبعه قليل .

وكان الكفار من أحرص الناس على ابطال قوله ، مجتهدين بكل طريق يمكن تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسئلونهم عن أمور من الغيب ، حتى يسألوه عنها ، كما سألوه عن قصة يوسف ، وأهل الكهف ، وذي القرنين كما تقدم (٤) . وتارة يجتمعون في مَجْمع بعد مجمع على مايقولونه فيه ، وصاروا يضربون له الأمثال ، فيشبهونه بمن ليس مثله (٥) لمجرد شبه ما ، مع ظهور الفرق . فتارة يقولون : مجنون . وتارة يقولون : ساحر . وتارة يقولون : كاهن . وتارة يقولون : شاعر . إلى أمثال ذلك من الأقوال ، التي يعلمون هم (٦) وكل عاقل سمعها ـ أنها افتراء عليه .

---

(١) في ك و ط (للخبر) .

(٢) سورة الاسراء : ٨٨.

(٣) في ك و ط زيادة : (بأمره له أن يخبر) .

(٤) ص : ٤٧٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٥) في ك و ط (بمثله) .

(٦) في ط (يعلمونها) .

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة (١) ، مرة بعد مرة ، وهي تبطل دعوته ، فمعلوم أنهم لوكانوا قادرين عليها لفعلوها ، فإنه – مع وجود هذا الداعي التام المؤكد – إذا كانت القدرة حاصلة ، وجب وجود المقدور ، ثم (٢) هكذا القول في سائر أهل الأرض .

فهذا القدر ، يوجب علما بينا لكل أحد بعجز (٣) جميع أهل الأرض ، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بحيلة وبغير حيلة . وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كاحياء الموتى ، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره ، وكون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة اخباره بالغيب فقط ، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط . بل هو آية بينة معجزة ، من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة ، في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ، ومعانيه التي أخبر بها عن الله – تعالى – وأسمائه ، وصفاته ، وملائكته ، وغير ذلك . ومن جهة معانيه ، التي أخبر بها عن الغيب الماضي . وعن الغيب المستقبل .ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة مابين فيه من الدلائل القينية ، والأقيسة العقلية ، التي هى الأمثال المضروبة ، كما قال – تعالى – (٤) : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ (٥) وقال – تعالى (٦) – : ﴿ ولقد ضربنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الانسان اكثر شيء جدلا ﴾ (٧) وقال : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ، لعلهم يتذكرون * قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ (٨) .

---

(١) من عارضه في المسير : أي سار حياله . وعارضه بمثل ماصنع ، أي أتى إليه بمثل ما أتى . مختار الصحاح : ٤٢٥ .

(٢) هنا بياض في أ بمقدار كلمة وأكاد أجزم بأنه ليس هناك أي سقط .

(٣) في ك (بعجر عن) وفي ط (يعجز عن) .

(٤) في ك و ط تقدمت آية سورة الكهف على آية سورة الاسراء .

(٥) سورة الاسراء : ٨٩ .

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(٧) سورة الكهف : ٥٤ .

(٨) سورة الزمر : ٢٧ – ٢٨ .

وكل ماذكره الناس من الوجوه في اعجاز القرآن ، هو حجة على اعجازه ، ولاتناقض في ذلك (١) ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .

ومن أضعف الأقوال ، قول من يقول من أهل الكلام : إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام (٢) الموجب لها ، أو بسلب القدرة التامة (٣) ، أو بسلبهم (٤) القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما ، مثل قوله – تعالى (٥) – لزكريا : * ... آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * (٦) وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام * (٧) فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل ، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله ، فامتناعهم – جميعهم – عن هذه المعارضة ، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة – من أبلغ الآيات الخارقة للعادات ، بمنزلة من يقول : إني آخذ أموال جميع أهل هذا (٨) البلد العظيم ، وأضربهم جميعهم ، وأجوعهم ، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله ، أو إلى ولي الأمر ، وليس فيهم – مع ذلك – من يشتكي ، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة .

ولو قدر أن واحدا صنف كتابا ، يقدر أمثاله على تصنيف مثله ، أوقال شعرا ، يقدر أمثاله (٩) أن يقولوا مثله ، وتحداهم كلهم ، فقال : عارضوني ، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار ، مأواكم النار ، ودماؤكم لي حلال ، امتنع في العادة أن لايعارضه أحد . فإذا لم يعارضوه ، كان هذا من أبلغ (١٠) العجائب الخارقة للعادة .

---

(١) في ك و ط (ولايناقض ذلك) .
(٢) في ك و ط (مع قيام) وفي أ (عن تمام) وقد اخترنا ما في آكسفورد
(٣) في ك و ط (الجازمة) .
(٣) في ك و ط تقدم قوله : (وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام) وسيأتي بعد ذكر الآية .
(٤) في ك و ط (أو سلبهم) بدون باء في أولها .
(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ .
(٦) سورة مريم : ١٠ .
(٧) هذه الجملة بين النجمتين تقدمت عن هذا الموضع في ك و ط كما أشرنا .
(٨) في أ (هذه) وتذكير اسم الاشارة هنا أولى .
(٩) سقطت (أمثاله) من ط .
(١٠) سقطت كلمة (أبلغ) من ك و ط .

والذي جاء بالقرآن ، قال للخلق كلهم : أنا رسول الله اليكم جميعا ، ومن آمن بي ، دخل الجنة ، ومن لم يؤمن بي ، دخل النار ، وقد أبيح لي قتل رجالهم وسبى ذراريهم ، وغنيمة أموالهم ، ووجب عليهم - كلهم - طاعتي ، ومن لم يطعني ، كان من أشقى الخلق ، ومن آياتي هذا القرآن ، فإنه لايقدر أحد على أن يأتي بمثله ،وأنا أخبركم أن أحدا لايأتي بمثله .

فيقال : لايخلو اما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أوعاجزين.

فان كانوا قادرين ، ولم يعارضوه ، بل صرف الله دواعي قلوبهم ، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم ، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه (١) - فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل : معجزتي أنكم كلكم ، لايقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب ، فان المنع من المعتاد ، كاحداث غير المعتاد - (٢) فهذا من أبلغ الخوارق .

وإن كانوا عاجزين ، ثبت أنه خارق للعادة ، فثبت كونه خارقا (٣) على تقدير النقيضين : النفي والاثبات ، فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر .

فهذا غاية التنزل ، والا فالصواب المقطوع به ، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته ، لايقدرون على ذلك ، ولايقدرمحمد - صلى الله عليه وسلم (٤) - نفسه من تلقاء نفسه ، على أن يبدل سورة من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه ، لكل من له أدنى تدبر (٥) ، كما قد أخبر الله به (٦) في قوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (٧) .

---

(١) هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.

(٢) نهاية الجملة الاعتراضية .

(٣) في ك و ط زيادة : (للعادة) .

(٤) لم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط .

(٥) التدبر في الأمر : التفكر فيه . اللسان ٤ : ٢٧٣ مادة : دبر .

(٦) في ك و ط (أخبر في قوله) .

(٧) سورة الاسراء : ٨٨.

وأيضا فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة ، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ، ولو كانوا قادرين لعارضوه . وقد انتُدِب(١) غير واحد لمعارضته ، لكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الاتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلمة الكذاب(٢) ، كقوله : (ياضفدع بنت ضفدعين ، نِقّي كم تَنِقّين ، لاالماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء ، وذنبك في الطين)(٣) .

وكذلك – أيضا – يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه ، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه ، كما وجد زكريا(٤) عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه .

وأيضا فلا نزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمد والمكذبين له ، أنه كان قصده أن يصدقه الناس لايكذبوه ، وكان – مع ذلك – من أعقل الناس وأخبرهم وأعرفهم بما جاء به ، ينال مقصوده ، سواء قيل : إنه صادق أو كاذب، فإن من دعى الناس إلى مثل هذا الأمر العظيم ، ولم يزل حتى(٥) استجابوا له طوعا وكرها ، وظهرت دعوته ، وانتشرت ملته هذا الانتشار ، هو من عظماء الرجال على أي حال كان . فاقدامه – مع هذا القصد – في أول الأمر وهو بمكة ، واتباعه قليل ،على أن يقول خبرا ، يقطع به أنه لو اجتمع الانس والجن على يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، لا في ذلك العصر ، ولافي

---

(١) اي استجاب لدواعي المعارضة . انظر مختار : ٦٥١ .

(٢) هو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة ، من المعمرين ، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة (الجُبَيْلة) بوادي حنيفة في نجد ، وكان ضئيل الجسم ، قالوا في وصفه : كان رويجلا أصيغرا أخينس ، وقتل سنة ١٢ هـ بعد معركة ضارية بينه وبين خالد بن الوليد – رضي الله عنه – انظر الكامل ٢ : ٢٤٣ – ٢٤٧ ، وشذرات الذهب ١:٢٣ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٢٨٤ ، والكامل ٢ : ٢٤٤ ، والبداية والنهاية ٦ : ٣٢٦ .

(٤) المقصود : هو زكريا النبي – عليه السلام – وراجع سورة آل عمران : ٤١، وسورة مريم : ١٠ .

(٥) سقطت(حتى)من آ وقد آشار الناسخ الى سقط ولكنه لم يثبت شيئا .

سائر الأعصار المتأخرة ، لايكون الا مع جزمه بذلك ، وتيقنه له ، والا فمع الشك والظن لايقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فَيفتَضِح ، فيرجع الناس عن تصديقه .

وإذا كان جازما بذلك ، متيقنا له ، لم يكن ذلك إلا عن اعلام الله له بذلك . وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الانسان أن جميع الخلق لايقدرون أن يأتوا بمثل كلامه ، الا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر . والعلم بهذا يستلزم كونه معجزا ، فإنا نعلم ذلك ، وإن لم يكن علمنا بذلك خارقا للعادة ، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم ، وإلا كان العلم جهلا ، فثبت أنه ـ على كل تقدير ـ يستلزم كونه خارقا للعادة (١) .

وأما التفصيل ، فيقال : نفس نظم (٢) القرآن وأسلوبه عجيب بديع ، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب ، فإنه ليس من جنس الشعر ، ولا الرجز ، ولا الخطابة ولا الرسائل (٣) ، ولانظمه نظم شيء من كلام الناس ؛ عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق (٤) للعادة ، ليس له نظير في كلام جميع الخلق ، وبسط هذا وتفصيله طويل (٥) ، يعرفه من له نظر وتدبر .

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته ، أمر عجيب خارق للعادة ، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر ، لانبي ولاغير نبي .

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة ، والعرش ، والكرسي ، والجن ، وخلق آدم ، وغير ذلك ، ونفس ما أمر به القرآن ، من الدين ، والشرائع كذلك ، ونفس ما أخبر به من الأمثال ، وَبَيَّنَه من الدلائل هو ـ ايضا ـ كذلك .

---

(١) في ك و ط بعد هذا زيادة وهي : (ولو قال مفتر : بل أنا أقول الذي أخبر بهذه الغيوب وأتى بهذه العجائب ، كان جاهلا أخرق ، ولايدري مايقول . قيل له : فهذا أبلغ في الاعجاز وخرق العادة أن يكون مجنونا قد أتى بهذه الغيوب والعجائب التي لايقدر عليها أحد من العقلاء ولا المجانين) .

(٢) النظم هو التأليف ، وضم شيء إلى آخر . ترتيب القاموس ٤ : ٣٩٦

(٣) في ك و ط تقدمت (الرسائل) على (الخطابة) .

(٤) في أ (خارقا) بالنصب والاصح مافي ك و ط ولهذا اعتمدناه.

(٥) مع كثرة التفاصيل والتنبيهات والدقائق ، فالشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى ـ يرى نفسه أنه ينزع إلى الايجاز والاختصار .

ومن تدبر ماصنفه جميع العقلاء في العلوم الالهية ، والخلقية ،والسياسية ،(١) وجد بينه وبين ماجاء في الكتب الالهية : التوراة ، والانجيل ، والزبور، وصحف الأنبياء (٢) ، وجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت (٣) ، أعظم مما بين لفظه ونظمه ، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم .

فالاعجاز في معناه ، أعظم وأكثر من الاعجاز في لفظه ، وجميع عقلاء الأمم (٤) عاجزون عن الاتيان بمثل معانيه ، أعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثل لفظه . ومافي التوراة والانجيل ، لو قدر أنه مثل القرآن ، لايقدح في المقصود ، فإن تلك كتب الله - أيضا - ، ولايمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي ، كما أتى المسيح باحياء الموتى . وقد وقع احياء الموتى على يد غيره ، فكيف وليس مافي التوراة والانجيل مماثلا لمعاني القرآن ، لا في الحقيقة ، ولا في الكيفية ، ولا (٥) الكمية ؟ بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن ، وتدبر الكتب .

وهذه الأمور من ظَهَرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له اعجازه من هذا الوجه . ومن لم يظهر له ذلك ، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله ، كعجز جميع الخلق عن الاتيان بمثله مع تحدي النبي واخباره بعجزهم ، فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد .

---

(١) في أ (والسياسة) والأولى مااعتمدناه من ك و ط .

(٢) في ك زيادة (تفاوت عظيم ووجد) وهي في ط (تفاوتا عظيما) بالنصب ، وليست هذه الزيادة في أ .

(٣) في ط (التفا ت) .

(٤) في ك و ط (بنى آدم) .

(٥) في ط زيادة : (في) .

ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية ، فيها الظاهر البين لكل أحد ، كالحوادث المشهودة ، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وانزال المطر وغير ذلك . وفيها مايختص به مَنْ عَرَفه ، مثل دقائق التشريح (١) ، ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك ، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الاقرار بالخالق ،والاقرار برسله ، وما اشتدت الحاجة اليه في الدين والدنيا ، فان الله يجود (٢) به على عباده جوداً عاماً ميسراً .

فلما كانت حاجتهم الى النَّفَس أكثر من حاجتهم إلى الماء ، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل ، كان ـ سبحانه ـ قد جاد بالهواء جودا عاماً في كل مكان وزمان (٣) ، لضرورة الحيوان إليه ، ثم الماء دونه ، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت (٤) وأيسر ، لأن الحاجة إليه أشد .

فكذلك دلائل الربوبية ، حاجة الخلق اليها في دينهم أشد الحاجات ، ثم دلائل النبوة . فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا (٥) يحتاج اليه العامة ، مثل تماثل الأجسام واختلافها ، وبقاء الأعراض أو فنائها ، وثبوت الجوهر الفرد (*) أو انتفاؤه ، ومثل مسائل المستحاضة ، وفوات الحج وفساده ، ونحو ذلك ، مما يتكلم فيه بعض العلماء .

---

(١) التشريح : علم تعرف به جميع أجزاء جسم الانسان . وارتباطها بعضها ببعض ، والمواد المتكونة منها . دائرة معارف وجدي ٥ : ٣٧٤ .

(٢) الجود : العطاء السخي . انظر ترتيب القاموس ١ : ٥٥٢ .

(٣) في ط (زمان ومكان) .

(٤) القوت : مايؤكل ليمسك الرمق (الحياة) . المصباح : ٥١٨

(٥) سقطت (لا) من ك و ط .

(*) الجوهر الفرد: هو الذي ليس له في الحال جزء بالفعل،وفي قوته أن يتجزأ أجزاء غير متناهية كل منها أصغر من الآخر . انظر الملل والنحل ٢:٢٠١.

فصل

(شخصية الرسول وشريعته وأمته، وكرامات الصالحين منها، كل ذلك من آياته)

وسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأخلاقه [(١)] وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالح أمته من آياته، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد والى [(٢)] أن بعث، ومن حين بعث إلى أن مات، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله [(٣)]، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسبا: من صميم سلالة إبراهيم، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأت نبي [(٤)] بعد إبراهيم إلا من ذريته، وجعل له ابنين: إسماعيل وإسحاق، وذكر في التوراة هذا وهذا، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره [(٥)]، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل: بأن يبعث فيهم رسولا منهم، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش، ومن مكة أم القرى، وبلد البيت الذي بناه إبراهيم، ودعا الناس إلى حجه، ولم يزل محجوجا من عهد إبراهيم مذكورا في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

---

(١) في ك و ط زيادة (من آياته).

(٢) في ك و ط (إلى).

(٣) من الفصيلة: وهم عشيرة المرء ورهطه الأدنون، أو أقرب آبائه إليه – ترتيب القاموس ٣ : ٤٩٧.

(٤) في ك و ط زيادة (من).

(٥) في أ (لذريته) وهو خطأ.

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ، ومكارم الأخلاق ، وترك الفواحش والظلم ، وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، وممن آمن به وممن (١) كفر بعد النبوة ، لايعرف له شيء يعاب به ، لافي أقواله ، ولا في أفعاله ، ولافي أخلاقه ، ولاجرب (٢) عليه كَذْبةٌ قط ، ولاظلم ، ولافاحشة ، وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها ، وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أميا من قوم أميين ، لايعرف ، لاهو ، ولاهم ، مايعرفه أهل الكتاب : التوراة والإنجيل . ولم يقرأ شيئا عن علوم الناس ، ولاجالس أهلها ، ولم يَدَّعِ نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو (٣) أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبرنا بأمر ، لم يكن في بلده وقومه ، من يعرف مثله (٤) .

ثم (٥) اتبعه أتباع الأنبياء ، وهم ضعفاء الناس ، وكَذَّبه أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم . والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة (٦) ، فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ، ولاجهات يوليهم إياها ، ولا كان له سيف بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه . وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى ، وهم صابرون محتسبون ، لايرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة .

---

(١) سقطت (ممن) من ك و ط .

(٢) في ك و ط (جرت) بالتاء وفي أ (جرب) بالباء . (٣) في ط : (وهو)

(٤) في ك و ط زيادة: " ولم يعرف قبله ولابعده لافي مصر من الأمصار ، ولا في عصر من الأعصار من آتى بمثل ما آتى به ، ولاظهر كظهوره ، ولامن آتى من العجائب والآيات بمثل ما آتى به ، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ،ولامن ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره ".

(٥) في ك و ط زيادة (إنه) .

(٦) رسمت (لرهبة) في أ هكذا (أرهبه) .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم ، فتجتمع في الموسم قبائل العرب ، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلى الله صابرا على مايلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء[(١)] الجافي ، وإعراض المعرض ، إلى أن اجتمع بأهل يثرب ، وكانوا جيران اليهود ، قد سمعوا أخباره منهم ، وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر ، الذي تخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره ماعرفوا به مكانته ،فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة ، فآمنوا به وبايعوه[(٢)] على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم، وعلى الجهاد معه[(٣)] ، فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة ، إلا قليلا من الأنصار أسلموا في الظاهر ، ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أُذِنَ له في الجهاد ، ثم أُمِرَ به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء، لايحفظ له كذبة واحدة ، ولاظُلْمٌ لأحد ، ولاغدرٌ بأحد ، بل كان أصدق الناس ، وأعدلهم ، وأوفاهم بالعهد ، مع اختلاف الأحوال عليه ، من حرب وسلم ،وأمْنٍ وخوف ، وغِنًى وفقر ، وقِلَةٍ وكَثرة ، وظهوره على العدو تارة ، وظهور العدو عليه تارة ، وهو ـ على ذلك ـ لازم[(٤)] لأكمل الطرق[(٥)] وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب ، التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكهان ،وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام ، لايعرفون آخرةً ولامعادًا ، فصاروا أعلم أهل الأرض ، وأَدْيَنهم ، وأعدلهم ، وأفضلهم . حتى أن النصارى لما رأوهم ـ حين قدموا الشام ـ قالوا: ماكان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء . وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق مابين الأمرين .

---

(١) اي غلظته وفظاظته . المصباح : ١٠٤ .

(٢) في ك و ط (تابعوه) .

(٣) في ك و ط زيادة : (كله) .

(٤) في ك (لازما) ، وفي ط (ملازم) .

وهو - صلى الله عليه وسلم - مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ،وتقديمهم له على الأنفس والأموال - مات - صلى الله عليه وسلم (١) - ولم يخلف درهما ولا دينارا ، ولاشاة ولابعيرا له إلا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا (٢) من شعير ، ابتاعها لأهله (٣) . وكان بيده عقار ينفق منه على أهله ، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لايورث ، ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك .

وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات مايطول وصفه ، ويخبرهم بخبر ماكان ومايكون ، ويأمرهم بالمعروف ،وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويُشَرع الشريعة شيئا بعد شيء . حتى أكمل الله دينه الذي بعث به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولامنكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل (٤) : ليته لم ينه عنه ، وأحل الطيبات ، لم يحرم شيئا منها كما حُرِّم في شرع غيره ، وحرم الخبائث ، لم يحل منها شيئا كما استحله غيره . وجمع محاسن ماعليه الأمم ، فلايُذكر في التوراة والانجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر ، إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست في (٥) الكتب (٦) .

فليس في الكتب إيجاب لعدل ، وقضاء بفضل ، وندب الى الفضائل ، وترغيب في الحسنات ، الا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

---

(١) الجملة الدعائية ليست في أ و لا ك .

(٢) في جميع النسخ "وسقا" . وقد رجحنا أنها خطأ وصوبناها من صحيح البخاري وغيره .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ،باب ماقيل في درع النبي - صلى الله عليه وسلم - ... ، ٦ : ٩٩ (٢٩١٦) من فتح الباري بلفظ :" توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير" وقال يعلى : حدثنا الأعمش :"درع من حديد" ورواه مسلم ،بمعناه ، كتاب المساقاه ،باب الرهن .. ،٣ : ١٢٢٦ (١٦٠٣) ورواه الترمذي برقم (١٢١٤) وابن ماجه برقم (٢٤٦٤) وأحمد في المسند ١ : ٣٠٠ .

=

....

= (٤) في أ (قيل) .

(٥) في ك و ط زيادة : (هذه) .

(٦) في ك و ط زيادة : (تلك) .

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها ، وعبادات غيره من الأمم ، ظهر فضلها ورجحانها ، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة ، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعباداتهم (١) وطاعتهم لله بغيرهم ، ظهر أنهم أدْيَنُ من غيرهم . وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله ، وصبرهم على المكاره في ذات الله ، ظهر أنهم أعظم جهادًا وأشجع قلوبًا . وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم . وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو (٢) بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة .

فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم ، بعضها من التوراة ، وبعضها من الزبور ،وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح ، وبعضها ممن بعده كالحواريين ، (٣) وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم ، حتى أدخلوا - لَمَّا غيروا دين المسيح - في دين المسيح أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

---

(١) في ك و ط (عبادتهم) .
(٢) سقطت (هو) من ط .
(٣) في ك و ط زيادة : (ومن بعد الحواريين) .

وأما أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فلم يكونوا قبله يقرؤن كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود ، والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته ، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال - تعالى - في الكتاب الذي جاء به : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم ﴾ (١) وقال - تعالى - : ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير * لايكلف الله نفسا إلا وسعها (٢) ، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (٣) .

وأمته لايستحلون أن يأخذوا شيئا من الدين من غير ماجاء به ، ولايبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، فلا (٤) يشرعون من الدين مالم يأذن به الله .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) اي لايكلف المولى - سبحانه - أحدا فوق طاقته . صفوة التفاسير ٣ : ١٨١ .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٤) في ك و ط (ولا) .

لكن ماقصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ، اعتبروا به ، وماحدثهم أهل الكتاب (١) ، موافقا لما عندهم ؛ صدقوه ، ومالم يعلموا صدقه ولاكذبه ، أمسكوا عنه ، وماعرفوا أنه باطل : كذبوه ، ومن أدخل في الدين ماليس منه ، من أقوال متفلسفة الهند أو (٢) الفرس أو اليونان أو غيرهم ، كان - عندهم - من أهل الالحاد والابتداع ، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعون ، وهو الذي عليه أئمة الدين (٣) الذين لهم في الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ، ومن خرج عن ذلك، كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، (٤) الظاهرون إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - :" لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعة " (٥) . وقد تنازع بعض المسلمين ، مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموما ، ودين محمد خصوصا .

ومن خالف (٦) في هذا الأصل كان - عندهم - ملحدا مذموما ،ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا دينا ، قام به أكابر علمائهم وعبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم، ودان (٧) به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ، ليس هو دين المسيح ، ولادين غيره من الأنبياء .

---

(١) في ك و ط زيادة : (به) .
(٢) في ك و ط بالعطف بالواو .
(٣) في ك و ط (المسلمين) .
(٤) في ك و ط زيادة : (وهم) .
(٥) سبق تخريجه ص : ١٧٧ .
(٦) سقطت (في) من ك و ط .
(٧) في ك ى ط (وكان) .
(٧) أي تعبدوا به . المصباح : ٢٠٥ .

والله – سبحانه وتعالى [1] – أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح، فمن اتبع الرسل، حصل له سعادة الدنيا والآخرة. وإنما دخل في البدع من قصر في اتّباع الأنبياء، علما وعملا.

ولما بعث الله محمدا – صلى الله عليه وسلم – [2] بالهدى ودين الحق، تلقى ذلك عنه المسلمون أمته.

فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – أخذوه عن نبيهم، مع مايظهر لكل عاقل: أن أمته أكمل الأمم، في جميع الفضائل العلمية والعملية. ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم، هو [3] من الأصل المعلم. وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علما ودينا، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقا في قوله: ﴿ ... إني رسول الله إليكم جميعا ... ﴾ [4] لم يكن كاذبا مفتريا، فإن هذا القول لايقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم، إن كان صادقا، أو هو من شر الناس وأخبثهم، إن كان كاذبا.

وماذكر من كمال علمه ودينه، يناقض الشر والخبث والجهل، فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين، وهذا يستلزم أنه كان صادقا في قوله: ﴿ ... إني رسول الله ﴾ لأن الذي لم يكن صادقا: إما أن يكون متعمدا للكذب أو مخطئا، والأول: يوجب أنه كان ظالما غاويا، والثاني: يقتضي أنه كان جاهلا ضالا. وكمال علمه ينافي جهله، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمدا للكذب، ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم، وإذا انتفى هذا وذاك، تعين أنه كان

---

(١) ليس في أ كلمة التقديس.

(٢) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٣) في ك و ط (فهو).

(٤) سورة الأعراف: ١٥٨.

صادقا عالما بأنه صادق ، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله – تعالى – : ﴿ والنجم إذا هوى * ماضل صاحبكم وماغوى (١) * ومايانطق عن الهوى (٢) * إن هو إلا وحي يوحى (٣) ﴾ وقال – تعالى – عن المَلَكِ الذي جاء به : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين (٤) ﴾ ثم قال عنه : ﴿ وماصاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وماهو على الغيب بضنين ﴾ أي بمتهم ، أو بخيل ، كالذي لايَتَكلّم إلا بجُعْل (٥) ، أو لمن يكرمه : ﴿ وماهو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين (٤) ﴾ وقال – تعالى – : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذِرين * بلسان عربي مبين ﴾ – إلى قوله – : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٦) ﴾ بين – سبحانه – أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر : وهو الكذب والفجور (٧) لايقصد الصدق والعدل ، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب ، إما عمدا وإما خطأ ، فإن الخطأ في الدين هو (٨) من الشيطان – أيضا – كما قال ابن مسعود – لما سئل عن مسألة – : " أقول فيها برأيي (٩) فان يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه (١٠) " .

---

(١) أي وما اعتقد باطلا قط ، بل هو في غاية الهدى والرشاد . صفوة التفاسير ٢٧ : ٢٧٢ .

(٢) أي لايتكلم عن رغبة نفسية ولا عن رأي شخصي . انظر المصدر والموضع السابق .

(٣) سورة النجم : ٠٤ . (٤) سورة التكوير : ١٩ – ٢٧ .

(٥) من الجعالة : وهي تعيين مبلغ مالي لمن يعمل له عملا ، من رد آبق أو ضالة أو بناء أو خياطة وسائر مايستأجر عليه من الأعمال . انظر الكافي في فقه الإمام ... ابن حنبل ، ٢ : ٣٣٢ .

(٦) سورة الشعراء : ١٩٢ – ٢٢٣ . (٧) في ط زيادة : (فجور) .

(٨) سقطت (هو) من ك و ط . (٩) في جميع النسخ (برأي) وقدصوبناه من الأصول

(١٠) رواه أبو داود بمعناه ، كتاب النكاح ، باب فيمن تزوج ولم يُسَمِّ صداقا حتى مات ، ٢ : ٢٣٧ (٢١١٦) . والنسائي ، بمثله ، كتاب النكاح، باب إباحة التزوج بغير صداق ٦ : ١٢٢ ، والدارمي عن أبي بكر ،كتاب الفرائض ، باب الكلالة ٢ : ٣٦٥ – ٣٦٦ والإمام أحمد في المسند ٤: ٢٧٩. والحاكم في المستدرك ، كتاب النكاح ، من تزوج ولم يفرض صداقا ٢: ١٨٠ بمثله وقال :"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"،ووافقه الذهبي .

فالرسول بريء من تنزُّلِ الشيطان عليه في العمد والخطأ ، بخلاف غير الرسول ، فإنه قد يخطىء ويكون خطؤه (١) من الشيطان ، وإن كان خطؤه مغفورا له ، فإذا لم يُعْرَف له خبر آخبر به كان فيه مخطئا ، ولا أَمْرٌ (٢) أَمَرَ به كان فيه فاجرا . عُلم أن الشيطان لم ينزل عليه ، وإنما ينزل عليه مَلَكٌ كريم ، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي : ﴿ إنه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ﴾ ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون ﴾ تنزيل من رب العالمين ﴾ (٣) .

---

(١) في أ رسمت (خطاه) وفي ك(وخطاوه) .

(٢) سقطت (أمر) من ك و ط .

(٣) سورة الحاقة : ٤٠ - ٤٣ .

(٣) في ك و ط ذكر الآية الأولى " إنه لقول رسول كريم " فقط ثم عقب عليها بجملة : " إلى آخر الآية " .

فصـــل (١)

(نَقْل النـاس لصفاته ـ عليه السـلام ـ الدالة على كمالـه)

وقد نقل النـاس صفاته الظاهرة (٢) الدالة على كمالـه ، ونقلوا أخلاقه ، من حلمه وشجاعته وكرمه وزهـده وغير ذلك . ونحن نذكر بعض ذلك :

ففي الصحيحين عن البراء بن عازب (٣) قال : " كـان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن النـاس وجهـا ، وأحسنهم خَلْقـا ، ليس بالطويل الذاهب ، ولا بالقصيـر (٤) "

وعنه قال : " كان (٥) بعيد مابين المنكبين ، عظيـم الجُمَّة (٦) الى شحمة أذنيه ، عليه حلة (٧) حمراء ، مارأيـت شيئا قط أحسن منه (٨) " .

---

(١) في ك و ط زيادة (في صفاته) .

(٢) في ك و ط (الطاهرة) بالطاء المهملة .

(٣) هو ابن الحارث بن عدي الانصاري الأوسي ، صحابي ، ابن صحابي ، نـزل الكوفة ، استصغر يوم بدر ، وكان هو وابن عمر لِدَة ـ قرين ـ مـات سنة ٧٢ هـ . تقريب التهذيب ١ : ٩٤ ، وأسد الغابة ١ : ٢٠٥ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ ٦ : ٥٦٤ (٣٥٤٩) من فتح البـاري . ورواه مسلم بمثله ، كتـاب الفضائل ، باب في صفة النبي ... ، ٤ : ١٨١٩ (٢٣٣٧) .

(٥) في ك و ط زيادة : (رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) .

(٦) الجمة : الشعر الذي نزل الى المنكبين . شرح النووي لصحيح مسلـم ١٥ : ٩١ . م ٨ .

(٧) والحلة : ثوبين من جنس واحد . المصباح : ١٤٨

(٨) رواه مسلم ، واللفظ له ، كتاب الفضائل ، باب في صفة النبي .. ، ٤ : ١٨١٨ (٢٣٣٧) . ورواه البخاري بمثله . كتاب المناقب ، بـاب صفة النبي ... ، ٦ : ٥٦٥ (٣٥٥١) من فتح البـاري .

وفي البخاري : وسئل البراء : أكان وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مثل السيف ؟ قال :" لا ، بل مثل القمر [(١)] " .

وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك [(٢)] قال : " كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا سَرَّ [(٣)] ، استنار وجهه ، حتى كأنه فِلْقة [(٤)] قمر [(٥)] ".

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضخم الرأس والقدمين ، لم أرَ قبله ولا بعده مثله ، وكان بَسِط الكَفين [(٦)] ، ضخم اليدين " .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي .... ٦، ٥٦٥ : ٥٦٥(٣٥٥٢) من فتح الباري .

(٢) هو ابن أبي كعب ، الانصاري ، السُّلَمي المدني ، صحابي مشهور ،وهو أحد الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك ، مات في خلافة علي . انظر تقريب التهذيب ٢ : ١٣٥ ، وأسد الغابة ٤ : ١٨٧ – ١٨٩ .

(٣) من السرور ؛ وهو الفرح والبهجة ، ضد الحزن . انظر المصباح ٢٧٤

(٤) فِلْقة : قطعة . المصباح : ٤٨١

(٥) رواه البخاري بمثله ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ... ٦، : ٥٦٥ (٣٥٥٦) من فتح الباري ومسلم ، بمثله ، كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب ... ، ٤ : ٢١٢٧ (٢٧٦٩) .

(٦) في ك و ط " بسيط " و بسط الكفين : ليونتهما ، وهو وصف لخلقهما . فتح الباري ١٠ : ٣٥٩ .

وسئل عن شعره فقال : " كان شَعِرا رَجِلا ، ليس بالجعد ولا بالسَّبْط (١) ، بين أذنيه وعاتقه (٢) " .

وفي الصحيحين عن سِمَاك بن حرب (٣) عن جابر بن سمرة (٤) قال : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضليع الفم ، أشكل العينين ، منهوس العَقِبَين (٥) " وفسرهما (*) سماك بن حرب فقال : واسع الفم ، طويل شق العين ، قليل لحم العقب (٦) .

وفي الصحيحين عن أنس (٧) قال : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ليس بالطويل البائن (٨) ، ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمَهق (٩) ، ولا بالآدم (٩) ، ولا بالجعد القَطِطْ (٩) ، ولا بالسَّبْط (١٠) " .

---

(١) في ط " البسط " .

(١) رجلا : أي اذا مشِط فكان بين السبوطة والجعودة، والسبط : هو الذي يسترسل فلا ينكسر منه شيء كشعور الهنود . والجعد : هو الذي يتجعد . أي يلتوي ويتقبض كشعور السودان . المصدر السابق ١٠ : ٣٥٧ – ٣٥٨ .

(٢) العاتق ، هو مابين المنكب (الكتف) والعنق . ترتيب القاموس ٣ : ١٥٠ .

(٢) رواه البخاري بمثله وليس فيه " ضخم الرأس " كتاب اللباس ، باب الجعد ، ١٠ : ٣٥٦ – ٣٥٧ (٥٩٠٥ – ٥٩١٢) . وروى مسلم آخره بمثله ، كتاب الفضائل ، باب صفة شعر النبي ... ، ٤ : ١٨١٩ (٢٣٣٨) . ورواه البيهقي في الدلائل بلفظ : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – ضخم الرأس واللحية " ١ : ٢١٦ .

(٣) هو ابن أوس بن خالد الذهلي البكري ، الكوفي ، أبو المغيرة ، صدوق تغير بآخره فكان ربما يلقن مات سنة ١٢٣ هـ تقريب ١ : ٣٣٢ .

(٤) جابر بن سمرة : هو ابن جُنَادة ، السُّوائي ، صحابي ابن صحابي ، نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين هـ . تقريب ١ : ١٢٢ .

(٥) رواه مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب في صفة فم النبي – صلى الله عليه وسلم – وعينيه وعقبيه ، ٤ : ١٨٢٠ (٢٣٣٩). ولم يروه البخاري في صحيحه . ورواه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في صفة النبي ٥ : ٦٠٣ (٣٦٤٧) .

(٦) المصدران والموضعان السابقان .

(٧) في ك و ط زيادة : (ابن مالك) .

(٨) اي المفرط في الطول مع اضطراب القامة . فتح الباري ٦ : ٥٦٩ .

(٩) في ك و ط " الأبهق " بالباء وفي أ بالميم .

(*) في ط (فسرهما بن سماك) .

=

....

= (٩) الأمهق ، الأبيض الشديد البياض ، الذي لاتخالطه حمرة .والآدم: الأسمر . والقطط : شديد الجعودة كشعر الزنجي . المصدر والموضع السابق،والمصباح : ٥٠٨ .

(١٠) في ط (ولابالبسط) .

(١٠) رواه البخاري ، بمثله ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ، ٦ : ٥٦٤ . (٣٥٤٨) من فتح الباري،ورواه مسلم بمعناه ، كتاب الفضائل ، باب في صفة النبي .. وباب في صفة شعر النبي .. ، ٤ : ١٨١٨ – ١٨١٩ (٢٣٣٧ – ٢٣٣٨) . ورواه في الموطأ ، كتاب صفة النبي – صلى الله عليه وسلم – باب ماجاء في صفة النبي ... ، ٢ : ٩١٩ .

وفي الصحيحين عنه قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أزهر اللون (١) ، كأن عرقه اللؤلؤ (٢) ، اذا مشى تكفأ (٣) ، وما مست ديباجة ولاحريرا (٤) ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت مسكا ولاعنبرة ، أطيب من رائحة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " (٥) .

---

(١) أزهر اللون ; هو الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان . شرح النووي لصحيح مسلم ١٥ : ٠٨٦ م ٨ .

(٢) أي في الصفاء والبياض . المصدر والموضع السابق .

(٣) أي يتمايل الى قدام ، كما تتكفأ السفينة في جريها . لسان العرب ١ : ١٤٢ مادة: كفأ .

(٤) في ك و ط (حريرة) بالتاء المربوطة .

(٥) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب طيب رائحة النبي .. ، ٤ :١٨١٥ (٢٣٣٠) . وروى البخاري بعضه ، كتاب المناقب ، باب في صفة النبي ٦ : ٥٦٦ (٣٥٦١) .

وروى الدارمي (١) عن ابن عباس قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفلج (٢) الثنيتين (٣) ، إذا تكلم رئي النور يخرج من ثناياه (٤) " .

وروى عن ابن عمر قال :"مارأيت أحدا أنجد (٥) ولاأجود ولاأشجع ولاأضوأ (٦) من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" (٧) .

---

(١) الدارمي : هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام السمرقندي أبو محمد ، الحافظ ، صاحب المسند ، ثقة فاضل متقن ، مات سنة ٢٥٥ هـ وله ٧٤ سنة . سير ... النبلاء ١٢ : ٢٢٤ - ٢٣٢ . وتقريب ١ : ٤٢٩ .

(٢) في ك و ط (أبلج) .

(٣) هن أربعة أضراس في مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل . ترتيب القاموس ١ : ٤٢٤ .

(٤) رواه الدارمي في سننه ، المقدمة ، باب في حسن النبي .... ١ : ٣٠ . قال الهيثمي :"رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف" المجمع ٨ : ٢٧٩ . وأخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ٣٠ - ٣١ (١٤) ط ١،ت:محمد عفيف الزعبي ، جدة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م والبيهقي في الدلائل ١ : ٢١٥ وكلاهما عن ابن أبي ثابت . وروى الطبراني عن أبي قرصافة حديثا بمعناه ، قال الهيثمي :"وفيه من لم أعرفهم". المجمع ٨ : ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٥) من النَّجْد ، وهو الشجاع الماضي فيما يُعجِز غيره . ترتيب ٤ : ٣٢٦ .

(٦) من الضوء ، وهو النور . المصدر السابق ٣ : ٤٣ .

(٧) رواه الدارمي ، المقدمة ، باب في حسن النبي ١ : ٣٠ وفيه زيادة "وأوضأ" من الوضاءة ، وهي الحسن والبهجة .

وعن أنس قال : " دخل علينا رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـفقال (١) عندنا ، فَعَرِق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت (٢) العرق فيها ، فاستيقظ رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـفقال : " أم سليم (٣) ، ماهذا الذي تصنعين؟ " قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا ، وهو (٤) أطيب من الطيب " أخرجاه في الصحيحين (٥) .

---

(١) أي نام للقيولة ـ وهي الظهيرة ـ . مختار الصحاح : ٥٥٩ .

(٢) السَّلْت : هو التنحية والإزالة . المصباح : ٢٨٤ .

(٣) هي بنت مِلْحَان بن خالد بن زيد بن حرام بن جُندَب بن عامر بن غَنَم ابن عدي بن النجار ، الأنصارية الخزرجيةالنجارية ، أم أنس بن مالك ، قيل : اسمها "سهلة "، وقيل غير ذلك ، كانت زوجة لمالك بن النضر ، والد أنس بن مالك ، ثم تزوجها أبو طلحة الأنصاري فولدتله أبا عمير ثم عبد الله فولد له إسحاق واخوته التسعة كلهم حمل عند العلم . ومناقبها كثيرة شهيرة . أسد الغابة ٦ : ٣٤٥ .وتهذيب التهذيب ١٢ : ٤٧٢ .

(٤) في ك و ط (وأنه) .

(٥) سقطت (في الصحيحين) من ك و ط .

(٥) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ... ، ٤ :١٨١٥ (٢٣٣١) . ورواه البخاري بمعناه ،كتاب الاستئذان ، باب من زار قوما فقال عندهم ، ١١ : ٧٠ (٦٢٨١) من فتح الباري .

وروى الدارمي عن جابر قال : " كان رسول - صلى الله عليه وسلم - لايسلك طريقا فيتبعه أحد ، إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه "(١) .

وفي حديث أم معبد(٢) المشهور ، لما مربها النبي - صلى الله عليه وسلم - في الهجرة ، هو وأبو بكر ، ومولاه ، ودليلهم ، وجاء زوجها(٣) فقال :"صفيه لي ياأم معبد " فقالت : " رأيت(٤) رجلا ظاهر الوضاءة ، حلو المنطق(٥) ، فصل(٦) لانزر ولاهذر(٧) ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن "(٨) .

---

(١) رواه الدارمي في سننه ،المقدمة ، باب في حسن النبي ١ : ٣٢ . ورواه البيهقي في الدلائل بنحوه ٦ : ٦٩ وبالاسناد نفسه . وبه - ايضا - أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٥٧١ بمثله ، ت عبد البر عباس ومحمد رواس قلعة جي ط ١ المكتبة العربية ، حلب ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

(٢) هي عاتكة بنت خالد بن خفيف بن منقذ بن ربيعة الخزاعية ، وهي أخت حبيش بن خالد ، له صحبة ورواية ، ويقال له : الأشعر وكان منزل أم معبد بقديد ، وذكر الواقدي أنها عاشت إلى عام الرمادة في عهد عمر . الطبقات الكبرى ١ : ٢٣٠والروض الأنف ٢ : ٢٣٥. والإصابة ٤ : ٤٩٨ .

(٣) هو الخزاعي ، مختلف في اسمه قيل : اسمه حبيش . وتوفى أبو معبد في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.أسد الغابة ٥ : ٢٩٢ .

(٤) سقطت (رأيت) من ك و ط .

(٥) أي لذيذ الكلام . انظر مختار : ٦٦٦ .

(٦) من قول فصل ، أي حق ليس بباطل . لسان العرب ١١ : ٥٢١ مادة : فصل.

(٧) النزر : القليل الذي يدل على العِيّ . والهذر : الكثير . أسد الغابة ١ : ٤٥٣ .

(٨) رواه الحاكم في المستدرك . كتاب الهجرة ، حديث أم معبد في الهجرة ٣ : ١١٠٩ . وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وساق طرقه ، قال الذهبي :"مافي هذه الطرق شيء على شرط الصحيح". وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٤٣٦ - ٤٣٨ . والبيهقي في الدلائل ٢ : ٤٩١ - ٤٩٣ ، مختصرا ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ١ : ٤٥١ - ٤٥٢ .

وروى أبو زرعة (١) عن محمد بن عمار بن ياسر (٢) قال : قلت للرُّبَيِّع بنت معوذ بن عفراء (٣) : صفي لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : "يابني لو رأيته رأيت الشمس طالعة" (٤).

---

(١) في ك و ط زيادة : (باسناده) .

(١) أبو زرعة : هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولى عياش بن مطرق ، الرازي ، أحد الأئمة الحفاظ ، أثنى عليه كثير من الأئمة . كان مولده سنة ٢٠٠ هـ ووفاته ٢٦٤ هـ. تهذيب التهذيب ٧ : ٣٠ - ٣٣ .

(٢) محمد بن عمار بن ياسر : هو العنسي ، مولى بني مخزوم ، مقبول، روى له أبو داود ، قتل بعد سنة ١٦٠ هـ تقريب ٢ : ١٩٣ .

(٣) الربيع : هى بنت معوذ بن الحارث - وعفراء أم معوذ ويعرف بها - بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وعفراء : هى بنت عبيد بن ثعلبة النجارية ، والربيع لها صحبة ، وروى عنها أهل المدينة . كانت من المبايعات تحت الشجرة . أسد الغابة ٤ : ٤٢١ و ٦ : ١٠٧ وتقريب ٢ : ٥٩٨ .

(٤) رواه الدارمي في سننه ، المقدمة ، باب في حسن النبي ... ، ١ : ٣١ . قال الهيثمي :"رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله وثقوا" المجمع ٨ : ٢٨٠. ورواه البيهقي في الدلائل ١ : ٢٠٠ .

وفي الصحيحين عن أنس[١] قال : "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت[٢] ، فتلقّاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – راجعا وقد سبقهم إلى الصوت ، وقد استبرأ الخبر[٣] وهو على فرس لأبي طلحة[٤] عُرْي[٥] في عنقه السيف وهو يقول : " لن تراعوا " . وقال: "وجدناه بحرا[٦] " وكان الفرس قبل ذلك بطيئا ، فعادلا لايجارى .[٧]

---

(١) زاد في ك و ط : (ابن مالك) .

(٢) قِبَلَ الصوت : أي تجاهه . مختار : ٥١٩ .

(٣) أي طلب آخره لقطع الشبهه . المصباح : ٤٧

(٤) اسمه " المندوب " فتح الباري ٥ : ٢٤٠

(٥) عري : أي ليس عليه سَرْج ولا أداة ، ولايقال في الآدميين بل يقال: عريان . المصدر السابق ، ٦ : ٧٠ .

(٦) أي واسع الجري . فتح الباري ٦ : ٣٥

(٧) أخرجه البخاري ١٢مرةفي صحيحه ،بنحوه وبالفاظ مختلفة ، كتاب الجهاد ، باب الشجاعة في الحرب والجبن ، ٦ : ٣٥ و ٧٠ وغيرهما (١٨٢٠و ٢٨٦٧) من فتح الباري ، وأخرجه مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب في شجاعة النبي – عليه السلام – وتقدمه للحرب ، ٤ : ١٨٠٢ – ١٨٠٣ (٢٣٠٧) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال :"كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس بالخير ، وكان أجود مايكون في (١) رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، فلرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أجود (٢) بالخير من الريح المرسلة " (٣) .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال : (كنا إذا احمر البأس (٤) نتقى به (٥) ، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به (يعني رسول الله (٦) - صلى الله عليه وسلم -) (٧) .

وعن علي بن أبي طالب قال : " لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أشد الناس بأسا ، وماكان أحد أقرب إلى العدو منه " (٨) ذكره (٩) البيهقي بإسناد صحيح .

---

(١) في ك و ط زيادة : (شهر) .

(٢) في ط (فرسول) بدون لام .

(٣) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس ... ، ٤ : ١٨٠٣ (٢٣٠٨) . ورواه البخاري بمثله كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي .. ، ٩: ٤٣ (٤٩٩٧) . من فتح الباري .

(٤) احمرار البأس : كناية عن شدة الحرب ، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة ، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر . شرح النووي لصحيح مسلم ١٢ : ١٢١ م ٦ .

(٥) في ك (يتقي) بالياء في اوله .

(٦) في ك و ط (النبي) .

(٧) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ٣ : ١٤٠١ (١٧٧٦) . والظاهر أنه ليس عند البخاري خلافا لما ذكر الشيخ المؤلف .

(٨) رواه البيهقي في الدلائل ، ٣ : ٦٩ - ٧٠ بمثله . ورواه الامام أحمد في المسند ١ : ١٢٦ قال الهيثمي :"رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن". المجمع ٩ : ١٢ - ١٣ .

(٩) عبر الشيخ المؤلف بكلمة "ذكره" . بدلا من " رواه " أو "أخرجه" إما لمجرد المرادفة ، أو إشارة إلى أن البيهقي وإن كان من المحدثين والرواة إلا أنه من المتأخرين فهو من الطبقة الرابعة عشرة من طبقات السيوطي : ٤٢٧ - ٤٣٢ .

وفي الصحيحين عن أنس قال : " خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين ، والله ماقال لي : "أفا"(١) قط ، ولاقال لي(٢) لشيء : "لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا(٣) " .

وفي رواية في الصحيحين ـ أيضا ـ قال : " خدمته في السفر والحضر ، والله ماقال لي لشيء صنعته : لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا ؟ وكان أحسن الناس خلقا(٤) " * وفي الصحيحين عن جابر قال : "ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا فقال لا"(٥) * .

---

(١) كلمة " أف " تقال عند تَكَرُّه الشيء ، وعند التضجر من الشيء .

(١) في ك و ط "لم فعلت وهلا فعلت كذا " .

(١) في ك و ط " أف" و "أفا " هي في رواية مسلم بالنصب والتنوين، وذكر بعضهم أن فيها لغات كثيرة أوصلها إلى ٣٩ لغة . فتح الباري ١ : ٤٦٠ .

(٢) سقطت " لي " من ك و ط .

(٣) آخر الحديث في أ : ... لم فعلته ، لما فعلت كذا " . وفي ك و ط : " ولاقال لشيء لم فعلت ، وهلا فعلت كذا " وقد أثبتناما في صحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقا ٤ : ١٨٠٤ (٢٣٠٩) . ورواه البخاري بلفظ آخر ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق .. ، ١٠ : ٤٥٦ (٦٠٣٨) من فتح الباري .

(٤) في أ : " صنعته " . وما أثبتنا هو مافي ك و ط ، وهو ماجاء في صحيح مسلم غير أن قوله : " وكان من أحسن الناس خلقا " . هو في رواية منفصلة . كتاب الفضائل باب كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقا ، ٤ : ١٨٠٤ ـ ١٨٠٥ (٢٣٠٩ ـ ٢٣١٠) ويظهر أن هذه الرواية ليست عند البخاري خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف .

(٥) مابين النجمتين ليس في ك و لا ط .

(٥) رواه البخاري بمثله ، كتاب الأدب ،باب حسن الخلق والسخاء ... ،١٠: ٤٥٥ (٦٠٣٤) من فتح الباري ورواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ٤ : ١٨٠٥ (٢٣١١) .

وفي الصحيحين عن أنس (١) قال : " ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاسلام (٢) شيئا إلا أعطاه ،قال : فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين (٣) ، فرجع الى قومه فقال : ياقوم أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفاقة (٤) " .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري (٥) قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياءمن العذراء (٦) في خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه (٧) " .

---

(١) في ك و ط (جابر) .

(٢) الظاهر أن معنى قوله : " على الإسلام " بتقدير محذوف هو : على الدخول في الاسلام ، أو على نصرة الاسلام أو نحوذلك .

(٣) أي كثيرة كأنها تملأمابين جبلين . شرح النووي ١٥ : ٧٣ . م ٨ .

(٤) الفاقة : الفقر والحاجة . مختار : ٥١٥ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا قط فقال : " لا " وكثرة عطائه ، ٤ : ١٨٠٦ (٢٣١٢) . ويبدو أن الحديث ليس عند البخاري ، خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف .

(٥) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري ، له ولأبيه صحبة ، استصغر بأحد ، ثم شهد مابعدها وروى الكثير ، ومات بالمدينة سنة ٦٣ هـ وقيل بعدها . تقريب التهذيب ١ : ٢٨٩ . وأسد الغابة ٢ : ٢١٣ .

(٦) هى الجارية البكر . المصباح : ٣٩٩ .

(٧) رواه البخاري بمثله ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ، ١٠ : ٥١٣ (٦١٠٢) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،٤ : ١٨٠٩ ـ ١٨١٠(٢٣٢٠).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ، وذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لم يكن فاحشا ولا متفحشا (١) " .

وروى البخاري عن أنس قال : " لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم - سبابا ولافحاشا (٢) ولا لعانا ، كان يقول لأحدنا عند المَعْتَبَةِ (٣) : ماله تربت جبينه (٤) " .

وفي صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت : " ماخير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، مالم يكن إثما ، فان كان إثما كان أبعد الناس منه ، وماانتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمة (٥) الله (٦) " .

---

(١) من الفحش : وهو كل ماخرج عن مقداره حتى يستقبح ، ويدخل في القول ، والفعل والصفة ، لكن استعماله في القول أكثر. والمتفحش هو الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه . فتح الباري ١٠ : ٤٥٣ .

(١) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٦ : ٥٦٦ (٣٥٥٩) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه - صلى الله عليه وسلم - ٤ : ١٨١٠ (٢٣٢١) .

(٢) في أ : " فاحشا " وقد أثبتنا مافي الصحيح ، وهو مافي ك و ط .

(٣) المَعْتَبة : هي مصدر عتب عليه يعتِب عتبا وعتابا ومعتبة ومعاتبة. قال الخليل: العتاب : مخاطبة الادلال ، ومذاكرة المَوْجِدة . المصدر والموضع السابق.

(٤) أي خَرَّ لوجهه فأصاب التراب جبينه ،وهذا من الكلام الذي يجري على اللسان ولايراد حقيقته . انظر المصدر والموضع السابق .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب : لم يكن النبي فاحشا ولامتفاحشا ، ١٠ : ٤٥٢ (٦٠٣١) من فتح الباري .

(٥) في ك و ط (محارم) .

(٦) حرمة الله ؛ أي حرمات الله . فتح الباري ٦ : ٥٧٥ .

(٦) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٦ : ٥٦٦ (٣٥٦٠) من فتح الباري ، بمثله ، ورواه مسلم ، بمثله ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته - صلى الله عليه وسلم - للآثام .. ، ٤ : ١٨١٣ (٢٣٢٧) فالحديث متفق عليه.

وعنها قالت : " ماضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيده شيئا (١) قط ، لا امرأة ولا خادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ومانيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله " (٢) .

وروى مسلم في صحيحه عنها وقد سئلت عن خلق (٣) رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت :"كان خلقه القرآن " (٤) .

وروى أبو داود الطيالسي عن شعبة (٥) ، حدثنا أبو أسحاق (٦) ، حدثنا أبو عبد الله الجَدَلي (٧) قال : سمعت عائشة ، وسألها عن خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : " لم يكن فاحشا ولا متفحشا، ولاسخابا في الأسواق ، ولايجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو يغفر " شك أبو داود (٨) .

---

(١) هكذا في ط ، وفي أ و ك (شيئا) بالنصب والأصوب مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٢) رواه مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته – صلى الله عليه وسلم – للآثام ... ، ٤ : ١٨١٤ (٢٣٢٨) .

(٣) سقطت (خلق) من ط .

(٤) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب جامع صلاة الليل ... ، ١ : ٥١٣ (٧٤٦) . ورواه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في صلاة الليل ٢ : ٤٠ (١٣٤٢) . والنسائي ، كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب قيام الليل ٣ : ١٩٩ . وابن ماجه ، أبواب الأحكام ، الحكم فيمن كسر شيئا ٢ : ٤٢ (٢٣٥٥) . والدارمي ، كتاب الصلاة ، باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم – ، ١ : ٣٤٤ – ٣٤٥ . وأحمد في المسند ٦ : ٩١ . والحاكم في المستدرك ٢ : ٦١٣ .

(٥) شعبة :هو ابن الحجاج بن الورد العتكي ، مولاهم ، أبو بِسْطام الواسطي ، ثم البصري ، ثقة حافظ متقن ، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال ، وذب عن السنة وكان عابدا ، مات سنة ١٦٠ هـ . تقريب ١ : ٣٥١ .

(٦) ابو إسحاق : هو عمرو بن عبد الله الهَمْداني السَّبِيعي ، مكثر ، ثقة عابد ، اختلط بآخره ، مات سنة ١٢٩ هـ أو قبلها . تقريب ٢ : ٧٣ تهذيب ٨ : ٦٣ .

(٧) في أ " الهذلي " وصوابه ماأثبتناه من الأصول وك و ط .

(٧) هو عبد ، أو عبد الرحمن بن عبد ، الكوفي ، وثقه أحمد وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات . وقال العجلي . بصري تابعي ثقة . تهذيب التهذيب ١٢ : ١٤٨ – ١٤٩ .

(٨) مسند الطيالسي : ٢١٤ (١٥٢٠) ورواه الترمذي ، بمثله ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في خلق النبي – صلى الله عليه وسلم – ٤ : ٣٦٩ (٢٠١٦) وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

ورواه الحاكم (١) في مستدركه على الصحيحين (٢) .

وفي الصحيحين عن علقمة (٣) قال : سألت عائشة : كيف كان عمل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ وهل كان يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : " لا،كان عمله دِيْمة ، وأيكم يستطيع ماكان رسول الله-صلى الله عليه وسلم - يستطيع (٤) " .

---

(١) هو محمد بن عبد الله الضبي النسابوري ، أبو عبد الله ، الحافظ ،صاحب التصانيف ، إمام صدوق ، ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ،ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرضه للشيخين مات سنة ٤٠٥ هـ ميزان الاعتدال ٣ : ٦٠٨ ، ولسان الميزان ٥ : ٢٣٢ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٧٦ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ، كتاب التاريخ ، ذكر أخبار سيد المرسلين ، كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ، ٢ : ٦١٤ ، والحديث بلفظ : " ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مكتوب في الانجيل ، لافظ ولاغليظ ولاسخاب بالأسواق ولايجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح " قال الحاكم :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي .

(٣) هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، ثقة ثبت ، فقيه عابد ، ولد في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات بعد الستين وقيل بعد السبعين . تقريب ٢ : ٣١ ، وتهذيب ٧ : ٢٧٦ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ،باب القصد والمداومة على العمل ، ١١:٢٩٤ (٦٤٦٦) . من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة العمل الدائم ... ،١ : ٥٤١ (٧٨٣) .

وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام (١) ، وقد سأل عائشة ـ رضى الله عنها (٢) ـ عن خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : " ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : " فإن خلق نبي الله القرآن " (٣) .

وفي صحيح الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال " بعثت لأتمم صالح (٤) الأخلاق " (٥) .

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال : " قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تورمت قدماه ، فقيل : يارسول الله : أليس قد غفر الله لك (*) ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا " (٦) .

---

(١) سعد بن هشام : هو ابن عامر ، الأنصاري المدني ، ابن عم أنس بن مالك ثقة ، قتل بأرض مُكران بالهند غازيا . تهذيب التهذيب ٣ : ٤٨٣ .

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ، ١ : ٥١٢ (٧٤٦) .

(٤) في ط (مكارم) .

(٥) رواه في المستدرك ، كتاب التاريخ ، آيات رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ... ، ٢ : ٦١٣ ، وقال :"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي . ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٨١ والبزار بمثله ، قال الهيثمي :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ،ورواه البزار ... ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوداني وهو ثقة". المجمع ٩ : ١٥ . ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ : " إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال " ."وفيه عمر بن إبراهيم القرشي ، وهو ضعيف". المجمع ٨ : ١٨٨ .

(٦) رواه البخاري بمثله ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب " ليغفر لك الله..." ٨ : ٥٨٤ (٤٨٣٦) من فتح الباري . ورواه مسلم بمثله ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب إكثار الأعمال ... ، ٤ : ٢١٧١ - ٢١٧٢ (٢٨١٩) .

(*) سقطت (لك) من ط .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : " ماعاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طعاما قط ، إن اشتهاه (١) أكله ، وإلا تركه (٢) ".

وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وأبو الشيخ الأصبهاني (٣) من حديث بَهْز بن حكيم (٤) ، عن أبيه (٥) عن جده (٦) أن أخاه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : " جيراني على ما أخذوا (٧) " فأعرض عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : " إن الناس يزعمون أنك نهيت عن الغي (٨) ، ثم تستخلي (٩) به فقال: لأن كنت أفعل ذلك انه لعلي وماهو عليهم ، خلوا له جيرانه (١٠) " .

---

(١) في ط (اشتهاء) .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الأطعمة ، باب ماعاب النبي - صلى الله عليه وسلم - طعاما ، ٩ : ٥٤٧ (٥٤٠٩) . من فتح الباري . ورواه مسلم ، بنحوه ، كتاب الأشربة ، باب لايعيب الطعام ، ٣ : ١٦٣٢ (٢٠٦٤).

(٣) أبو الشيخ الاصبهاني : هو أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حَيّان ، الإمام الحافظ الصادق ، محدث أصْبَهان ، وله سنه ٢٧٤ هـ أثنى عليه كثير من الأئمة ، إلا أنه كان ينقل كثيرا من الأخبار الواهية في كتبه ، مات سنة ٣٦٩ هـ انظر سير ... النبلاء ١٦ : ٢٧٦ - ٢٧٩ . وطبقات الحفاظ : ٣٨٢ (٨٦٤) .

(٤) بَهْز بن حكيم : هو ابن معاوية القشيري ، أبو عبد الملك ، صدوق ، مات سنة ١٦٠ هـ تهذيب ١ : ٤٩٨ .

(٥) أبوه : هو حكيم بن معاوية بن حَيْدَة القشيري ، وثقة العجلي ، وقال النسائي :" لابأس به" ، وذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب ٢ : ٤٥١ .

(٦) جده : هو معاوية بن حَيْدَة بن كعب القشيري ، صحابي ، نزل البصرة ، ومات بخراسان. وذكر البخاري أنه سمع من النبي - صلى الله عليه وسلم -. الاصابة ٣ : ٤٣٢ . تهذيب ١٠ : ٢٠٥ .

(٧) الأخذ : الأسر والحبس . انظر المصباح : ٧.

(٨) في ك و ط (البغي) .

(٩) تستخلي به : أي تفعل الغي بنفسك . انظر المصدر السابق ١ : ١٨١ .

(١٠) رواه الامام أحمد في المسند ٥ : ٤ ، وأبو داود ، كتاب الأقضية ، باب في الحبس في الدين وغيره ٣ : ٣١٤ (٣٦٣١) . بلفظ مختصر . والترمذي كتاب الديات ، باب ماجاء في الحبس في التهمة ، ٤ : ٢٨ (١٤١٧) . مختصرا جدا . وقال :"حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده حديث حسن".

وروى الامام أحمد وأبو داود والترمذي (١) عن أنس بن مالك قال :
" ماكان شخص أحب اليهم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لما يعلمون من كراهته (٢) لذلك " رواه عن عبد الرحمن ابن مهدي : (٣) ثنا حماد بن سلمة (٤) عن حميد (٥) عنه (٦) ،

---

(١) لم يرد في ك و ط : (وأبو داود والترمذي) .

(٢) في ك و ط : " كراهيته " .

(٣) في ط (حدثنا) .

(٣) هو ابن حسان بن عبد الرحمن ، أبو سعيد العنبري ، وقيل الأزدي مولاهم ، البصري اللؤلؤي ، الإمام الناقد المجود سيد الحفاظ ، ولد سنة ١٣٥ هـ ثقة ثبت ، حافظ عارف بالرجال والحديث ، مات سنة ١٩٨ هـ وله ٧٣ سنة . سير ... النبلاء ٩ : ١٩٢ ـ ٢٠٩ . تقريب ١ : ٤٩٩ .

(٤) حماد بن سلمة : هو ابن دينار البصري ، أبو سلمة ، ثقة عابد ، أثبت الناس في ثابت ، وتغير حفظه بآخره ، مات سنة ١٦٧ هـ .تقريب ١ : ١٩٧ .

(٥) حميد : هو ابن أبي حميد الطويل ، أبو عبيدة البصري ، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال ، ثقة مدلس ، وعابه "زائدة" لدخوله في شيء من أمر الأمراء ، مات سنة ١٤٢ أو ١٤٣ هـ وهو قائم يصلي وله ٥٧ سنة . تقريب ١ : ٢٠٢ تهذيب ٣ : ٣٨ .

(٦) في ك و ط (ورواه أبو داود والترمذي) وفي ط سقطت الواو والعاطفة قبل الجملة المذكورة .

(٦) أي عن أنس ـ رضى الله عنه ـ .

(٦) رواه الامام أحمد في المسند ٣ : ١٣٤ ، ولم يخرجه أبو داود خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف ،ورواه الترمذي بنحوه ٥ : ٩٠ (٢٧٥٤) وقال : "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ".

وروى عنه[١] أبو نعيم وأبو الشيخ وغيرهما عن ابن عباس " أن الله أرسل إلى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَلَكا من الملائكة معه جبريل فقال الملك : " ان الله خيره بين أن يكون عبدا نبيا وبين أن يكون مَلِكا نبيا ، قال : فالتفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جبريل كالمستشير ، فأشار جبريل بيده : أن تواضع ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لابل أكون عبدا نبيا " رواه[٢] النسائي والبخاري في تاريخه[٣] .

---

(١) سقطت (عنه) من ك و ط . والمقصود : عبد الرحمن بن مهدي .

(٢) في ك و ط (ورواه) .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ آخر ٢ : ٢٣١ قال الهيثمي :"رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح". ثم أورد مثل هذا الحديث عن ابن عباس وقال :"رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس". ورواه عبد الرزاق في المصنف بنحوه ، كتاب الجامع ، باب الكبر ، الأكل متكأ ١٠ : ٤١٧ (١٩٥٥١) . ورواه ابن حبان ، انظر موارد الضمآن للهيثمي ، كتاب علامات نبوة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ باب في زهده ... : ٥٢٥ (٢١٣٧) .

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: كان غلام يهودي يخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – فمرض ، فأتاه (١) النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : " أتشهد أن لااله إلا الله ؟ " فنظر الغلام إلى أبيه فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار " (٢) .

---

(١) في ك و ط (فعاده) .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ... ، ٣ : ٢١٩ (١٣٥٦) من فتح الباري. ولم أجده عند مسلم . ورواه أبو داود بمثله ، كتاب الجنائز ، باب في عبادة الذمي ، ٣ : ١٨٥ (٣٠٩٥) . ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٢٢٧ . والحاكم في المستدرك ٤ : ٢٩١ .

وعن ابن أبي حازم (١) : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كَلَّم رجلا فأرعد (٢) ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " هون عليك (٣) فإني لست بمَلِك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القَدِيْد (٤) " رواه ابن الجوزي (٥) من طرق ، بعضها متصلا عن ابن مسعود ، قال ابن الجوزي " وروى (٦) متصل (٧)" والصواب إرساله كما تقدم .

---

(١) سقطت (ابن) من جميع النسخ وسقوطها يوهم بأنه : (أبو حازم الأشجعي) وليس كذلك وإنما هو قيس بن أبي حازم ، واسمه حصين بن عوف - وقيل غير ذلك - البجلي الأحمسي ، أبو عبد الله الكوفي ، ولأبيه صحبة ، ولم تثبت رؤيته ، أجمعوا على الاحتجاج به ، مات سنة ٨٤ هـ سير ... النبلاء ٤ : ١٩٨ - ٢٠٢ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٨٦ - ٣٨٩ .

(٢) أرعد : من الرِّعْدة : وهي النافض يكون من الفزع وغيره . والارتعاد : الاضطراب والارتجاف . انظر اللسان ٣ : ١٧٩ مادة : رعد .

(٣) من الهَوْن : وهو الرفق والدعة والسكون . لسان العرب ١٣ : ٤٤٠ مادة :هون.

(٣) رواه ابن ماجه بنحوه ، أبواب الأطعمة ، باب القديد ، ٢ : ٢٤٢(٣٣٥٥). قال في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه :"هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات"، كما نقله الأعظمي بهامش ابن ماجه .

(٤) القديد : هو اللحم المقدد ، أي ماقُطِع من اللحم وشُرِر ، وقيل : ماقطع منه طوالا ، وهو اللحم المملوح المجفف في الشمس ، فعيل بمعنى : مفعول. المصدر السابق ٣ : ٣٤٤ ، مادة : قدد .

(٥) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حَمَّادي، يصل نسبه بالصديق أبي بكر - رضي الله عنه - الشيخ العلامة الحافظ المفسر جمال الدين ، أبو الفرج ، البغدادي الحنبلي الواعظ ، ولد سنة ٥١٠ هـ ذكر له الذهبي أسماء ثلاثة وثمانين كتابا ، وأحصيت كتبه قبل موته ٢٥٠ كتابا ، وامتحن في أواخر عمره لمدة خمس سنوات حيث حبس في سفينة ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ سير ... النبلاء ٢١ : ٣٦٥ - ٣٨٤ ، وشذرات ٤ : ٣٢٩ .

(٦) في ك وط زيادة : (وجرير) .

(٧) في ط (أوروى) .

(٧) المتصل : هو ما اتصل إسناده بسماع كل واحد من رواته ممن فوقه ، أو إجازته إلى منتهاه ، مرفوعا كان أو موقوفا على من كان . والمرسل : هو قول التابعي الكبير كقيس بن أبي حازم وسعيد بن المسيب قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:كذا ، أوفَعَلَه ، تدريب الراوي ١ : ١٨٣ و ١٩٥ .

وفي الصحيح عن أنس (١) ، " أن امرأة كان في عقلها شيء قالت (٢) : يارسول الله ، ان لي اليك حاجة . قال:"يا أم فلان خذي في أي الطرق شئت ، قومي فيه حتى أقوم معك"، فخلا معها يناجيها (٣) حتى قضت حاجتها ". رواه مسلم (٤) .

وعن أنس قال : " كانت الأمة من إماء أهل المدينة ، لتأخذ بيد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتدور به في حوائجها حتى تفرغ ثم يرجع " رواه البخاري في الأدب (٥) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (ابن مالك) .

(٢) في ك و ط (فقالت) .

(٣) من نجوته نجوا ، أي حدثته سرا . انظر مختار : ٦٤٨ .

(٤) رواه مسلم بنحوه . كتاب الفضائل ، باب قرب النبي – صلى الله عليه وسلم – من الناس وتبركهم به ، ٤ : ١٨١٢ – ١٨١٣ (٢٣٢٦) . ورواه أبو داود برقم (٤٨١٨) . وأحمد في المسند ٣ : ٢٨٥ .

(٥) اي في كتاب الأدب من صحيحه ، باب الكبر ، بمعناه ، ١٠ : ٤٨٩ ،(٦٠٧٢) من فتح الباري ، قال الحافظ ابن حجر :"قال حماد : ولم أر في شيء من نسخ البخاري تصريحه عنه بالتحديث"- يقصد محمد بن عيسى – الراوي عنه البخاري – قال الحافظ :"وأخرجه أحمد عن هشيم شيخ محمد بن عيسى فيه ، وإنما عدل البخاري عن تخريجه عن أحمد بن حنبل لتصريح حميد – أي الطويل – في رواية محمد بن عيسى بالتحديث ، فإنه عنده عن هشيم: " أنبأنا حميد عن أنس " وحميد مدلس ، والبخاري يخرج له ماصرح فيه بالتحديث". ورواه ابن ماجه ، أبواب الزهد ، باب البراءة من الكبر ، والتواضع ، ٢ : ٤٢٢ (٤٢٣٠) . قال الأعظمي :" قال البوصيري في الزوائد :"هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان".

وروى عن ابن أبي أوفى[(١)] قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي له حاجته[(٢)] " .

وعنه[(٣)] قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثر الذكر ، ويقل اللغو ، ويطيل الصلاة ، وَيَقصِّر الخُطبة ، ولايستنكف[(٤)] أن يمشى مع العبد ، ولا مع الأرملة[(٥)] حتى يفرغ من حاجتهم " ورواه الدارمي والحاكم في صحيحه[(٦)] .

---

(١) ابن أُبي أوفى : هو عبد الله بن علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي ،صحابي، شهد الحديبية ، وعُمر بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومات بالكوفة سنة ٨٧ هـ وهو آخر من مات بها من الصحابة . تقريب ١ : ٤٠٢.

(٢) رواه النسائي بمثله ، كتاب الجمعة ،باب مايستحب من تقصير الخطبة ، ٣ : ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) أي عبد الله بن أبي أوفى - رضى الله عنه - .

(٤) اي لايأنف ولايتنزه ولايتكبر ، انظر تريب القاموس ٤ : ٤٤٠.

(٥) هي المرأة التى لازوج لها . مختار : ٢٥٧ .

(٦) رواه الدارمي ، المقدمة ، باب تواضع النبي - صلى الله عليه وسلم - ١ : ٣٥ ، بمثله . ورواه الحاكم بنحوه ، كتاب التاريخ ، كتاب آيات رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-، ٢ : ٦١٤ في روايتين، وقال :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي . وأورده الهيثمي بنحوه وعزاه للطبراني ، وقال :"إسناده حسن" المجمع ٩ : ٢٠ .

وروى أبو داود الطيالسي عن أنس قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خِطامه ليف " (١) .

وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال : " ما رأيت أرحم بالعيال من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " (٢) .

وروى البخاري عنه قال : " مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صبيان فسلم عليهم " (٣) .

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي وفيه : " من ليف " : ٢٨٥ (٢١٤٨) . وإسناد هذا الحديث فيه أُبو عبد الله مسلم الأعور ، وهو ضعيف . انظر الضعفاء الكبير ٤ : ١٥٣ (١٧٢٢) لمحمد بن عمرو العقيلي ٣٢٢ هـ ، ت : د. عبد المعطي قلعجي ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصبيان والعيال ... ، ٤ : ١٨٠٨ (٢٣١٦) .

(٣) هذا أقرب إلى لفظ مسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب السلام على الصبيان ، ٤ : ١٧٠٨ (٢١٦٨) . ورواه البخاري بمعناه ، كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان ، ١١ : ٣٢ (٦٢٤٧) من فتح الباري .

وروى ابن عباس قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويعتقل الشاة (١) ، ويجيب دعوة المملوك (٢) " .

وعن قدامة بن عبد الله (٣) : " رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بغلة شهباء ، لاضرب ولاطرد ، ولا إليك إليك (٤) " رواهما أبو الشيخ .

وعن عائشة قالت : " مارأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قط مستجمعا ضاحكا (٥) حتى أرى منه لَهَواته (٦) ، إنما كان يتبسم (٧) ، وكان إذا رأى غيما (٨) أو ريحا عرف (٩) في وجهه ، فقلت : يارسول الله ، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا ، رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية ؟ . قال : " ياعائشة ومايؤمنني أن يكون فيه عذاب ؟ قد عُذب قوم بالرِّيح ، وقد أتى العذاب قوما " وتلا قوله - تعالى - : ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا ... ﴾ (١٠) أخرجاه في الصحيحين (١١) .

---

(١) يقال : اعتقل شاته : إذا وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها . اللسان ١١ : ٤٦٢ مادة : عقل .

(٢) أورده الهيثمي بمثله وعزاه إلى الطبراني ، وقال : "إسناده حسن". المجمع ٩ : ٢٠ .

(٣) قدامة بن عبد الله : هو ابن عمار بن معاوية العامري ، من بني نفيل بن عمرو بن كلاب العامري ، ثم الكلابي ، يكنى أبا عبد الله ، أسلم قديما وسكن مكة ولم يهاجر ، وشهد حجة الوداع . وأقام بركبة في البدو من بلاد نجد وسكنها . أسد الغابة ٤ : ٩٣ ، وتقريب التهذيب ٢ : ١٢٤ .

(٤) رواه الترمذي بنحوه ، كتاب الحج ، باب ماجاء في كراهية طرد الناس عند رمي الجمار ، ٤ : ٢٣٨ (٩٠٣) وقال أبو عيسى : "حديث قدامة بن عبد الله حديث حسن صحيح". ورواه النسائي بمثله ، كتاب المناسك ، باب الركوب الى الجمار ... ، ٥ : ٢٧٠ وابن ماجه ، أبواب المناسك ، باب رمي الجمار راكبا ٢ : ١٨٤ (٣٠٧١) .

(٥) أي مبالغا في الضحك لم يترك منه شيئا . فتح الباري ١٠ : ٥٠٦ .

(٦) لهواته : جمع لهاة ، وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم . المصدر والموضع السابق .

(٧) في ط : (يبتسم) .

(٨) الغيم : السحاب . مختار : ٤٨٧ .

(٩) (ذلك) زيادة في ك و ط .

=

....

= (١٠) سورة الأخفاف : ٢٤ ٠

(١١) رواه البخاري ، بنحوه ، كتاب التفسير ، سورة الاحقاف ، باب : " فلما رأوه عارضا ٠٠ "٨ : ٥٧٨ (٤٨٢٨ - ٤٨٢٩) وفي كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، ١٠ : ٥٠٤ (٦٠٩٢) ٠ من فتح الباري ٠ ومسلم بنحوه ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرج بالمطر ، ٢ : ٦١٦ - ٦١٧ ٠ (٨٩٩) ٠

وفي الصحيحين - أيضا - عن أنس قال : " كنت أمشي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ،وعليه برد نجراني غليظ الحاشية (١) ، فأدركه أعرابي فجبذ (٢) بردائه جبذا شديدا ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أثرت بها حاشية البُرّد من شدة جبذته ، ثم قال : يامحمد ، مُرْلي من مال الله الذي عندك . قال : فالتفت اليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضحك ، ثم أمر له بعطاء " (٣) .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لايقوم من مصلاه الذي يصلي (٤) فيه حتى تطلع الشمس ،فإذا طلعت ، قام ، وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم " (٥) .

---

(١) هي طرف الثوب مما يلي كَفّته . فتح الباري ١٠ : ٥٠٦

(٢) جبذ ، بمعنى : جذب . المصدر والموضع السابق .

(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، ١٠ : ٥٠٤ (٦٠٨٨) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب اعطاء من سأل بفحش وغلظة ، ٢ : ٧٣٠ - ٧٣١ (١٠٥٧) بمثله .

(٤) في ك و ط (يقوم) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ، وفضل المساجد ، ١ : ٤٦٣ (٦٧٠) بمثله . ورواه الترمذي بمعناه ، كتاب الأدب ، باب ماجاء في إنشاد الشعر ، ٥ : ١٤٠(٢٨٥٠). ورواه النسائي ، كتاب السهو ، باب قعود الامام في مصلاه بعد التسليم ٣ : ٨٠ - ٨١ ، بمثله . ورواه الامام أحمد بمعناه ٥ : ١٠٥ .

وفي رواية أخرى صحيحة : " كان طويل الصمت ، قليل الضحك ، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر ، والشيء من أمورهم ، فيضحكون ويتبسم" (١) .

وفي صحيح البخاري عن عائشة - رضى الله عنها - وسألها الأسود (٢) : ماكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنع في أهله ؟ فقالت : " كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله) (٣) فإذا حضرت الصلاة خرج " (٤) .

ومن (٥) رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة (٦) قال : " سأل رجل عائشة ، هل كان يعمل في بيته ؟ فقالت (٧) : " كان يخصف (٨) نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته " (٩) .

---

(١) هذه الرواية هي للإمام أحمد في مسنده ، ٥ : ٨٦ وإسنادها : حدثنا سليمان بن داود ثنا شريك عن سماك قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :"نعم ، فكان طويل الصمت ..." الحديث بنحوه . ورجال إسناد هذه الرواية ثقات ، كما ذكر الشيخ المؤلف رحمه الله - تعالى - : أنها صحيحة .

(٢) هو ابن يزيد بن قيس النخعي ، أبو عمرو ، أو أبو عبد الرحمن ،مخضرم، ثقة مكثر فقيه ، مات سنة ٧٤ هـ أو ٧٥ هـ . تقريب ١ : ٧٧ .

(٣) هذا من قول آدم بن أبي إياس شيخ الإمام البخاري . فتح الباري ٢ :١٦٣.

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ،باب كيف يكون الرجل في أهله ؟ ١٠: ٤٦١ (٦٠٣٩) . من فتح الباري . بمثله والترمذي بمثله . كتاب صفة القيامة، باب (٤٥) ، ٤ : ٦٥٤ (٢٤٨٩) .

(٥) في ك و ط : " وفي " .

(٦) عروة : هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ، أبو عبد الله المدني ، ثقة ، فقيه مشهور ، من الطبقة الثانية . مولده في أوائل خلافة الفاروق مات سنة ٩٤ هـ تقريب ٢ : ١٩

(٧) في ك و ط (قالت) .

(٨) أي يخرز . مختار : ١٧٧ .

(٩) رواه الامام عبد الرزاق في المصنف ، كتاب الجامع ، باب عمل النبي - صلى الله عليه وسلم ، ١١ : ٢٦٠ (٢٠٤٩٢) .قال الحافظ في الفتح ١٠:٤٦١ : "أخرجه أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان ".

وروى الطيالسي : ثنا شعبة ، ثنا الأعور (١) قال سمعت أنسا يقول : "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خُطامه من ليف" (٢) * وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال :"مارأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -". (٣) وروى عنه البخاري قال :"مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على صبيان فسلم عليهم" (٤) . *

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضى الله عنها (٥) - قالت : " ماشبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أيام من خبز بُرٍّ تباعا (٦) حتى مضى لسبيله (٧) " .

---

(١) في جميع النسخ " الأغر " والصواب " الأعور " . كما أثبتناه من مسند الطيالسي وغيره .

(١) الأعور : هو ابن كَيّسان الضبي الكوفي المُلاَئي البراد ، أبو عبد الله ، ضعفه الأئمة وقال عنه الدار قطني مرة : مضبوط الحديث ، روى له الترمذي وابن ماجه . ميزان الاعتدال ٤ : ١٠٦ ، وتقريب ٢ : ٢٤٦ ، وتهذيب ١٠ : ١٣٥ .

(٢) مسند أبي داود الطيالسي : ٢٨٥ (٢١٤٨) وتقدم أن أُحد رجال الإسناد الأعور وهو ضعيف .

(٣) سبق تخريجه ص ٥٣٧ .

(٤) سبق تخريجه ص ٥٣٧ .

(٤) مابين النجمتين ليس في ك و لا ط .

(٥) الجملة الدعائية ليست في أ .

(٦) أي ماعدا المتفرقة . انظر فتح الباري ١١ : ٢٩١ .

(٧) أي لحق بالرفيق الأعلى وقبضه الله - تعالى - . انظر المصدر والموضع السابق .

(٧) رواه مسلم ، بمثله ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ٤ : ٢٢٨١ (٢٩٧٠) .

وعنها قالت : " كنا – آل محمد – صلى الله عليه وسلم – يمر بنا الهلال والهلال ، مانوقد بنار لطعام ، إلا أنه التمر والماء ، إلا أنه حولنا أهل دور من الأنصار فيبعث أهل كل دار بغريزة (١) شاتهم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يشرب (٢) من ذلك اللبن " أخرجاه في الصحيحين (٣) .

وفي صحيح البخاري قال أنس : " مارأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رغيفا مرققا (٤) حتى لحق بالله ، ولارأى شاة سميطا (٥) بعينه قط (٦) " .

---

(١) من الفَرْز ، وهو عزل الشيء عن الشيء وتمييزه ، والفِرْزة : القطعة مما عزل . انظر ترتيب القاموس ٣ : ٤٦٧ .

(٢) " يشرب " سقطت من أ .

(٣) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي .. ، ١١ : ٢٨٣ (٦٤٥٩) . من فتح الباري . ومسلم بنحوه ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٨٣ (٢٩٧٢) .

(٤) هو الملين المحسن . فتح الباري ٩ : ٥٣٠ .

(٥) من المسموط ، وهو الذي أزيل شعره بالماء المسخن ، وشوى بجلده ، أو يطبخ ، وإنما يصنع ذلك في الصغير السن الطري ، وهو من فعل المترفين. المصدر السابق ٩ : ٥٣١ . قلت : وهو الذي يسمى في بلادنا " المندي ". حاليا . أو ماشابه ذلك .

(٦) رواه البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب شاة مسموطة ... ، ٩ : ٥٥١ – ٥٥٢ . (٥٤٢١) من فتح الباري ، وابن ماجه بنحوه ، أبواب الأطعمة ، باب الرقاق ، ٢ : ٢٤٧ (٣٣٨٢) .

وفي صحيح البخاري عنه : " ما أكل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على خِوان (١) ولا في سُكُرَّجة (٢) ولا خُبِز له مرقّق (٣) " فقيل له : على ماكانوا يأكلون ؟ قال : على السُّفر (٤) " .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب : أنه خطب وذكر مافُتح على الناس فقال : " لقد رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتلوى يومه من الجوع ، مايجد من الدقَل (٥) ما يملأبه بطنه (٦) " .

وفي صحيح البخاري عن أنس : أنه مشى إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بخبز شعير واهالة سَنِخة (٧) ، ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيرا ، ولقد سمعته يقول : "ما أمسى عند آل محمد صاع بُرّ ولاصاع حب " وإنهم يومئذ تسعة أبيات (٨) .

---

(١) هو المائدة (الطاولة) مالم يكن عليها طعام . فتح الباري ٩ : ٥٣١.

(٢) هي صحاف (أواني) صغار ، يؤكل فيها ، منها الكبير والصغير ، المصدر السابق ٩ : ٥٣٢ .

(٣) في ط (مرفق) بفاء ثم قاف .

(٤) السفرة : أصلها الطعام الذي يعد للمسافر ، ثم استعملت لما يوضع بين الأرض وأواني الطعام . انظر المصدر السابق ٩ : ٥٣١ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقق ... ، ٩ : ٥٣٠(٥٣٨٦). من فتح الباري .

(٥) هو تمر ردئ . شرح النووي ١٨ : ١٠٩ . م ٩ .

(٦) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٨٥ (٢٩٧٨).

(٧) الإهالة : ما أذيب من الشحم والإلية ، أو كل دسم جامد ، أو مايؤتدم به من الأدهان . والسَنِخة : متغيرة الريح . فتح الباري ٥ : ١٤١ .

(٨) رواه البخاري ، كتاب الرهن ، باب في الزهد في الحضر ، ٥ : ١٤٠(٢٥٠٨) من فتح الباري .

وفيه عن عائشة قالت : " كان فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أَدَم (١) حَشْوُه ليف " (٢) .

وفي صحيح مسلم (٣) من حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لما ذكر اعتزال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نساءه ـ قال : فدخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خزانته ، فإذا هو مضطجع على حصير ، فأدنى اليه إزاره وجلس ، وإذا الحصير قد أثر بجنبه ، وقلبت عيني في بيته فلم أجد شيئا يرد البصر غير قبضة من شعير وقبضة من قرظ (٤) نحو الصاعين ، وإذا أَفِيْق (٥) معلقة ، فابْتَدَرَتْ عيناي (٦) . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " مايبكيك يا ابن الخطاب " ؟ فقلت : " يارسول الله ، ومالي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وهذه خزانتك (٧) وهذه الأعاجم (٨) كسرى وقيصر في الثمار والأنهار " فقال : " أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلَت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا " . وفي رواية

---

(١) هو باطن الجلد الذي يلي اللحم . مختار : ١٠ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ... ، ١١ : ٢٨٢ (٦٤٥٦) .

(٣) في ك و ط (الصحيحين) .

(٤) في جميع النسخ (قرض) والصواب (قرظ) كما في الصحيح واللسان ، وهو شجر يدبغ به ، وقيل : ورق السَّلم يدبغ به الأَدَم . لسان العرب ، ٧:٤٥٤ مادة : قرظ .

(٥) في ط (أفق) وهو بفتح الهمزه وكسر الفاء : جلد لم يتم دباغه . شرح النووي ١٠ : ٨٣ م ٥ .

(٦) أي سالتا بالدموع . المصدر السابق ، ٤ : ٤٨ مادة " بدر " .

(٧) اسم للموضع الذي يجمع فيه المال . المصدر السابق ١٣ : ١٣٩ مادة "خزن ".

(٨) في ك و ط زيادة : (وفي رواية) .

" أو ماترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ " قال : بلى ، قال :
" فالحمد(١) لله – عز وجل – " . قال : فقلت : أستغفر الله "(٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال :"قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا(٣) " .

وروى الطيالسي بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال : " اضطجع النبي – صلى الله عليه وسلم – على حصير(٤) فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه عنه وأقول : " بأبي أنت وأمي(٥) يارسول الله ، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئا يقيك منه تنام عليه ؟ " فقال : " مالي وللدنيا ، ماأنا والدنيا إلا(٦) كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها(٧) " .

---

(١) في ك و ط (فاحمد) .

(٢) رواه مسلم بعدة روايات ، كتاب الطلاق ، باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن ... ، ٢ : ١١٠٥ – ١١١٣ (١٤٧٩) . ورواه البخاري مختصرا جدا ، كتاب اللباس ، باب ماكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتجوز من اللباس والبسط ، ١٠ : ٣٠١ – ٣٠٢ (٥٨٤٣) من فتح الباري .

(٣) قوتا : أي كفافا ، وهو الذي لايرهق الى ذل المسألة ، ولاتكون فيه فضول تبعث على الترفه والتبسط في الدنيا . فتح الباري ١١ : ٢٧٥ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٨١ (١٠٥٥)والبخاري بلفظ : " اللهم ارزق آل محمد قوتا " كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ... ، ١١ : ٢٨٣ (٦٤٦٠) من فتح الباري . ورواه الترمذي برقم ٢٣٦٣ .

(٤) هو كل مانُسج من جميع الأشياء . ترتيب القاموس ١ : ٦٥٣ .

(٥) في أ (بأبي وأمي أنت) وقد أثبتنا مافي ك و ط لاتفاقه مع المسند

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ سقطت (إلا) وقد صححنا ومن ك و ط .

(٦) في ك و ط زيادة " رواه أحمد " .

(٧) المسند لأبي داود الطيالسي : ٣٦ ، (٢٧٧) . وقد حكم الشيخ المؤلف يرحمه الله – على الإسناد بالصحة ، حيث أن رواته المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة وكلهم ثقات .

ورواه الحاكم[(١)] في صحيحه عن ابن عباس أن عمر دخل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر[(٢)] نحوه[(٣)] .

وفي الترمذي عن أنس بن[(٤)] مالك قال " حج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رحل رث وقطيفة[(٥)] " ورواه البخاري ـ أيضا ـ عن أنس[(٦)] في (كتاب الحج) قال : " حج أنس على رحل رث ، ولم يكن شحيحا[(٧)] ، وحدث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حج على رحل وكانت زاملته[(٨)] " .

---

(١) في ك و ط : (وروى) .

(٢) في ك و ط (فذكر) .

(٣) المستدرك لأبي عبد الله الحاكم ، ٤ : ٣٠٩ ، بنحوه ، وقال :" هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي . ورواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٤٥ وانظر الفتح الرباني ٢٢ : ٨٣ .

(٤) في ط (ابن) .

(٥) الرحل : رحل البعير ، وهو أصغر من القتب . ويستعمل للركوب عليه . والقطيفة : دثار مُخْمل . مختار : ٢٣٧ و ٥٤٣ .

(٥) رواه الترمذي في الشمائل(*) ، باب ماجاء في تواضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ٢٦٤ (٣١٧) : بأتم من هذا ، ويشهد له الحديث بعده .

(٦) في ك و ط (عن أنس ـ أيضا ـ) .

(٧) أي لم يكن بخيلا . المصباح : ٣٠٦ .

(٨) الزاملة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع ، من الزِّمْل ، وهو الحمل . والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه ، بل كان ذلك محمولا معه على راحلته ، وكانت هي الراحلة والزاملة . فتح الباري ٣ : ٣٨١ .

(٨) رواه البخاري وليس فيه (رث) كتاب الحج ، باب الحج على الرحل ٣ : ٣٨٠ . (١٥١٧) . من فتح الباري ، ورواه ابن ماجه بلفظ آخر قال ابن حجر في الموضع السابق :" إسناده ضعيف". أبواب المناسك ،الحج على الرحل ٢ : ١٥٤ (٢٩٢٢) . وهو بمثل رواية الترمذي في الشمائل المذكورة هنا ، وهما من رواية الربيع بن صبيح السعدي عن يزيد بن أبان عن أنس .

(*) المقصود هو كتاب الشمائل المحمدية (مجلد واحد) .

وفي صحيح الحاكم (١) عن أنس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لبس خشنا ، وأكل خشنا ، ولبس الصوف ، واحتذى المخصوف (٢) . قيل للحسن (٣) : ما الخشن؟ قال : " غليظ الشعير ، ماكان يسيغه (٤) إلا بجرعة ماء " (٥) .

---

(١) كان الأولى أن يقول الشيخ المؤلف - رحمه الله - (مستدرك الحاكم) . فوصف (الصحيح) لاينطبق تماما عليه .

(٢) أي لبس الحذاء الذي هو فيه كترقيع الثوب . المصباح : ١٢٦ و ١٧٢ .

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد ، مولى الأنصار، وأمه خيرة مولاة أم سلمة ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، ونشأ بوادي القرى . وكان فصيحا ، رأى عليا وطلحة وعائشة ، كان جميلا مهيبا . ثقة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم . مات سنة ١١٠ هـ وله ٨٨ سنة . تهذيب التهذيب ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٦ .

(٤) أي لايسهل مدخله في الحلق . المصباح : ٢٩٥ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب الرقاق ، ٤ : ٣٢٦ . وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " ، قال الذهبي : " لم يصح ، نوح - أي ابن ذكوان - واه ، ويوسف - أي ابن أبي كثير - مجهول " (هكذا) .

فصـــل (١)

(فضل أمة محمد على غيرها في الايمان والعمل آية لنبوته)

ومما يبين به فضل أمته على جميع الأمم ـ وذلك مستلزم لكونه رسولا صادقا كما تقدم ، وهو آية وبرهان على نبوته ، فإن كل ملزوم ، فإنه دليل على لازمه .

أن (٢) الأمم نوعان : نوع لهم كتاب منزل من عند الله ، كاليهود والنصارى . ونوع لاكتاب لهم ، كالهند ، واليونان ، والترك ، وكالعرب قبل مبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومامن أمة إلا ولابد لها من علم وعمل ، بحسبهم ، ويقوم به مايقوم من مصالح دنياهم ـ وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان ، بل لكل حي (٣) ، كما يهدي الحيوان (٤) لجلب ماينفعه بالأكل والشرب ، ودفع مايضره باللباس والكن (٥) ، وقد خلق الله فيه حبا لهذا ،وبغضا لهذا . قال ـ تعالى ـ :﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴿ الذي خلق فسوى ﴿ والذي قدر فهدى ﴾ (٦) وقال موسى (٧) : ﴿ ... ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (٨) وقال في أول ماأنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق،خلق الانسان من علق ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴿ الذي علم بالقلم ﴿ علم الانسان مالم يعلم ﴾ (٩) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم نجعل له عينين ﴿ ولسانا وشفتين ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (١٠) .

---

(١) في ك و ط زيادة (في المعاد) . (٢) في ك و ط زيادة : (أعلم) .
(٣) في ك و ط (حيوان) . (٤) في ك و ط (إلى) .
(٥) الكِنُّ ، هو وقاء كل شيء وستره ، وهو البيت ـ أيضا ـ.لسان العرب ١٣ : ٣٦٠ مادة " كنن " .
(٦) سورة الأعلى : ١ ـ ٣ . (٧) في ك و ط زيادة :(لفرعون) .
(٨) سورة طه : ٥٠.
(٨) بعد هذا زيادة في ك و ط : " وقال الخليل (﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ سورة الشعراء : ٧٨ .
(٩) سورة العلق ١ ـ ٥ (١٠) سورة البلد ٨ ـ ١٠
(١٠) النجدان ، هي : الخير والشر . صفوة التفاسير ٣٠ : ٥٦٢ .

ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق - تعالى - وفي الاقرار بالمعاد (١) بعد الموت : اما للأرواح فقط ، واما للأبدان فقط ، واما لمجموعهما ، كما هو قول سلف الأمة (٢) : المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة ، ومتفاضلون فيما يحمدونه (٣) ويستحسنونه من الأفعال والصفات ، ومايذمونه ويستقبحونه من ذلك .

لكن عامة بني آدم على أن العدل خير من الظلم ، والصدق خير من الكذب ، والعلم خير من الجهل ، فإن المحسن الى الناس خير من الذي لايحسن اليهم .

وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان ، وإن الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء ، فيقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب ، وإن كان على وجه قاصر ، كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم ، وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال :

أحدها : وهو مذهب سلف المسلمين ، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم ، من أهل السنة والحديث ، من الفقهاء والصوفية والنظار : وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان (٤) جميعا ، وأن الانسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة ، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى ، ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين ، القيامة الصغرى بالموت ، والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم ، كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة ، حيث قال في أولها :

---

(١) في ك و ط (بمعاد) .

(٢) سقطت (الأمة) من ك و ط .

(٣) في ك و ط (يجدونه) .

(٤) في ك و ط (الروح والبدن) .

* اذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * اذا رجت
(١) (٢)
الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا * وكنتم أزواجا
ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة *
(٣)
والسابقون السابقون أولئك المقربون * ثم ذكر-سبحانه-حال الأصناف الثلاثة
(٤)
في القيامة الكبرى ،وقال في آخر السورة : * فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم
حينئذ تنظرون * ونحن أقرب اليه منكم ، ولكن لاتبصرون * فلولا إن كنتم غير
(٥) (٦)
مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح
وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب
(٧) (٨)
اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية
(٩) (١٠)
جحيم *• وكذلك في سورة القيامة : * لاأقسم بيوم القيامة ولاأقسم بالنفس
(١١) (١٢)
اللوامة ، أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه *

---

(١) أي فتت تفتيا حتى صارت كالدقيق المبسوس- وهو المبلول . صفوة التفاسير ٢٧ : ٣٠٥ - ٣٠٦ م ٣ .

(٢) أي غبارا متطايرا في الهواء ، كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل النافذة ، والمنبث : المتفرق . المصدر والموضع السابق .

(٣) سورة الواقعة : ١ - ٩ .

(٣) في ك و ط زيادة آية : (في جنات النعيم) .

(٤) هو الحلق ، بعد الفم ، وهو موضع النَّفَس ومجرى الطعام والشراب . المصباح ١٤٦ .

(٥) أي محاسبين ومجزيين . صفوة ، ٢٧ : ٣١٥ م ٣ .

(٦) روح : استراحة . المصدر السابق ٢٧ : ٣١٦ م ٣ .

(٧) النزل : أول شيء يقدم للضيف . المصدر الموضع السابق .

(٨) الحميم : السائل الحار الذي يصهر البطون لشدة حرارته . المصدر والموضع السابق .

(٩) سورة الواقعة كاملة ماعدا الآيتين : ٩٥ - ٩٦ الأخيرتين .

(٩) في ك و ط زيادة الآيتين الاخيرتين (إن هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم) .

(١٠) في ك و ط زيادة : (قال) .

(١١) النفس اللوامة : هي النفس المؤمنة التقية ، التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل الموبقات . المصدر السابق ٢٩ : ٤٨٤ .

(١٢) هو أطراف الأصابع . المصدر والموضع السابق .

بل يريد الانسان ليفجر أمامه (١) يسأل أيان يوم القيامة * فإذا برق البصر* (٢) وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الانسان يومئذ أين المفر * كلا لاوزر (٣) * الى ربك يومئذ المستقر * ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر * فذكر القيامة الكبرى ، ثم قال - في آخر السورة - : * كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق (٤) * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * والى ربك يومئذ المساق (٥) * ولبسط هذا (٦) موضع آخر ، فإن ذِكْرَ (٧) ماينال الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية .

وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة ، فكثير جدا ، لأن محمدا (٨) - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء ، وقد بعث بين يدى الساعة ، فلذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره ، كما ذكر المسيح - في صفته - فقال : " إنه يخبركم بكل مايأتى ، ويعرفكم جميع ماللرب " (٩) .

---

(١) أي يستمر على الفجور ، ويقدم على الشهوات والآثام . المصدر والموضع السابق .

(٢) أي زاغ البصر وتحير ، وانبهر من شدة الأهوال والمخاطر . المصدر السابق ٢٩ : ٤٨٥ م ٣ .

(٣) أي لاملجاء له ولامغيث من عذاب الله . المصدر والموضع السابق .

(٤) التراقي : أعالي الصدر . من راق : من يُطِب ويشفى هذا المريض . المصدر السابق ٢٩ - ٤٨٧ .

(٥) سورة القيامة ١ - ٣٠ .

(٦) في ك و ط (وبسط هذا له) .

(٧) في ك و ط (تناله) .

(٨) في أ سقطت الالف من (محمدا) وقد صححناه من ك و ط .

(٩) انظر الاصحاح السادس عشر : ١٣ - ١٥ ، من انجيل يوحنا ، العهد الجديد : ١٤٥ .

والقول الثاني : قول من يثبت معاد الأبدان فقط ، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية ، والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة . وبعض المصنفين يحكى هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين ، أو جمهور المسلمين ، وذلك غلط ، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا هو (١) قول جمهور نظارهم ، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة ، الذين ذمهم السلف والأئمة .

والقول الثالث : المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط ، وأن الأبدان لاتعاد . وهذا لم يقله أحد من أهل الملل ، لا المسلمين ، ولااليهود ، ولاالنصارى . بل هؤلاء كلهم متفقون على اعادة الأبدان ، وعلى القيامة الكبرى .

ولكن من تفلسف من هؤلاء ، فوافق سلفَه من الصابئة والفلاسفة المشركين ، على أن المعاد للروح وحده ، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان ، وإن لم يكن له حقيقة ، وخاطبوهم باثبات الصفات لله وليس له (٢) حقيقة ، وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق ، وأنه لايستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله ، ولامعرفة شيء من أمر المعاد .

وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة ، وهؤلاء (٣) ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء ، من المسلمين ، واليهود ، والنصارى . وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل ، لظهور أديانهم ، وهو في الباطن على هذا الرأي . وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط ، منهم من يقول : بأن الأرواح تتناسخ ، اما في أبدان الآدميين ، أو أبدان الحيوان مطلقا ، أو في موضع (٥) الأجسام النامية . ومنهم من يقول بالتناسخ (٤) للأنفس الشقية فقط، وكثير من محققيهم ينكر التناسخ .

---

(١) في ك و ط زيادة : (من) .
(٢) في ك و ط (لها) .
(٣) في ط (هولاء) .
(٤) في ك و ط (جميع) .
(٥) في ك و ط (في) بدلا من اللام .

والقول الرابع : انكار المعادين جميعا ، كما هو قول أهل الكفر من العرب ، واليونان ، والهند ، والترك وغيرهم ، والمتفلسفة أتباع (أرسطو) كالفارابي وأتباعه ، لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال : قيل : بالمعاد للنفس (١) العالمة والجاهلة . * وقيل : بالمعاد للعالمة دون الجاهلة (٢) *وقيل: بانكار الاثنين ، والفارابي ـ نفسه ـ قد قال الأقوال الثلاثة. وبسط الكلام على هذه الأمور له موضع آخر (*) ، إذ المقصود هنا أن كل ماعند أهل الكتاب ، بل وسائر أهل الأرض من علم نافع وعمل صالح ، فهو عند المسلمين .

وعند المسلمين ماليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة . وعقلاء جميع الأمم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، وتنهى عن الظلم والفواحش ، ولهم علوم الهية ، وعبادات بحسبهم ، ويعظمون أهل العلم والدين منهم . والهند واليونان والفرس (٣) في ذلك أكمل من كفار الترك ،والبربر ونحوهم ، مع أن هؤلاء ـ أيضا ـ فيهم (٤) قسط من ذلك (٥) .

---

(١) في ك و ط (للأنفس) بالجمع .

(٢) مابين النجمتين سقط من ك و ط وقد وضعت ط للجملة السابقة رقم ١ و ٢ جميعا .

(٣) في ك و ط تقدمت (الفرس) على (اليونان) .

(٤) في ك و ط تقدمت (فيهم) على (قسط) .

(٥) في ك و ط زيادة " بحسبهم " .

(*) أنظر مجموع الفتاوي ٤ : ٢٦٢ وما بعدها .

ومعلوم عند الاعتبار أن الأمم الذين لهم كتاب ، كاليهود والنصارى ، أكمل من الأمم الذين لا كتاب لهم ، في الفضائل العلمية والعملية ، فإن مالم يأخذه الناس عن الأنبياء يعلم بالعقل والاعتبار (١) ، أو (٢) بالمنام والالهام (٣) ، وأخبار الجن ونحو ذلك من طرق الأمم (٤) .

وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والالهامية وغيرها ، شارك (٥) أهل الكتاب فيه مَنْ لاكتاب له . ويمتار أهل الكتاب بعلوم وأعمال أخذوها عن الأنبياء ، ليس في قوة من ليس بنبي أن يعلمها ، وهذا ظاهر في الأخلاق والسياسات المنزلية والمدنية (٦) . فإن جنس أهل الكتاب ولو كان منسوخا مبدلا ، أحسن (٧) حالا ممن لاكتاب له .

---

(١) الاعتبار ،هو التدبر والنظر والمقايسة . أنظر لسان العرب ٤ : ٥٣٠ مادة : عبر .

(٢) في ك و ط بالعطف بدلا من (أو) .

(٣) الالهام : مايلقى في الروع – النفس – فيبعث على الفعل أو الترك . وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده . المصدر السابق ، ١٢ : ٥٥٥ مادة " لهم " .

(٤) في ك و ط (العلم) .

(٥) في ك و ط (يشارك) .

(٦) في ك (المكية) وفي ط (الملكية) .

(٧) في ك و ط زيادة : (هم) .

وأما في العبادات والإيمان بالله واليوم الآخر (١) ،فرجحانهم فيه ظاهر .

وأما علوم وأعمال يكون ضررها راجحا ، كالسحر والطلسمات (٢) ومايتوسل به من الشرك إلى استخدام الشياطين ونحو ذلك ، فهذا وإن كان غير أهل الكتاب أَقْوَمُ به (٣) ، فإنما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة .

ولهذا لما ذكر الله ــ سبحانه (٤) ــ في قصة سليمان براءته عن ذلك ، وكانت الشياطين قد (٥) كتبت كُتُبَ كفر وسحر ، ودفنتها تحت كرسى سليّمان ، فلما مات أظهروا ذلك ، وقالوا : إنما كان يسخر الجن بهذه الأسماء والعزائم ، فصدقهم فريقان . فريق قدحوا في سليمان بل كفروه ، من أهل الكتاب ، وقال (٦) : من فعل ذلك فهو كافر . وفريق قالوا : نحن نقتدي بسليمان، ونفعل كما كان يفعل ، وهم أهل العزائم والطلاسم التي يستخدمون بها الجن ،

---

(١) في ك و ط (أما) .

(٢) من (طلسم الساحر) أي كتب الطلاسم ، و(الطِلَسْم) و (الطِلَّسم) هو فيما يزعمون ــ تسلط القوى السماوية الفعالة على القوى الأرضية المنفعلة ، بواسطة خطوط وأوفاق معينة ، وقد اشتغل المصريون القدماء والبابليون والكلدانيون والسريانيون بعلم الطلاسم ، وكان له عندهم المؤلفات الكثيرة ، ولكن لم يترجم منها الا القليل ، وقد اشتغل به في المشرق جابر بن حيان ــ كبير السحرة ــ وبعده مسلمة بن أحمد المجريطي في الأندلس . انظر دائرة معارف وجدي ٥ : ٧٧٠ .

(٣) من قام بالأمر : إذا تكفل به واعتنى بشأنه . انظر المصدر السابق ١٢:٥٠٣ مادة " قوم " .

(٤) في ك و ط وردت كلمة التقديس (تعالى) .

(٥) سقطت (قد) من ك و ط .

(٦) في ك و ط (وقالوا) .

ويقولون : إن سليمان كان يستخدمهم بها ، حتى يقولوا : إن هذه الأسماء كانت مكتوبة على تاجه ، وهذا صورة خاتمه ، وهذا كلام (آصف بن برخيا)(١) إلى أمثال ذلك مما يضيفونه اليه ، وهو كذب على سليمان(٢) .

وقد ذكر ذلك علماء المسلمين في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله ، مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لايعلمون ﴾ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وماكفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هارون وماروت(٣) ، ومايعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة ، فلا تكفر ، فيتعلمون منهما مايفرقون به وبين المرء وزوجه ، وماهم بضارين به من أحد - الا باذن الله - ويتعلمون

---

(١) هو ابن خالة النبي سليمان - عليه السلام - ، وهو الذي أحضر عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى بيت المقدس ، في طرفة عين ، وهو من الصِّديقين ، وكان لايُرد عن أبواب سليمان ، أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل - حاضرا كان سليمان أو غائبا - وقيل : هو رجل من مؤمني الجان كان - فيما يقال - يحفظ الاسم الأعظم ، وقيل : هو رجل من بني اسرائيل من علمائهم . انظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٤٩٧ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١ : ١٩٣ - ١٩٦ .

(٣) هما من الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن . في قول جماعة كثيرة من السلف ، وقد ورد في قصة هاروت وماروت ، وماكان من أمرهما آثار كثيرة غالبها اسرائيليات ، ومن الناس من قرأ (الملِكين) بكسر اللام - ويجعلهما - عِلجين من أهل فارس ، قاله الضحاك . ومنهم من يقول : بأنهما ملكان من السماء ، ولكن سبق في قدر الله لهما ماذكره من أمرهما - إن صح به الخبر ، ويكون حكمهما كحكم ابليس - ان قيل انه من الملائكة - خلافا للراجح ، وقد روى ابن مندة أن مجاهدا - المفسر - لايسمع باعجوبة الا ذهب اليها ، وأنه ذهب إلى حضرموت فرأى بئر هوت ، وذهب إلى بابل فرآها - أيضا - انظر البداية والنهاية ١ : ٤٨ - ٤٩ و ٩ : ٢٢٦ .

مايضرهم ، ولاينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق،(١) ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير ، لو كانوا يعلمون ﴾(٢) فذم ـ سبحانه ـ من عدل عن اتباع كتاب الله ورسله ، واتبع ماتتلوه الشياطين على عهد سليمان ، وبين ـ سبحانه ـ أن سليمان لم يكفر ، ولكن الشياطين كفروا ، وانهم يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل ، وأن الملكين: هاروت وماروت ،(٣) مايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وأخبر ـ سبحانه ـ أنهم لايضرون به أحدا ـ الا باذن الله ـ وأنهم يتعلمون مايضرهم ولاينفعهم ، ثم قال : ﴿ ... ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ... ﴾:أي من(٤) نصيب ، أي هؤلاء يعلمون أن صاحبه لانصيب له في الآخرة ، وإنما يطلبون أنهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما لهم في ذلك من الهوى ،(٥) وذلك ضار لهم لانافع ، كما قال في المشرك(٦) : ﴿ يدعو لَمَن ضره أقرب من نفعه ... ﴾(٧) قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله ، خير لو كانوا يعلمون ﴾(٨) فبين ـ سبحانه ـ

---

(١) خلاق : أي نصيب ، أوجهة عند الله ، أو دين . انظر تفسير القرآن العظيم ١ : ٢٠٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٣) في ك و ط تقدم ذكر (هاروت وماروت) على كلمة (وان الملكين) .

(٤) سقطت (من) من ك و ط .

(٥) الهوى : محبة الانسان الشيء ، وغلبته على قلبه . لسان العرب ١٥ : ٢٧٢ مادة : هوا .

(٦) في أ لم تتضح الميم فصارت كانها (الشرك) .

(٧) سورة الحج : ١٣ .

(٨) سورة البقرة : ١٠٢ .

أنه (١) بالايمان والتقوى ، يحصل من ثواب الله ماهو خير لهم من هذا ،فانهم انما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم ،وهذا خير لهم ، وهذا كقوله : ﴿ ... إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا (٢) إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ... ﴾ (٣) فإن ماتطلبه النفوس فيه لها لذة ، يجعل (٤) خيرا بذلك الاعتبار ، لكن إذا كان الألم زائدا على اللذة ، كان شره أعظم من خيره .

والشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فهي تأمر بما تترجح (٥) مصلحته ، وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد ، وتنهى عما ترجحت مفسدته ، وإن كان فيه مصلحة مرجوحة ، كتناول المحرمات من الخمر وغيره . ولهذا أمر -تعالى- أن نأخذ بأحسن ما أنزل الينا من ربنا . فالأحسن ، اما واجب ، واما مستحب ، قال - تعالى - : ﴿ ... فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ... ﴾ (٦) وقال : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ... ﴾ (٧) فأمر باتباع الأحسن والأخذ به . وقال - تعالى - : ﴿ فبشر عباد ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله .. ﴾ (٨) فاقتضى أن غيرهم لم يهده ، وهذا يقتضى وجوب الأخذ بالأحسن ، وهو مشكل ،

---

(١) في آ تقدمت (انه) قبل (سبحانه) والأصوب تأخيرها كما في ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٢) أي امضوا الى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة ، والسعى هنا بمعنى المشى لابمعنى الجري ،وفسره الحسن : بالسعي بالقلوب والنية والخشوع . صفوة التفاسير ٢٨ : ٣٨١ .

(٣) سورة الجمعة : ٩ .

(٤) في ك و ط (فجعل) .

(٥) في ك و ط (ترجح) .

(٦) سورة الأعراف : ١٤٥ .

(٧) سورة الزمر : ٥٥ .

(٨) سورة الزمر : ١٧ - ١٨ .

وقد تكلم الناس فيه ، ونظيره قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ... ﴾ (١) وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ... ﴾ (٢) مع قوله ـ تعالى ـ في موضع آخر : ﴿ ... ويدرؤن بالحسنة السيئة ... ﴾ (٣) وقال ـ تعالى ـ ﴿ ... وجادلهم بالتي هي أحسن ... ﴾ (٤) وقال : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ... ﴾ (٥) وقال ـ تعالى (٦) ـ : ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن ... ﴾ (٧) في موضعين .

---

(١) سورة الاسراء : ٥٣ .

(١) أي يفسد ويهيج بين الناس الشر ، ويشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يفلت بها اللسان . صفوة ١٥ : ١٦٤ .

(٢) سورة المؤمنون : ٩٦.

(٣) سورة الرعد : ٢٢. وسورة القصص : ٥٤ .

(٤) سورة النحل : ١٢٥ .

(٥) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٦) لم ترد كلمة التقديس في ك و لا ط .

(٧) سورة الأنعام : ١٥٢ وسورة الاسراء : ٣٤ .

وقد يقال هذا نظير قوله – تعالى – ﴿ ... فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ... ﴾(١) وقوله – تعالى – : ﴿ ... الله خير أما يشركون ﴾(٢) وقوله – تعالى – : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ﴿ إذ نسويكم برب العالمين ﴾(٣) وقوله : ﴿ ... والله خير وأبقى ﴾(٤) وقوله : ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾(٥) وقوله : ﴿ ... فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾(٦) وقوله : ﴿ ... أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴾(٧) وقوله – تعالى – : ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله ، وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا(٨) ، واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾(٨) وقوله – تعالى – : ﴿ ... اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾(٩) وقوله : ﴿ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيا ﴾(١٠) ونظائر هذا كثيرة ، مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه، وان كان الأول واجبا ، والثاني محرما .

---

(١) سورة الجمعة : ٠٩

(٢) سروة النحل : ٥٩ .

(٣) سورة الشعرء : ٩٧ – ٩٨ .

(٤) سورة طه : ٧٣ .

(٥) سورة الأعلى : ١٧ .

(٦) سورة النساء : ٥٩.

(٦) تأويلا : عاقبة ومآلا . صفوة ٥ : ٢٨٤ .

(٧) سورة مريم : ٧٣ .

(٧) نديا : مسكنا وعيشا ومنتدى ومجلسا . صفوة ١٦ : ٢٢٥ .

(٨) سورة النساء : ١٢٥ .

(٨) الحنيف : هو المائل عن الاديان كلها ، المستقيم على الاسلام . البحرالمحيط ١ : ٤٠٦ .

(٩) سورة المائدة : ٨.

(١٠) سورة النساء : ٦٦ .

وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على (١) * مفسدة مرجوحة ، والمنهي عنه يشتمل على * مصلحة مرجوحة ، فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن . وفي هذا شر وسيء ، لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبا (٢) . فقوله - تعالى - : * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ... (٣) * هو أمر بالأحسن من فعل المأمور أو ترك المحظور ، وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحب ، فإن كلاهما (٤) أحسن من المحرم والمكروه . لكن يكون الأمر أمر ايجاب ، وأمر استحباب ، كما أَمَرَ بالاحسان في قوله - تعالى - : * ... وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (٥) * والاحسان منه واجب ، ومنه مستحب .

---

(١) ما بين النجمتين سقط من ط .

(٢) جاءت هذه العبارة في ط هكذا (لكن لما كان هذا خيرا وأحسن كان واجبا) .

(٣) سورة الزمر : ٥٥ .

(٤) في ط (كليهما) .

(٥) سورة البقرة : ١٩٥ .

فصـــل (١)

(توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والنبوات، والحرام والحلال وغير ذلك).

وإذا كان جنس أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة، ممن لا كتاب له، فمعلوم أن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم (٢) - أكمل من طائفتي أهل الكتاب: اليهود والنصارى، وأعدل، وقد جُمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الانجيل. فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية وعملية الا وأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أكمل منهم فيها.

فأما العلوم، فهم أحذق في جميع العلوم، من جميع الأمم، حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية، كعلم الطب - مثلا - والحساب، ونحو ذلك، هم أحذق فيها من الأمتين، ومصنفاتهم فيها أكمل من مصنفات الأمتين، بل أحسن علما وبيانا لها من الأولين (٣) الذين كانت هي غاية علمهم. وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوز (٤) بنفاق والحاد، ولا قدر له عندهم، لكن حصل (٥) له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان (٦) ما أعانه على الحذق في تلك العلوم، فصار حثالة (٧) المسلمين أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من أولئك المتقدمين.

---

(١) في ك و ط زيادة: (في وجوب العدل، ومقصود العبادات وصفاتها).

(٢) في ك و ط (أمته). فلم يذكر الاسم الشريف ولا الجملة الدعائية.

(٣) في ك و ط (الأوائل).

(٤) في ط (منبوذ) والمعنى: مُلَقَّب بنفاق والحاد، فيقال: فلان المنافق والملحد. اللسان ٥: ٤١٣ مادة: نبز.

(٥) في ك و ط (يحصل).

(٦) في أ (أما) ويظهر أن الألف قبل الميم زيادة من الناسخ ولهذا اصححناه من ك و ط.

(٧) الحثالة: الرديء من كل شيء، وحثالة الناس: رُذالتهم. اللسان ١١: ١٤٢ مادة "حثل".

وأما العلوم الالهية والمعارف الربانية وما أخبرت به الأنبياء من الغيب ، كالعرش والملائكة ، والجن ، والجنة ، والنار ، وتفاصيل المعاد ، فكل (١) من نظر في كلام المسلمين فيها ، وكلام علماء اليهود والنصارى ، وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتم . ومعلوم أن علم أهل الكتاب والملل بذلك أتم من علم غيرهم وأما العبادة ، والزهد ، والأخلاق ، والسياسة المنزلية (٢) والمدنية فالكلام فيها مبني على أصل ، وهو معرفة المقصود بها ، وما به (٣) يحصل المقصود .

فنقول : للناس في مقصود العبادات مذاهب :

منهم من يقول : المقصود بها تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها ، لتستعد (٤) بذلك للعلم ، وليست هي مقصودة في نفسها ، ويجعلونها من قسم الأخلاق ، وهذا قول متفلسفة اليونان ، وقول من اتبعهم من الملاحدة والاسماعيلية (٥) وغيرهم ، من المتفلسفة الاسلاميين ، كالفارابي وابن سينا وغيرهما ، ومن سلك طريقهم (٦) من متكلم ، ومتصوف ، ومتفقه . كما يوجد مثل ذلك في كتب أبي حامد ، والسهروردي المقتول ، وابن رشد الحفيد ، وابن عربي ، وابن سبعين . لكن أبو حامد يختلف كلامه ، تارة يوافقهم ، وتارة يخالفهم .

---

(١) في أ (وكل) وما أثبتناه من ك و ط أجود .

(٢) في ك (المكية) وفي ط (الملكية) .

(٣) سقطت (به) من ط .

(٤) في ك و ط (ليستعد) .

(٥) هم الذين يعتقدون الامامة إلى جعفر بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، سابع الأئمة ، وزعموا أن الامامة بعده إلى ابنه اسماعيل ، وهم فرقتان. الأولى : فرقة منتظرة لاسماعيل المذكور ، مع اتفاق المؤرخين على موت اسماعيل في حياة أبيه . الثانية : فرقة جعلوا الامامة إلى جعفر ثم جعلوها بعده في ابنه موسى ، وزعموا أنه حي لم يمت ، وأنه هو المهدي المنتظر وتسمى " الموسوية " و " الممطورة " . انظر الفرق بين الفرق : ٦٢ - ٦٤ . والملل والنحل ١ : ١٩١ - ١٩٢ .

(٦) في ك و ط (طريقتهم) بزيادة تاء بعد القاف .

وهذا القدر ، فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام (١) الجمع بين ماجاءت به الأنبياء وبين فلسفة المشائين ـ أرسطو وأمثاله ـ ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات ، وجعلوا لها ثلاثة أسباب : القوى الفلكية ، والقوى النفسانية ، والطبيعية ، إذ (٢) كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم. وجعلوا ماللأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات ، وماللسحرة من العجائب ، هو من قوى النفس. لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير ، وهذا قصده الشر. وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء ، كما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر (٣). فإنه مبنى على انكار الملائكة وانكار الجن ، وعلى أن الله لايعلم الجزئيات ، ولايخلق بمشيئته وقدرته ، ولايقدر على تغيير العالم.

ثم أن هؤلاء لايقرون من المعجزات الا بما جرى على هذا الأصل ، وأمكن أن يقال فيه هذا ، مثل نزول المطر ، وتسخير السباع ، وإمراض الغير وقتله ،ونحو ذلك. وأما (٤) قلب العصا حية ، واحياء الموتى ، واخراج الناقة من الهضبة ، وانشقاق القمر وأمثال ذلك ، فلا يقرون به. وقد علم بطرق متعددة مايكون من الخوارق (٥) ، بسبب أفعال الجن ، وبسبب أفعال الملائكة.

---

(١) من رام الشيء : إذا طلبه وبابه قال. مختار الصحاح : ٢٦٤

(٢) في أ (اذا) والأصوب ماأثبتناه من ك و ط.

(٣) في ك و ط " في غير هذا الموضع ".

(٣) انظر في هذه الرسالة ، ص: ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٤) في ك و ط ،(فأما).

(٥) هي خوارق العادات ، من خرق الثوب ، إذا شقه ، وخرق الأرض جابها. انظر مختار الصحاح : ١٧٣.

وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم ، مسلمهم وكافرهم ، لايجحد ذلك الا من هو من أجهل الناس ، وكذلك من فسرها بقوى النفس ، وهذا غير اخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب .

وأما الملائكة فأمرهم أجلّ (١) ، وهم رسل الله في تدبير العالم كما قال – تعالى – : ﴿فالمدبرات أمرا﴾ (٢) وقال (٣) : ﴿فالمقسمات أمرا﴾ (٤) وقد ذكر الله – تعالى – (٥) في كتبه من أخبارهم وأصنافهم مايطول وصفه ، وآثارهم موجودة في العالم ، يعرف ذلك بالاعتبار ، كما قد بسط في موضعه (٦) .

إذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس ، في العبادات . وهؤلاء غاية ماعندهم في العبادات ، والأخلاق ، والحكمة العملية ، أنهم رأوا النفس ، فيها شهوة وغضب ، من حيث القوة العملية ، ولها نظر من جهة القوة العلمية . فقالوا : كمال الشهوة في العفة ، وكمال الغضب في الحلم والشجاعة ، وكمال القوة النظرية في العلم . والتوسط في جميع ذلك بين الافراط والتفريط هو العدل .

---

(١) أي اعظم . المصباح : ١٠٠ .
(٢) سورة النازعات : ٥ .
(٣) هكذا في ك و ط (قال) وليست في أ ، وقد أثبتناها فاصلا بين الايتين حيث انهما من سورتين .
(٤) سورة الذاريات : ٤ .
(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ .
(٦) انظر هذه الرسالة ص : ١٠٩– ١١٠ . وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٧ : ٣٣٢ – ٣٤٠ وذلك ضمن حديث الشيخ – رحمه الله – في تفسير سورة الاخلاص ، فقد توسع في تفسيرها ، وتفسير المعوذتين واستغرق ذلك مجلدا كاملا من مجموع الفتاوى ، وهو الجزء الرابع من كتاب التفسير .

وماذكروه من العمل متعلق بالندب،لم يثبتوا خاصية النفس التي هي (١) محبة الله وتوحيده ،بل ولاعرفوا (٢) ذلك ، كما لم يكن عندهم من العلم بالله الا قليل ، مع كثير (٣) من الباطل ، كما (٤) بسط الكلام عنهم في موضعه (٥) .

ومحبة الله وتوحيده ، هو الغاية التي فيها صلاح للنفس ، وهو عبادة الله وحده لاشريك له . فلا صلاح للنفس ، ولاكمال لها الا في ذلك ، وبدون ذلك تكون فاسدة ، لاصلاح لها ، كما قد بسط الكلام على ذلك في موضع آخر . ولهذا كان هذا (٦) هو دين الاسلام الذي اتفقت عليه الرسل ، (٧) ،قال الله – تعالى – : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ... ﴾ (٨) ، وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون ﴾ (٩) . وقال : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ... ﴾ (١٠)

---

(١) في ك و ط (الذي هو) .

(٢) في ك و ط زيادة : (كمال) .

(٣) في ك و ط (مشتمل على) .

(٤) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٥) في ك و ط (عليهم في موضع آخر) . وانظر درء تعارض العقل والنقل ٣ : ٢٧٣ وما بعدها .

(٦) سقطت (هذا) من ك و ط .

(٧) في ك و ط زيادة : (وهو جماع دعوة المرسلين) .

(٨) سورة النحل : ٣٦.

(٨) الطاغوت : كل معبود من دون الرب كالشيطان والكاهن والصنم ، وكل من دعا الى الضلال . صفوة ١٤ : ١٢٦ .

(٩) سورة الأنبياء : ٢٥ .

(١٠) سورة آل عمران : ٨٥ .

وقال - تعالى - : ﴿ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون ﴾ (١) وقال - تعالى - ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا (٢) كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٣) وقال - لما ذكر قصص الأنبياء - : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون * وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون ﴾ (٤) وقال - تعالى - : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين (٥) ولاتتفرقوا فيه.. ﴾ وقال - تعالى - : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها (٦) ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون * منيبين اليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٧) وقد قال - تعالى - : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (٨) ، فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بنى آدم وسعادتهم ونجاتهم ، عبادة الله وحده ،

---

(١) سورة الزخرف : ٤٥ .

(٢) زبرا : أي فرقا عديدة ، وأديانا مختلفة ، هذا مجوسي وهذا يهودي وهذا نصراني بعدما أمروا بالاجتماع . صفوة ١٨ : ٣١٢ .

(٢) زبرا : جمع زبور : أي كتبا مختلفة ، يعني جعلوا دينهم أديانا ، وزبرا : قطعا ، استعيرت من زُبَر الفضة والحديد ... أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، فَرِحٌ بباطله ، مطمئن النفس معتقد أنه على الحق . الكشاف ٣ : ٣٤ .

(٣) سورة المؤمنون : ٥١ - ٥٣ .

(٤) سورة الأنبياء : ٩٢ - ٩٣ .

(٥) سورة الشورى : ١٣ .

(٥) أقيموا الدين ؛ أي اجعلوه قائما محفوظا من غير خلاف فيه ولا اضطراب. صفوة ٢٥ : ١٣٥ .

(٦) اي خلقة الله التي خلق الناس عليها ، وهو فطرة التوحيد. المصدر السابق ٢١ : ٤٧٨ .

(٧) سورة الروم : ٣٠ - ٣٢ . (٨) سورة الذاريات : ٥٦ .

وقال - تعالى - : ﴿ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون ﴾ (١) وقال - تعالى - ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا (٢) كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٣) وقال - لما ذكر قصص الأنبياء - : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون * وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون ﴾ (٤) وقال - تعالى - : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه .. ﴾ (٥) وقال - تعالى - : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها (٦) ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون * منيبين اليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٧) وقد قال - تعالى - : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (٨) ، فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم ، عبادة الله وحده ،

---

(١) سورة الزخرف : ٤٥ .

(٢) زبرا : أي فرقا عديدة ، وأديانا مختلفة ، هذا مجوسي وهذا يهودي وهذا نصراني بعدما أمروا بالاجتماع . صفوة ١٨ : ٣١٢ .

(٢) زبرا : جمع زبور : أي كتبا مختلفة ، يعني جعلوا دينهم أديانا ، وزبرا : قطعا ، استعيرت من زُبَر الفضة والحديد ... أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، فَرِحٌ بباطله ، مطمئن النفس معتقد أنه على الحق . الكشاف ٣ : ٣٤ .

(٣) سورة المؤمنون : ٥١ - ٥٣ .

(٤) سورة الأنبياء : ٩٢ - ٩٣ .

(٥) سورة الشورى : ١٣ .

(٥) أقيموا الدين : أي اجعلوه قائما محفوظا من غير خلاف فيه ولا اضطراب . صفوة ٢٥ : ١٣٥ .

(٦) اي خلقة الله التي خلق الناس عليها ، وهو فطرة التوحيد . المصدر السابق ٢١ : ٤٧٨ .

(٧) سورة الروم : ٣٠ - ٣٢ . (٨) سورة الذاريات : ٥٦ .

وهى حقيقة قول القائل (لااله الا الله) ولهذا (١) بعث الله جميع الرسل ، وأنزل جميع الكتب ، ولاتصلح النفس (٢) وتزكو وتكمل الا بهذا ، كما قال ـ تعالى ـ ﴿ ... وويل للمشركين ﴿ الذين لايؤتون الزكاة ... ﴾ (٣) أي لايؤتون ماتزكو به نفوسهم من التوحيد والايمان (٤) .

وكل من لم يحصل له هذا الاخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال تعالى : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .. ﴾ (٥) في موضعين من كتابه ، وهذا أول الكلمات العشر التي أنزلها الله على موسى حيث قال : " أنا الله (٦) ﴿ لا اله الا أنا الٰهك الذي أخرجتك من أرض مصر ، من التعبد ، لايكون لك اله غيري ، لاتتخذ صورا ولاتمثالا ، مافي السمٰوات من فوق ، ومن في الأرض من أسفل ، ومافي الماء من تحت الأرض ، لاتسجد لهن ولاتعبدهن ، إني أنا ربك العزيز " (٧) .

---

(١) في ك و ط (وبهذا) بالباء في أوله .

(٢) في ك و ط (فلا تصلح جميع النفوس) .

(٣) سورة فصلت : ٦ .

(٤) انظر تفسير الكشاف ٣ : ٤٤٣ .

(٥) سورة النساء : ٤٨ و ١١٦ .

(٥) في ط زيادة : (وهذا) .

(٦) من هذه النجمة بياض بنسخة أ بقدر ماوجدنا في ك و ط . والذي أكملناه منهما .

(٧) نص الترجمة الحالية مايلي :" وراء الرب الهكم تسيرون ، واياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، واياه تعبدون ، وبه تلتصقون ، وذلك النبي أو الحاكم ذلك الحلم يُقْتل ، لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب الهكم ، الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب الهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشر من بينكم " سفر التثنية ، الاصحاح الثالث عشر ٤ ـ ٥ ، العهد القديم : ٢٢٦ .

وقد شهد المسيح-عليه السلام-أن هذا هو أعظم وصية في الناموس[(١)] * فعبادة الله وحده لاشريك له ، وأن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كل ماسواه ، هو أعظم وصية وكلمة جاء بها المرسلون ، كموسى ، والمسيح ، ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - وضد هذا هو الشرك الذي لايغفره[(٢)] الله - تعالى - ،قال - تعالى - : * ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا[(٣)] يحبونهم كحب الله ،والذين آمنوا أشد حبا لله ... *[(٤)] وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع[(*)] ، وُبين أن النفس ليس لها نجاة ولاسعادة ولا كمال ، الا بأن يكون الله معبودها ومحبوبها ، الذي لاأحب اليها منه ، ولهذا كثر في الكتب الالهية الأمر بعبادة الله وحده . ولفظ (العبادة) يتضمن كمال الذل بكمال الحب . فلا بد أن يكون العابد محبا للاله المعبود كمال الحب ، ولابد أن يكون ذليلا له كمال الذل . فمن أحب شيئا ولم يَذِل له لم يعبده ، ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده - وكمال الحب والذل[(٥)] لايصلح الا لله وحده ، فهو الاله المستحق للعبادة ، التي لايستحقها الا هو ، وذلك يتضمن كمال الحب والذل ، والاجلال والاكرام ، والتوكل والعبادة .

---

(١) إلى هنا انتهى البياض بالأصل .

(٢) في أ سقطت هاء (يغفره) .

(٣) سورة البقرة : ١٦٥ .

(٤) أي رؤساء وأصناما . صفوة ٢ : ١١١ .

(٥) تقدمت كلمة (الذل) على كلمة (الحب) في ك و ط .

(*) أنظر درء تعارض العقل والنقل ٣ : ٢٦٩ وما بعدها . وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (المؤلف) ١١ : ٤٠١ وما بعدها .

فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها (١) ومنتهى مرادها وبغيتها ، ومن (٢) حيث هو ربها وخالقها . فمن آمن بالله (٣) رب كل شيء وخالقه ، ولم يعبد إلا (*) الله وحده ،بحيث يكون الله أحب اليه من كل ماسواه ، وأخشى عنده من كل ماسواه ، وأعظم عنده من كل ماسواه ، وأرجى عنده من كل ماسواه ، بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب : بحيث يحبه مثل مايحب الله ، ويخشاه مثل مايخشى الله ، ويرجوه مثل مايرجو الله ، ويدعوه مثل مايدعوه ، فهو مشرك الشرك (٤) الذي لايغفره الله . ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه ، وكان حكيما (٥) شجاعا .

فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ، ليس فيها من الأعمال ماتسعد به النفوس ، وتنجو من العذاب ، كما أن ماذكروه من الحكمة النظرية ، ليس فيها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . فليس عندهم من العلم ماتهتدى به النفوس ، ولا من الأخلاق ماهو دين حق ، ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة المذكورين في قوله (٦) ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولاخوف عليهم ، ولاهم يحزنون ﴾ (٧) وهذه الفضائل الأربع (٨) التي ذكرها (٩) المتفلسفة ، لابد (١٠) منها في كمال النفس وصلاحها وتزكيتها .

---

(١) في ك و ط زيادة (الذي هو محبوبها) .

(٢) سقطت العاطفة من أ .

(٣) في ك و ط (فمن أقر بأن الله) .

(٤) في أ (شرك) .

(٥) في ك و ط (حليما) .

(٦) ليس في أ كلمة التقديس .

(٧) سورة البقرة : ٦٩ .

(٨) أي العفة في الطعام والنكاح والحكمة والشجاعة .

(٩) في ك و ط (ذكرتها) .

(١٠) سقطت (بُدَّ) من أ .

(*) سقطت (إلا) من أ و ك و ط ، وقد أثبتناها من إكسفورد .

والمتفلسفة لم يَحُدّوا(١) مايحتاج اليه بحد يبين مقدار ماتحصل به النجاة والسعادة . ولكن الأنبياء بينوا ذلك ، وقد قال - سبحانه - : ﴿ قل إنما حَرّم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن ، والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا(٢) ، وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾(٣) فهذه الأنواع الأربعة هى التي حرمها(٤) تحريما مطلقا ، لم يُبح منها شيئا لأحد من الخلق ، ولا في حال من الأحوال . بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير ، وغير ذلك ، فإنه يحرم في حال ، ويباح في حال . وأما الأربعة فهي محرمة مطلقا .

فالفواحش متعلقة بالشهوة . والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب ، والشرك بالله فساد أصل العدل ، فإن الشرك ظلم عظيم ، والقول على الله بلا علم ، فساد في(٥) العلم، فقد حرم - سبحانه - هذه الأربعة ، وهى فساد الشهوة ، والغضب ، وفساد العدل والعلم .

وقوله ﴿ ... وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ...﴾(٦) يتضمن تحريم أصل الظلم(٧) في حق الله ،وذلك يستلزم ايجاب العدل في حق الله - تعالى -(٨) وهو عبادته وحده ، لاشريك له ، فإن النفس لها القوتان : العلمية والعملية ، وعمل الانسان عمل اختياري ، والعمل الاختياري انما يكون بارادة العبد .

---

(١) حَدُّ كل شيء : نهايته . مختار : ١٢٦ .
(١) في جميع النسخ (يجدوا) والظاهر ان المعنى لايستقيم الا بالحاء كما أثبتنا .
(٢) أي حجة وبرهانا . صفوة ٨ : ٤٤٤ .
(٣) سورة الأعراف : ٣٣.   (٤) في ك زيادة اسم الجلالة المعظم .
(٥) سقطت (في) من ك و ط .
(٦) سورة الأعراف : ٣٣ .
(٧) في أ (العلم) وهو خطأ نسخي ظاهر .
(٨) لم ترد في أ كلمة التقديس .

وكل انسان له ارادة وعمل بارادته ، فإن الانسان حساس ، يتحرك[1] بالارادة ، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أصدق الأسماء الحارث وهمام "[2] . والارادة لابد لها من مراد ، وكل مراد فاما أن يراد لنفسه ، واما أن يراد لغيره - والمراد لغيره لابد أن ينتهي إلى مراد لنفسه .

---

(١) في ك و ط : (متحرك) .

(٢) رواه أبو داود . كتاب الأدب ، باب في تغيير الأسماء ٤ : ٢٨٧ (٤٩٥٠) والامام أحمد في المسند ٤ : ٣٤٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ، انظر فضل الله الصمد ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨ (٨١٤) لفضل الله الجيلاني ، ط ٢ المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٨ هـ قال الحافظ ابن حجر : "وكأنّ المؤلف - رحمه الله - لَمّا لم يكونا - أي هذا الحديث وحديث عند مسلم - على شرطه ، اكتفى بما استنبطه من أحاديث الباب" - أي باب من سمى بأسماء الأنبياء . فتح الباري ١٠ : ٥٧٨ قال الجيلاني في الموضع المذكور آنفا - مامعناه : ورجال هذا الحديث ثقات غير أحمد بن الروتنيسي وعقيل بن شبيب وقد ذكرهما ابن حبان في الثقات ، وهو من رواية عبيدالله ابن عبيد الكلاعي ، وله صحبة في قول الاكثرين . خلافا لمن قال بأنه مرسل .

(٢) الحارث : الكاسب ، وهمام : فعال من هَم يَهم فهو هَام ، وإنما كان همام أصدق الأسماء ، لأن الانسان كاسب وهمام بالطبع ، ولايكاد يخلو من كسب وهم . جامع الأصول ١ : ٣٥٩ .

فالقوة العملية تستلزم أن يكون للانسان مراد ، وذلك المراد لنفسه ، هو (١) علة فاعلة للعلة الفاعلة (٢) ، ولهذا قيل : العامة تقول : " قيمة كل امريء مايحسنه (٣) " والعارفون يقولون : " قيمة كل امريء مايطلب " وفي بعض الكتب المتقدمة : " إني لاأنظر إلى كلام الحكيم ، وانما أنظر إلى هِمّته " .

وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس ، وإنما جعلوا كمالها (٤) العملي في تعديل الشهوة والغضب ، بالعفة والحلم ، وهذا غايته ترك الاسراف في الشهوة والغضب ، والشهوة : هى جلب ماينفع البدن ويبقى النوع ، والغضب دفع مايضر البدن . ولم يتعرضوا لمراد الروح الذي يحبه لذاته (٥) . مع أنهم انما تكلموا (٦) فيما يعود إلى البدن ، وجعلوا ذلك اصلاحا للبدن ، الذي هو آلة للنفس (٧) ، وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم .

---

(١) في ك و ط زيادة : " المحبوب لنفسه ،وهو الاله الذي يستحق أن يكون محبوبا لذاته ، وهذا هو العلة الغائية الذي هو " .

(٢) في ك و ط (فاعلية للعلة الفاعلية) .

(٣) في ك و ط (يحسن) بدون هاء .

(٣) هذا من الحكم المنسوبة للامام علي ، نهج البلاغة ٤ : ١٨ لمحمد بن الحسين بن موسى ، الشريف الرضي – ١٤٠٦ هـ دار الهدى الوطنية ، بيروت .

(٤) في ك و ط (كلامها) .

(٥) في ك و ط (كدأبه) .

(٦) في ك (نظروا) .

(٧) في ك و ط (النفس) .

وقد بسطنا غلطهم في هذا الأصل ، من وجوه ، في غير هذا الموضع (١) ، وبينا أن النفس لها كمال في العمل (٢) والارادة ، كما أن لها كمالا في العلم ، وأن العلم المجرد ليس كمالا لها ولاصلاحا ، ولو كان كمالا ، لم يكن ماعندهم من العلم ماهو (٣) كمال النفس (٤) ، وبينا غلط الجهمية الذين قالوا : " الإيمان هو مجرد العلم (٥) " وأن الصواب قول السلف والأئمة : " إن الايمان قول وعمل (٦) " أصله : قول القلب وعمل القلب ، المتضمن علم (٧) القلب وارادته .

---

(١) انظر كتاب النبوات : ٧٧ - ٩٢ فقد عقد الشيخ المؤلف - رحمه الله - هناك فصلا كاملا حيث ناقش هؤلاء وغيرهم ، وجاء فيه ذكر كثير من أعلامهم ، كالطرسوسي والمازري وابن عقيل وأبو البيان وابن حمدين ورفيق أبي حامد أبو نصر المرغيناني وابن عربي وابن سبعين وغيرهم " .

(٢) في ك و ط (العلم) .

(٣) سقطت (ما) من أ وط وأثبتناها من ك .

(٤) في ك و ط : " للنفس " .

(٥) انظر مقالات الاسلاميين ، وأختلاف المصلين : ١٣٢ لأبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري - ٣٢٤ هـ ، تصحيح هلموت ريتر ، ط ١ دار احياء التراث العربي : بيروت .

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٣٧٣ لمحمد بن على بن أبي العز الحنفي ٧٩٢ هـ ط ٦ ، المكتب الاسلامي بيروت ١٤٠٠ هـ .

(٧) في ك و ط (عمل) .

وإذا كان لابد للنفس من مراد محبوب لذاته لاتصلح الا به ، ولاتكمل الا به ، وذلك هو الهها ، فليس لها اله يكون به صلاحا (١) الا الله ، ولهذا قال الله (٢) — تعالى — ﴿ ... لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ... ﴾ (٣) وليس ذلك للانسان فقط ، بل وللملائكة والجن ، فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون ، لهم علم وعمل اختياري ، ولا صلاح لهم الا بمرادهم المحبوب لذاته ، وهو معبودهم ، ولايجوز أن يكون معبودا محبوبا لنفسه الا الله ، فلو كان في السمٰوات والأرض اله الا الله لفسدتا . فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لاشريك له .

وهؤلاء المتفلسفة لايعرفون ذلك ، فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ماتنجو به من الشقاء ، فضلا عما تسعد به . ومما يبين ذلك أن (أرسطو) معلمهم الأول ، هو وأتباعه ، إنما أثبتوا العلة الأولى بالحركة الفلكية ، فقالوا : " الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية فقوامه بحركته الاختيارية ، وفساده بعدمها ، وقوام حركته بما يتحرك لأجله ، فإن الفاعل بالاختيار إنما قوامه بعلته الغائية ، التي يتحرك لأجلها ، وغايته التي يتحرك لأجلها ، هو العلة الأولى فإنه يتحرك للتشبه بها" (٤).

---

(١) في ك و ط (صلاحها) .

(٢) لم يرد اسم الجلالة المعظم في أ ولا ك .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢.

(٤) انظر الملل والنحل ٢ : ١٢٠ .

فجعلوا قوام العالم كله (١) بالعلة الأولى من حيث هو متشبه بـه ، لأن المتحرك باختياره لابد له من مراد . ومعلوم أن الحركة الارادية تطلب مرادا محبوبا لنفسها (٢) ، وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها مشبها (٣) بـه ، فإن كل متحرك بالارادة لابد له من مراد محبوب لنفسه ، فإن الارادة لابد لها من مراد ، والمراد يكون اما مرادا (٤) لنفسه ، واما (٥) لغيره ، والمراد لغيره انما يراد لذلك الغير ، فلابد أن يكون ذلك الغير مرادا لنفسه ، أو منتهى (٦) إلى مراد لنفسه ، والا لزم التسلسل في العلل الغائية ، وذلك باطل ، كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية ، بصريح العقل واتفاق العقلاء . وبسط هذا له موضع آخر (٧) .

وإذا (٨) كان الفاعل باختيار يستلزم مرادا لنفسه محبوبا ، فلابد أن يكون لما يتحرك في السموات بارادته سواء كان هؤلاء ، الملائكة ، أو مايسمونه — هم — نفسا ، من محبوب مراد لذاته ، يكون هو الاله المعبود المراد بتلك الحركات ، وكذلك نفس الانسان ، حركتها بالارادة (٩) من لوازم ذاتها ، فلابد لها من محبوب مراد لذاته وهو الاله ، وهذا المحبوب المراد لذاته هو الله — تعالى — ويمتنع أن يكون غيره ، كما قد بسط هذا في موضع آخر ، وبُين أنه يمتنع (١٠) أن يكون موجودا بغيره ، بل هو واجب الوجود بنفسه ، فيمتنع أن يكون مرادا لغيره بل مراد لنفسه .

---

(١) في أ (العلم) وقد اخترنا مافي ك و ط .
(٢) في ك و ط (لنفسه) .
(٣) في ك (متشبها) وفي ط (تشبها) .
(٤) في أ (مراد) بغير النصب .
(٥) في ك و ط زيادة : (مرادا) قبل كلمة (لغيره) .
(٦) في ك و ط (ينتهي) .
(٧) سقطت كلمة " آخر " من أ أثبتناها من ك و ط . وانظر درء التعارض ٨:٢١٦–٢٣٨ .
(٨) سقطت الواو من أ وأثبتناها من ك و ط .
(٩) هكذا في ك و ط وفي أ " بالارادية " بزيادة ياء والأظهر مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(١٠) في ك و ط (أنه كما يمتنع) .

وكما (١) يمتنع أن يكون للعالم ربّان قادران ، يمتنع أن يكون للعالم الهان معبودان ، فإن كون أحدهما قادرا ، يناقض كون (٢) الآخر قادرا ، لامتناع (٣) اجتماع القادرين على مقدور واحد ، وامتناع كون أحدهما قادرا على الفعل حين يكون الآخر قادرا عليه ، وامتناع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع (٤) التكافؤ .

كذلك يمتنع أن يكون الهان معبودان محبوبان لذاتهما ، لأن كون أحدهما هو المعبود لذاته ،يناقضه أن يكون غيره معبودا لذاته ، فإن ذلك يستلزم أن يكون بعض المحبة والعمل لهذا ،وبعض ذلك لهذا ، وذلك يناقض كون الحب والعمل كله لهذا ،فإن الشركة نقص في الحب ، فلا (٥) تكون حركة المتحرك بارادته له ، فلايكون أحدهما معبودا معمولا له الا إذا لم يكن الآخر كذلك، فإن العمل لهذا ينافض أن يكون له شريك ، فضلا عن أن يكون لغيره .

وكل من أحب شيئين فانما يحبهما لثالث غيرهما ، والا فيمتنع أن يكون كل منهما محبوبا لذاته ، إذ المحبوب لذاته هو الذي تريده النفس وتطلبه وتطمئن اليه ، بحيث لايبقى لها مراد غيره ، و هذا (٦) يناقض أن يكون له شريك.

---

(١) سقطت (كما) من أ وقد أثبتناها من ك و ط لدواعي السياق .

(٢) في أ (كونه) ولا نرى مبررا لزيادة الهاء .

(٣) في أ (امتناع) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٤) رسمت في النسخ كلها (التكافي) والأصح ما أثبتناه .

(٥) في ك و ط (ولا) .

(٦) في ك و ط (ولهذا) .

والقول الثاني (١) : قول من يقول (٢) : إن الله عوض (٣) الناس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت ، فإن الانعام بالثواب لايحسن بدون التكليف ، لما فيه من الاجلال والتعظيم ، الذي لايستحقه الا مكلف ، كما يقول ذلك القدرية (٤) ، من المسلمين وغيرهم .

وهؤلاء قد يجعلون الواجبات الشرعية لطفا في الواجبات العقلية . وقد يقولون إن الغاية المقصودة التي بها يحصل الثواب هو العمل ، والعلم ذريعة اليه ، حتى يقولوا مثل ذلك في معرفة الله – تعالى – يقولون (٥) : انما وجبت لأنها لطف (٦) في أداء الواجبات العقلية العملية .

---

(١) تقدم القول الأول ص ٥٦٤ .

(٢) في ك و ط زيادة : (في مقصود العبادات) .

(٣) في ك و ط (عرض) .

(٤) في ك و ط زيادة : (كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل الكتاب) .

(٤) هم الذين ينكرون اضافة الخير والشر إلى القدر ، وقد حدثت هذه البدعة في آخر أيام الصحابة على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري وتبعهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، وقد زاد الأخير على الذي قبله في مسائل القدر . الملل والنحل ١ : ٣٠ ومقالات الاسلاميين: ٥٥٠ ، والفرق بين الفرق : ١١٤ – ١١٥ .

(٥) في أ (يقولوا) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٦) سقطت كلمة (لطف) من ط .

والقول الثالث : قول من يقول : بل الله أمر بذلك لالحكمة مطلوبة ، ولا بسبب بل لمحض المشيئة ، وهذا قول الجبرية المقابلين (١) للقدرية ، كالجهم (٢) ، والأشعري (٣) ، وخلق كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم (٤) .

---

(١) هم الجهمية ، أتباع جهم ، الذي قال بالجبر والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وأنه لافعل لأحد - في الحقيقة - الا الله وحده ، وأنه هو الفاعل ، وأن الناس انما تنسب اليهم أفعالهم على المجاز كما يقال : تحركت الشجرة ، ودار الفلك وانما فعل ذلك بهما الله - تعالى - الا انه خَلَق للانسان قوة كان بها الفعل ، وخلق له ارادة واختيارا ، كما خلق له طولا ولونا . انظر الفرق بين الفرق : ١١٤ - ١١٥ و ٢١١ ، ومقالات الاسلاميين : ٢٧٩ .

(٢) لم تظهر الميم في كلمة (المقابلين) في أ كما في ك و ط .

(٣) هو ابن صفوان ، السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وكان من موالي بني راسب ، وكَتَب للحارث ، قتل سنة ١٢٨ هـ بأمر نصر بن سيار . انظر لسان الميزان ٢ : ١٤٢ .

(٤) هو ابو الحسن ، علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى الأشعري ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليه تنسب الطائفة الأشعرية ، مولده سنة ٢٧٠ هـ كان معتزليا ثم تاب ، وصنف الكتب في الرد على أهل البدع ، وكان فيه دعابة ومزاح كثير ، مات سنة ٣٣٠ هـ . انظر وفيات الأعيان ٣ : ٢٨٤ - ٢٨٥ وتبيين كذب المفتري ، فيما نسب إلى .... الاشعري : ٣٤ و ١٤٦ لعلي بن الحسن بن عساكر - ٥٧١ هـ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

القول الرابع : قول سلف الأمة وأئمتها ، وهو أن نفس معرفة الله - تعالى - ومحبته مقصودة لذاتها ، وأن الله - سبحانه - محبوب مستحق للعبادة لذاته ، لااله الا هو ، ولايجوز أن يكون غيره محبوبا معبودا (١) لذاته ، وأنه - سبحانه - يحب عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم ، ويفرح بتوبة التائب ، ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب عليهم (٢) ويذمهم ، وأن في ذلك من الحكم البالغة ، وكذلك (٣) من الأسباب مايطول وصفه في هذا * (٤) الخطاب ، كما قد بسط في موضعه ، إذ المقصود - هنا التنبيه على أن المسلمين * في هذا (٥) أكمل من غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة .

وإذا عرف (٦) مذاهب الناس في مقاصد العبادات ، فهم - أيضا - مختلفون في صفاتها . فمن الناس من يظن أن كل (٧) ماكان أشق على النفس وأشد اماتة (٨) لشهوتها فهو أفضل . وهذا مذهب كثير من المشركين ، الهند (٩) وغيرهم ،

---

(١) تقدمت (معبودا) على كلمة (محبوبا) في ك و ط .

(٢) في ك و ط زيادة : (ويلعنهم) .

(٣) سقطت الواو من أ .

(٤) مابين النجمتين سقط من أ ، وقد أثبتناه من ك و ط حيث أنه بمقدار سطر ولانه ظاهر أن في السياق بترا وانقطاعا .

(٥) سقطت (في هذا) من ك و ط .

(٦) في ط (عرفت) .

(٧) في أ : رسمت هذه الكلمة هكذا (كلمنا) ويظهر أن النون زيادة من الناسخ .

(٨) في أ (أمانة) وهو نقص نسخي .

(٩) في ك و ط (والهند) .

وكثير من أهل الكتاب اليهود ، والنصارى ، وكثير من مبتدعة المسلمين .

والثاني : قول (١) من يقول : ان أفضلها ماكان أدعى إلى تحصيل الواجبات العقلية .

والثالث : قول من يقول : فَضْلُ بعضها على بعض لاعلة له ، بل يرجع إلى محض المشيئة . والرابع : وهو الصواب ــ أن أفضلها ماكان لله أطوع وللعبد أنفع . فما كان صاحبه أكثر انتفاعا به ، وكان صاحبه أطوع لله به (٢) من غيره ، فهو أفضل ، كما جاء في الحديث : " خير العمل أنفعه (٣) " .

وعلى كل قول ، فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم . أما عن الأول : فأولئك يقولون : " كلما كانت الأعمال أشق على النفس فهي أفضل " . ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك ، كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين (٤) الهند وغيرهم ، ومن النصارى ، ومبتدعة هذه الأمة ، ولكن يقال لهم : الجهاد أعظم مشقة من هذا كله ، فإنه بَذْل النفس وتعريضها للموت ، ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها ، وفيه جهاد النفس في الباطن ، وجهاد العدو في الظاهر (٥) " .

---

(١) في ك و ط زيادة : (القول) .

(٢) سقطت (به) من ك و ط .

(٣) أورده في المقاصد الحسنة بلفظ : " خير العمل مانفع ، وخير الهدى ماأتبع ، وخير الناس انفعهم للناس " عن زيد بن خالد ، مرفوعا ، وعزاه للطبراني ، ولم أجده في المجمع . انظر المقاصد الحسنة ، في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الألسنة : ٢٠١ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ــ ٩٠٢ هـ تصحيح عبد الله الصديق ، ط ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

....

= (٤) في ط زيادة : (في) ٠

(٥) في ك و ط زيادة : (وتلك العبادات توجد من الضعفاء) ٠

ومعلوم أن المسلمين أعظم جهادا من اليهود والنصارى . فإن اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه ، والنصارى لايجاهدون على دين .

وأما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطفا في الواجبات العقلية (١) ، فلا ريب أن عبادات المسلمين – كصلاتهم وصيامهم وحجهم – أدعى إلى العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية ، من عبادات غيرهم التي ابتدعوها ، فإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل .

وأما على قول نفاة التعليل ، ورد ذلك إلى مشيئة الله : فيكون الأمر في ذلك راجعا إلى محض مشيئة الله وتعبده (٢) للخلق . وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله ، الذي جاء به الرسل ، يكون متعبدا بما أمر الله به . بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها أكابرهم ، من غير أن يأتيهم بها رسول الله (٣) من عند الله .

وأما على القول الرابع : فإن عِلْم (٤) : أن الله أمر به ، يتضمن طاعة الله . وهذا انما يكون في عبادات أمر الله بها ، وهى عبادات المسلمين دون من ابتدع كثيرا من عباداتهم أكابرهم (٥) .

وأما انتفاع العباد بها ، فهذا يعرف بثمراتها ونتائجها وفوائدها ، ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب . فليتدبر الانسان عقول المسلمين وأخلاقهم وعدلهم (٦) ، يظهر له (٧) الفرق بينهم وبين غيرهم .

---

(١) سقطت (العقلية) من أ .

(٢) في ط (وتعبد) .

(٣) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك و لا ط .

(٤) في ك و ط (فانما) .

(٥) (اكابرهم) بدل من (من ابتدع) بدل كل من كل .

(٦) كررت (عدلهم) في أ مرتين وهو خطأ نسخي ظاهر .

(٧) هكذا في ك و ط وفي أ (لهم) والاصح مافي ك و ط ولهذا اعتمدناه .

ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال ، كالطهارة ، والاصطفاف، والركوع ، والسجود ، واستقبال بيت ابراهيم ، الذي هو امام الخلائق ، والامساك فيها عن الكلام ، ومافيها من الخشوع ، وتلاوة القرآن ، واستماعه ، الذي يظهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب ، لكل متدبر منصف ، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم .

وأما حكم المسلمين في الحدود والحقوق ، فلا يخفى على عاقل فضله . حتى إن النصارى في طائفة من بلادهم ، ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين ، إذ لم يكن لهم شرع (١) يحكم به الناس . وليس في الانجيل حكم عام ، بل عامته (٢) وانما فيه الأمر بالزهد ومكارم الأخلاق ، وهو مما يأمر به المسلمون-أيضا-.

وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين ، متوسطين بين اليهود والنصارى ، في التوحيد ، والنبوات والحلال والحرام (٣) ، وغير ذلك ، مما يبين أنهم أفضل (٤) من الأمتين ، مع أن دلائل هذا كثيرة جدا ، وانما المقصود ، التنبيه على ذلك ، وحينئذ ففضل الأمة ، يستلزم فضل متبوعها .

---

(١) في ك و ط زيادة : (تمام) .

(٢) سقطت (وانما فيه) من ك و ط .

(٣) في ط تقدمت (الحرام) على(الحلال) .

(٤) في ك و ط (أكمل) .

فصـــل

(أقسام مدعي النبوة ، ودلالة ذلك على صدقه ـ عليه السلام ـ)

ومما يبين أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن من دعا إلى مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام :

إما أن يكون نبيا صادقا ، مرسلا من الله ، كما أخبر عن نفسه ، بمنزلة نوح وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، وداود وسليمان ، وغيرهم من الأنبياء ، الذين ذكرهم الله . في قوله ـ تعالى ـ(١) : * إنا أوحينا إليك ، كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ويعقوب ، والأسباط وعيسى وأيوب ، ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما * رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما * لكن الله يشهد بما أنزل إليك ، أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا *(٢)

وإما أن يكون ملكا مسلما(٣) عادلا ، وضع ناموسا(٤) سياسيا ، وقانونا(٥) عدليا ، ينفع(٦) به الخلق ويحملهم به على السيرة

---

(١) ليس في ك ولا ط كلمة التقديس .

(٢) سورة النساء : ١٦٢ ـ ١٦٦ .

(٣) سقطت كلمة (مسلما) من ك و ط .

(٤) أي علما ونظاما سياسيا . أنظر لسان العرب ٦ : ٢٤٤ مادة : نمس .

(٥) قانون : قيل: هي فارسية، وقيل: رومية ، وهو مقياس كل شيء وطريقه ، جمعه : قوانين . قال ابن سيده :(وأراها دخيلة) . أنظر المصدر السابق ١٣ : ٣٤٩ مادة : قنن .

(٦) في ك و ط (ينتفع) .

العادلة بمبلغ علمه (١) ، كما كان للأمم من يضع لهم النواميس ، مثل واضعي النواميس من اليونان ، والهند ، والفرس وغيرهم . وإن كان واضع الناموس مختصا بقوة قدسية ، ينال بها العلم بسهولة و قوة (٢) نفسية ، يتصرف (٣) فيها تصرفات خارجة عن العادة ، ويكون له قوة تخييلية ، تمثل له في نفسه أشكالا نورانية ، وأصواتا يسمعها في داخل نفسه ، فإن هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول (ابن سينا) وأمثاله من المتفلسفة : إنها خواص النبي ، ومن قامت به كان نبيا . والنبوة مكتسبة عندهم .

ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ، ولم يصل بها إلى قريب من درجة الصديقين ، أتباع الأنبياء ، كالخلفاء الراشدين ، وحواريي عيسى ، وأصحاب موسى ، جعلناها من هذا القسم ، إذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة ، بحسب ما معه من العلم والعدل ، فهذا القسم الثاني . وإما أن يكون رجلا كاذبا ، فاجرا أفاكا أثيما يتعمد الكذب والظلم ، أو يتكلم بلا علم ، فيخطيء خطأ من يتكلم بلا علم .

---

(١) في ك و ط (ليبلغ) .

(٢) في ك (له وقوة) وفي ط (وله قوة) .

(٣) في ط (ينصرف) .

ومن يظن الكذب صدقا ، والباطل حقا ، والضلال هدى ، والغي رشدا ، والظلم عدلا ، والفساد صلاحا ، وكل من دعا الخلق إلى متابعته وطاعته على سبيل الحتم والايجاب ، بأن يصدقوه بما (١) اخبر ، ويطيعوه فيما أمر به وأوجبه (٢) باطنا وظاهرا ، من غير أن يخبر (٣) أحدا في (٤) اتباعه وتصديقه وطاعته ، ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه ، لا في الباطن ولا في الظاهر . لم يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة .

وذلك لأنه ، إما أن يكون قصده الإثم والعدوان ، أو قصده البر والعدل . فإن كان قصده الأول ، فهو ظالم فاجر ، ومثل هذا لا يكون إلا كاذبا عمدا او خطأ . وإن كان قصده البر والعدل ، فلا يخلو – مع ذلك – إما أن يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب ، جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل النقيض ، عالما بأن ما يأمر به (٥) عدل ، لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه ، وإما أن لا يكون جازما بذلك . فإن كان جازما بذلك ، كان هذا هو النبي المعصوم ، الذي لا يخبر إلا بحق (٦) ، ولا يأمر إلا بعدل ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ (٧) .

---

(١) في ك وط (فيما) .

(٢) في ك و ط (أوجبه وأمر به) وسقطت (به) من أ .

(٣) في ك (يخبر) .

(٤) في ك و ط (على) .

(٥) في ك و ط زيادة : (هو) .

(٦) في ك و ط زيادة : (وصدق) .

(٧) سورة الأنعام : ١١٥ .

بخلاف القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه ، فان هذا قد يأمر بأشياء يجوز أن تكون المصلحة والعدل والصدق (١) في خلافها (٢) ، ويخبر بأشياء باجتهاده ، يجوز أن يكون الأمر فيها بخلاف ذلك ، ولابد أن يَغْلِط في بعض ما يخبر به من العلميات وما يأمرهم (٣) به من العمليات ، فانه لا معصوم الا الأنبياء ، ولهذا لم يجب الايمان بكل ما يقوله بشر ، الا أن يكون نبيا ، فان الايمان واجب بكل ما يأتي به النبي .

قال – تعالى – : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون ﴾ (٤) وقال – تعالى – : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب (٥) ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ الآية (٦) . واذا كان الأمر (٧) كذلك فمعلوم بالتواتر أن محمدا ذكر أنه رسول كإبراهيم وموسى وعيسى . بل أخبر أنه سيد ولد آدم (٨) ، وأن آدم فمن (٩) دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وأنه لما

---

(١) سقطت (والصدق) من ك و ط .

(٢) في ك و ط زيادة : (ويخبر بأشياء باجتهاده ، يجوز أن تكون المصلحة والعدل في خلافها) .

(٣) في ك و ط (يأمر) .

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٥) أي جهة المشرق أو المغرب . صفوة التفاسير ٢ : ١١٧ .

(٦) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٧) سقطت (الأمر) من ك و ط .

(٨) في أ (إبراهيم) .

(٩) في ك و ط (ومن) .

أسري به وعرج الى ربه ، علا على الأنبياء كلهم ، على ابراهيم ، وموسى وهرون ويحيى ، وعيسى (١) ، وغيرهم ، وأخبر أنه لا نبي بعده ، وأن أمته هم الآخرون في الخلق ، السابقون يوم القيامة ، وأن الكتاب الذي أنزل اليه ، أحسن الحديث ، وأنه مهيمن (٢) على ما بين يديه من الكتب ، مع تصديقه لذلك (٣) .

وحينئذ فان (٤) كان عالما بصدق نفسه ، فهو نبي رسول ، ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب ، فهو من أظلم الناس وأفجرهم : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ... ﴾ (٥) . وان كان يظن صدق نفسه وليس كذلك ، فهو مخطيء غالط ملبوس عليه، واذا كان كذلك ، فلابد أن يخطيء فيما يخبر به من الغيوب ، ويظلم فيما يأمر به من العدل ولا يتصور استمراره على هذا ، بل لابد أن يتبين له ولغيره أنه صادق أو كاذب .

فان من ظن صدق نفسه في مثل هذه الدعوى وليس بصادق ، يكون من أجهل الناس وأظلمهم وأبعدهم عن التمييز بين الحق والباطل ،

---

(١) في ك و ط تقدم ذكر (عيسى) على (يحيى) -على نبينا وعليهما الصلاة والسلام-.

(٢) أي أنه أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، فجمع الله فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، وتكفل - تعالى - بحفظه بنفسه الكريمة . أنظر تفسير القرآن العظيم ٣ : ١١٩ .

(٣) سقط النصف الأول من هذه الكلمة من أ ، وقال الناسخ في الهامش : لعله : (لذلك) .

(٤) في ك و ط (فإذا) .

(٥) سورة الأنعام : ٩٣ .

والصدق والكذب والخير والشر ، فان هذا بمنزلة من اشتبه عليه النبي الصادق بالمتنبي الكذاب (١) ، وهذا من أجهل الناس .
(٢) اذا اشتبه عليه حال غيره ، فكيف بمن اشتبه عليه حال نفسه ولم يعلم ما يقوله ، أصدق هو (٣) أم كذب ؟

ومن كان جاهلا مع هذه الدعوى العظيمة ، التي لم يدع بشر مثلها ، ومع كثرة ما يخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ، ويأمر به وينهى عنه ، من (٤) الأمور الكلية ، والسنن العامة (٥) ، والشرائع والنواميس ، فلابد أن يكون فيها من الضلال والغي ما يبين لأكثر الخلق .

فاذا كانت (٦) اخباره عن الماضي والمستقبل ، يصدق بعضها بعضا ، والذي يأمر به هو الطريق الأقوم ، والكتاب الذي جاء به ، كتاب متشابه مثاني ، يشبه بعضه بعضا في الصدق ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ أفلا يتدبرون

---

(١) في ك و ط (بالنبي الكاذب) .

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف .

(٣) في ك و ط جاء الضمير هو في الموضع الأول وسقط في الموضع الثاني وجاء في ك في الموضع الأخير (أو) بدلا من (أم) .

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (عن) والأولى ما في ك و ط ولهذا أثبتناه منهما .

(٥) هذه الكلمة رسمت في أ وكأنها (العامية) أو (العلمية) ويمكن قراءتها أيضا (العامة) كما هي في ك و ط .

(٦) في ك و ط (كان) .

القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾(١)

فانه لو كان من عند غير الله ، لوجب أن يكون فيه تناقض ، لامتناع قدرة البشر على أن تخبر بهذه الأخبار ، وما فيها من الغيوب ، ويأمر بهذه الأوامر ، مع سلامة ذلك من التناقض . ولهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك .

وإذا(٢) كان محمد – صلى الله عليه وسلم – قد عُلم بالاضطرار من سيرته أنه كان يتحرى الصدق والعدل ، وأنه ما جربت(٢) عليه كَذبة قط وعلم أنه كان جازما بما يخبر به مع عظم الأخبار وكثرتها ، (٣) – وهو وحده – قام يدعو الناس الى ما جاء به ، ومن عادة طالب المُلْك والرياسة – ولو كان عادلا – أن يستعين بمن يعينه ، كأقاربه وأصدقائه ونحوهم ، وأن يبذل للنفوس من العاجل ، ما يرغبها به ، كالمال والرياسة ، ويُرَهب من خالفه .

ومحمد – صلى الله عليه وسلم – دعا الناس وحده وهو بمكة ، فآمن به المهاجرون ، ثم آمن به الأنصار بالمدينة ، ثم آمن به أهل البحرين(٤) ، ولم يعط أحدا منهم درهما ، ولا كان معه ما يخيفهم به ، لا سيف ، ولا غيره . بل مكث(٥) بمكة بضع عشرة سنة ، هو(٦) والمؤمنون به ، مستضعفين(٧) ، لم يكن له مال يبذله لهم ، ولا سيف يخيفهم به .

---

(١) سورة النساء : ٨٢ .

(٢) في ك و ط (جرت) .

(٢) في ك و ط (فإذا) .

(٣) في ك و ط زيادة (أنه) .

(٤) وهي منطقة الأحساء حاليا . أنظر معجم البلدان ١ : ٣٤٧ .

(٥) في ك و ط (أقام) .

(٦) في ك و ط (وهو) .

(٧) في ك و ط (مستضعفون) .

وكان أعظم من آمن بـه ، أبو بكر الصديق ، مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه ، ومحبتهم له وعلو قدره فيهم ، أنفق ماله كله في سبيل الله ، حتى قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ما تركت لأهلك ؟) قال : (تركت لهم الله ورسوله)(١) ولم يعطه النبي - صلى الله عليه وسلم - درهما واحدا يخصه به ، ثم تولى الأمر بعده ، وترك ما كان معه للمسلمين ، واكتفى كل يوم بدرهمين له ولعياله ، ومات وهو فقير من فقراء المسلمين .

وتولى بعده عمر بن الخطاب ، وفتح أعظم ممالك العالم ، مملكة فارس والروم ، فقهر الروم على بلاد الشام والجزيرة ومصر .

---

(١) أورده البخاري معلقا حيث قال : (كفعل أبي بكر - رضي الله عنه - حين تصدق بماله) كتاب الزكاة ، باب لا صدقة الا عن ظهر غنى ، ٣ : ٢٩٤ من فتح الباري ، ورواه أبو داود ، كتاب الزكاة ، باب الرخصة في ذلك - أي الخروج من المال ، ٢: ١٢٩. (١٦٧٨) . والترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما ، ٥ : ٦١٤ (٣٦٧٥) وقال :"هذا حديث حسن صحيح". والدارمي ، كتاب الزكاة ، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ١ : ٣٩١ . والحاكم في المستدرك ١ : ٤١٤ ، وقال :"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي .

وأميره الكبير (أبو عبيدة)[١] أزهد الخلق في[٢] الأموال ، وأعبدهم للخالق ، وأرحمهم للمخلوق ، وأبعدهم عن هوى النفس ، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فيه : (ان لكل أمة أمينا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[٣] . وأميره على فارس (سعد بن أبي وقاص)[٤] الذي كان مستجاب الدعوة ، وكان من أزهد الناس[٥] ، وكان آخر من بقي من أهل الشورى ، والناس يتنازعون في الولاية وهو معتزل في قصره بالعقيق[٦] ، لا يزاحم أحدا .

---

(١) هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال ، الفهري المكي ، أحد السابقين الأولين ، وشهد له النبي – صلى الله عليه وسلم – وسماه أمين الأمة ، ومناقبه شهيرة جمة ، توفي سنة ١٨هـ وله ٥٨سنة . سير ... النبلاء ، ١ : ٥ – ٢٣ ، وتقريب ١ : ٣٨٨ .

(٢) في ك و ط زيادة : (ولايته) .

(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران ، ٨ : ٩٤ (٤٣٨٢) من فتح الباري ، ومسلم بمثله – أيضا – ،كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي عبيدة ... ، ٤ : ١٨٨١ (٢٤١٩).

(٤) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي ، أبو اسحاق ، القرشي الزهري المكي ، أحد العشرة وأحد السابقين الأولين ، شهد بدرا والحديبية ، توفي بقصره بالعقيق – على سبعة أميال من المدينة ، وحمل اليها سنة ٥٥ هـ وله ٨٢ سنة . سير .. النبلاء ، ١ : ٩٢ – ١٢٤ ، وتقريب ١ : ٢٩٠ .

(٥) في ك و ط (الخلق) .

(٦) هو واد من أودية المدينة لربيعة ، وقد كان فيه نخل كثير وسيوح (مياه جارية) وآبار . صفة جزيرة العرب : ٢٦٤ و ٢٩٧ للحسن بن أحمد الهمداني – ٣٤٤ هـ ت : محمد بن على الأكوع الحوالي ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م .

فقال له ابنه (١) عمر (٢) : (تركت الناس يتنازعون (٣) المُلك وجلست ههنا ؟) فقال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : (إن الله يحب العبد التقي الغني (٤) النقي الخفي (٥)) .

---

(١) في ك و ط (ابن) .

(٢) هو ابن سعد بن أبي وقاص ، أمير السرية الذين قاتلوا الحسين – رضي الله عنه – ثم قتله المختار ، وكان ذا شجاعة وإقدام ، قتل هو وولداه صبرا . سير .. النبلاء ٤ : ٣٤٩–٣٥٠ .

(٣) في ك و ط زيادة : (في) .

(٤) ليس في أ (الغني) وفي ك و ط (النقي) وما أثبتناه هو ما في الصحيح .

(٥) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٧٧ (٢٩٦٥) وأخرجه أحمد في المسند ١ : ١٦٨ .

فصـــــل

(من آيات النبو : قصة الفيـــ وحراسة السماء)

ومن آيات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودلائل نبوتــــه التي (١) في القرآن ، قصة الفيـــل ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تــر كيف فعل ربك بأصحاب الفيـــل ۞ ألم يجعل كيدهم في تضليل ۞ وأرسل عليهم طيرا أبابيـــل (٢) ۞ ترميهم بحجارة من سجيل (٣) ۞ فجعلهم كعصـــف مأكـــول (٤) ﴾ (٥) .

وقد تواترت قصـــة أصحاب الفيـــل ، وأن أهل الحبشة : النصارى ساروا بجيش عظيـــم ، معهم فيـــل ، ليهدمـــــوا الكعبة ، لما أهان بعض العرب كنيستهم ، التي باليمن ، فقصــدوا إهانة الكعبة (٦) ، وتعظيم كنايسهم . فأرسل الله عليهم طيرا أهلكهم وكان ذلك عام مولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان جيـــران البيت مشركين يعبدون الأوثان ، ودين النصارى خير من دينهم .

---

(١) سقطت (التي) من ط .

(٢) أبابيل : جماعات متتابعة ، بعضها في إثر بعض . صفــوة ٣٠ : ٦٠٥ .

(٣) سجيل : طين متحجر . المصدر والموضع السابق .

(٤) كعصف مأكول : ورق الشجر الذي عصفت به الريح ، وأكلته الدواب ثم خرج منها . أنظر المصدر والمرجع السابق .

(٥) سورة الفيل كاملـــــة .

(٦) في ك و ط زيادة : (عامتهم) .

فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ ، بل كانت لأجل البيت ، أو لأجل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، الذي ولد به (١) في ذلك العام عند البيت ، أو لمجموعهما ، وأي ذلك كان ، فهو من دلائل نبوته .

فإنه إذا قيل : إنما كانت آية للبيت وحفظا له ، وذبا عنه لأنه بيت الله الذي بناه ابراهيم الخليل . فقد علم أنه ليس من أهل الملل من يحج إلى هذا البيت ويصلى إليه ، الا أمة ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ ، ومحمد (٢) هو الذي فرض حجه والصلاة إليه . فاذا كان هذا البيت عند الله خيرا (٣) من الكنائس التي للنصارى ، حتى إن الله أهلك النصارى أهل (٤) الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس وإهانة البيت . علم أن دين (٥) أهل هذا البيت خير من دين النصارى ، والمشركون ليسوا خيرا من النصارى . فتعين أن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير من النصارى ، وذلك يستلزم أن نبيهم صادق، وإلا فمن كانوا متبعين لنبي كاذب ، فليسوا خيرا (٦) من النصارى ،

---

(١) سقطت (به) من ك و ط .

(٢) لم ترد كلمة (ومحمد) في ط .

(٣) في ك و ط (خير) بالرفع .

(٤) سقطت (النصارى أهل) من ك و ط .

(٥) لم ترد كلمة (دين) في ط .

(٦) في أ (خير) بغير النصب والأصح ما في ك و ط . بالنصب ولهذا أثبتناه .

بل هم شرار الخلق(١) ، كأتباع مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي(٢) وغيرهما ، وقال ـ في القرآن ـ : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ﴾(٣) والأبابيل جماعات في تفرقة(٤) ، فوج بعد فوج(٥) (ترميهم بحجارة من سجيل) أي من طين مستحجر(٦) ، (فجعلهم كعصف مأكول) كالتبن(٧) الذي أُكِل.وقوله : ﴿ ألم تَرَ ﴾ استفهام في معنى التقرير ، وهذا يقتضي أن هذا قد وقع وعلم به الناس ورأوه ، وقد قررهم على ذلك ، لما فيه من الدلالة والبيان والإنعام على الخلق .

---

(١) في ك و ط زيادة : (من) .

(٢) هو عبهلة بن كعب بن غوث العنسي ، خرج من بلدة باليمن يقال لها (كهف حنان) فاستولى على بلاد اليمن في مدة وجيزة ،وادعى النبوة ، وأنه يوحى اليه ، وقد قتله فيروز الديلمي بعد ثلاثة أشهر أو أربعة من خروجه ، وذلك في آخر شهر ربيع الأول سنة ١١هـ. تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٢٢٧ ـ ٢٤٠ . البداية والنهاية ٦ :٣٠٧.

(٣) سورة الفيل : ١ ـ ٣ .

(٤) في ط (متفرقة) .

(٥) سقطت كلمة (فوج) الثانية، من ط .

(٦) في ك و ط زيادة بمقدار ثلاثة أسطر بعد هذا ، وهي كالآتي :(وهي كلمة معربة أصلها بالفارسية (سنك) و (كل) بالفارسية هي الطين ، ويقولون في الجمع (كيلان) أي أطيان ، لأن الألف والنون في الفارسية للجمع فيقولون (مسلمان ، وفقيهان ، وعالمان) : أي مسلمون وعلماء وفقهاء . ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون بها ويعرفون معناها ، والقرآن نزل بلغتهم العربية ، والمعرب عربي) .

(٧) التبن : ساق الزرع بعد دياسه . المصباح : ٧٢ .

(١) ومن آياته الظاهرة التي في القرآن ، ما ذكره من أن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا ، بخلاف ما كانت العادة جارية به ، قال - تعالى - : ﴿ قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ - إلى قوله - : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ﴾ (٢) وقال - تعالى - : ﴿ وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ (٣) وهذا (٤) كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرؤه على الناس وهم يقرؤنه ، ولم ينكره أحد ، ولا ارتاب به مؤمن ، ولا احتج به عليه كافر ، فدل (٥) أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن ، من أن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وأنهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع .

---

(١) في ك و ط قبل هذا (فصل) .

(٢) سورة الجن : ١ - ١٠ .

(٣) سورة الشعراء : ١١٠ - ١١٢ .

(٤) في ط (قد) .

(٥) في ك و ط زيادة : (على) .

ومعلوم أن هذا أمر يراه الناس بأبصارهم ، فان إمتلاء السماء بالشهب ، أمر يراه الناس كلهم ، فلو لم يكن كذلك ، لكان الناس يكذبون بهذا ، مؤمنهم وكافرهم ، فان الجماعة العظيمة الذين لم يتواطؤا ، يمتنع اتفاقهم على الكذب ، وعلى التصديق بما يعلمون أنه كذب ، وعلى كتمان ما يعلمونه ، وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب .

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة ، أدركوا مبعثه ، وشاهدوا أحوال السماء ، فلو لم يكن هذا كان موجودا ـ مع أن عامتهم كانوا مكذبين له ، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين ـ يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت ، فلما لم ينكر ذلك أحد ، بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب ، الذي لم يعهد مثله ، حتى صاروا يشكون : هل ذلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها ؟ وقالوا : ان كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم ، فلما رواه فيما دونها ، علموا أنه لأمر حدث .
ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : (انطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طائفة من أصحابه عامدين (١) الى سوق عكاظ (٢) ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب (٣) ، فرجعت

---

(١) أي قاصدين . فتح الباري ٨ : ٦٧٠ .

(٢) عكاظ : نخل في واد ، بينه وبين الطائف مسيرة ليلة (٤٠ كلم تقريبا) وبينه وبين مكة ثلاث ليال (١٢٠ كلم تقريبا) كانت تقام سوق للعرب بموضع منه يقال له (الأثيداء) وبه كانت حرب الفجار ، وهو أعظم أسواق العرب . مراصد الاطلاع ٢ : ٩٥٣ .

(٣) جمع شهاب : وهو شعلة من نار ساطعة . مختار : ٣٤٩ .

الشياطين الى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين السماء ، أرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك الا من شيء حدث ، فاضربوا (١) مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا : ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر (٢) الذين أخذوا نحو تهامة ، وهي بنخل (٣) ، عامدين الى سوق عكاظ ، وهو (٤) يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ، استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا الى قومهم ، فقالوا : يا قومنا ﴿ ... انا سمعنا قرآنا عجبا ﴿ يهدي الى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ (٥) فأنزل الله – عزل وجل – على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن ..... ﴾ (٦) وفي لفظ البخاري بنخلة قريبا من مكة » وهو الصواب .

---

(١) الضرب في الأرض : السير فيها لابتغاء الرزق أو غيره . أنظر مختار : ٣٧٨ .

(٢) النَّفَر : عدة رجال من ثلاثة الى عشرة ، ومثله : النّفير والنَّفْر والنَّفْرة . مختار : ٦٧٢ .

(٣) نخل : موضع بنجد ، من أرض غطفان ، وهو في طرف الشام من ناحية مصر ، وقيل : منزل لبني مرّة بن عوف ، أو بني ثعلبة ، على ليلتين من المدينة (٨٠ كلم تقريبا) . وقد رجح الشيخ المؤلف أنه (نخلة) . مراصد الاطلاع ٣ : ١٣٦٤ .

(٤) في ط (وكان الرسول) .

(٥) سورة الجن : ١ – ٢ .

(٦) في ك و ط زيادة قوله – تعالى – : ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ .

(٦) سورة الجن : ١ .

(٦) رواه البخاري كتاب التفسير، سورة ﴿ قل أوحي الىّ ﴾ ٨:٦٦٩(٤٩٢١) من فتح الباري، ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح ... ، ١:٣٣١ – ٣٣٢ (٤٤٩) .

وقد ظن بعض الناس أن الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك بحال ، والصواب : أنه كان الرمي [(١)] بها ـ كما هو الآن ـ أحيانا ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن ابن عباس ، ورواه ـ أيضا ـ أحمد في مسنده ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينما هو في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال لهم : (ما كنتم تقولون في هذا النجم ، الذي يرمى به في الجاهلية ؟) قالوا : كنا نقول حين رأيناها يرمى بها ، مات مَلِك • وُلِد [(٢)] مولود • فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ليس ذلك كذلك ، ولكن الله اذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسبحون ، فيسبح من تحتهم بتسبيحهم ، فيسبح من تحت ذلك ، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض : لم سبحتم ؟ فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم • فيقولون : ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا ؟ فيسألونهم [(٣)] ، فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا ، الأمر الذي كان ، فيهبط به الخبر من سماء الى سماء ، حتى ينتهي الى سماء الدنيا فيتحدثون به ، فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ، ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض ، فيحدثونهم ، فيخطئون ويصيبون ، فيحدث [(٤)] الكهان) [(٥)] •

---

(١) في ك و ط (يرمى) •

(٢) في ط زيادة واو العطف •

(٣) في ك و ط (فيسألون) •

(٤) في ك و ط (فيتحدث به) •

(٥) رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، ٤ : ١٧٥٠ ، (٢٢٢٩) • والترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة سبأ ، ٥ : ٣٦٢ (٣٢٢٤) • وأحمد في المسند ١ : ٢١٨ •

وفي الصحيحين عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، ان الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقا ، قال : (تلك الكلمة من الحق ، يخطفها (١) الجني ، فيقذفها في أذن وليه ، فيزيد فيها أكثر من مائة كَذبة (٢)) •

وروى البخاري في صحيحه ، عن عائشة أنها سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : (ان الملائكة تنزل في العَنَان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر ، قضى في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم (٣)) •

وفي صحيح البخاري – أيضا – عن أبي هريرة قال : ان نبي الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (اذا قضى الله الأمر في السماء (٤) ضربت الملائكة بأجنحتها خُضَعَانا (٥) لقوله ، كأنه سلسلة على

---

(١) الخطف : الأخذ والاستلاب بسرعة • المصباح : ١٧٤ •

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الطب ، باب الكهانة ، ١٠ : ٢١٦ (٥٧٦٢) من فتح الباري • ومسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، وإتيان الكهان ، ٤ : ١٧٥٠ (٢٢٢٨) • واللفظ له •

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ٦ : ٣٠٤ (٢٢١٠) • من فتح الباري •

(٤) يفسر ذلك رواية الطبراني : (إذا تكلم الله بالوحي •••••) • أنظر فتح الباري ٨ : ٥٣٨ •

(٥) خضعانا : من الخضوع ، وهو مصدر بمعنى : خاضعين • المصدر والموضع السابق •

(٥) في ك و ط (خضعا) •

صفوان (١) ، فاذا فزع عن قلوبهم (٢) قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : (الحق وهو العلي الكبير) فيسمعها مسترقوا السمع ، ومسترقوا السمع هكذا ، بعضهم فوق بعض ، فيسمع الكلمة فيلقيها (٣) على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا (٤) : كذا وكذا . الكلمة التي سمعت من السماء ، فَيُصَدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء) (٥) .

ورواه محمد بن اسحاق ، عن الزهري ، وقال ـ في آخره ـ : (ثم ان الله ـ عز وجل ـ حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم ، فانقطعت الكهانة ، فلا كهانة) (٦) . ورواه مَعْمَر (٧) عن الزهري ، وقال :" فقلت للزهري : أو كان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال نعم . قلت : يقول الله :

---

(١) في ك و ط (الصفوان) .

(٢) أي زال الفزع والخوف . صفوة التفاسير ٢٢ : ٥٥٣ .

(٣) في ك و ط زيادة : (الى من تحته ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها) .

(٤) سقطت (كذا) الثانية من أ والصواب اثباتها كما في الصحيح .

(٥) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة سبأ ، باب (حتى اذا فزع عن قلوبهم ..) ، ٨ : ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ، (٤٨٠٠) . من فتح الباري . ورواه الترمذي مختصرا ،كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة سبأ ، ٥ : ٣٦٢ (٣٢٢٣) .

(٦) السيرة لابن هشام ١ : ٢٢٠ .

(٦) في ط (كهلانة) .

(٧) هو معمر بن راشد الأزدي .

﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع .... ﴾ (١) الآية . قال : غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢) . وروى الطبري (١) عن داود (٢) ، ثنا عاصم بن علي (٣) بن عاصم عن عطاء (٤) بن السائب (٥)

---

(١) سورة الجن : ٩ .

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، الامام العلم الحافظ ، أبو جعفر ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف ،قال ابن خزيمة :(ما على أديم الأرض أعلم منه) . كانت ولادته سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ سير .. النبلاء ١٤: ٢٦٧ - ٢٨٢ ، وطبقات الحفاظ : ٣١٠ .

(٢) المسند للامام أحمد ١: ٢١٨،بإسناد رجاله ثقات ، وأورده الهيثمي مختصرا في المجمع ٧ : ١٢٩ م٤ وقال :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

(٢) داود : هو ابن علي بن خلف ، أبو سليمان البغدادي ، المعروف بالأصبهاني الحافظ العلامة عالم الوقت ، مولى أمير المؤمنين المهدي رئيس أهل الظاهر ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ومات سنة ٢٧٠ هـ سير.. النبلاء ١٣ : ٩٧ - ١٠٨ . لسان الميزان ٢ : ٤٢٢ - ٤٢٤ .

(٣) في ك و ط زيادة : (ثنا علي) .

(٤) عاصم بن علي بن عاصم : هو ابن صهيب الواسطي التيمي مولاهم ، صدوق يخطيء ويصرّ ، رمي بالتشيع ،مات سنة ٢٠١هـ وله أكثر من ٩٠سنة . تقريب ٢ : ٣٩ وتهذيب ٧ : ٣٤٤ .

(٥) هو أبو محمد ، ويقال : أبو السائب ، الثقفي الكوفي ، صدوق ، اختلط - ضعفت ذاكرته - مات سنة ١٣٦ هـ تقريب ٢ : ٢٢ ، تهذيب ٧ : ٢٠٣ .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي ، وكان الوحي اذا أوحي ، سمعت الملائكة كهيئة الحديدة رمى (١) بها على الصفوان (٢) ، فاذا سمعت الملائكة صلصلة (٣) الوحي ، خرّ (٤) لجباههم من في السماء من الملائكة (٥) ، فاذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال : فينادون قال ربكم : ﴿ الحق وهو العلي الكبير ﴾ (٦) . قال : فاذا نزل الى السماء الدنيا ، قالوا : يكون في الأرض كذا وكذا موتا ، وكذا وكذا حياة ، وكذا وكذا جدوبة ، وكذا وكذا خصبا ، وما يريد أن يصنع ، وما يريد أن يبتدى ـ تبارك وتعالى ـ ، فنزلت الجن ، فأوحوا الى أوليائهم من الانس ما (٧) يكون في الأرض . فبينما هم كذلك ، اذ بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم (٨) ـ فزجرت (٩) الشياطين (١٠) ، ورموهم بالكواكب ، فمنعوا ،

---

(١) في ك و ط (يرمى) .

(٢) هو الحجارة الملس ، ويستعمل اللفظ في الجمع والمفرد . المصباح : ٣٤٤ .

(٣) الصلصلة : صفاء صوت الرعد . اللسان ١١ : ٣٨٢ مادة : صلل .

(٤) في ط (خروا) .

(٥) سقطت جملة (من في السماء من الملائكة) من ط .

(٦) سورة سبأ : ٢٣ .

(٧) في ك (مما) وفي ط (بما) .

(٨) في أ (عليه السلام) .

(٩) الزجر : المنع والنهي والانتهار . اللسان ٤ : ٣١٨ مادة : زجر .

(١٠) في ك و ط زيادة : (عن السماء) .

فجعل لا يصعد أحد الا احترق ، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب ، ولم يكن قبل ذلك ، فقالوا : هلك (١) من في السماء . وكان أهل الطائف أول من فزع ، فينطلق الرجل الى ابله ، فينحر كل يوم بعيرا لآلهتهم ، فينطلق صاحب الغنم ، فيذبح كل يوم شاة ، فينطلق صاحب البقر ، فيذبح كل يوم بقرة ، فقال لهم رجل : ويلكم لا تهلكوا أموالكم ، فان معالمكم (٢) من الكواكب التي تهتدون بها ، لم يسقط منها شيء . فاقلعوا (٣) ، وقد أسرعوا في أموالهم (٤) . وقال ابليس (٥) : حدث في الأرض حدث ، فأتوني (٦) من كل (٧) مكان في الأرض بتربة ،فجعل لا يؤتى بتربة أرض الا شمها ، فلما أتى بتربة تِهامة قال :"ههنا حدث الحدث"، فصرف الله اليه نفرا (٨) من الجن ، وهو يقرأ القرآن ، فقالوا : ﴿ ..... إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ (٩) حتى ختم الآية ،

---

(١) في ك و ط (أهلك) .

(٢) جمع معلم ، وهو ما جعل علامة وعلما للطرق والحدود ، مثل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه . اللسان ١٢:٤١٩ مادة:علم.

(٣) الاقلاع عن الأمر : الكف عنه . مختار : ٥٤٨ .

(٤) أي في افنائها .

(٥) في ك (وكان إبليس حدث) وفي ط (وكان إبليس قال) .

(٦) في ك و ط (فأتي) .

(٧) في ط زيادة : (مكان في) .

(٨) هم جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة ، وقيل الى سبعة ، ولا يقال (نفر) فيما زاد على العشرة . المصباح : ٦١٧ .

(٩) سورة الجن : ١ .

فولوا ﴿ .... الى قومهم[1] منذرين ﴾ .[2] ورواه أبو زرعة عن موسى بن اسماعيل[3] عن حماد بن سلمة عن عطاء بنحوه ، ورواه البيهقي من طرق[4] عن حماد بن سلمة عن عطاء ـ أيضا ـ .

---

(١) سقطت من ط (الى قومهم) .

(٢) سورة الأحقاف : ٢٩ .

(٢) أورد الحافظ في الفتح ٨ : ٦٧١ أول هذا الأثر وشطرا كبيرا من آخره وعزاه للطبري وابن مردويه وغيرهما بالطريق التي ذكر المؤلف نفسها ، وقد تتبعت مضانه عند الطبري في التفسير والتاريخ فلم أعثر عليه .
ولم يشر السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالماثور ٥ : ٢٣٦ مصور طبعة بولاق ، دار المعرفة ، بيروت . لم يشر الى رواية الطبري هذه ، وكذلك فعل تلميذه الامام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ـ ٩٤٢ هـ في كتابه : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢ : ٢٦٤ ـ ٢٧٩ . ت : د.مصطفى عبد الواحد ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م . وقبلهما ابن كثير لم يذكر رواية الطبري ، السيرة النبوية ١ : ٤١٥ ـ ٤٢١ .
وقد أخرجها أبو نعيم في الدلائل ١ :. ٢٩٣ بالطريق نفسها التي ذكر المؤلف ـ عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ وبلفظ مقارب ، وبالطريق نفسها أخرجها البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٤٠ بمثله .

(٣) موسى بن اسماعيل : هو المنقري التبوذكي ،مشهور بكنيته وباسمه ، ثقة ثبت ، من صغار الطبقة التاسعة ،ولا التفات الى قول ابن خراش :"تكلم الناس فيه". مات سنة ٢٢٣هـ ، تقريب ٢ : ٢٨٠ ، وتهذيب ١٠ : ٣٣٣ ـ ٣٣٥ .

(٤) سقطت (من طرق) من ك و ط .

فقد تبين أنه لما كان في زمن المبعث ، ملئت السماء حرسا شديدا وشهبا ، وقبل ذلك لم يكن الحرس شديدا ، ولا(١) كانت السماء مملوءة حرسا وشهبا ـ كما هي الآن(٢) ـ يرمى(٣) بها أحيانا ، وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع : أي يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع الى حديث غيره ، مختفيا بسماعه ، مسترقا له ، فكانت الشياطين تسترق (أى تستمع) ما تقوله الملائكة . فلما بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صار أحدهم اذا سمع(٤) وجد الشهاب قد أرصد له ، فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك .

---

(١) في ط (بل) .

(٢) سقطت (الآن) من ط .

(٣) في ك و ط (ترمى) .

(٤) في ك و ط (استمع) .

فهـــــرس المـــــوضـــوعـــــات

للمجلد الاول

فهـرس الموضـوعـات

تابع - فهرس الموضوعات (المجلد الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه

الحمدلله .. وبعد :

فانني آمل من كل أخ كريم يجد أي ملاحظة على هذا البحث - مهما كانت صغيرة - أن يتصل بالباحث على عنوانه :

حمدان بن محمد الحمدان
ص.ب : ٥٣١٤٢
الرياض ١١٥٨٣
المملكة العربية السعودية

وأن يحتسب هذا الأخ الأجر والثواب في كتابة وتغليف وإرسال هذه الإفادة ، كما أتعهد من جانبي بإشعاره بوصولها أو إبلاغه برأيي نحوها على عنوانه البريدي ، أو الهاتفي .

والله الموفق ،،

الباحث